

نظم الدرر

في تناسب الآيات والسور

للإمام المفسر

برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي

المتوفى سنة ٨٨٥ هـ - ١٤٨٠ م

دار الكتاب الإسلامي

بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

«سورة الحج[1]»

مقصودها الحث على التقوى المعلية عن دركة الاستحقاق للحكم بالعدل إلى درجة استئهال[2] الإنعام بالفضل، في يوم الجمع للفصل، و انسب ما فيها لذلك الحج و هو ظاهر ﴿ بسم الله ﴾ الذى اقتضت عظمته خضوع كل شيء ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم برحمته [و -[3]] عدله ٥ كل موجود ﴿ الرحيم ه ﴾ الذى خص بفضله من شاء من ذوى عدله.

لما ختمت التى قبلها بالترهيب من الفزع الأكبر، و طى السماء و إتيان ما يوعدون، و الدينونة بما يستحقون، وكان أعظم ذلك يوم الدين، افتتحت هذه بالأمر بالتقوى المنجية من هول ذلك اليوم فقال: ﴿ يٰأيها الناس ﴾ أى الذين تقدم أول تلك أنه اقترب لهم حسابهم ١٠ ﴿ اتقوا ربكم ج ﴾ أى [احذروا عقاب -[3]] المحسن إليكم بأنواع الإحسان بأن تجعلوا بينكم و بينه وقاية الطاعات[4]

---

(١) الثانية و العشرون من سور القرآن، مدنية مع الاختلاف الدائر حول ذلك، و عدة آياتها ثمان و تسعون في الكوفي، و سبع و تسعون في المكي، و خمس و تسعون في البصري، و أربع و تسعون في الشامي - راجع روح المعاني ٥/٤٠٣ (٢) من ظ و مد. و في الأصل: استهال، و بهامش ظ: أى التأهيل. (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و في الأصل: طاعة.

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما افتتحت سورة الأنبياء بقوله تعالى " اقترب للناس حسابهم " و كان واردا فى معرض التهديد ، و تكرر فى مواضع منها كقوله تعالى "و الينا ترجعون[1]" ، " ساوريكم أيٰتى فلا تستعجلون و يقولون متى هذا الوعد" ، "لو يعلم الذين كفروا حين[2]
٥ يكفون عن وجوههم النار" ، "و لئن مستهم نفحة من عذاب ربك" "و نضع الموازين القسط ليوم القيٰمة" ، "و هم من الساعة مشفقون" ، "كل الينا رٰجعون" ، "و اقترب الوعد الحق" ، " انكم و ما تعبدون من دون الله حصب جهنم" ، " يوم نطوى السماء كطى السجل للكتٰب" إلى مما تخلل هذه الآى من التهديد ، و شديد الوعيد ، حتى لا تكاد تجد
١٠ أمثال هذه الآىّ فى الوعيد و الإنذار بما فى الساعة و [ما - [3]] بعدها و ما بين يديها فى نظائر هذه السورة ، و قد ختمت من ذلك بمثل ما به ابتدئت ، اتصل بذلك ما يناسبه من الإعلام بهول / الساعة و عظيم /٥٣٩ أمرها ، فقال تعالى " يٰايها الناس اتقوا ربكم - إلى قوله : و لكن عذاب الله شديد " ثم اتبع هذا ببسط الدلالات على[4] البعث الأخير
١٥ و إقامة[5] البرهان " يٰايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث " - الآيات ، ثم قال " ذلك بان الله هو الحق " أى اطرد هذا الحكم العجيب و وضح من تقلبكم من حالة إلى حالة فى الأرحام [و - [3]] بعد خروجكم إلى

(١) من مد و القرآن الكريم آية ٣٥ . و فى الأصل وظ : يرجعون (٢) من ظ و مد و القرآن الكريم آية ٣٩ ، و زيد فى الأصل : ان (٣) زيد من ظ ومد. (٤) فى مد : حتى (٥) من ظ و مد . و فى الأصل : اقام .

الدنيا

الدنيا و أنتم تعلمون ذلك من أنفسكم، و تشاهدون الأرض على صفة من الهمود و الموت إلى حين نزول الماء [1]فنحيي و نخرج[1] أنواع النبات و ضروب[2] الثمرات "يسقى بماء واحد ذلك بان الله هو الحق و انه يحيي الموتى" كما أحياكم أولا و أخرجكم من العدم إلى الوجود و أحيا الأرض بعد موتها و همودها، كذلك تأتي الساعة من غير ريب و لا شك، و يبعثكم ٥ لما وعدكم من حسابكم و جزائكم " فريق فى الجنة و فريق فى السعير" - انتهى.

و لما أمرهم بالتقوى. علل ذلك مرهبا لهم[3] بقوله: ﴿ ان زلزلة الساعة ﴾ [أى - [4]] التى تقدم التحذير منها فى الأنبياء بدأ و ختما و ما بين ذلك، أى شدة اضطرابها و تحركها العنيف [المزيل ١٠ للأشياء عن مقارها إزالة عظيمة -[5]]، بما يحصل فيها من الأصوات المختلفة، و الحركات المزعجة المتصلة، من النفخ فى الصور، و بعثرة القبور، و ما يتسبب عن ذلك من[6] عجائب المقدور، وقت القيام، و اشتداد الزحام، و ذلك لأن 'زلزل' مضاعف زل - إذا[7] زال عن مقره بسرعة، ضوعف لفظه لتضاعف معناه؛ قال البغوى[8]: الزلزلة و الزلزال: شدة الحركة على ١٥ الحال الهائلة - انتهى. و هو من إضافة المصدر إلى الفاعل أو المفعول فيه

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل: فيحيي و يخرج (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ضروبات (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: له (٤) زيد من مد. (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: ممن (٧) من ظ و مد، و فى الأصل « و » (٨) راجع معالم التنزيل على هامش لباب التأويل ٥/٢.

﴿ شيء عظيم ﴾ أي لا تحتمل العقول وصفه ؛ قال ابن كثير[1] : أي أمر كبير ، و خطب جليل ، و طارق مفظع ، و حادث هائل ، و كائن عجيب - انتهى . و هذا للزلزلة نفسها ، فكيف بجميع[2] ما يحدث في ذلك اليوم الذي لا بد لكم من الحشر فيه إلى الله ليجازيكم على ما كان ٥ منكم ، لا ينسى منه نقير و لا قطمير ، و لا يخفى قليل و لا كثير ، مما تطير له[3] القلوب ، و لا تثبت له النفوس ، فاعتدوا[4] و جاهدوا أعداءكم من الأهواء و الشياطين .

و لما كان المراد بالساعة القيام و ما والاه[5] ، جعل[6] مظروفا لذلك اليوم الذي هو من ذلك الوقت إلى افتراق الفريقين إلى داري الإبعاد ١٠ و الإسعاد ، و الهوان و الغفران ، فقال تعالى : ﴿يوم ترونها﴾ أي الزلزلة أو كل مرضعة ، أضمرها قبل الذكر ، تهويلا للأمر و ترويعا للنفس ﴿تذهل﴾ أي تنسى و تغفل حائرة مدهوشة ، [و هو العامل في « يوم » و يجوز أن يكون عامله معنى الكلام ، أي تستعظمون جدا ذلك اليوم عند المعاينة و إن كنتم الآن تكذبون ، و يكون ما بعده استئنافا -[7]] ، ١٥ و دل بالسور[8] على عموم تأثيره لشدة عظمته [فقال -[7]] : ﴿ كل مرضعة ﴾

(١) راجع تفسيره ٣/٢٠٥ (٢) من ظ ومد . وفي الأصل : بجتمع (٣) في مد : اليه (٤) من ظ ومد ، وفي الأصل : فاعتذروا (٥) بين سطري ظ : أي وليه . (٦) من ظ ومد ، وفي الأصل : بجعل ؛ و بين سطري ظ : أي القيامة و ما والاه . (٧) زيد من مد (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : السوال - كذا .

[1]أى بالفعل[1] ﴿ عمآ ارضعت ﴾ من ولدها و غيره[2]، و هى من ماتت مع ابنها رضيعا؛ قال البغوى[3]: يقال: مرضع، بلا هاء - إذا أريد [به -[4]] الصفة مثل حائض و حامل، فاذا أرادوا الفعل أدخلوا الهاء[5] - يعنى: فيدل حينئذ على أنها متلبسة[6] به ﴿ و تضع كل ذات حمل حملها ﴾ أى تسقطه[7] قبل التمام رعبا و فزعا، و هى من ماتت[8] حاملا - و الله ٥ أعلم ،/ فان كل أحد يقوم على ما مات عليه، قال الحسن: تذهل المرضعة عن ولدها بغير فطام، و تضع الحامل ما فى بطنها بغير تمام - انتهى. و يؤيد[9] أن هذه الزلزلة تكون[10] بعد البعث ما فى الصحيحين و غيرهما: مسلم فى الإيمان[11] و هذا لفظه، و البخارى[12] عند تفسير هذه الآية عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه [رفعه -[13]]: يقول الله ١٠ عز و جل: يا آدم! فيقول: لبيك و سعديك! و الخير فى يديك، قال: يقول: أخرج بعث النار، قال: و ما بعث النار؟ قال: من [كل -[14]] ألف تسعمائة و تسعة و تسعون، فذلك حين يشيب الصغير، و تضع كل ذات حمل حملها - الحديث. و الأحاديث فى ذلك كثيرة، و معارضها

/ ٥٤٠

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: غيرها. (٣) راجع المعالم بهامش اللباب ٥ / ٢ (٤) زيد من المعالم (٥) من ظ و مد و المعالم، و فى الأصل: انها (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: ملتبسة (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: يسقطه (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: مات (٩) زيد بعده فى الأصل: هذا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠) سقط من ظ (١١) باب بيان كون هذه الأمة نصف أهل الجنة (١٢) ٢/٦٩٣ (١٣) زيد من ظ و مد (١٤) زيد من الصحيحين.

ضعيف. و المناسب أيضا لما فى آخر تلك من قوله "فاذا هى شاخصة ابصار الذين كفروا" و ما تبعه أن[1] هذه الزلزلة بعد القيام من القبور "يوم نطوى السماء[2]" "اذا السماء انفطرت - إلى قوله: علمت نفس ما قدمت و اخرت" و يمكن أن يكون المراد هذا و ما قبله لأن يوم الساعة ٥ طويل، فنسبة الكل إليها على حد سواء.

و لما كان الناس كلهم يرون الزلزلة، و لا يرى الإنسان السكر - إلا من غيره[3] قال فى الزلزلة "ترونها" و [قال -[4]] فى "السكر": ﴿ و ترى الناس سكرٰى ﴾ [أى -[4]] لما هم فيه من الدهش و الحيرة و البهت لما شاهدوا من حجاب العز و سلطان الجبروت و سرادق الكبرياء، ١٠ ثم دل على أن ذلك[5] ليس على حقيقته[6] بقوله، نافيا لما يظن إثباته[7] بالجملة الأولى: ﴿ و ما هم بسكرٰى ﴾ أى من الخمر.

و لما نفى أن يكونوا سكارى من الخمر، أثبت ما أوجب لهم تلك الحالة فقال: ﴿ و لٰكن عذاب الله ﴾ [8]ذى العز[9] و الجبروت ﴿ شديد ﴾ فهو الذى أوجب أن يظن بهم السكر، لأنه أذهب خوفه حولهم[10]، و طير ١٥ هوله عقولهم.

و لما أفهم العطف الآتى [11]أن الناس قسمان، و[11] أن التقدير: فان

---

(١) بين سطرى ظ خبر «المناسب» (٢) سقط من مد (٣) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٤) زيد من مد (٥) بهامش ظ: أى السكر. (٦) من ظ ومد، و فى الأصل: حقيقة (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: اثباتها. (٨) العبارة من هنا إلى «الجبروت» ساقطة من ظ (٩) فى مد: العزة (١٠) بهامش ظ: قاموس: الحول - بالضم: العزة (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ.

منكم

منكم من يؤمن فيتقى[١] فينجو من شر ذلك اليوم [٢] الذى اقتضت الحكمة إظهار العظمة فيه ليزداد حزب الله فرحا ، و حزب الشيطان غما و ترحا[٢] ، عطف عليه قوله: ﴿ و من الناس ﴾ [أى - [٣]] [٢] المذبذبين المضطربين ﴿من﴾ لا يسعى فى إعلاء نفسه و تهذيبها[٢] فيكذب فيوبق بسوء أعماله ، لأنه ﴿ يجادل فى الله ﴾ [أى - [٤]] فى قدرة الملك الأعظم على ذلك اليوم ٥
و فى غير ذلك من شؤونه بعد أن جاءه العلم بها اجتراء على سلطانه العظيم ﴿ بغير علم ﴾ بل بالباطل الذى هو جهل صرف ، فيترك اتباع الهداة النصحاء ﴿و يتبع﴾ [٢] بغاية جهده[٢] فى جداله ﴿ كل شيطن ﴾ أى محترق بالشر[٥] مبعد باللعن[٦] .

و لما كان السياق لذم متبعه ، أشار إلى أنه لا قصد له فى اتباعه ١٠
إلا الشر ، لأنه لا لبس فى أمره بصيغة المبالغة كما مضى فى النساء و يأتى[٧] فى الصافات ، فقال: ﴿ مريد ﴾ أى متجرد للفساد لا شغل له غيره ، / فهو فى غاية الضراوة عليه ؛ قال البيضاوى[٨] : و أصله العرى . ﴿ كتب ﴾ أى قضى و قدر [٢] على سبيل الحتم الذى لا بد منه[٢] ، [تعبير - [٤]] باللازم عن الملزوم ﴿ عليه ﴾ أى على ذلك الشيطان ١٥

/ ٥٤١

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيبقى (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) زيد من مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى الأصل بياض ملأناه من مد ، و العبارة من هنا إلى بما فيها هذه الكلمة ساقطة فى ظ إلى «اللعن» (٦) من مد ، فى الأصل : بالكفر (٧) بهامش ظ : أى يأتى فى الصافات أن المراد ليس لذم المتبع (٨) راجع أنوار التنزيل ٤٣٩ .

﴿انه من تولاه﴾ أى فعل معه فعل الولى مع وليه، باتباعه و الإقبال على ما يزينه ﴿فانه يضله﴾ بما يبغض إليه من الطاعات فيخطئ سبيل الخير.

و لما نفّر[1] عن توليه باضلاله لأن الضلال مكروه إلى كل أحد،
٥ [2]بين أنه إضلال[2] لاهدى معه أصلا فقال: ﴿و يهديه﴾ أى بما يزين له من الشهوات، الحاملة على الزلات، إعلاما بأنه إن كان له هدى إلى شيء فهو ﴿الى عذاب السعير﴾. و لما حذر الناس من ذلك اليوم، و أخبر أن منهم من [يكذب، و عرف بمآله، فأفهم ذلك أن منهم من -[3]] يصدق به فيكون له ضد حاله، و كان كثير من المصدقين[4]
١٠ يعملون عمل المكذبين، أقبل عليهم سبحانه إقبالا ثانيا رحمة لهم[5]، منبها على أنه ينبغى أن لا يكون عندهم نوع من الشك فى ذلك اليوم لما عليه من الآيات فى الآفاق و فى أنفسهم[6]، فقال دالا عليه بالأمرين: ﴿يآيها الناس﴾ أى كافة، و يجوز أن يراد المنكر فقط، و عبر بالناس الذى هو من أسفل الأوصاف لذلك، و إشارة إلى أن المنكر و العامل
١٥ عمله - و إن كان مصدقا - هم أكثر الناس، و عبر بأداة الشك إشارة إلى أن الذى يقتضيه الحال جزمهم به فقال: ﴿ان﴾ و بين[7] أنه ما

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: تقرر (٢ - ٢) من ظ و مد، و فى الأصل: من ان الضلال (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: المتصدقين (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: له (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: انفسكم (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: من.

عبر بها إلا للتوبيخ، لا للشك فى أمرهم. بجعل الشرط ماضيا، و دل بـ "كان" و بالظرف على تمكن الريب منهم فقال: ﴿ كنتم فى ريب ﴾ أى شك [و تهمة و حاجة إلى البيان -[1]] ﴿ من البعث ﴾ و هو قيام الأجسام بأرواحها كما كانت قبل مماتها سواء، استعظاما لأن نقدر عليه ﴿ فانا خلقنكم ﴾ بقدرتنا التى لايتعاظمها شىء ﴿ من تراب ﴾ لم يسبق له ٥ اتصاف بالحياة ﴿ ثم من نطفة ﴾ حالها أبعد شىء عن حال التراب، فانها بيضاء[2] سائلة لزجة صافية كما قال "من ماء دافق"، و أصلها الماء القليل - قاله البغوى[3]. و أصل النطف الصب - قاله البيضاوى[4]. ﴿ ثم من علقة ﴾ اى قطعة دم حمراء جامدة، ليس فيها أهلية للسيلان ﴿ ثم من مضغة ﴾ أى قطعة لحم صغيرة جدا تطورت إليها النطفة ١٠ ﴿ مخلقة ﴾ بخلقة الآدمى التام ﴿ و غير مخلقة ﴾ أى أنشأناكم من تراب يكون هذا شأنه، و هو أنا ننقله فى هذه الأطوار إلى أن يصير مضغة، فتارة يخلقها و يكون منها [آدميا -[1]]، و تارة لا يخلقها بل يخرجها من الرحم فاسدة، أو تحرقها حرارته، أو غير مخلقة تخليقا تاما بل ناقصا مع وجود الروح كشق[5] الذى كان شق آدمى، و سطيح الذى كان علوا ١٥ [6]بلا سفل[6] و نحوهما ﴿ لنبين لكم ﴾ كمال قدرتنا، و تمام حكمتنا، و أن

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: بيضة (٣) راجع المعالم بهامش اللباب ٥ / ٣ (٤) راجع أنوار التنزيل ٤٣٩ (٥) راجع لحديث شق و سطيح سيرة ابن هشام ١/٦ و الروض الأنف ١/١٨ و ما بعدها (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: بالاسفل.

ذلك ليس كائنا عن الطبيعة ، لأنه لو كان عنها لم يختلف ، فدل اختلافه
على أنه عن فاعل مختار ، قادر قهار ، و حذف المفعول إشارة إلى أنه
يدخل فيه / كل ما يمكن أن يحيط به العقول . /٥٤٢

و لما كان التقدير : فنجهض منه ما لا نشاء إتمامه ، عطف عليه
٥ قوله[1] : ﴿و نقر فى الارحام﴾ أى من ذلك الذى خلقناه ﴿ ما نشآء ﴾
إتمامه ﴿ الىٓ اجل مسمى ﴾ قدرناه لإتمامه ما بين ستة أشهر إلى ما
نريد من الزيادة على ذلك ، بحسب قوة الأرحام و ضعفها ، و قوة
المخلقات[2] و ضعفها و كثرة ما تغتذيه من الدماء و قلته[3] ، و زكائه و خبثه ،
إلى غير ذلك من أحوال و شؤون لا يعلمها إلا بارئها ، جلت قدرته ،
١٠ و تعالت عظمته ، و أما ما لم نشأ إتمامه فان الأرحام تمجه بقدرتنا و تلقيه
دون التمام أو[4] تحرقه فيضمحل ﴿ ثم نخرجكم ﴾ بعد ذلك ﴿ طفلا ﴾
أى فى حال[5] الطفولة[6] من صغر الجثة و ضعف البدن و السمع و البصر
و جميع الحواس ، لئلا تهلكوا أمهاتكم بكبر[7] أجرامكم ، و عظم أجسامكم ،
و هو يقع على الجمع ، و عبر به دونه للتساوى فى ضعف الظاهر و الباطن .
١٥ و لما ذكر أضعف الضعف ، ذكر أقوى القوة عاطفا [له - [8]]

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : المختلقات (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : قلبه (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل « و » (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : حالة (٦) فى ظ : الطفولية (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بكسر (٨) زيد من ظ و مد .

عليه لما بينهما من المهلة بأداة التراخي فقال: ﴿ ثم ﴾ أي[1] بعد أجلكم ﴿ لتبلغوآ ﴾ بالانتقال في[2] أسنان الأجسام فيما بين الرضاع، إلى حال اليفاع، إلى زمان الاحتلام، و قوة الشباب و التمام ﴿ اشدكم ج ﴾ أي[3] نهاية كل شدة قدرناها لكل واحد منكم ﴿ و منكم من يتوفى ﴾ قبل ما بعد ذلك من سن الشيخوخة ﴿ و منكم من يرد ﴾ بالشيخوخة، و بناه للجهول إشارة إلى سهولته عليه مع استبعاده لو لا تكرر المشاهدة عند الناظر لتلك القوة و النشاط و حسن التواصل بين أعضائه و الارتباط ﴿ الى[3] ارذل العمر ﴾ و هو سن الهرم فينقص جميع قواه ﴿ لكيلا يعلم ﴾.

و لما كان السياق للقدرة على البعث الذي هو التحويل من حال الجمادية إلى ضده[4] بغاية السرعة، أثبت "من" الابتدائية للدلالة على قرب زمن الجهل من زمن العلم، فربما بات الإنسان في غاية الاستحضار لما يعلم و الحذق فيه فعاد في صبيحة ليلته أو بعد أيام يسيرة جدا من غير كبير تدريج لا يعلم شيئا، و أفهم إسقاط حرف الانتهاء أنه ربما عاد إليه علمه، و ربما اتصل جهله بالموت بخلاف ما مضى في النحل[5] فقال: ﴿ من بعد علم ﴾ كان أوتيه ﴿ شيئا ﴾ بل يصير كما كان طفلا في ضعف الجواهر و الأعراض، لتعلموا أن ذلك كله فعل الإله الواحد المختار، و أنه لو كان فعل الطبيعة لازداد بطول البقاء نموا في جميع ذلك، و قد علم - بعود الإنسان في ذهاب العلم و صغر الجسم إلى نحو

(١) سقط من مد (٢) من ظ و مد، و في الأصل: من (٣) في مد: الى.
(٤) في مد: شدة (٥) راجع آية ٧٠.

ما كان عليه فى ابتداء الخلق - قطعا أن الذى أعاده إلى ذلك قادر على إعادته بعد الممات، و السكون على حال الرفات .

و لما تم هذا الدليل على الساعة محكم المقدمات واضح / النتائج ، /٥٤٣
وكان أول الإيجاد فيه غير مشاهد[١] فعبر عنه بما يليق به ، أتبعه دليلا
٥ آخر محسوسا ، وعطفه على ما أرشد إليه التقدير من نحو قوله: تجدون أيها الناس ما ذكرناه فى أنفسكم، فقال: ﴿و ترى﴾ فعبر بالرؤية ﴿الارض﴾ [و لما كان فى سياق البعث ، عبر بما هو أقرب إلى الموت فقال -[٢]] :
﴿ هامدة ﴾ أى يابسة مطمئنة ساكنة [٣]سكون الميت ليس بها[٤] شيء من نبت ، و لعله أفرد الضمير توجيها إلى كل من يصلح أن يخاطب بذلك
١٠ ﴿ فاذآ ﴾ [أى -[٥]] فنزل[٦] عليها ماء من مكان لايوجد فيه ثم ينزل منه إلابقدرة عظيمة و قهر باهر ، فاذا ﴿ انزلنا ﴾ [٧]بما لنا من العظمة[٧] ﴿ عليها المآء اهتزت ﴾ أى تحركت بنجوم النبات [٧]اهتزاز الحى[٧] ، و تأهلت لإخراجه؛ قال الرازى : و الاهتزاز : شدة الحركة فى الجهات المختلفة . ﴿ و ربت ﴾ أى انتفخت ، و ذلك أول ما يظهر منها للعين
١٥ و زادت و نمت بما يخرج منها من النبات الناشئ عن التراب و الماء ﴿ و انبتت ﴾ بتقديرنا ﴿ من كل زوج ﴾ أى صنف عادلناه بصنف

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : مجاهد (٢) زيد من مد (٣) العبارة من هنا إلى « من نبت » ساقطة من ظ (٤) فى مد : فيها (٥) زيد من ظ و مد .
(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : تترك - كذا (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .

آخر جعلناه[١] تمام نفعه به ﴿ بهيج ه ﴾ أى مؤنق[٢] من أشتات النباتات فى اختلاف ألوانها و طعومها . و روائحها و أشكالها ، و منافعها و مقاديرها رائقة المناظر ، لائقة فى العيون و البصائر ، قال الرازى : فكما أن النبات يتوجه من نقص إلى كمال ، [فكذلك الآدمى يترقى من نقص إلى كمال -[٣]] ، ففى المعاد يصل إلى كماله الذى أعد له من البقاء و الغنى ٥ و العلم و الصفاء و الخلود ، أى السعيد منه فى دار السلام مبرأ عن عوارض هذا العالم - انتهى .

و لما قرر سبحانه هذين الدليلين ، رتب عليهما ما هو المطلوب و النتيجة فقال على طريق[٤] التعليل : ﴿ ذلك ﴾ أى الذى تقدم [٥]من الأمر[٥] بالتقوى ، و الترهيب من جلال الله بالحشر ، و الاستدلال عليه بالتصرف ١٠ فى[٦] تطوير الإنسان و النبات إلى ما فى تضاعيفه من انواع الحكم و أصناف اللطائف ﴿ بان ﴾ أى بسبب ان تعلموا أن ﴿ الله ﴾ اى الجامع لأوصاف الكمال ﴿ هو ﴾ [أى وحده - [٣]] ﴿ الحق ﴾ أى الثابت أتم ثبات ، بحيث يقتضى ذلك أنه يكون[٧] كل ما يريد ، فانه لا ثبات مع العجز ﴿ وانه يحى الموتى ﴾ أى قادر على ذلك بأنه - كما سيأتى - هو العلى ١٥

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : جعلنا (٢) من و ظ مد ، و فى الأصل : موثقة (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : طريقة .
(٥-٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالامر (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : على (٧) بين سطرى ظ : يوجد .

الكبير ﴿وانه على كل شيء﴾ من الخلق وغيره ﴿قدير﴾ "انما امره اذا اراد شيئا ان يقول [له -[1]] كن فيكون" ﴿وان الساعة﴾ التي[2] تقدم التحذير منها، وهي[3] وقت حشر الخلائق كلهم ﴿آتية لا ريب فيها﴾ بوجه من الوجوه لما دل عليها مما لا سبيل إلى إنكاره بقول من [4]لا مرد[4]

٥ لقوله، وهو حكيم فلا يخلف ميعاده، ولا يسوغ بوجه أن يترك عباده بغير[5] حساب ﴿وان الله﴾ [6]لما له من الجلال والحكم[6] ﴿يبعث﴾ بالإحياء ﴿من في القبور﴾ لحضوره[7] و[8] الفصل بينهم فيها في كل ما اختلفوا فيه لأن ذلك من العدل الذي أمر به، وبه يظهر كثير من صفاته سبحانه أتم ظهور، والحاصل أن المراد أنه سبحانه قال ما تقدم

١٠ وفعل ما ذكر / من إيجاد الإنسان والنبات في هذه الأطوار ليعلم أنه قادر على هذه الأمور وعلى كل شيء ﴿ومن﴾ أي فمن الناس الذين كانوا قد وقفوا عن الإيمان قبل هذا البيان من[9] آمن عند سماع هذه القواطع، [ومن -[10]] ﴿الناس﴾ - [وهم -[10]] من اشتد تكاثف طبعه ﴿من يجادل﴾ [6]أي بغاية جهده[6] ﴿في الله﴾ أي في قدرته وما

٥٤٤ /

(١) زيد من ظ ومد والقرآن الكريم سورة ٣٦ آية ٨٢ (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: الذي (٣) زيد في الأصل: في، ولم تكن الزيادة في ظ ومد فحذفناها. (٤ - ٤) من ظ ومد، وفي الأصل: ذلك (٥) من مد، وفي الأصل وظ: من غير (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من مد، وفي الأصل وظ: لحضورها (٨) في مد "او" والعبارة من هنا إلى فيها الواو إلى "اختلفوا فيه" ساقطة في ظ (٩) من ظ ومد، وفي الأصل: ممن (١٠) زيد من ظ ومد.

يجمعه

يجمعه هذا الاسم الشريف من صفاته بعد هذا البيان الذى لا مثل له و لاخفاء فيه ﴿بغير علم﴾ أتاه عن الله على لسان أحد من أصفيائه أعم عن أن يكون كتابا أو غيره ﴿و لاهدى﴾ أرشده إليه من عقله أعم من كونه بضرورة أو استدلال ﴿و لا كتب منير[1]﴾ صح لديه أنه من عند الله[2]، و من المعلوم أنه بانتفاء هذه الثلاثة لا يكون جدا له إلا بالباطل ٥ ﴿ثانى عطفه﴾ أى رخى البال معرضا متكبرا متمائلا لاويا عنقه لذلك كما قال تعالى "و اذا تتلى عليه ايتنا ولى مستكبرا" و العطف فى الأصل الجانب و موضع الميل.

و لما دل السياق على أنه أكثف الأقسام طبعا، عبر عن قصده بقوله: ﴿ليضل﴾ أى غيره ﴿عن سبيل الله[3]﴾ إفهاما لذلك، لأن ١٠ هذا لا يقصده عاقل. فالقسم الأول تابع ضال، و هذا داع لأهل الضلال، هذا على قراءة الضم للجمهور[3]: و على قراءة الفتح لابن كثير و أبى عمرو و رويس[4] عن يعقوب بخلاف عنه من ضل، تكون من باب التهكم كما تقدم غير مرة، أى أنه من الحذق بحيث لا يذهب عليه[5] أن هذا ضلال، فما وصل إليه إلا بقصده له. ١٥

و لما ذكر فعله و ثمرته، ذكر ما أعد له عليه فقال: ﴿له فى الدنيا خزى﴾ أى إهانة و ذل و إن طال زمن استدراجه

(١) سقط من مد (٢) سقط من ظ (٣) العبارة من هنا إلى «بخلاف عنه» ساقطة من ظ (٤) من مد و نثر المرجان ٤/٤٠١، وفى الأصل: درشي-كذا.
(٥) من مد، وفى الأصل و ظ: عنه.

بتنعيمه « حق[1] على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه » ﴿ونذيقه﴾
[2]أي بما لنا من العظمة[2] ﴿يوم القيمة﴾ الذى يجمع فيه[3] الخلائق بالإحياء
بعد الموت ﴿عذاب الحريق ﴾ أي بجعله[4] يحس بألم العذاب بالحريق كما
يحس الذائق بالشيء كما أحرق قلوب المهتدين بجداله بالباطل ، و يقال
٥ حقيقة أو مجازا : ﴿ذلك﴾ [أي -[5]] العذاب العظيم ﴿بما﴾ أي
بسبب ما ﴿قدمت يدك﴾ أي بعملك[6] ، و لكنه جرت عادة العرب
أن تضيف الأعمال إلى اليد لأنها آلة أكثر العمل ، [7]و إضافة ما يؤدى
إليهما أنكأ[7] ﴿و ان﴾ أي [و -[7]] بسبب أن ﴿الله﴾ [7]أي الذى له
الكمال كله[7] ﴿ليس بظلام﴾ أي بـذى ظلم ما ﴿للعبيد ﴾ و لو
١٠ [8]تركهم بغير ذلك[8] لكان فى مجارى عاداتكم ظلما أولا بتسوية المحسن بالمسيء
و ثانيا بترك الانتصار للذين عادوك فيه و أذيتهم من أجله . [و يجوز أن
تكون الصيغة للمبالغة لتفهم أنه لو تركه لكان الظلم ، و ذلك فى غاية البعد
عن حكمته و ... نفى أصل الظلم من آياته الباهرة -[9]] .

و لما بين قسمي المصارحين بالكفر الكثيف و الأكثف صريحا .
١٥ و أفهم المؤمن المخلص ، عطف على ذلك المذبذب فقال : ﴿و من الناس﴾

---

(١) من ظ و مد . و فى الأصل « حقا » ، و الحديث أورده البخارى فى صحيحه باب التواضع كتاب الرقاق (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) سقط من مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بجعله (٥) زيد من مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعلمك (٧) زيد من ظ (٨ - ٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : تركه بغير عذاب (٩) زيد من مد ، و موضع النقاط مطموس .

و لذلك عبر بالناس الذى مدلوله الاضطراب و التردد [1]دون أن يضمر[1] ﴿من يعبد الله﴾ أى يعمل على سبيل الاستمرار و التجدد بما أمر به [1]الإله / الأعظم[1] من طاعته[2] ﴿على حرف ج﴾ فهو مزلزل كزلزلة من / ٥٤٥
يكون على حرف شفير أو جبل أو غيره، لا استقرار له ، و كالذى على طرف من العسكر ، فان رأى غنيمة قر ، و إن توهم خوفا طار و فر ، ٥
[1]و ذلك معنى قوله[1] : ﴿فان اصابه خير﴾ أى من الدنيا ﴿اطمأن به ج﴾ أى بسببه . و ثبت على ما هو عليه ﴿و ان اصابته فتنة﴾ أى مصيبة [1]و لو قلت - بما يشير إليه التأنيث[1] ـ فى جسده أو معيشته يختبر بها و يظهر خبأه للناس ﴿انقلب على وجهه قف ج﴾ لتهيئه للانقلاب بكونه على شفا جرف فسقط عن ذلك الطرف من الدين سقوطا لا رجوع له بعده إليه[3] ١٠
و لا حركة له معه ، فان الإنسان مطبوع على المدافعة بكل عضو من أعضائه عن[4] وجهه فلا يمكن منه إلا بعد نهاية العجز ، و المعنى أنه رجع إلى الوجه الذى كان عليه من الكفر أو الشك رجوعا متمكنا ، و هذا بخلاف الراسخ فى إيمانه ، فانه إن أصابته سراء شكر ، و إن أصابته ضراء حمد و صبر . فكل قضاء الله له[5] خير . ١٥

و لما كان انقلاب هذا مفسدا لآخرته بما ناله من الوزر ، و غير نافع له فى استدراك ما فاته من الدنيا ، كانت فذلكة[6] ذلك قوله :

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى مد : طاعاته (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : ابتة (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٥) سقط من ظ . (٦) فى الأصل بياض ، ملأناه من ظ و مد .

﴿ خسر الدنيا ﴾ أى بسبب ان ذلك لا يرد ما فاته منها و يكون سبب التقتير عليه و ذهاب بركته "و لو انهم اقاموا التورٰة و الانجيل و ما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم و من تحت ارجلهم"، و إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه[1]، ﴿ و الأخرة ﴾ بفوات أجر الصبر

٥ و حصول إثم الجزع، ثم عظم مصيبته بقوله: ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العظيم ﴿ هو ﴾ [2] أى لا غير [2] ﴿ الخسران المبين ه ﴾ روى البخارى فى التفسير[3] عن ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية قال: [كان -[4]] الرجل يقدم المدينة، فان ولدت امرأته غلاما و نتجت خيله قال: هذا دين صالح، و إن لم تلد امرأته و لم تنتج خيله قال: هذا دين سوء.

١٠ ثم بين هذا الخسران الذى رده إلى ما كان فيه قبل الإيمان الحرفى بقوله: ﴿ يدعوا ﴾ أى يعبد حقيقة أو مجازا مع التجدد و الاستمرار بالاعتماد على غير الله و منابذة "و اياك نستعين". و لما كان [كل -[6]] ما سوى الله دونه، نبه على ذلك بقوله: ﴿ من دون الله ﴾ أى عن أدنى رتبة من رتب المستجمع لصفات الكمال.

١٥ و لما كان المقتضى للعبادة إنما هو الفعل بالاختيار، و أما الفعل الذى يقتضيه الطبع و القسر عليه فلا عبرة به فى ذلك، فانه لا قدرة على الانفكاك عنه فلا حمد لفاعله، نبه على ذلك بقوله: ﴿ ما لا يضره ﴾ أى بوجه

---

(١) راجع مسند الإمام أحمد ٥/٢٧٧ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ.

(٣) راجع الصحيح ٢/٦٩٤ (٤) زيد من الصحيح (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الغرق (٦) زيد من ظ و مد.

من

من الوجوه [1]حتى و لا بقطع النفع إن كان يتصور منه .

و لما قدم الضر لأنه من الأعذار المقبولة فى ارتكاب الخطأ ، أتبعه النفع قطعا لكل مقال فقال: ﴿و ما لا ينفعه [1]﴾ بوجـــه من / الوجوه و لا يترك[2] الضر إن وجد منه ، و لو أسقطت "ما" من الثانى لظن أن الذم يشترط فيه انتفاء الضر و النفع معا حتى أن من ادعى ما انتفى عنه ٥ أحدهما لم يذم [3] ﴿ذلك﴾ أى الفعل الدال على أعظم السفه و هو دعاء شىء انتفى عنه القدرة على النفع ، أو شىء انتفى عنه القدرة على الضر[3] ﴿هو﴾ [أى - [4]] وحده ﴿الضلل البعيد﴾ عن الحق و الرشـاد الذى أوصل إلى فياف[5] بجاهل لايتأتى الرجوع منها ، و ذلك لأن[6] الأول لو ترك عبادته ما قدر على منع إحسانه ، و الثانى لو تقاداه[7] ما وصل إلى نفعه ١٠ و لا يترك ضره ، فعبادتهما عبث ، لأنه استوى فعلها و تركها .

/ ٥٤٦

و لما كان الإحسان جالبا للانسان ، من غير نظر إلى موُرده ، لأن القلوب جبلت على حب من أحسن إليهـا ، بين أن ما قيل فى جانب النفع إنما هو على سبيل الفرض فقال: ﴿يدعوا﴾ و لما كان ما فرض أو لا فيما عبر عنه بـ « ما » قد يكون غير عاقل ، فيكون ما صدر منه لعدمه[8] ١٥

(١ - ١) فى مد : ولا يقطع (٢) فى مد : لايترك (٣ - ٣) وقع ما بين الرقمين فى الأصل قبل «ولو أسقطت» مع التقديم و التأخير ، و الترتيب من ظ و مد .
(٤) زيد من مد (٥) بهامش ظ : جمع فيفاء : صحراء (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : ان (٧) فى ظ : عاداه (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : لعدم .

العقل، أزال هذا الإبهام بقوله : ﴿ لمن ﴾ [١]أى زاعما [٢] أن من ﴿ ضرّه ﴾ ولو بعبادته الموجبة لأعظم الشقاء ﴿ اقرب من نفعه [٤] ﴾ - الذى يتوقع منه - إله [٣].

و لما كانت الولاية الكاملة لا تنبغى إلا لمن يكون توقع النفع منه ٥ و الضر على حد سواء، لقدرته على كل منهما باختياره، و كان العشير لا يصلح إلا إن كان مأمون العاقبة، و كان هذا المدعو إن نظر إليه فى جانب الضر وجد غير قادر عليه، أو[٤] فى جانب النفع فكذلك، و إن فرض توقع نفعه أو ضره كان [٥]خوف ضره[٥] أقرب من رجاء نفعه[٦]، استحق غاية الذم، فلذلك استأنف تعالى وصفه بقوله معبرا فى ذمه ١٠ بالأداة الموضوعة لمجامع الذم : ﴿ لبئس المولى ﴾ لكونه ليس مرجو النفع كما هو مخشى الضر ﴿ و لبئس العشير ﴾ لكونه ليس مأمون الضر فهو غير صالح لولاية و لا لعشرة بوجه.

و لما أفهم ما تقدم أن هذا الإله المدعو إليه قادر على كل من النفع و الضر بالاختيار، و أن تجويز الوقوع لكل منهما منه على حد سواء، ١٥ نبه على ذلك بقوله مستأنفا : ﴿ ان الله ﴾ أى الحائز لجميع صفات الكمال المنزه عن جميع شوائب النقص ﴿ يدخل الذين ءامنوا ﴾ برسله و ما دعت إليه من شأنه ﴿ و عملوا ﴾ تصديقا لإيمانهم ﴿ الصّٰلحٰت ﴾ الخالصة

---

(١) العبارة من هنا إلى « أن من » ساقطة من ظ (٢) من مد، و فى الأصل : على (٣) سقط من ظ ؛ و هو خبر « أن » (٤) من ظ و مد، وفى الأصل « و ». (٥ - ٥) من ظ و مد، و فى الأصل : خوفه ضر (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : خوفه.

الشاهدة بثباتهم فى الإيمان بعد ما ضرهم فى الدنيا بأنواع المعايب، تطهيرا لهم مما اقترفوه من الزلات، و أهوتهم إليه[1] الهفوات ﴿جنّت تجرى من تحتها﴾ أى من أيّ مكان [أردت -[2]] من أرضها ﴿الانهر[2]﴾ و لما كان هذا أمرا باهرا دل على سهولته بقوله، تصريحا بما أفهمه السياق من وصف الاختيار: ﴿ان الله﴾ [3]أى المحيط بكل شيء قدرة و علما[3] ﴿يفعل ما يريد ﴾ ٥ من كل نفع و ضر.

و لما أتم الدليل على خسران هذا المنقلب و ربح الثابت، و كان هذا مفهما لأن من رجاه لما وعد به بادر الإقبال عليه و لم ينفع إلا نفسه، و من لم يرج[4] / ذلك أعرض عن الله سبحانه منقلبا على وجهه فلم يضر / ٥٤٧ إلا نفسه، ترجم عن حال هـــذا الثانى العابــد على حرف بقوله: ١٠ ﴿من كان يظن﴾ أى ممن أصابته فتنة ﴿ان لن ينصره الله﴾ ذو الجلال و الإكرام فى حال[5] من أحواله ﴿فى الدنيا و الأخرة﴾ فأعرض عنه انقلابا على وجهه فانه لايضر إلا نفسه و إن ظن [6]أنه لايضرها[6] ﴿فليمدد بسبب﴾ أى حبل [3]أو شيء من الأشياء الموصلة[3] له ﴿الى السمآء﴾ التى يريدها من سقف أو سحاب أو غيرهما. ١٥

و لما كان مده ذلك متعسرا أو متعذرا، عبر عما يتفرع عليه بأداة

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: اليهم (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لم يرم (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: حالة (٦-٦) فى ظ: غير ذلك، و فى مد: لاغيره.

التراخي فقال: ﴿ ثم ليقطع ﴾ أي ليوجد منه وصل و قطع، أي ليبذل جهده في دفع القضاء و القدر عنه، [1]و هي لام أمر عند من حركها بالكسر إفهاما لشدة الحركة في المزاولة[2] للذهاب إلى السفل الدال على عدم العقل، و هم أبو عمرو و ابن عامر و ورش عن نافع و رويس عن يعقوب، أو أسكنها و هم الباقون ﴿ فلينظر ﴾ ببصره و بصيرته ﴿ هل يذهبن ﴾ و إن اجتهد ﴿ كيده ما يغيظ ﴾ أي شيئا يحصل له منه غيظ، أو يكون المعنى: فليفعل ما يفعله من بلغ منه الغيظ بأن يربط حبلا بسقف بيته ثم ليربطه في عنقه ثم ليقطع ما بين رجليه و بين الأرض ليختنق، و هذا كما يقال لمن أدبر عنه [3]أمر فجزع[3]: اضرب برأسك الجدار إن لم ترض هذا، مت غيظا - و نحو ذلك، و الحاصل أنه إن لم يصبر على المصائب لله طوعا صبر عليها كرها مع ما ناله من أسباب الشقاء.

و لما بين سبحانه هذه الآيات المرئية[4] في هذه الأساليب العلية، هذا البيان الشافي الهادي[5] بإعجاز حكمه[6]، بين أنه معجز أيضا بنظمه، فقال: ﴿ و كذلك ﴾ أي و مثل ما بينا هذه الآيات المرئية التي[7] أنزلنا كلامنا لبيان حكمها و إظهار[8] أسرارها ﴿ انزلنه ﴾ أي الكلام كله بما لنا

(١) العبارة من هنا إلى « الباقون » ساقطة من ظ (٢) من مد، و في الأصل: المداولة (٣ - ٣) من ظ و مد، و في الأصل: مرمحرع (٤) من ظ و مد، و في الأصل: المرتبة (٥) من ظ و مد، و في الأصل: الهادو (٦) من ظ مد، و في الأصل: محكمة (٧) من ظ و مد، و في الأصل: الذى (٨) في مد: بيان.

من

من العظمة الباهرة ﴿ ءايت بينت لا ﴾ معجزا نظمها، كما كان معجزا حكمها .

و لما كان الكلام بينا فى أن التقدير : ليعلم إذا ضل ضال مع هذا البيان أن الله يضل من يريد، عطف عليه قوله : ﴿ و ان ﴾ أى و ليعلم أن ﴿ الله ﴾ أى الموصوف بالإكرام، كما هو موصوف بالانتقام ﴿ يهدى ﴾ ٥ أى بآياته ﴿ من يريده ﴾ أى لتبين[1] قدرته و اختياره إزاحة لغم من يقول : إذا كانت الآيات المرئية و المسموعة[2] فى هذا الحد من البيان فما لأكثر الناس على ضلالهم يتخلف[3] فيهم المسببات عن أسبابها .

و لما كان ذلك موجبا للسؤال عن حال الفريقين : المهدى و الضال، أجاب عن ذلك ببيان جميع فرق الضلال، لأن لهذه [السورة - [4]] أتم ١٠ نظر إلى يوم الجمع الذى هو[5] مقصود السورة التى قبلها، فقصد إلى استيعاب الفرق تصويرا لذلك اليوم بأليق صورة، و قرن بكل من فريقى أهل الكتاب موافقة فى معناه فقال : ﴿ ان الذين ءامنوا ﴾ أى من أى فرقة كانوا، و عبر بالفعل ليشمل الإقرار باللسان، الذى هو أدنى وجوه الإيمان ﴿ و الذين هادوا ﴾ أى انتحلوا اليهودية على أى حال كانوا من ١٥ إيمان أو[6] كفران .

و لما كان اليهود / قد عبدوا الأصنام متقربين بها إلى النجوم ٥٤٨ /

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : ليبين (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : المسموع .
(٣) فى مد : تتخلف (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيد فى الأصل : معه، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من ظ و مد، و فى الأصل « و » .

كما مضى [فى المائدة - [1]] ، أتبعهم من شابهوه فقال : ﴿ و الصابئين ﴾
ثم تلا بثانى فريق أهل الكتاب فقال : ﴿ و النصٰرى ﴾ ثم أتبعهم من
أشبهه بعض فرقهم فى قولهم بالٰهين [2] اثنين فقال : ﴿ و المجوس ﴾ [و - [1]]
هم عبدة النار ، ثم ختم بأعم الكل فى الضلال كما فتح بأعمهم فى الهدى
٥ فقال : ﴿ و الذين اشركوا ﴾ لشموله [3] كل شرك حتى الأصغر من الرياء
و غيره ﴿ ان الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى له الملك كله و هو أحكم
الحاكمين ﴿ يفصل بينهم يوم القيٰمة [4] ﴾ فيجازى كلا بعمله على ما يقتضيه
فى مجارى عاداتكم ، و يقتص لبعضهم من بعض ، و يميز الخبيث منهم
من الطيب ، ثم علل ذلك بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى الجامع لجميع صفات
١٠ الكمال ﴿ على كل شىء ﴾ من الأشياء كلها ﴿ شهيد ه ﴾ فلا شىء إلا و هو
به عليم ، فهو [لذلك - [1]] على كل شىء قدير ، كما مضى بيانه فى "وسع
كل شى علما" فى طٰه ، و قال الحرالى فى شرح الأسماء الحسنى : الشهادة
رؤية خبرة بطية [4] الشىء و دخلته ممن له غنى فى أمره ، فلا شهادة إلا
بخبرة و غنى ممن له اعتدال فى نفسه بأن لا يحيف عـلى غيره ، فيكون
١٥ ميزان عدل بينه و بين غيره ، فيحق له أن يكون ميزانا بين كل متداعيين
ممن يحيط [5] بخبرة أمرهما "و كذلك جعلنٰكم امة وسطا لتكونوا شهداء
على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا" و بحسب إحاطة علم الشهيد

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى مد : الهين (٣) زيد فى الأصل : فى ، و لم
تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : بظنه .
(٥) فى مد : تحيط .

ترهب شهادته ، و لذلك أرهب [شهادة -[١]] شهادة الله على خلقه " قل أى شىء أكبر شهادة قل الله " . و لما كان أيما الإحاطة و الخبرة و الرقبة[٢] لله كان بالحقيقة لا شهيد إلا[٣] هو -[انتهى -[٤]] .

و لما كان جميع ما تقدم فى هذه السورة دالا على أنه على كل شىء قدير ، و أنه يفعل ما يريد ، و ختم ذلك بأنه[٥] بكل شىء عليم[٦] ، ٥ لم يغب و لا يغيب شىء عنه ، فاقتضى ذلك قيوميته ، و كان بحيث يستعظم لكثرة الخلائق فكيف بأحوالهم ، قرر ذلك فى جواب من كأنه سأل فهى[٧] فى معنى العلة ، فقال: ﴿ الم تر ان الله ﴾ أى[٨] الحائز لجميع الكمال المبرأ عن كل نقص ﴿ يسجد له ﴾ أى يخضع منقادا لأمره مسخرا لما يريد منه تسخير من هو فى غاية الاجتهاد فى العبادة و الإخلاص فيها ١٠ ﴿ من فى السموت ﴾ .

[٩]و لما كان السياق مقتضيا للابلاغ فى صفة القيومية بشهادة ذكر الفصل بين جميع الفرق ، أكد باعادة الموصول فقال[٩]: ﴿ و من فى الارض ﴾ إن أدخلت غير العاقل فبالتغليب ، و إن خصصت فبالعاقل أفهم خضوع غيره من باب الأولى . و لما ذكر ما يعم العاقل و غيره ، أتبعه بأشرف ١٥

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الرغبة (٣) تكرر فى الأصل فقط (٤) زيد من مد (٥) زيد فى الأصل : احاط ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : علما (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : وهو (٨) سقط من ظ و مد (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ .

ما ذكر مما لا يعقل لأن كلا منهما[1] عبد من دون الله أو عبد شيء منه فقال: ﴿ و الشمس و القمر و النجوم ﴾ من الأجرام العلوية فعبد الشمس حمير، و القمر كنانة، و الدبران تميم، و الشعرى لخم[2]. و الثريا طى و عطاردا أسد، و المرزم[3] ربيعة - قاله[4] أبو حيان. ثم أتبع ذلك أعلام

٥ الذوات السفلية فقال: ﴿ و الجبال ﴾ أى التى تنحت منها الأصنام ﴿ و الشجر ﴾ التى عبد بعضها ﴿ و الدوآب ﴾ التى عبد منها البقر، كل هذه الأشياء تنقاد لأمر الله، و من المعلوم /- لكون هذه لا تعقل - أن أمره لها هو مراده منها.

٥٤٩/

و لما كان العقلاء من المكلفين قد دخلوا في[5] قوله "و من في

١٠ الارض" دخولا أوليا، [و كان السجود الممدوحون عليه إنما هو الموافق للأمر، لا الموافق للإرادة المجردة عن الأمر -[6]]، قال دالا على إرادته هنا بتكريرهم و تقسيمهم بعد إدخالهم في سجود الإرادة و تعميمهم: ﴿ و كثير من الناس ﴾ أى يسجد سجودا هو منه عبادة شرعية لحق له الثواب ﴿ و كثير ﴾ أى منهم ﴿ حق عليه العذاب ﴾ بقيام الحجة عليه

١٥ بكونه لم يسجد، لجحد الأمر الذى[7] من جحده كان كافرا و إن كان ساجدا عابدا بالمعنى اللغوى الذى هو الجرى مع المراد، [8]و على القول بأن[8]

---

(١) في ظ: منها (٢) من ظ و مد و لبحر المحيط ٦/٣٥٩، و في الأصل: لحم، و زيد بعده في البحر: و قريش (٣) بهامش ظ: قاموس: مرزم كمنبر (٤) من ظ و مد، و في الأصل: قال (٥) في مد: الى (٦) زيد من ظ و مد (٧) زيد في الأصل: هو، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٨ - ٨) في ظ «و».

هذا

هذا فى تقدير عامل من لفظ الأول بغير معناه [هو - ١] قريب من الاستخدام الذى يعاد فيه ضمير على لفظ مراد منه معنى آخر، و الآية من الاحتباك: إثبات السجود فى الأول دليل على انتفائه فى الثانى، و ذكر العذاب فى الثانى دليل على حذف الثواب فى الأول .

و لما علم بهذا أن الكل جارون مع الارادة منقادون أتم انقياد ٥ تحت طوع المشيئة ، و أنه إنما جعل الأمر و النهى للكلفين سببا لإسعاد السعيد منهم و إشقاء الشقى ، لإقامة الحجة عليهم على[٢] ما يتعارفونه من أحوالهم فيما بينهم ، كان المعنى : فمن يكرم الله بتوفيقه لامتثال أمره فما له من مهين ، فعطف عليه : ﴿ و من يهن الله ﴾ أى الذى له الأمر كله بمنابذة أمره[٣] ﴿فما له من مكرم[٤] ﴾ لأنه لا قدرة لغيره أصلا . و لعله ١٠ إنما ذكره و طوى الأول[٤] لأن السياق لإظهار القدرة ، و إظهارها فى الإهانة أتم ، مع أن أصل السياق للتهديد؛ ثم علل أن الفعل له لا لغيره بقوله : ﴿ان الله﴾ أى الملك الأعظم ﴿يفعل ما يشآء ٥﴾ السجدة أى كله ، فلو جاز أن يمانعه غيره و لو فى لحظة [٥]لم يكن[٥] فاعلا لما يشاء ، فصح أنه لافعل لغيره ، قال [٦]ابن كثير[٦] : قال ابن أبى حاتم : حدثنا أحمد بن ١٥ شيبان الرملى نا القداح عن جعفر بن محمد عن أبيه عن على رضى الله عنه

(١) زيد من مد (٢) سقط من ظ (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : الامر . (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاصل (٥-٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : لن يكن (٦ - ٦) من ظ و مد . و فى الأصل : ابن أبى كثير - خطأ ، و راجع تفسيره ٢١١/٣ .

أنه قيل له : إن ههنا رجلاً يتكلم فى المشيئة ، فقال له علي : يا عبد الله[1] خلقك الله كما شاء[1] أو كما شئت ؟ قال : بل كما شاء[2] ، قال : فيمرضك إذا شاء أو إذا شئت ؟ قال : بل إذا شاء ، قال : فيشفيك[3] إذا شاء أو إذا شئت ؟ قال : بل إذا شاء ، قال : فيدخلك حيث شئت أو حيث يشاء[4] ؟

٥ قال : بل حيث يشاء ، قال : والله لو قلت غير ذلك لضربت الذى فيه عيناك بالسيف . وقد مر فى سورة يوسف عند " ان الحكم [الا[5]] لله عليه توكلت " ما ينفع هنا .

ولما قسم الناس إلى مخالف ومؤالف ، أتبعه جزاءهم بما يرغب المؤالف ويرهب المخالف على وجه موجب للأمر بالمعروف الذى من

١٠ جملته الجهاد لوجهه خالصاً[6] فقال : ﴿هذن﴾ أى الساجد والجاحد من جميع الفرق ﴿خصمن﴾ [7]لايمكن منهما المسالمة الكاملة إذ كل منهما[7] فى طرف .

[ولما أشار بالتثنية إلى أن كل فرقة منهم صارت - مع كثرتها وانتشارها باتحاد الكلمة فى العقيدة - كالجسد الواحد ، صرح بكثرتهم بالتعبير بالجمع فقال - [8]] : ﴿اختصموا﴾ [9]أى أوقعوا الخصومة

١٥ بغاية الجهد[9] ، ولما كانت الفرق المذكورة كلها مثبتة[10] وقد جحد أكثرهم

---

(١) من مد ، وفى الأصل وظ والتفسير : يشاء (٢) من التفسير ، وفى النسخ : يشاء (٣) من ظ ومد والتفسير ، وفى الأصل : بل يشفيك (٤) فى التفسير : شاء .
(٥) زيد من ظ ومد والقرآن الكريم آية ٦٧ (٦) زيد فى الأصل : لوجهه ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٧-٧) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط .
(٨) زيد من مد (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) بهامش ظ : أى غير معطلة للاله .

النعمة، قال: /﴿في ربهم﴾ أي الذي هم باحسانه إليهم معترفون، لم يختصموا / ٥٥٠
بسبب غيره أصلا، و حمزة [بن - [1]] عبد المطلب أسد الله و أسد
رسوله و عبيدة بن[2] الحارث و علي بن أبي طالب - [الذين - [1]] هم أول
من برز للخاصمة بحضرة رسول الله - صلى الله عليه و سلم و رضي عنهم -
للكفرة من بني عمهم: عتبة بن ربيعة و شيبة بن ربيعة و الوليد بن عتبة، ٥
في غزوة بدر - أولى الناس بهذه الآية لما روى في الصحيح[3] عن أبي
ذر رضي الله عنه أنه كان يقسم أنها نزلت فيهم، و لذلك قال علي
رضي الله عنه: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن عز و جل يوم القيامة
للخصومة - أخرجه البخاري في صحيحه[3]، [4]و لعله رضي الله عنه أول
الثلاثة، قام لمنابذتهم النبي صلى الله عليه و سلم [5]لذلك، فانه[5] كان أشبّهم. ١٠

و لما ذكر خصومتهم و شرطها، ذكر جزاءهم عليها في فصل الأمر
الذي قدم ذكره، و بدأ بالترهيب لأن الإنسان إليه أحوج فقال:
﴿فالذين كفروا﴾ منابذين لأمر ربهم ﴿قطعت﴾ [6] تقطيعا لا يعلم
كثرته إلا الله، بأيسر أمر ممن لا أمر لغيره[6] ﴿لهم﴾ الآن و هيئت
و إن وافقوا مراد ربهم بمخالفتهم أمره ﴿ثياب من نار﴾ تحيط ١٥
بهم و هي على مقاديرهم سابغة عليهم كما كانوا يسبلون الثياب في الدنيا

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد في الأصل فقط: عبد - خطأ (٣) راجع ٢/٦٩٤.
(٤) العبارة من هنا إلى «أشبهم» ساقطة من ظ (٥-٥) من مد، و في الأصل:
لانه (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ.

تعاظما و تكبرا[1] حال كونهم ﴿ يصب ﴾ [إذا دخلوها - [2]]
﴿من فوق رءوسهم الحميم﴾ أى الماء الحار حرارة لا يدرى مقدارها
إلا بالذوق - أعاذنا الله منه ؛ و استأنف الإخبار عنه بقوله : ﴿يصهر﴾
أى يذاب ، و أصله المخالطة الشديدة ﴿ به ﴾ من شدة حرارته
٥ ﴿ما فى بطونهم﴾ من شحم و غيره ﴿و الجلود﴾ فيكون أثره فى الباطن
و الظاهر سواء ﴿ و لهم مقامع ﴾ جمع مقمعة بكسر ثم فتح ، و هى
عمود حديد يضرب به الرأس و الوجه ليرد المضروب عن مراده ردا عنيفا ،
ثم نفى[3] المجاز بقوله : ﴿ من حديد ﴾ أى يقمعون بها ﴿ كلمآ ارادوآ ﴾
[4] أى كلهم فالبعض بطريق الأولى[4] ﴿ ان يخرجوا منها ﴾ أى من تلك
١٠ الثياب أو [من - [5]] النار .

[و لما كان السياق لخصومة أولياء الله المتصفين بما هو مقصود
السورة من التقوى للكفار ، المنابذين لها بكل اعتبار ، اقتضى ذلك
- بشارة الأولياء و نذارة للأعداء - قوله زيادة على ما فى السجدة - [2]] :
[﴿ من غم ﴾ عظيم لايعلم قدر عظمه إلا الله ﴿اعيدوا﴾ - [5]] ، [كل
١٥ آن ﴿فيها﴾ - [2]] كأنهم[6] يضربون بلهيب النار فيرفعهم حتى إذا كانوا
فى أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا - قاله الحسن[7] ،
أو أنهم يضطربون[8] [9] فى تلك الثياب المقطعة من النار[9] إلى أن يكادوا

(١) زيد فى الأصل : أى مقدرة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : يقى (٤ - ٤) سقط ما بين
الرقمين من ظ (٥) زيد من ظ و مد (٦) سقط من ظ (٧) راجع الكشاف
٢/٩٠٣ (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : يضربون (٩-٩) وقع فى الأصل قبل
« لهيب النار » و الترتيب من ظ و مد .

أن ينفصلوا منها و هم فى النار ثم يردون كما كانوا ، و ذلك أشد فى العذاب ، [1]مقولا لهم : ارجعوا صاغرين [مقاسين لغمومها - [2]] ﴿و ذوقوا عذاب الحريق ﴿٢٢﴾﴾ أى العذاب البالغ فى الإحراق .

و لما ذكر ما لأحد الخصمين و هم الكافرون ، أتبعه ما للآخر و هم المؤمنون ، و غيّر السياق بالتأكيد لمن كأنه سأل عنه ، معظما له باثبات ٥ الاسم العلم الجامع إيذانا بالاهتمام فقال : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الأمر كله ﴿ يدخل الذين 'امنوا ﴾ عبر فى الإيمان بالماضى ترغيبا فى المبادرة إلى إيقاعه ﴿و عملوا الصلحت﴾ تصديقا لإيمانهم ، [و -[3]] عبر بالماضى إشارة إلى أن من عمل[4] الصالح انكشف له ما كان محجوبا عنه من / حسنه /٥٥١ فأحبه و لم ينفك عنه ﴿جنت تجرى﴾ [5]أى دائما[5] ﴿من تحتها الانهر﴾ ١٠ [5]أى المياه الواسعة[5] ، أينما أردت من أرضها جرى لك نهر فى مقابلة ما يجرى من فوق رؤس أهل النار ﴿ يحلون فيها ﴾ فى مقابلة ما[6] يزال من بواطن الكفرة و ظواهرهم ﴿ من اساور ﴾ .

[7]و لما كان مقصودها الحث على التقوى المعلية[8] إلى الإنعام بالفضل ، شوّق إليه باعلى ما نعرف من الحلية فقال : ﴿ من ذهب و لؤلؤا ﴾ ١٥ و قراءة نافع و عاصم[9] بنصبه دليل على عطفه بالجر على " اساور " ﴿و لباسهم فيها حرير ﴿٢٣﴾﴾ فى مقابلة ثياب الكفار كما كان لباس الكفار

(١) زيد فى ظ : وذوقوا أى (٢) زيد من مد (٣) زيد من ظ و مد . (٤) زيد فى الأصل : العمل ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٧) العبارة من هنا إلى « الحلية فقال » ساقطة من ظ (٨) من مد ، و فى الأصل : العلية (٩) راجع نثر المرجان ٤/٤٦٤ .

فى الدنيا حريرا ، و لباس المؤمنين دون ذلك ، و قد ورد فى الصحيحين[١]
[عن عبد الله بن الزبير عن عمر رضى الله عنهم -[٢]] أن النبى صلى الله
عليه و سلم قال : لا تلبسوا الحرير فان من لبسه فى الدنيا لم يلبسه فى
الآخرة . قال ابن كثير[٣] : قال عبد الله بن الزبير : و من لم يلبس الحرير
٥ فى الآخرة لم يدخل الجنة ، قال الله تعالى "و لباسهم فيها حرير" -
انتهى . [٤]و ذلك[٤] أن فى الصحيحين[٥] و غيرهما عن عمر رضى الله عنه أن
النبى صلى الله عليه و سلم قال : إنما يلبس هذه من لا خلاق له فى الآخرة .
فيوشك - لتشبهه بالكفار فى لباسهم - أن يلحقه الله بهم فلا يموت
مسلما - و الله الهادى . [٦]﴿ و هدوآ ﴾ أى [بأسهل أمر -[٧]] بهداية الله
١٠ أعم من أن يكون السبب القريب لذلك العقل وحده أو مع الرسول
أو الكتاب أو غير ذلك [و هو -[٢]] حال من " الذين 'امنوا "، و ما بعدها
ختم به لئلا يطول الفصل بين الفعل و مفعوله و لتكون[٨] محاسنهم محيطة بذكر
دخولهم الجنة إشارة إلى دوامها ﴿ [٩]الى الطيب من القول[٩] ج ﴾ [فلم يزالوا
فى حال حسن -[٢]] ﴿ و هدوا ﴾ [و بنى الفعل أيضا للمفعول إشارة إلى سهولة
١٥ الهداية لهم و للأتقياء منهم ، و لذلك لم يذكر العزة ، و اكتفى بذكر الحمد
فقيل -[٢]] : ﴿ الى صراط الحميد ٥ ﴾ الذى وفقهم[١٠] لسلوك ما يحمدون عليه

---

(١) راجع صحيح البخارى ٨٦٧/٦ و الصحيح لمسلم ١٩١/٢ و اللفظ له (٢) زيد من ظ و مد (٣) راجع التفسير ٢١٣/٣ (٤ - ٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : فذلك (٥) نفس الإحالة التى أسلفنا الآن ذكرها (٦) العبارة من هنا إلى «دوامها» واقعة فى الأصل بين تقدم و تأخر (٧) زيد من مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل: تكون (٩ - ٩) تقدم - مع «و هدوا» - فى الأصل عن «السبب القريب» س ١٠ ، و الترتيب من ظ و مد (١٠) من ظ ، و فى الأصل و مد : واقفهم .

فيحمدون عاقبة، فكان فعلهم حسنا كما كان قولهم حسنا، فدخلوا الجنة التى هى أشرف دار عند خير جار و حلوا فيها أشرف الحلى كما تحلوا فى الدنيا بأشرف الطرائق، هذا بعد أن حازوا أشرف الذكر فى الدنيا عكس حال الكفار فى اقتراف ما أدخلهم ما كلما أرادوا الخروج منه أعيدوا فيه، مع ما نالهم من سوء الذكر، باقبالهم كالبهائم على الفانى مع خسته ٥ لحضوره، و إعراضهم عن الباقى مع شرفه لغيابه.

و لما بين [ما - [1]] للفريقين، [و تضمن ما للفريق - [1]] الثانى بيان أعمالهم الدالة على صدق إيمانهم، كرر ذكر [2] الفريق الأول لبيان ما يدل على استمرار كفرهم، و يؤكد بيان جزائهم، فقال: ﴿ ان الذين كفروا ﴾ أى أوقعوا هذا الفعل الخبيث. و لما كان المضارع ١٠ قد لايلحظ منه زمان معين من حال أو استقبال، بل يكون المقصود منه الدلالة على مجرد الاستمرار كقولهم: فلان يعطى و يمنع، قال عاطفا [3] له [4] على الماضى: ﴿ و يصدون ﴾ أى و يديمون الصد ﴿ عن سبيل الله ﴾ أى [4] الملك الأعظم، باقتسامهم طرق مكة، و قول بعضهم لمن يمر به: خرج فينا ساحر، و آخر يقول: شاعر، و آخر: كاهن، فلا تسمعوا ١٥ منه، فانه يريد أن يردكم عن دينكم؛ قال بعض من أسلم: لم يزالوا بى حتى جعلت فى اذنى الكرسف [5] مخافة أن أسمع شيئا من كلامهم. و كانوا يؤذون من أسلم - إلى غير ذلك من أعمالهم، و لعله إنما عبر بالمضارع رحمة منه [4] [لهم - [6]] ليكون كالشرط فى الكفر فيدل على

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ذلك (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: عطفا (٤) سقط من مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الكوسف (٦) زيد من مد.

٥٥٢/ أن من ترك / الصد زال عنه الكفر و إن طال ذلك منه ﴿و﴾ يصدون عن ﴿المسجد الحرام﴾ أن تقام شعائره من الطواف فيه بالبيت و الصلاة و الحج و الاعتمار ممن هو أهل ذلك من أوليائنا . ثم وصفه بما يبين شديد ظلمهم فى الصد عنه فقال : ﴿الذى جعلنٰه﴾ [1]بما لنا من العظمة[1]
٥ ﴿للناس﴾ أى كلهم ؛ ثم بين جعله لهم بقوله : ﴿سوآء العاكف فيه﴾ أى المقيم ﴿و الباد﴾ أى الزائر له من البادية ؛ قال الرازى فى اللوامع : "سواء" رفع بالابتداء ، "و العاكف" خبره ، و صلح من تنكيره للابتداء ، لأنه كالجنس فى إفادة العموم الذى هو أحسن العهد .

و لما ذكر الكفار و دليل كفرهم بما استعطفهم ، و زاد فى
١٠ الاستعطاف بحذف الخبر عنهم ، و دل آخر الآية على أنه يذيقهم العذاب الأليم ، عطف عليه ما ينفر عن وصفهم فقال : ﴿و من يرد فيه﴾ أى شيئا من أفعال الكفار من الصد المذكور و غيره ، أى[2] يقع منه إرادة لشيء من ذلك ﴿بالحاد﴾ [أى [3]مصاحبة تلك الإرادة و ملتبسة[4] بجور عن الأمر المعروف -[3]] و ميل و اعوجاج . و لما كان ذلك يقع
١٥ على مطلق هذا المعنى ، بين المراد بقوله : ﴿بظلم﴾ أى فى غير موضعه ، و أما صد الكفار عنه فانه بحق ، لأنهم[4] نجس لا ينبغى قربانهم المحال المقدسة[5] ، و كذا صد الحائض و الجنب و الخائن ﴿نذقه﴾ و لما كان المشروط نوعا من الإلحاد[6] لا الإلحاد [الكامل -[7]] ، عبر بقوله :

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل و مد : او . (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : لانه (٥) من ظ ومد ، و فى الأصل : القدسية (٦) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٧) زيد من مد .

من

﴿من عذاب اليم ﴾ و دل هذا الخبر [1]عمن أراد شيئا مما فعله الكفار[1] أن الخبر عن الكفار الفاعلين لما[2] رتب هذا الجزاء على إرادته ما[3] قدرته .

و لما ذكر الفريقين و جزاء كل و ختمه بذكر البيت ، أتبعه التذكير به و بحجه ، لما فيه من التذكير بالقيامة الحاملة على التقوى التى هى مقصد ٥ السورة ، بما فيه من الوفادة على الله ، مع التجرد من المخيط ، و الخضوع للرب ، و الاجتماع فى المشاعر موقفا فى أثر موقف ، و لما فيه من الحث على التسنن بأبيهم الأعظم إبراهيم عليه السلام فقال ، مقرعا و موبخا لمن أشرك فى نفعه «أسست على التوحيد من[4] أول يوم» عطفا على قوله أول السورة "[5]اتقوا" : ﴿ و اذ ﴾ أى و اذكروا[5] إذ ﴿ بوانا ﴾ ١٠ [[6]بما لنا من العظمة[6] ، و لما لم يجعله سبحانه سكنه بنفسه ، قصر الفعل عن التعدية إلى مفعوله الأول فقال - [7]] : ﴿ لابرٰهيم ﴾ [8]أى قدرنا له[8] ﴿ مكان البيت ﴾ أى الكعبة و جعلناه له مباءة ، أى منزلا يبوء إليه أى يرجع . لأنه - لما نودعه[9] فيه من اللطائف - أهل لأن يرجع إليه من فارقه و يحن إليه ، و يشتاق من باعده و ينقطع إليه بعض ذريته ، من ١٥

(١ - ١) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على « نذقه » و الترتيب من ظ و مد ، وموضع ما بين الرقمين هنا بياض فى الأصل (٢) بهامش ظ : اللام فى « لما رتب» للتعدية فانهم (٣) بهامش ظ : خبر « أن الخبر عن الكفار » (٤) من مد ، و فى الأصل : و بين ، و فى ظ : فى (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : اذكر . (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) زيد من ظ و مد (٨ - ٨) وقع فى الأصل قبل « لابرٰهيم » و الترتيب من ظ و مد (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : نوعده .

المباءة بمعنى المنزل، و بوأه إياه و بوأه له، أى أنزله. قال فى ترتيب المحكم: و قيل: هيأته و مكنت له [فيه - [1]]. و يدل على أن إبراهيم عليه السلام أول بان للبيت[2] ما فى الصحيح[3] عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! أى مسجد وضع أول؟ قال: المسجد الحرام. قلت: ٥ ثم أى؟ قال: بيت المقدس. قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة. و لما كان إبراهيم عليه الصلاة السلام نبيا، كان من المعلوم أن نبوته له لأجل العبادة، فكان المعنى: قلنا له: أنزل أهلك[4] ههنا و تردد إلى هذا المكان للعبادة. فلذلك فسره بقوله: ﴿ان لاتشرك بى شيئا﴾ فابتدأ بأس العبادة و رأسها، و عطف على النهى قوله: ﴿و طهر بيتى﴾ عن ١٠ كل ما لا يليق به من قذر / حسى و معنوى من شرك و وثن و طواف ٥٥٣/ عريان به، كما كانت العرب تفعل ﴿للطآئفين﴾[5] به.

و لما تقدم العكوف فاستغنى عن إعادته، قال[6]: ﴿و القآئمين﴾ أى حوله تعظيما لى كما يفعل حول عرشى، أو فى الصلاة، [و لأن العكوف بالقيام أقرب إلى مقصود السورة - [7]]. ﴿و الركع﴾ و لما ١٥ كان كل من الطواف و القيام عبادة برأسه، و لم يكن الركوع و السجود كذلك، عطف ذاك، و أتبع هذا لما بينهما من كمال الاتصال، إذ[8]

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد فى الاصل: على، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) ١ / ٤٧٧ (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: اهليك (٥) زيد فى الاصل: أى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) فى ظ و مد: قيل. (٧) زيد من مد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: اى.

لا ينفك أحدهما عن الآخر فى الصلاة فقال : ﴿ السجود ه ﴾ أى المصلين [1]صلاةَ أهل الإسلام الأكمل[1] ﴿ و اذن فى الناس ﴾ أى أعلمهم و ناد فيهم ﴿ بالحج ﴾ و هو قصد البيت [2]على سبيل التكرار[2] للعبادة المخصوصة بالمشاعر[2] المنصوصة ﴿ ياتوك ﴾ أى يأتوا بيتك الذى بنيته لذلك ، مجيبين لصوتك باذننا سامعين طائعين[3] مخبتين خاشعين من أقطار الأرض كما ٥ يجيبون صوت الداعى من قبلنا إذا دعاهم [4]بمثل ذلك بعد الموت[4] ﴿ رجالا ﴾ أى مشاة على أرجلهم ﴿ و على كل ضامر ﴾ أي هزيل من طول السير من الإبل لبعد الشقة[5] و عظم المشقة[6] .

[7]و لما كان الضامر يطلق على كل من الذكر و الأنثى من الجمال ، و كانت الأنثى أضعف النوعين ، فكان الحكم عليها بالإتيان المذكور حكما ١٠ على الذكر الذى هو أشد بطريق الأولى ، أسند إلى ضميرها فقال معبرا بما يدل على التجدد و الاستمرار ، واصفا الضوامر التى أفهمتها "كل"[7] : ﴿ ياتين ﴾ أى الضوامر ﴿ من كل فج ﴾ أى طريق واسع بين جبلين ﴿ عميق ﴾ أى بعيد منخفض بالنسبة إلى علو جباله . قال أبو حيان[8] : و أصله البعد سفلا - انتهى[9] . حفاة عراة ، يتنقلون من مشعر من مشاعر ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل: بالمشاعرة .
(٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : مطيعين (٤-٤) فى ظ و مد : بعد الموت بمثل ذلك (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : المشقة (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : المسافة (٧ - ٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : ثم وصف الضوامر بما يقتضى التجدد و الاستمرار فقال (٨) البحر المحيط ٣٤٧/٦ (٩) سقط من ظ .

الحج إلى مشعر ، و من مشهد إلى مشهد ، مجموعين بالدعوة ، خاشعين للهيبة ، خائفين من السطوة ، راجين للمغفرة ، ثم يتفرقون إلى مواطنهم ، و يتوجهون إلى مساكنهم ، كالسائرين إلى مواقف الحشر ، يوم البعث و النشر ، [١] المتفرقين إلى داري النعيم و الجحيم [١] ، فيا أيها المصدقون بأن

٥ خليلنا إبراهيم عليه السلام نادى بالحج فأجابه بقدرتنا كرامة له مَنْ أراد الله حجه على بعد أقطارهم ، و تنائي ديارهم ، ممن كان موجودا في ذلك الزمان ، و ممن كان في ظهور الآباء الأقربين أو الأبعدين ! صدّقوا أن الداعي من قبلنا بالنفخ في الصور يجيبه كل من كان على ظهرها من[٢] حفظنا له جسده ، أو سلطنا عليه الأرض فمزقناه حتى صار ترابا ، و ما

١٠ بين ذلك ، لأن الكل علينا يسير .

و لما كان الإنسان ميالا إلى الفوائد ، مستشرفا إلى جميل العوائد ، علل الإتيان بما رغبه مبيحا من فضله ما يقصده من أمر المعاش فقال : ﴿ ليشهدوا ﴾ أي يحضروا حضورا تاما ﴿ منافع لهم ﴾ أي [لا - [٣]] للمعبود ، دينية [٤] و دنيوية ، فإنه كما جعل سبحانه تلك المواطن

١٥ ماحية للذنوب ، جالبة للقلوب ، جعلها جالبة للفوائد ، جارية على أحسن العوائد ، سالبة للفقر ، جابرة للكسر . و لما كانت المنافع لا تطيب و تثمر إلا بالتقوى ، و كان الحامل على التقوى الذكر ، قال : ﴿ و يذكروا اسم الله ﴾ أي الجامع لجميع الكمالات[٥] / بالتكبير و غيره عند الذبح و غيره ، إعلاما

/٥٥٤

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : من .
(٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : دينه (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : الكمال .

بأنه

بأنه المقصود الذى يتبعه جميع المقاصد [1]لأنه ما جمعهم على ما فيه من تلك الأرض الغزاء و الأماكن الغبراء إلا هو بقدرته الكاملة، و قوته الشاملة[1]. لا اسم شىء من الأصنام كما كانت الجاهلية تفعل ﴿ فىٓ أيام معلومٰت ﴾ [أى علم - [2]] أنها أول عشر فى ذى الحجة الذى يوافق اسمه مسماه، لا ما سموه به و مسماه غيره على ما حكم به النسىء، و فى هذا إشارة إلى ٥
أن المراد به الإكثار إذ مطلق الذكر مندوب إليه فى كل وقت. و فى التعبير بالعلم إشارة إلى وجوب استفراغ الجهد بعد القطع بأن الشهر ذو الحجة اسما و مسمى فى تحرير أوله، و أما أيام التشريق فانها لما كانت مبنية على العلم بأمر الشهر الذى أمر به هنا، فأنتج العلم بيوم العيد[3]، لم يحتج فى أمرها إلى غير العد فلذا[4] عبر عنها به دون العلم. ١٠

و لما كانت النعم أجل أموالهم، قال تعالى مرغبا لهم و مرهبا: ﴿ على ﴾ [1]أى مبركين بذكره و حامدين على[1] ﴿ ما رزقهم ﴾ و لوشاء محقه ﴿من بهيمة﴾ و لما كانت البهيمة مهمة فى كل ذات أربع فى البر و البحر، بينها بقوله: ﴿ الانعام ج ﴾ من الإبل و البقر [و الغنم - [5]] بالتكبير عند رؤيته، ثم عند ذبحه، و فيه حث على التقرب بالضحايا و الهدايا. و لذلك التفت إلى ١٥
الإقبال عليهم، [1]و تركيب 'بهم' يدور على الاستعجام و الخفاء و الانغلاق و عدم التمييز، و تركيب 'نعم' على الرفاهية و الخفض و الدعة[1].

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: العلم (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: فكذا (٥) زيد من ظ و مد.

و لما ذكر سبحانه العبادة نخاطب بها إبراهيم عليه الصلاة و السلام، تنبيها على أنها لعظم المعبود لا يقوم بها على وجهها إلا الخلص، أقبل على العابدين كلهم بالإذن في [ما يسرهم من منحة - [1]] التمتيع، تنبيها على النعمة، حثا على الشكر، فقال مبينا عما اندرج في ذلك من الذبح:

٥ ﴿ فكلوا منها ﴾ أى إن شئتم إذا تطوعتم[2] بها و لا تمتنعوا كأهل الجاهلية، فالأكل من المتطوع به لا يخرجه عن كونه قربانا في[3] هذه الحنيفية السمحة منة على أهلها، تشريفا لنبيها صلى الله عليه و سلم، و الأكل من الواجب لا يجوز لمن وجب عليه، لأنه إذا أكل منه لم يكن مخرجا لما وجب عليه بكماله ﴿ و اطعموا البآئس ﴾ أى [الذي - [4]] اشتدت حاجته . من يئس

١٠ [كسمع - [4]] [5]إذا ساءت حاله و افتقر[5]، و بين أنه من ذلك لا من بؤس - ككرم الذي معناه: اشتد في الحرب، بقوله : ﴿ الفقير ﴾ و أكد هذا الحث و نفى عنه الريب بعوده إلى الأسلوب الأول في قوله: ﴿ ثم ليقضوا ﴾ أى يقطعوا و ينهوا يوم النحر بعد طول الإحرام ﴿ تفثهم ﴾ أى شعثهم بالغسل و قص الأظفار و الشارب و حلق العانة

١٥ و نحو ذلك ﴿ و ليوفوا نذورهم ﴾ أخذا من الفراغ من الأمر و الخروج من كل واجب ﴿ و ليطوفوا ﴾ فيكون ذلك آخر أعمالهم . [6]و حث

---

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : تطوعتهم (٣) من مد ، و في الأصل : من ، و العبارة من هنا إلى هذه الكلمة إلى « و سلم » ساقطة من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) العبارة من هنا إلى « الإسكان » ساقطة من ظ .

على الإكثار منه و الاجتهاد فيه بصيغة التفعل ، و على الإخلاص بالإخفاء
بحسب الطاقة بالإدغام ، و اللام إن كسرت - كما هي[1] قراءة أبي عمرو
و ابن عامر و ورش [عن نافع و قنبل عن ابن كثير و رويس -[2]]
عن يعقوب في " ليقضوا[3] " و قراءة ابن ذكوان عن ابن عامر وحده
في " ليوفوا و ليطوفوا[4] " - يصح أن تكون للعلة عطفا على " ليشهدوا " ٥
و يكون / عطفها بأداة التراخي لطول المدة على ما هو مفهومها مع الإشارة / ٥٥٥
إلى التعظيم في الرتبة ، و يصح أن تكون للأمر كقراءة الباقين بالإسكان ،
و قوله : ﴿ بالبيت ﴾ أي من ورائه ، ليعم[5] الحجر ،[6] و متى نقص عن
إكمال الدوران حوله أدنى جزء لم يصح لأنه لم يوقع[7] مسمى الطواف ،
فلا تعلق بالباء في التبعيض ؛ و وصفه [بقوله -[8]] : ﴿ العتيق[9] ۝ ﴾ ١٠
[إشارة إلى استحقاقه للتعظيم بالقدم و العتق من كل سوء ، ثم أشار إلى
تعظيم الحج و أفعاله هذه بقوله -[8]] : ﴿ ذلك ق ﴾ أي الأمر الجليل العظيم
الكبير[10] المنافع دنيا و أخرى ذلك . و لما كان التقدير : فمن فعله سعد ، و من
انتهك شيئا منه شقي ، عطف عليه قوله : ﴿ و من يعظم ﴾ [11] أي بغاية
جهده[11] ﴿ حرمت الله ﴾ [أي ذي الجلال و الإكرام -[2]] كلها من هذا ١٥
و من غيره ، و هي الأمور التي جعلها له فحث على فعلها أو تركها ﴿ فهو ﴾

---

(١) من مد ، و في الأصل : هو في (٢) زيد من مد (٣) راجع نثر المرجان ٤/٤٧١ .
(٤) راجع نثر المرجان ٤/٤٧٢ (٥) بين سطري ظ خبر « قوله » (٦) العبارة من
هنا إلى « التبعيض » ساقطة من ظ (٧) من مد ، و في الأصل : لم يرفع (٨) زيد
من ظ و مد (٩) وقع في الأصل بعد « بالبيت » و الترتيب من ظ و مد .
(١٠) في مد : الكثير (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ .

أى التعظيم الحامل له على امتثال الأمر فيها على وجهه و اجتناب المنهى عنه كالطواف عريانا و الذبح بـــذكر اسم غير الله ﴿ خير ﴾ كائن[1] ﴿له عند ربه[1] ﴾ الذى أسدى [إليه -[2]] كل ما هو فيه من النعم فوجب عليه شكره فان ذلك يدل على تقوى قلبه ، لأن تعظيمها من تقوى

٥ القلوب ، و تعظيمها لجلال الله ، [3]و انتهاكها شر عليه عند ربه[3] .

و لما كان التقدير : فقد حرمت عليكم أشياء أن تفعلوها ، و أشياء أن تتركوها ، عطف عليه قوله بيانا لأن الإحرام لم يؤثر فيها كما أثر فى الصيد : ﴿ و احلت لكم الانعام ﴾ و هى الإبل و البقر و الغنم كلها ﴿ الا ما يتلىٰ ﴾ [3]أى على سبيل التجديد مستمرا[3] ﴿ عليكم ﴾ تحريمه من

١٠ الميتة و الدم و ما أهل لغير الله به ، خلافا للكفار فى افترائهم على الله بالتعبد بتحريم الوصيلة و البحيرة و السائبة و الحامى و إحلال الميتة و الدم.

و لما أفهم ذلك حل السوائب و ما معها و تحريم المذبوح للأنصاب ، وكان سبب ذلك كله الأوثان ، سبب عنه قوله : ﴿ فاجتنبوا ﴾ أى بغاية الجهد اقتداء بالأب الأعظم إبراهيم عليه الصلاة و السلام الذى تقدم

١٥ الإيصاء له بمثل ذلك عند جعل[4] البيت له مباءة[5] ﴿ الرجس ﴾ أى القذر الذى من حقه أن يجتنب من غير أمر ؛ ثم بينـــه و ميزه بقوله : ﴿ من الاوثان ﴾ [3]أى القذر الذى من حقه أن يجتنب من غير أمر[3]، فانه إذا اجتنب السبب اجتنب المسبب .

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد من مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : فعل (٥) فى مد : مثابة .

و لما كان ذلك كله [من -[1]] الزور ، أتبعه النهى عن جميع الزور ، و زاد فى تبشيعه و تغليظه إذ عدله - كما قال النبي[2] صلى الله عليه و سلم - بالشرك فقال : ﴿ و اجتنبوا ﴾ [3]أى بكل اعتبار[3] ﴿ قول الزور ﴾ أى جميعه ، و هو الانحراف عن الدليل كالشرك المؤدى إلى لزوم عجز الإله و تحريم ما لم ينزل الله به سلطانا من السائبة و ما معها ، و تحليل الميتة ٥ و نحوها مما قام الدليل [السمعى على تحريمه كما أن الحنف الميل مع الدليل -[1]] ، و لذلك أتبعه قوله : ﴿ حنفآء لله ﴾ الذى له الكمال كله ، فلا ميل فى شيء من فعله ، و إنما كانا كذلك مع اجتماعهما فى مطلق الميل ، لأن الزور تدور مادته على القوة و الوعورة ، و الحنف - كما مضى فى البقرة - على الرقة و السهولة ، فكان ذو الزور معرضا عن ١٠ الدليل بما فيه من الكثافة و الحنيف مقبلا على الدليل بما له من اللطافة .

و لما أفهم[4] ذلك التوحيد ، أكده[5] بقوله : ﴿غير مشركين به ﴾ أى شيئا من إشراك ، بل[6] مخلصين له الدين ، و دل على عظمة التوحيد و علوه ، و فظاعة الشرك و سفوله ، بقوله زاجرا عنه عاطفا على ما تقديره : فمن امتثل ذلك أعلاه اعتداله إلى الرفيق الأعلى : / ﴿و من يشرك ﴾ ١٥ ٥٥٦ / [7]أى يوقع شيئا من الشرك[7] ﴿ بالله ﴾ [-[1] أى[8] الذى له العظمة كلها ، لشيء[9]]

(١) زيد من ظ و مد (٢) راجع روح المعانى ٥/٤٣٢ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : نهم (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل أنهمه (٦) سقط من ظ (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) سقط من مد .
(٩) فى ظ : شيئا .

من الأشياء فى وقت من الأوقات ﴿ فكأنما خر من السمآء ﴾ لعلو ما كان فيه من أوج التوحيد و سفول ما انحط إليه من حضيض الإشراك .

و لما كان الساقط من هذا العلو متقطعا لا محالة إما بسباع الطير
٥ أو بالوقوع على جلد ، عبر عن ذلك بقوله : ﴿ فتخطفه الطير ﴾ أى [1] قطعا بينها [1] ، و هو نازل فى الهواء [قبل أن يصل إلى الأرض - [2]] [3] ﴿ او تهوى به الريح ﴾ أى حيث لم يجد فى الهواء ما يهلكه ﴿ فى مكان ﴾ [1] من الأرض [1] ﴿ سحيق ﴾ أى بعيد فى السفول ، [1] فيتقطع حال وصوله إلى الأرض بقوة السقطة و شدة الضغطة لبعد المحل الذى خر منه و زل
١٠ عنه ، فالآية من الاحتباك : خطف الطير الملزوم للتقطع أولا دال على حذف التقطع ثانيا ، و المكان السحيق الملزوم لبلوغ الأرض ثانيا دليل على حذف ضده أولا [1] ؛ ثم عظم [4] ما تقدم من التوحيد و ما هو مسبب عنه بالإشارة بأداة البعد فقال : ﴿ ذٰلك ﴾ أى الأمر العظيم الكبير [ذلك - [3]] ، فمن راعاه فاز ، و من حاد عنه خاب ؛ ثم عطف عليه ما هو أعم من
١٥ هذا المقدر فقال : ﴿ و من ﴾ [1] و يجوز أن يكون حالا ، أى أشير إلى الأمر العظيم و الحال أنه من [1] ﴿ يعظم شعآئر الله ﴾ أى معالم دين الملك

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) العبارة من هنا إلى « فى السفول » وقعت فى الأصل و ظ بعد « حذف ضده أولا » س ١٢ ، و الترتيب من مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : عطف على .

الأعظم التى[1] ندب إليها و أمر بالقيام بها فى الحج ، جمع شعيرة و هى المنسك و العلامة فى الحج ، و الشعيرة أيضا : البدنة المهداة إلى البيت الحرام ، قال البغوى[2] : و أصلها من الإشعار و هو إعلامها ليعرف أنها هدى - انتهى . و لعله مأخوذ من الشعر لأنها إذا جرحت[3] قطع شيء من شعرها أو أزيل عن محل الجرح ، فيكون من الإزالة ، و تعظيمها ٥ استحسانها ، فتعظيمها خير له لدلالته على تقوى قلبه ﴿فانها﴾ أى تعظيمها ﴿ من ﴾ أى مبتدئ من ﴿تقوى القلوب ﴾ التى من شأنها الشعور بما هو أهل لأن يعظم ، فمعظمها متق ، و قد علم بما ذكرته أنه حذف من هذه جملة الخير [و -[4]] من قوله "و من يعظم حرمت الله" سبب كونه خيرا له ، و هو التقوى ، و دل على إرادته هناك بذكره هنا ، [و حذف ١٠ هنا كون التعظيم خيرا ، و دل عليه بذكره هناك -[4]] ، فقد ذكر فى كل جملة ما دل على ما حذف[5] من الأخرى كما تقدم فى "قد كان لكم اٰية فى فئتين" فى آل عمران ، و أنه يسمى الاحتباك ، و تفسيرى للشعائر بما ذكرته من الأمر العام جائز الإرادة ، و يكون إعادة الضمير على نوع منه[6] نوعا من الاستخدام ، فقوله : ﴿ لكم فيها ﴾ معناه[7] : البدن ١٥ أو النعم المهداة أو مطلقا ﴿ منافع ﴾ بالدر و النسل و الظهر و نحوه ،

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى (٢) راجع المعالم على هامش اللباب ٥/١٤ . (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : خرجت (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : خذ - كذا (٦) بين سطرى ظ : و هو البدن (٧) زيد فى ظ : اى .

فكلما كانت سمينة حسنة كانت منافعها أكثر دينا و دنيا ﴿الى اجل مسمى﴾ و هو الموت الذى قدرناه على كل نفس ، أو النحر إن كانت مهداة ، أو غير ذلك ، و هذا تعليل للجملة التى قبله ، فان المنافع [1]حاملة لذوى[1] البصائر/ على التفكر[2] فيها لاسيما مع تفاوتها ، و التفكر فيها موصل إلى ٥٥٧/
٥ التقوى بمعرفة أنها من الله ، و أنه قادر على ما يريد ، [و أنه -[3]] لا شريك له .

و لما كانت هذه المنافع دنيوية ، و كانت منفعة نحرها[4] إذا أهديت دينية ، اشار إلى تعظيم الثانى بأداة التراخى فقال : ﴿ ثم محلها ﴾ أى وقت حلول نحرها بانتهائكم بها ﴿الى البيت العتيق ﴾ أى إلى فنائه و هو
١٠ الحرم كما قال تعالى "هديا بالغ الكعبة" .

و لما كان التقدير : جعل لكم سبحانه هذه الأشياء مناسك ، عطف عليه قوله : ﴿ و لكل امة ﴾ أى من الأمم[5] السالفة و غيرها ﴿جعلنا﴾ بعظمتنا التى لا يصح أن تخالف ﴿منسكا﴾ أى عبادة أو[6] موضع عبادة أو قربانا ، فانه يكون مصدر نسك - كنصر و كرم - نسكا [و -[3]]
١٥ منسكا ، و يكون بمعنى الموضع الذى يعبد فيه ، و الذى يذبح فيه النسك و هو الهدى ، و قال ابن كثير[7] : ولم يزل ذبح الناسك و إراقة الدماء

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل : حاصلة الذى (٢) فى مد : الفكر .
(٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : نحوها (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الامور (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اى (٧) راجع تفسيره ٣/٢٢١ .

على

على اسم الله مشروعا فى جميع الملل . ثم أتبع هذا الجعل علته بيانا لأنه ليس مقصودا فى نفسه فقال: ﴿ ليذكروا ﴾ [1] و لما كان الدين سهلا سمحا ذا يسر، رضى بالدخول فيه بالظاهر فقال[1]: ﴿ اسم الله ﴾ أى الملك الأعلى وحده، على ذبائحهم و قرابينهم و عباداتهم كلها، لأنه الرازق لهم وحـــده؛ ثم علل الذكر بالنعمة تنبيهـا على التفكر فيها فقـال: ٥
﴿على ما رزقهم﴾ فوجب شكره [به -[2]] عليهم ﴿من بهيمة الانعام﴾.

و لما علم أن الشارع لجميع الشرائع الحقة واحد، و أن علة[3] نصبه لها ذكره وحده، تسبب عنه قوله: ﴿ فالهكم ﴾ أى الذى شرع هذه المناسك كلها . [4]و لما كان الإله ما يحق[5] له الإلهية بما تقرر من أوصافه، لا ما سمى إلها، قال: ﴿ اله ﴾ [6]و وصفه[7] بقوله: ﴿واحد﴾ [أى -[2]] ١٠ و إن اختلفت فروع شرائعه و نسخ بعضها بعضا، [1]و لو اقتصر على " واحد" لربما قال متعنتهم: إن المراد اقتصارنا على واحد مما نعبده[1]. و التفت إلى الخطاب لأنه أصرح [1]و أجدر بالقبول[1] .

و لما ثبت[8] كونه واحدا[9]، وجب اختصاصه بالعبادة، فلذا قال: ﴿فله﴾ أى وحده ﴿اسلموا﴾ أى انقادوا بجميع [10]ظواهركم و بواطنكم[10] ١٥

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: علمه (٤) العبارة من هنا إلى « إلها قال » ساقطة من ظ (٥) من مد، و فى الأصل: تحقق (٦) العبارة من هنا إلى « بقوله » ساقطة من ظ (٧) من مد، و فى الأصل: وصله (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: اثبت (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: واحد (١٠-١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: ظواهرهم و بواطنهم.

في كل ما أمر بـــه أو نهى عنه ناسخا كان أو لا و إن لم تفهموا معناه كغالب مناسك الحج .

و لما أمر بالإسلام من يحتاج إلى ذلك إيجادا أو تكميلا أو إدامة، وكان الإسلام هو سهولة الانقياد من غير كبر و لا شماخة، و كان منشأ الطمأنينـــة[١] و التواضـــع اللذين هما[٢] أنسب شيء لحال[٣] الحاج

٥ المتجرد من المخيط المكشوف الرأس الطالب لوضع أوزاره، و تخفيف آصاره، لستر عواره، أقبل سبحانه و تعالى على الرأس من[٤] المأمورين، الحائز لما يمكن المخلوقين ان يصلوا إليه من رتب الكمال، و خلال الجمال و الجلال، إشارة إلى أنه لا يلحقه أحد في ذلك فقال: ﴿و بشر المخبتين ﴾ أي المتواضعين، المنكسرين /، من الخبت - الارض /٥٥٨

١٠ المنخفضة الصالحة للاستطراق و غيره من المنافع؛ ثم بين علاماتهم فقال: ﴿ الذين اذا ذكر الله ﴾ أي الذي له الجلال و الجمال[٥] ﴿ وجلت ﴾ أي خافت خوفا مزعجا ﴿ قلوبهم ﴾ .

و لما كان في ذكر الحج، و كان ذلك مظنة لكثرة الخلطة الموجبة لكثرة الأنكاد [و -[٦]] لاسيما و قد كان أكثر المخالطين مشركين،

١٥ لأن السورة مكية، قال [عاطفا غير متبيع، إيذانا بالرسوخ في الأوصاف -[٧]] : ﴿ والصبرين ﴾ [٨]الذين صار الصبر عادتهم[٨] ﴿ على مآ اصابهم ﴾

(١) في الأصل بياض ملأناه من ظ و مد (٢) زيد في الأصل : من، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٣) من ظ و مد، و في الأصل : بحال (٤) من ظ و مد، و في الأصل : على (٥) من ظ و مد، و في الأصل : الكمال (٦) زيد من ظ و مد (٧) زيد من مد (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .

[1] كائنا ما كان[1] .

و لما كان ذلك شاغلا عن الصلاة ، قال : ﴿ و المقيمى الصلوٰة [لا] ﴾ أى و إن حصل لهم من المشاق بأفعال الحج و غيره ما عسى أن يحصل ، [و لذلك عبر بالوصف دون الفعل إشارة إلى أنه لايقيمها على الوجه المشروع مع ذلك المشاق و الشواغل إلا الأراسخ فى حبها ، فهم - لما ٥ تمكن من حبها فى قلوبهم و الخوف من الغفلة عنها - كأنهم دائما فى صلاة -[2]] .

و لما كان ما يحصل فيه من زيادة النفقة ربما كان مقعدا عنه ، رغب فيه بقوله : ﴿ و مما رزقنٰهم ﴾ فهم[3] لكونه نعمة منا لا يبخلون به ، و لأجل عظمتنا يحسنون ظن الخلف ﴿ ينفقون ۝ ﴾ أى يجددون بذله ١٠ على الاستمرار ، بالهدايا التى يغالون فى أثمانها و غير ذلك ، إحسانا إلى خلق الله ، امتثالا لأمره كالخبت[4] الباذل لما يودعه تعالى فيه من الماء و المرعى .

و لما قدم سبحانه الحث على التقرب بالأنعام كلها ، و كانت الإبل أعظمها خلقا ، و أجلها فى أنفسهم أمرا ، خصها بالذكر فى سياق تكون ١٥ فيه مذكورة مرتين [5] معبرا بالاسم الدال على عظمها ، أو أنه خصها لأنه خص العرب بها دون الأمم الماضية [5] ، فقال عاطفا على قوله " [6] جعلنا منسكا " ، أو يكون[6] التقدير - و الله أعلم : فأشركناكم مع الأمم الماضية

(١ - ١) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على « و الصٰبرين » و الترتيب من مد ، و سقط من ظ (٢) زيد من مد (٣) سقط من مد (٤) من مد ، و فى الأصل وظ : كالجب (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من مد (٦-٦) فى ظ : منسكا فكان .

فى البقر و الغنم ﴿و البدن﴾ أى الإبل [أى المعروفة بعظم الأبدان -[1]]
﴿جعلنها﴾ أى بعظمتنا، و زاد فى التذكير بالعظمة بذكر الاسم العلم
فقال: ﴿لكم من شعآئر الله﴾ أى أعلام دين الملك الأعظم و مناسكه
التى شرعها لكم و شرع فيها الإشعار، و هو أن يطعن بحديدة فى
٥ سنامها، تميزا لما يكون منها هديا عن غيره.

و لما نبه[2] على ما فيها من النفع الديني، نبه على ما هو أعم
منه فقال: ﴿لكم فيها خير ق﴾ بالتسخير الذى هو من منافع الدنيا،
و التقريب الذى هو من منافع الآخرة؛ روى الترمذى[3] و حسنه و ابن
ماجه[4] عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: ما
١٠ عمل ابن آدم يوم النحر عملا أحب إلى الله من هراقة الدم، و أنه
ليؤتى يوم القيامة بقرونها و أظلافها و أشعارها، و أن الدم ليقع من الله
بمكان قبل أن يقع من[5] الأرض فطيبوا[6] بها نفسا. وللدارقطنى[7] فى السنن
عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:
ما أنفقت الورق[8] فى شيء أفضل من نحيرة فى يوم عيد.

١٥ و لما ذكر ما فيها، سبب عنه الشكر فقال: ﴿فاذكروا اسم الله﴾
أى الذى لا سمى له ﴿عليها﴾ أى على ذبحها بالتكبير، حال كونها

---

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: كان (٣) ١ / ١٩١.
(٤) ٢٢٣ (٥) فى مد: الى، و ساقط من سنن ابن ماجه (٦) من ظ و مد
و الجامع و السنن. و فى الأصل: و طيبوا (٧) و الحديث أورده ابن كثير عن
الدارقطنى فى تفسيره ٣/٢٢٢ (٨) من ظ و مد و التفسير، و فى الأصل: الرزق.
صوآف

﴿صوآف ج﴾ قياما معقلة[1] الأيدي اليسرى، [فلولا تعظيمه بامتثال شرائعه، ما شرع لكم ذبحها و سلطكم عليها مع أنها أعظم منكم جرما و أقوى -[2]] ﴿فاذا وجبت جنوبها﴾ أي سقطت سقوطا بردت به بزوال أرواحها فلا حركة لها أصلا، قال ابن كثير[3]: و قد جاء في حديث مرفوع «و لا تعجلوا النفوس أن تزهق» و قد رواه الثوري في جامعه عن أيوب ٥ عن يحيى بن أبي كثير عن فرافصة /الحنفي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٥٥٩ / أنه قال ذلك.

و لما كان ربما ظن أنه يحرم الأكل منها للأمر بتقريبها لله تعالى، قال نافيا لذلك: ﴿فكلوا منها﴾ إذا كانت تطوعا إن شئتم الأكل، فان ذلك لا يخرجها عن كونها قربانا ﴿و اطعموا القانع﴾ أي ١٠ المتعرض للسؤال بخضوع و انكسار ﴿و المعتر﴾ أي السائل، و قيل: بالعكس، و هو قول الشافعي رحمه الله، [قال -[2]] في كتاب اختلاف الحديث: و القانع هو السائل، و المعتر هو الزائر و المار، قال الرازي في اللوامع: و أصله في اللغة أن القاف و النون و العين تدل على الإقبال على الشيء، ثم تختلف معانيه مع اتفاق القياس. فالقانع: السائل، لإقباله ١٥ على من يسأله، و القانع: الراضي الذي لا يسأل. كأنه مقبل على الشيء الذي هو راض به.

و لما كان تسخيرها لمثل هذا القتل على هذه الكيفية مع قوتها

---

(١) من ظ و مد، و في الأصل: معلقة (٢) زيد من ظ و مد (٣) في تفسيره ٣/٢٢٢.

و كبرها أمرا باهرا للعقل عند التأمل ، نبه عليه بالتحريك للسؤال عما هو أعظم منه فقال: ﴿ كذلك ﴾ أي مثل هذا التسخير العظيم المقدار ﴿ سخرنها ﴾ بعظمتنا التي لولاها ما كان ذلك ﴿ لكم ﴾ وذللناها ليلا و نهارا مع عظمها[1] و قوتها ، و لو شئنا جعلناها وحشية ﴿ لعلكم تشكرون ۝ ﴾ أي لتتأملوا ذلك فتعرفوا أنه ما قادها لكم إلا الله فيكون [حالكم -[2]] حال من يرجى شكره ، فتوقعوا الشكر بأن لا تحرموا منها إلا ما حرم ، و لا تحلوا إلا ما أحل ، و تشهدوا منها ما حث[3] على إهدائه ، و تتصرفوا فيها بحسب ما أمركم .

و لما حث على التقرب بها مذكورا اسمه عليها ، و كان ذلك من مكارم الأخلاق ، و كان أكثرهم يفعله[4] ، و كانوا ينضحون البيت و نحوه بدماء قرابينهم ، و يشرحون اللحم ، و يضعونه حوله ، زاعمين أن ذلك قربة ، و قد كان بعض ذلك شرعا قديما ، نبه سبحانه على نسخ ذلك بأن نبه على أن المقصود منه روحه لا صورته فقال[5] : ﴿ لن ينال ﴾ أي يصيب[6] و يبلغ و يدرك .

و لما كان السياق للحث على التقريب له سبحانه ، كان تقديم[7] اسمه على الفاعل أنسب للاسراع[8] بنفي ما قد يتوهم من لحاق نفع أو ضر ،

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : عظمتها (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : حدث (٤) في ظ : يفعل ذلك (٥) سقط من ظ . (٦) العبارة من هنا إلى « بكل اعتبار » ساقطة من ظ (٧) من مد ، و في الأصل : يقدم (٨) من مد ، و في الأصل : الاسراع .

فقال معبرا بالاسم العلم الذى حمى عن الشركة بكل اعتبار : ﴿ الله ﴾ أى رضا الملك الذى له صفات الكمال فلا يلحقه نفع و لا ضر ﴿ لحومها ﴾ المأكولة ﴿ و لا دماؤها ﴾ المهراقة ﴿ و لكن يناله التقوى ﴾ [أى عمل القلب و هى الصفة المقصود بها أن تقى صاحبها سخط الله ، و هى التى استولت على قلبه حتى حملته على امتثال الأوامر التى هى نهايات لذلك -[1]] ، ٥ الكائنة ﴿ منكم[4] ﴾ الحاملة على التقرب التى بها يكون له روح القبول ، المحصلة للمأمول ؛ قال الرازى فى اللوامع : و هذا دليل على أن النية الخالصة خير من الأعمال الموظفة - انتهى . فاذا نالته سبحانه النية قبل العمل فتلقى اللقمة «فرباها كما يربى أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل» «و وقع الدم منه بمكان» فالنفى لصورة لا روح لها [و -[2]] الإثبات ١٠ لذات الروح ، [فقد تفيد النية من غير عمل كما قال صلى الله عليه و سلم فى غزوة تبوك ما معناه أن بالمدينة رجالا ما نزلنا منزلا و لا قطعنا واديا إلا كانوا فيه حبسهم العذر ، و لا يفيد العمل بغير نية ، و النية هى التى تفيد الجزاء سرمدا -[1]] - و الله الموفق ؛ ثم كرر التنبيه على عظيم تسخيرها منبها على ما أوجب عليهم به فقال : / ﴿ كذلك ﴾ [أى التسخير ١٥ / ٥٦٠ العظيم -[1]] ﴿ سخرها ﴾ [أى الله الجامع لصفات الكمال -[2]] ﴿ لكم ﴾ بعظمته و غناه عنكم ﴿ لتكبروا ﴾ .

و لما ذكر التكبير ، صوره بالاسم الأعظم فقال : ﴿ الله ﴾ و ضمن التكبير فعل[3] الشكر ، [4]فكان التقدير[4] : شاكرين له ﴿ على ما هدىٰكم[4] ﴾

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : بمعنى (٤-٤) فى ظ : «فقال : على ، أى» .

أى على هدايتكم [له -[١]] و[١] الأمور العظيمة التى هداكم إليها .

[٢]و لما كان الدين لايقوم إلابالنذارة و البشارة ، و كان السياق - لأجل ما تقدم من شعائر الحج ، و معالم العج و الثج - بالبشارة أليق ، ذكرها مشيرا إلى النذارة بواو العطف ليؤذن أن التقدير[٣] : فأنذر[٤] أيها

٥ الداعى المسيئين[٥] : ﴿ و بشر المحسنين ﴾ أى [٦]الذين أوجدوا الإحسان[٦] لأفعالهم صورة و معنى .

و لما ذكر سبحانه الحج المذكر[٧] للهاجرين بأوطانهم[٨] بعد المخاصمة التى أنزلت فى غزوة بدر ، و ذكر ما يفعل فيه من القربات ، عظم اشتياق النفوس إلى ذلك و تذكرت علو المشركين الذين يصدون عن سبيل الله

١٠ و المسجد الحرام و ظهورهم و منعهم لمن أراد هذه الأفعال ، على هذه الأوصاف الخالصة ، و الأحوال الصالحة ، و فتنتهم له ، فأجابها سبحانه عن هذا السؤال بقوله : ﴿ ان الله ﴾ [أى الذى لا كفوء له -[٩]] ﴿ يدفع عن الذين 'امنوا ﴾ [[٩] - لأنهم بدخولهم فى الإيمان لم يكونوا مبالغين فى الخيانة و لا فى الكفر فهو يحبهم ، فكيف بالمحسنين الذين

١٥ ختمت بهم الآية السالفة ، أى فيظهرهم على عدوهم [٦]-هذا فى قراءة ابن كثير -[٦]]

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : او .
(٣ - ٣) موضع ما بين الرقمين فى ظ : و لما كان التقدير : فاشكروا الله على ما أنعم عليكم وهداكم أو (٤) زيد فى الأصل : به ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها .
(٥) زيد فى ظ : عطف عليه قوله (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : المذكور (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : اوطانهم .
(٩) زيد من ظ و مد .

و أبى

[١و أبى عمرو و يعقوب بغير ألف، و فى قراءة الباقين مبالغة باخراج الفعل على المغالبة١، فكأنه قال: بشرهم بأن الله يدفع عنهم، و لكنه تعالى أظهر الأوصاف ليفهم أنها مناط الأحكام و التعبير، فعبر بالفعل الماضى ترغيبا، أى كل من أوقع هذا الوصف فى الخارج إيقاعا ما دفع عنه؛ ثم علل ذلك بقوله -٢] : ﴿ ان الله ﴾ أى٣ الذى له صفات ٥ الكمال ﴿ لا يحب ﴾ أى لا يكرم كما يفعل المحب ﴿ كل خوان ﴾ فى أمانته، مانع لعباده من بيته الذى هو للناس سواء العاكف فيه و البادى٤ ﴿ كفور٥ ﴾ لنعمته بالتقرب٥ إلى غيره، فهو يفعل مكارم الأخلاق صورة ليس فيها معنى أصلا، لا يصححها بذكر الله وحده، و لا يجملها بالإحسان، و أتى بالصفتين على صيغة المبالغة لأن نقائص الإنسان لا يمكنه٦ أن ١٠ يفعلها خالية عن المبالغة، لأنه يخون نفسه بالعزم أولا، و الفعل ثانيا، و غيره من الخلق ثالثا، وكذا يخون ربه سبحانه [و هكذا فى الكفر و غيره -٢]، و لما كانت الخيانة منبع٧ النقائص، كانت المبالغة فيها أكثر.

و لما كان كأنه [قد -٨] قيل: كيف تكون المدافعة٩ و بمن؟ ١٥

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: ان (٤) من ظ و مد. و فى الأصل: الباد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: بالتقريب (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: لايمكن (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: تتبع (٨) زيد من مد (٩) زيد بعده فى الأصل: و فى المدافعة، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

فقيل : بعباده المؤمنين ، عبر عن ذلك بقوله : ﴿ اذن ﴾ [1] و أشار بقراءة
من بناه للجهول [2] إلى سهولة ذلك عليه سبحانه ﴿ للذين يقتلون ﴾ أى
للذين فيهم قوة المدافعة ، فى المدافعة بالقتال بعد أن كانوا يمنعون منه
بمكة و يؤمرون بالصفح ، ثم ذكر [3] سبب الإذن فقال : ﴿ بانهم ظلموا ﴾
٥ [4] أى وقع ظلم الظالمين لهم [4] بالإخراج من الديار ، و الأذى بغير حق .
و لما كان التقدير : فان الله أراد إظهار دينه بهم [5] ، عطف عليه
قوله [6] : ﴿ و ان الله ﴾ أى الذى هو الملك الأعلى ، و كل شيء فى قبضته ،
و يجوز عطفه [7] على قوله " ان الله يدفـــع " أى باذنه لهم فى القتال
و أنه ﴿ على نصرهم ﴾ و أبلغ فى التأكيد لاستبعاد النصرة [8] إذ ذاك
١٠ بالكفار من الكثرة و القوة ، و للمؤمنين من الضعف و القلة ، فقال :
﴿ لقدير ﴾ ثم وصفهم بما بين مظلوميتهم على وجه يجمعهم و يؤنقهم /٥٦١
بالله فقال : ﴿ الذين اخرجوا من ديارهم ﴾ إلى الشعب و الحبشة و المدينة
﴿ بغير حق ﴾ أوجب ذلك ﴿ الآ ان يقولوا ﴾ أى غير قولهم ، أو إلا قولهم :
﴿ ربنا الله ﴾ المحيط بصفات الكمال / ، الموجب لإقرارهم فى ديارهم ،
١٥ [9] و حبهم و مدحهم [9] و اقتفاء آثارهم ، فهو [10] من باب [11] :

---

(١) العبارة من هنا إلى «عليه سبحانه» ساقطة من ظ (٢) و هم نافع و أبو جعفر و أبو عمرو و يعقوب و عاصم - راجع نثر المرجان ٤/٤٨٢ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : كرر (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) سقط من مد .
(٦) سقط من ظ (٧) زيد فى ظ : على «بانهم ظلموا» (٨) من ظ ومد ، و فى الأصل: بالنصرة (٩-٩) من مد، وفى الأصل وظ : مدحهم وحبهم (١٠) بهامش ظ : أى يجعل للاستثناء مراتب المدح يشبه انهم (١١) قد مر البيت غير مرة .

و لا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

و فى سوق ذلك مساق الاستثناء[1] عند من يجعله منقطعا[1] إشارة إلى أن من أخلص لله، صوب الناس إليه سهام مكرهم، و لم يدعوا فى أذاه شيئا من جهدهم.

و لما ذكر مدافعته، و ذكر أنها بالمؤمنين، بين سرها عموما ليفهم ٥ منها هذا الخاص، و[2] صورها تقريبا لفهمها، فقال عاطفا على ما تقديره: فلو لا إذن الله لهم[3] لاستمر الشرك ظاهرا[3]، و الباطل - باستيلاء الجهلة على مواطن الحجج - قاهرا: ﴿و لو لا دفع الله﴾ أى المحيط بكل شيء علما و قدرة فى كل شريعة، و فى زمن كل نبى أرسله ﴿الناس﴾ أى عموما ﴿بعضهم ببعض﴾ أى بتسليط بعضهم على بعض ﴿لهدمت صوامع﴾ ١٠ و هى معابد صغار مرتفعة للرهبان ﴿و بيع﴾ للنصارى ﴿و صلوت﴾ أى كنائس لليهود ﴿و مسجد﴾ أى للمسلمين، [4] أخرها لتكون بعيدة من الهدم[5] قريبة من الذكر ﴿يذكر فيها اسم الله﴾ أى الملك الذى لاملك غيره، و لعل العدول عن الإضمار إلى الإظهار للاشارة إلى اختلاف ذكره تعالى فى الأماكن المذكورة بالإخلاص و غيره ﴿كثيرا[4]﴾ لأن ١٥ كل فرقة تريد هدم ما للأخرى، بل ربما أراد بعض أهل [6] ملة إخراب[6]

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من مد، و فى الأصل: من، و العبارة من هنا بما فيها الواو ساقطة إلى «قاهرا» فى ظ غير «فقال» (٣-٣) من مد، و فى الأصل: لايتمر الشكر ظاهر (٤) العبارة من هنا إلى «الذكر» ساقطة من ظ (٥) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى مد فحذفناها (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: ماصه اغراب - كذا.

بعض معابد أهل ملته ، فيدفعه الله بمن يريد من عباده ، و إذا تأملت[1] ذلك وجدت فيه من الأسرار . ما يدق عن الأفكار ، فانه تعالى لما أراد بأكثر الناس الفساد[2] ، نصب لهم من الأضداد ، ما يخفف كثيرا من العناد .

٥ و لما كان التقدير : و لكن لم تهدم[3] المذكورات ، لأن الله دفع بعضهم ببعض ، و جعل بعضهم فى نحور[4] بعض ، عطف عليه [5]أو على قوله " اذن "[5] [قوله -[6]] : ﴿و لينصرن الله﴾ أى الملك الأعظم ، [5]و أظهر و لم يضمر تعميما و تعليقا للحكم بالوصف فقال[5] : ﴿من ينصره[6]﴾ كائنا من كان منهم و من غيرهم ، بما يهيئ له من الأسباب ، إجراء له على ١٠ الأمر المعتاد ، و بغير أسباب خرقا للعادة ، كما وقع فى كثير من الفتوحات[7] ، كخوض العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه البحر الملح إلى جواثاه بالبحرين ، و اقتحام[8] سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه الدجلة [5]مع عظمها فى ذلك العام و طموها ، و زيادتها و علوها[5] . و زلزلة أسوار[9] حمص بالتكبير و تهدم كثير[10] من بيوتها ، [على إتقان بنيانها ، و إحكام قواعدها و أركانها -[6]]

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : قامت (٢) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم يهدم (٤) زيد فى الأصل : بعضهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد من مد (٧) راجع لأكثر ما يأتى أواخر الخصائص الكبرى للسيوطى و قدمر بعض ما هنا فيما تقدم (٨) فى ظ : خوض (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : اسوان (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : كثيرا .

نحو

و نحو ذلك؛ ثم علل نصره و إن ضعف المنصور ، بقوله : ﴿ان الله ﴾ أى الذى لا كفوء له ﴿ لقوى ﴾ أى على ما يريد ﴿ عزيز ﴾ لا يقدر أحد على مغالبته ، و من كان ناصره فهو المنصور ، و عدوه المقهور ، و لقد صدق سبحانه فيما وعد به ، فأذل بأنصار دينه- رضى الله عنهم - جبابرة أهل الأرض و ملوكهم ، و من أصدق من الله حديثا . ٥

و لما وصف نفسه سبحانه بما يقتضى تمكين[1] منصوره الذى ينصره ، و صفهم[2] بما يبين أن قتالهم له ، لا لهم ، بعد أن وصفهم بأنهم اوذوا / بالإخراج من الديار الذى يعادل القتل ، فقال : ﴿الذين ﴾ و لما كان /٥٦٢ [وقت -[3]] النصرة مبهما آخره يوم الفصل ، عبر بأداة الشك ليكون ذلك أدل على إخلاص المخلص فى القتال : ﴿ان مكنهم ﴾ بما لنا من ١٠ العظمة ﴿ فى الارض ﴾ باعلائهم على أضدادهم[4] ﴿ اقاموا الصلوٰة ﴾ [أى -[5]] التى هى عماد الدين ، الدالة على المراقبة و الإعراض عن تحصيل الفانى ﴿و اٰتوا الزكٰوة﴾ المؤذنة بالزهد فى الحاصل منه ، المؤذن بعمل النفس للرحيل[6] ﴿و امروا بالمعروف﴾ و هو ما عرفه الشرع و أجازه ﴿و نهوا عن المنكر ﴾ المعرف[7] بأنه لا أنس لهم إلا به سبحانه ، ١٥ و لا خوف لهم إلا منه ، و لا رجاء إلا فيه . و الآية دالة على صحة خلافة الأئمة الأربعة .

---

(١) فى ظ : امكان (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : وصفه (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعدائهم (٥) زيد من مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : للترحيل (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : المعروف .

و لما كان هذا ابتداء الأمر بالجهاد، وكان عقب ما آذى أعداؤه أولياءه، فطال أذاهم لهم، فكان التقدير كما أرشد إليه العطف على غير مذكور، عطفا على "و لولا دفع": فلله بادئة الأمور. عطف عليه قوله: ﴿ و لله ﴾ [أى - [1]] الملك الأعلى المحيط بكل شيء ٥ ﴿ عاقبة الامور ﴾ فتمكينهم كائن لا محالة، لكن ذكره للعاقبة و طيّه للبادئة منبه على أنه تعالى يجعل للسيطان - كما هو المشاهد[2] فى الأغلب - حظا فى البادئة، ليتبين الصادق من الكاذب، و المزلزل من الثابت، و أما العاقبة فهى متمحضة له إلى ان يكون آخر ذلك القيامة التى لا يكون لأحد فيها أمر، حتى أنه لا ينطق أحد إلا باذن خاص. و لما كان فى ١٠ ترغيب هذه الآيات و ترهيبها ما يعطف العاقل، و يقصف الجاهل، طوى حكم العاقل لفهمه مما سبق، و هو: فان يؤمنوا بك مكناهم فى الأرض، و دل عليه بعطف حكم الجاهل على غير مذكور فى سياق يسلى به نبيه صلى الله عليه و سلم و يعزيه، و يؤنسه و يواسيه، فقال: ﴿ و ان يكذبوك ﴾ أى أخذتهم، و إن كانوا أمكن الناس، فقد فعلت بمن قبلهم ذلك، فلا ١٥ يحزنك أمرهم ﴿ فقد كذبت ﴾ و أتى سبحانه بتاء التأنيث تحقيرا للمكذبين فى قدرته، و إن كانوا أشد الناس.

و لما كانت هذه الأمم لعظمهم[3] و تمادى أزمانهم كأنهم[4] قد استغرقوا الزمان كله، لم يأت بالجار فقال: ﴿ قبلهم قوم نوح ﴾ وكانوا

---

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: مشاهد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: بعظهم (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: كانوا.

أطول الناس أعمارا، و أشدهم اقتدارا؛ و لما لم يتعلق فى هذا السياق غرض بالمخالفة فى ترتيبهم، ساقهم على حسب ترتيبهم فى الوجود فقال: ﴿و عاد﴾ أى ذوو[1] الأبدان الشداد ﴿و ثمودۙ﴾ أولو الأبنية الطوال، فى السهول و الجبال ﴿و قوم ابرٰهيم﴾ المتجبرون المتكبرون ﴿و قوم لوطۙ﴾ الأنجاس، بما لم يسبقهم إليه أحد من الناس [﴿و اصحٰب مدين ج﴾ ٥ أرباب الأموال، المجموعة من خزائن الضلال -[2]] .

و لما كان موسى عليه السلام قد أتى من الآيات المرئية ثم المسموعة بما لم يأت بمثله[3] أحد ممن تقدمه، فكان تكذيبه فى غاية من البعد، غير سبحانه الأسلوب تنبيها على ذلك، و على أن الذين أطبقوا على تكذيبه القبط، و أما قومه فما كذبه منهم إلا ناس/ يسير، فقال: ﴿و كذب موسى﴾ ١٠ / ٥٦٣ و فى ذلك أيضا تعظيم للتأسية و تفخيم للتسلية ﴿ فامليت للكٰفرين﴾ أى[4] فتعقب عن تكذيبهم أنى[4] أمهلتهم بتأخير عقوبتهم إلى الوقت الذى ضربته لهم، و عبر عن طول الإملاء بأداة [5]التراخى لزيادة[5] التأسية فقال: ﴿ثم اخذتهم ع﴾ و نبه سبحانه و تعالى على أنه كان فى أخذهم عبر و عجائب، و أهوال و غرائب، بالاستفهام [فى -[2]] قوله: ١٥ ﴿فكيف كان نكير ﴾ أى إنكارى لأفعالهم، فليحذر هؤلاء الذين أتيتهم بأعظم ما أتى به رسول قومه مثل ذلك.

و لما كانت هذه الأمم السبعة أكثر أهل الأرض، بل كانت أمة

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: ذو (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ: به.
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥-٥) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط.

منهم أهل الأرض - كما مضى [بيانه - [1]] في الأعراف ، فكيف بمن عداهم ممن كان في أزمانهم و بعدهم ، و أخبر [2] سبحانه و تعالى أن عادته فيهم الإملاء ثم الإهلاك ، تسبب عن ذلك تهويل الإخبار عنهم و تكثيرهم ، فقال تعالى شارحا للأخذ و الإمهال على طريق النشر المشوش :

٥ ﴿فكاين من قرية اهلكنها﴾ كهؤلاء المذكورين و غيرهم ، و في قراءة الجماعة [3] غير أبي عمرو بالنون إظهارا للعظمة [4] ﴿ و هي ﴾ أي و الحال أنها ﴿ ظالمة فهي ﴾ أي [5] فتسبب عن إهلاكها أنها ﴿ خاوية ﴾ أي متهدمة [6] ساقطة أي جدرانها ﴿على عروشها﴾ أي سقوفها ، بأن تقصفت الأخشاب ولا من كثرة الأمطار ، و غير ذلك من الأسرار ، فسقطت

١٠ ثم سقطت عليها الجدران . أو [7] المعنى : خالية ، قد ذهبت أرواحها بذهاب سكانها على بقاء سقوفها ، ليست محتاجة إلى غير السكان ﴿و﴾ كم من ﴿بئر معطلة﴾ من أهلها مع بقاء بنائها [8] ، و فوران مائها ﴿و قصر مشيد ﴾ أي عال متقن [بجصص - [9]] لأنه لا يشيد - اي يجصص - إلا الذي يقصد رفعه ، فخلت القصور من أربابها ، و أقفرت موحشة من جميع

١٥ أصحابها ، بعد كثرة التضام في نواديها [10] ، و عطلت الآبار من ورّادها [11]

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : اخر (٣) راجع نثر المرجان ٤/٤٨٨ (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : العظمة (٥) سقط من مد . (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : مهتدمة (٧) من ظ ، و في الأصل و مد « و » (٨) في ظ : بنيانها (٩) زيد من مد (١٠) من ظ و مد ، و في الأصل : بوادتها (١١) من ظ و مد ، و في الأصل : واردها .

بعد

بعد الازدحام بين رائحها و غاديهـا ، دانية و نائية ، حاضرة و بادية ؛
و لما كان خراب المشيد يوهي من أركانه ، و يخلق من جدرانه ، لم يحسن
التشديد في وصف القصر ، كما حسن في وصف البئر .

و لما كان هـذا واعظـا لمن له استبصار ، و عاطفا له إلى العزيز
الغفار ، تسبب عنه الإنكار عليهم في عدم الاعتبار ، فعد أسفارهم - التي ٥
كانوا يرون فيها هذه القرى على الوجه الذي أخبر به سبحانه لما كانت
على غير ذلك الوجه - عدما ، فقال تعالى: ﴿افلم يسيروا في الارض﴾
أي و هم بصراء ينظرون بأعينهم ما يمرون عليه ، من الآيات المرئية من
القرى الظالمة المهلكة و غيرها ، و قرينة الحث على السير دل على البصر .

و لما كان الجواب منصوبا ، علم أنه منفي لأنه مسبب عن همزة ١٠
الإنكار التي معناها النفي ، و قـد دخلت على نفي السير [فنفته -[1]] ،
فأثبتت السير عريا عما أفاده الجواب ، و هو قوله: ﴿ فتكون ﴾
أي فيتسبب /عن سيرهم أن تكون ﴿لهم قلوب﴾ واعية ﴿يعقلون بهآ﴾ /٥٦٤
ما رأوه بأبصارهم في الآيات المرئيات من الدلالة على وحدانية الله تعالى
و قدرته على الإحياء و الإماتة متى[2] أراد [فيعتبروا به -[1]] ، فانتفاء القلوب ١٥
الموصوفة متوقف على نفي[3] السير الذي هو إثبات السير ، و كذا الكلام
في الآذان من[4] قوله : ﴿او﴾ أي أو تكون[5] لهم إن كانوا عمي الأبصار

(١) زيد من ظ و مد (٢) في الأصل بياض ملأناه من ظ و مد (٣) من ظ
و مد ، و في الأصل : انتفاء (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : في (٥) من ظ
و مد ، و في الأصل : يكون .

كما دل عليه جعل هذا قسيما ﴿ [1]اذان يسمعون بها[2] ﴾ الآيات المسموعة المترجمة[1] عن تلك القرى و غيرها [2]سواء ساروا أو لم يسيروا[2]، إن كانت بصائرهم غير نافذة الفهم بمجرد الرؤية فيتدبروها بقلوبهم، فانه لايضرهم فقد الأبصار عند وجود البصائر.

٥ و لما كان الضار للانسان إنما هو عمى البصائر دون الأبصار، نفى العمى أصلا عن الأبصار لعدم ضرره مع إنارة[3] البصائر، [و خصه بالبصائر -[4]] لوجود الضرر به و لو وجدت الأبصار، مسببا عما مضى مع ما أرشد إليه من التقدير، فقال: ﴿ فانها لا تعمى الابصار ﴾ أى لعدم الضرر بعماها [5]المستنير البصيرة[5] ﴿و لـكن تعمى القلوب﴾ و أكد

١٠ المعنى بقوله: ﴿ التى فى الصدور ﴾ لوجود الضرر بعماها [المبطل لمنفعة صاحبها -[6]] و إن كان البصر[7] موجودا، فاحتيج فى تصوير عماها إلى زيادة تعيين لما تعورف [من -[4]] أن العمى إنما هو للبصر، إعلاما بأن القلوب ما ذكرت غلطا، بل عمدا، تنبيها على أن عمى البصر عدم بالنسبة إلى عماها، [والمراد بالقلب لطيفة ربانية روحانية مودعة فى اللحم الصنوبرى

١٥ المودع فى الجانب الأيسر من الصدر، لديه تعلق... عقول الأكثر فى أنه يضاهى تعلق العرض بالجسم، أو الصفة بالموصوف، أو المتمكن بمكان

(١) بياض فى الأصل ملأناه من ظ و مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل وظ: افادة (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) من ظ و مد، و فى الأصل: وان كان البصر موجودا (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: الضرر.

و هذه اللطيفة على حقيقة الإنسان سميت قلبا للجاورة و التعلق، و هي كالفارس و البدن كله كالفرس، و عمى الفارس أضر على الفارس من عمى الفرس، بل لا نسبة لاحد الضررين بالآخر، فلذلك نفى عمى الأبصار أصلا و رأسا، فلا شيء ضرره بالنسبة إلى عمى البصائر - [١] .

٥ و لما قدم سبحانه أن الضال المضل له خزى فى الدنيا، و قدم أنه يدفع عن الذين آمنوا و ينصرهم، و ساق الدليل الشهودى على ذلك لمن كان جامد الفهم، مقيدا بالوهم، بالقرى الظالمة التى أنجز هلاكها، و ختم بانكار عماهم عن ظاهر الآيات البينات، قال عاطفا على "و من الناس من يجادل[٢]" معجبا منهم و موضحا لعماهم : ﴿ و يستعجلونك ﴾ و يجوز ١٠ - و هو أحسن - أن تكون هذه الجملة حالا من فاعل " يسيروا " فيكون مما[٣] أنكر عليهم ﴿ بالعذاب ﴾ الذى[٤] تتوعدهم به تكذيبا و استهزاء، ﴿ و ﴾ الحال أنه ﴿ لن يخلف الله ﴾ الذى لا كفوء له ﴿ وعده[٤] ﴾ [فلا بد من وقوعه -[٥]] لكن الطويل عندهم من الزمن قصير عنده[٦]، و قد ينجز الوعد و قد يؤخره بعد الوعيد إلى حين يوم [٧]أو أقل أو أكثر[٧]، ١٥ لأن قضاءه سبق أنه لايكون إلا فيه [٨]لحكم يظهرها لمن يشاء من عباده[٨] ﴿ و ان يوما ﴾ أى واحدا ﴿ عند ربك ﴾ أى المحسن إليك بتاخير

(١) زيد ما بين الحاجزين من مد (٢) زيد فى الأصل بعده : فى، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) زيد فى الأصل بعده : كما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : التى (٥) زيد من ظ و مد (٦) فى مد : عندهم (٧-٧) بياض فى الأصل ملأناه من ظ و مد (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .

العذاب عنهم إكراما لك ﴿ كالف سنة ﴾ [و لما كان المقصود هنا التطويل . فعبر بالسنة تنبيها عليه -[1]] ؛ [2]و لما كانت السنون [قد -[1]] تختلف قال : ﴿ مما تعدون ﴾ لأن أيامكم تناسب أوهامكم، و أزمانكم تناسب شأنكم، و هو حليم لايستطيل الزمان، و قادر لايخاف الفوت .

٥ و لما دل على نصر أوليائه ، و قسر أعدائه ، بشهادة تلك القرى ، و ختم بالتعجيب من استعجالهم ، مع ما شاهدوا من إهلاك أمثالهم ، و أعلمهم ما هو عليه من الأناة ، و اتساع العظمة ، و كبر المقدار ، عطف على " فكاين " محذرا من نكاله ، بعد طويل[3] إمهاله ، قوله : ﴿ و كاين / من قرية ﴾ [أى -[4]] من أهلها ﴿ امليت لها ﴾ أى أمهلتها /٥٦٥

١٠ كما أمهلتكم ﴿ و هى ظالمة ﴾ كظلمكم بالاستعجال و غيره ﴿ ثم اخذتها ج ﴾ أى بالعذاب ﴿ و الىّ المصير ع ﴾ بانقطاع كل حكم دون حكمى ، كما كان منى البدء ، فلم يقدر أحد أن يمنع من خلق ما أردت خلقه ، و لا أن يخلق ما لم أرد خلقه . فلا تغتروا بالإمهال ، و إن تمادت الأيام و الليالى ، و احذروا عواقب الوبال ، و إن بلغتم ما أردتم من الآمال ، و لعله

١٥ إنما طوى ذكر البدء ، لأنه احتجب فيه بالأسباب فغلب فيه اسمه الباطن ، و لذلك ضل فى هذه الدار أكثر الخلق وقوفا مع الأسباب .

و لما كان الاستعجال بالأفعال لايطلب من الرسول ، و كان الإخبار باستهزائهم و شدة عمامم ربما أفهم الإذن [5]فى الإعراض[5] عنهم أصلا

---

(١) زيد من مد (٢) العبارة من هنا إلى « تختلف قال » ساقطة من ظ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : طول (٤) زيد من ظ و مد (٥ - ٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالاعراض .

و رأسا. قال سبحانه و تعالى مزيلا لذلك منبها على أن مثله إنما يطلب من المرسل، لا من الرسول: ﴿قل﴾ أي لهم، و لايصدنك عن دعائهم ما أخبرناك به من عمائهم ﴿يـٰأيها الناس﴾ أي جميعا من قومي و غيرهم ﴿انمآ انا لكم نذير﴾ أي و بشير، و إنما طواه لأن المقام للتخويف، و يلزم منه الأمن للمنتهي فتأتي البشارة، [1]و لأن النذارة هي المقصود ٥ الأعظم من الدعوة، لأنه لايقدم عليها إلا المؤيدون بروح من الله[1] ﴿مبين ۝﴾ أي لكل ما ينفعكم لتلزموه، و يضركم فتتركوه، لا إله، أعجل لكم العذاب[2]؛ ثم تسبب عن كونه مبينا [3]العلمُ بأن[3] وصف البشارة مراد و إن طوى، [4]فدل [عليه - [5]] سبحانه بقوله، تفضيلا لأهل البشارة و النذارة: ﴿فالذين امنوا﴾ أي أقروا بالإيمان ﴿و عملوا﴾ أي تصديقا ١٠ لدعواهم ذلك[6] ﴿الصّـٰلحت لهم مغفرة﴾ لما فرط منهم من التقصير [7]لأنه لن[8] يقدر أحد أن يقدر الله حق قدره.

و لما كان هذا أول الإذن في القتال، الموجب لمنابذة الكفار، و مهاجرة الأهل و الأموال و الديار، و كان ذلك - مع كونه في غاية الشدة - موجبا للفقر عادة، قال محققا [له - [9]] و منبها على أنه سبب ١٥ الرزق: ﴿و رزق﴾ أي في الدنيا بالغنائم و غيرها، و الآخرة بما[10]

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من مد، و في الأصل و ظ: بالعذاب.
(٣-٣) في ظ: قوله موضحا لأن (٤) العبارة من هنا إلى « النذارة » ساقطة من ظ (٥) زيد من مد (٦) بين سطري ظ: أي الإيمان (٧) العبارة من هنا إلى « قدره » ساقطة من ظ (٨) من مد، و في الأصل: لا (٩) زيد من ظ و مد.
(١٠) في الأصل بياض، ملأناه من ظ و مد.

لا عين رأت، و لا أذن سمعت، و لا خطر على قلب بشر ﴿ كريم ٥ ﴾ لاخسة[1] فيه و لا دناءة بانقطاع و لا غيره أصلا ما داموا على الاتصاف بذلك، هذا فعل ربهم بهم[2] عكس ما وصف به [3]مدعو الكفار[3] من أن ضره أقرب من نفعه.

٥ و لما كان فى سياق الإنذار، قال معبرا بالماضى زيادة فى التخويف: ﴿ و الذين سعوا ﴾ أى أوقعوا السعى و لو مرة واحدة بشبهة من الشبه و نحوها ﴿ فى ءايتنا ﴾ [أى - [4]] التى نصبناها للدلالة علينا مرئية أو مسموعة ﴿ معجزين ﴾ أى مبالغين فى فعل ما يلزم - فى زعمهم - منه عجزنا، و معجزين، أى مقدرين أنهم يعجزوننا باخفائهم آياتنا، و إضلال الناس

١٠ و صدهم عنها بالقاء الشبه و الجدال، اتباعا للشيطان المريد، من غير علم و لا هدى و لا كتاب منير [5]كشبه الاتحادية الذين راج أمرهم على كثير من الناس، مع أنه لا شيء أوهى من شبههم و لا أظهر بطلانا، و لذلك /راج أمرها على أهل الغباوة، فان الداعية منهم يقول لمن يغره: هذا /٥٦٦ الظاهر من الكلام لايقول [به - [4]] عاقل، فالمراد به أسرار دقيقة، وراء

١٥ طور العقل، لايوصل إليه[6] إلا بالرياضة و الكشف، و ما درى[7] المغرور أن أبا طالب كان أعقل من هذا الذى ينسب[8] إليه ذلك الكفر الظاهر،

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: خشية (٢) من ظ و مد، و فى الأصل «و» (٣ - ٣) من ظ و مد، و فى الأصل «مد عوا للكفار» (٤) زيد من مد. (٥) العبارة من هنا إلى «ظهور سلطانها» ص ٦٩ س ١٠ ساقطة من ظ. (٦) من مد، و فى الأصل: اليها (٧) من مد، و فى الأصل: ارد (٨) من مد، و فى الأصل: ينسبه.

فان شعره أحسن من شعره، و بديهته أعظم من بديهته، و رؤيته أحكم[1] من رؤيته، و قد رأى من الآيات من النبى صلى الله عليه و سلم ما لامزيد عليه، مع أن له من القرابة ما هو معروف، و من المحبة ما يفوت الحصر، و مع ذلك فقد أصرّ من الضلال ما لا يرضاه حمار لو نطق، على أن هذا المغرور قد لزمه - بتحسين الظن بهؤلاء الكفرة[2] - إساءة الظن بأشرف ٥ الخلق : النبى صلى الله عليه و سلم فى قوله : من رأى منكم[3] منكرا - الحديث الذى فى بعض رواياته : و ليس وراء ذلك - [أى -[4]] الإنكار بالقلب - مثقال حبة من إيمان . و قد أفردت لبيان ضلالهم كتبا لما استطار[5] من شرهم، و مس من ضرهم، منها المطول و المختصر، لا مزيد على بيانها و ظهور سلطانها ﴿ اولٓئك ﴾ [البعداء البغضاء - [4]] ﴿ اصحٰب الجحيم ﴾ أى[6] ١٠ استحقاقا بما سعوا، فان شاء تاب عليهم، و إن شاء كبهم فيها، ليعلموا أنهم [هم -[7]] العاجزون. هذا فى الآخرة، و سيظهر سبحانه فى الدنيا أيضا عجزهم، بكشف شبههم، و مج القلوب النيرة لها، مع ذلهم و انكسارهم، و هوانهم و صغارهم، حتى لايقدروا أن ينطقوا من ذلك[8] [9]ببنت شفة[9]، علما منهم أن مثلها لا يقوله عاقل. ١٥

و لما لاح من ذلك أن الشيطان ألتى للكفار شبها، يعاجزون بها بجدالهم فى دين الله الذى أمر رسوله محمدا صلى الله عليه و سلم باظهاره،

---

(١) من مد، و فى الأصل : اعظم (٢) فى مد : الكفار (٣) سقط من مد، والحديث مشهور (٤) زيد من مد (٥) من مد، و فى الأصل : استطارهم.
(٦) سقط من مد (٧) زيد من ظ و مد (٨) بهامش ظ : أى بكلمة من الشبه.
(٩ - ٩) من ظ و مد، و فى الأصل :نسب سفه.

و تقريره و إشهاره[1] ، عطف عليه تسلية له صلى الله عليه و سلم قوله:
﴿و مآ ارسلنا﴾ أى بعظمتنا ﴿من قبلك﴾ ثم أكد الاستغراق بقوله:
﴿من رسول﴾ أى[2] من ملك أو بشر بشريعة جديدة يدعو إليها
﴿و لا نبى﴾ [سواه كان رسولا أو لا -[3]] ، مقرر[4] بالحفظ لشريعة
٥ سابقة - كذا قال البيضاوى[5] و غيره [فى الرسول -[3]] و هو منقوض[6]
بأنبياء بنى إسراءيل الذين بين موسى و عيسى عليهم الصلاة و السلام ،
فان الله تعالى سماهم رسلا فى غير آية منها " و لقد اٰتينا موسى الكتب
و قفينا من بعده بالرسل" فالصواب أن يقال: النبى إنسان أوحى إليه
بشرع جديد أو مقرر ، فان أمر بالتبليغ فرسول أيضا ، و التقييد بشرع
١٠ لإخراج مريم و غيرها من الأولياء ﴿الآ اذا تمنىٓ﴾ أى تلا على الناس
ما أمره الله به أو حدثهم به و اشتهى فى نفسه أن يقبلوه حرصا منه
على إيمانهم شفقة عليهم ﴿القى الشيطن فىٓ امنيته ج﴾ أى ما تلاه أو[7] حدث
به و اشتهى أن يقبل ، من الشبه و التخيلات ما يتلقفه منه أولياؤه
فيجادلون[8] به أهل الطاعة ليضلوهم " و ان الشيطين ليوحون الى اولئهم
١٥ ليجادلوكم" . "و كذلك جعلنا لكل نبى عدوا / شيطين الانس و الجن / ٥٦٥
يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا" كما يفعل هؤلاء فيما

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اشتهاره ؛ و زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : او (٣) زيد من مد (٤) فى مد : مقررا (٥) راجع تفسيره ٤٤٧ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : مدخول (٧) فى ظ و مد «و» (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيجادلوا .

يغيرون

يغيرون به فى وجه الشريعة أصولا و فروعا من قولهم: إن القرآن شعر و سحر و كهانة ، و قولهم "لو شاء الله ما اشركنا" و قولهم "هؤلاء شفعاؤنا [1]عند الله[1]" و قولهم: إن ما قتله الله بالموت حتف أنفه أولى بالأكل مما ذبح ، و قولهم: نحن أهل الله و سكان حرمه ، لانخرج من الحرم فنقف فى الحج بالمشعر الحرام و يقف الناس بعرفة ، و نحن نطوف ٥ فى ثيابنا و كذا من ولدناه ، و أما غيرنا فلا يطوف إلا عريانا ذكرا كان أو أنثى إلا أن يعطيه أحد منا ما يلبسه ، و نحو ذلك مما يريدون[2] أن يطفأوا به نور الله ، [3]و كذا تأويلات[4] الباطنية و الاتحادية و أنظارهم التى ألحدوا فيها ، يضل بها من يشاء الله ثم يمحوها من أراد من عباده و ما أراد من أمره ﴿ فينسخ ﴾ أى فيتسبب عن إلقائه أنه ينسخ ﴿الله﴾ أى ١٠ المحيط بكل شىء قدرة و علما ﴿ما يلق الشيطن ﴾ فيبطله[5] بايضاح أمره و مج القلوب له .

و لما كان إبطاله سبحانه للشبه إبطالا محكما ، لايتطرق إليه - لعلو رتبة بيانه - شبهة أصلا ، عبر بأداة التراخى فقال : ﴿ ثم يحكم الله ﴾ أى الملك الذى لا كفوء له ﴿ ايٰته ﴾ أى يجعلها جلية فيما أريد منها ، ١٥ و أدل دليل على أن هذا هو المراد - مع الافتتاح بالمعاجزة فى الآيات - الختام بقوله [عطفا على ما تقديره : فالله على ما يشاء قدير - [6]] :

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : يريدو . (٣) العبارة من هنا إلى «من أمره» ساقطة من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل : تاويل (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : يبطله (٦) زيد من مد .

﴿ و الله ﴾ أى الذى له الأمر كله ﴿ عليم ﴾ أى بنفى الشبه ﴿ حكيم ﴾ بإيراد الكلام على وجه لا تؤثر[1] فيه عند[2] من له أدنى بصيرة ، و كذا ما مضى فى السورة و يأتى من ذكر الجدال .

و لما ذكر سبحانه ما حكم به من تمكين الشيطان من هذا الإلقاء ،
٥ ذكر العلة فى ذلك فقال : ﴿ ليجعل ما يلقى الشيطن ﴾ أى فى المتلو أو[3] المحدث به من تلك الشبه فى قلوب أوليائه ﴿ فتنة ﴾ أى اختبارا و امتحانا ﴿ للذين فى قلوبهم مرض ﴾ لسفولها عن حد الإعتدال من[4] اللين حتى صارت مائيته تقبل كل صورة و لا يثبت فيها صورة ، و هم أهل النفاق المتلقفون للشبه الملقون لها ﴿ و القاسية قلوبهم ﴾ عن فهم
١٠ الآيات ، و هم من علت قلوبهم عن ذلك الجدالى[5] أن صارت حجرية ، و هم المصارحون بالعداوة ، فهم فى ريب من أمرهم و جدال للمؤمنين ، [6]قد انتقشت فيها الشبه ، فصارت[7] أبعد شيء عن الزوال . [و لما كان التقدير : فانهم حزب الشيطان ، و أعداء الرحمن ، عطف عليه قوله : و إنهم - هكذا الأصل - [8]] ، و لكنه أظهر تنبيها على وصفهم فقال :
١٥ ﴿ و ان الظلمين ﴾ أى الواضعين لأقوالهم و أفعالهم فى غير مواضعها كفعل من هو فى الظلام ﴿ لفى شقاق ﴾ أى خلاف بكونهم فى شق

---

(١) أى الشبه (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : عنه (٣) فى ظ و مد « و » .
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل: ماه (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الجدال .
(٦) العبارة من هنا إلى « الزوال » ساقطة من ظ (٧) من مد ، و فى الأصل : وصارت (٨) زيد من مد ، و فى ظ : و انهم - فقط .

غير شق حزب الله بمعاجزتهم فى الآيات بتلك الشبه التى تلقوها من الشيطان ، و جادلوا بها أولياء الرحمن ﴿بعيد ﴾ عن الصواب "و لتصغىٰ اليه افئدة الذين لايؤمنون بالأخرة و ليرضوه و ليقترفوا ما هم مقترفون" ﴿و ليعلم الذين اوتوا العلم﴾ باتقان[1] حججه ، و إحكام براهينه ، و ضعف شبه المعاجزين ، و بنى /فعله للجهول تعظيما لثمرته فى حد ذاته لا بالنسبة ٥ / ٥٦٨ إلى معطٍ معين ﴿ انه ﴾ أى الشيء الذى تلوته أو حدثت[2] به ﴿ الحق ﴾ أى الثابت الذى لايمكن زواله ﴿من ربك﴾ أى المحسن إليك بتعليمك إياه ، فان الحق كلما جودل أهله ظهرت حججه[3] ، و أسفرت وجوهه ، و وضحت براهينه ، و غمرت لججه ، كما قال تعالى "يضل بـه كثيرا و يهدى به كثيرا" ﴿فيؤمنوا به﴾ لما ظهر لهم من صحته بما ظهر من ضعف ١٠ تلك الشبه ﴿ فتخبت ﴾ أى تطمئن و تخضع ﴿ له قلوبهم ﴾ و تسكن [به -[4]] قلوبهم ، فان الله جعل فيها السكينة لجعلها زجاجية صلبة صافية رقيقة بين المائية و الحجرية ، نافعة بفهم العلم و حفظه و الهداية به لمن يقبل عنهم من الضالين كما ينفع الخبت بقبول طائفة [منه -[4]] لطائفة من الماء ، و إنبات ما يقدره الله من الـكلاء و غيره و حفظ طائفة أخرى ١٥ لطائفة أخرى منه لشرب الحيوان ﴿ و ان الله ﴾ بجلاله و عظمته لهاديهم ، و لـكنه أظهر تنبيها على سبب العلم فقال : ﴿ لهاد الذين 'امنوآ ﴾ فى

(١) من مد ، و فى الأصل : باتفاق ، و فى ظ : بايقان (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : احدثت (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : حجته (٤) زيد من ظ و مد .

جميع ما يلقيه أولياء الشيطان ﴿الى صراط مستقيم ﴾ يصلون به إلى معرفة بطلانه، فيوصلهم ذلك إلى سعادة الدارين ﴿ولا يزال الذين كفروا﴾ أي وجد منهم الكفر و طبعوا عليه ﴿فى مرية ﴾ أى شك [١]يطلبون السكون إليه[١] ﴿منه﴾ أى من أجل إلقاء الشيطان و ما ألقاه، أو مبتدئ
٥ منه ﴿حتى تاتيهم الساعة﴾ أى الموت أو القيامة ﴿بغتة﴾ أى فجاءة بموتهم حتف الأنف[٢] ﴿او ياتيهم عذاب يوم عقيم ﴾ يقتل[٣] فيه جميع أبنائه منهم و لا يكون لهم فيه شيء مما يترجونه[٤] من نصر أو غيره كما سعوا بجدهم و إلقاء الضلالات فى إعقام الآيات، فاذا انكشف لهم الغطاء بالساعة أو بالعذاب الموصل إلى حد الغرغرة آمنوا دأب البهائم
١٠ التى لا ترى إلا الجزئيات، فلم ينفعهم ذلك لفوات شرطه، و قد زالت بحمد الله عن هذه الآية - بما قررته - الشكوك، و انفضحت مخيلات الشبه، و انقمعت مضلات الفتن، من قصة الغرانيق[٥] و ما شاكلها مما يتعالى[٦] عنه ذلك الجناب الرفيع، و الحمى العظيم المنيع، و لم يصح شيء من ذلك، كما صرح به [١]الحافظ عماد الدين[١] ابن كثير[٧] و غيره[٨]،
١٥ وكيف و قد منع الشيطان من مثاله[٩] صلى الله عليه و سلم فى المنام،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: لانف. (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: نقيل (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: يترجون (٥) راجع رواية سعيد بن جبير فى تفسير ابن كثير ٣/٢٢٩ (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: يتعلى (٧) راجع تفسيره ٣/ ٢٢٩ (٨) مثلا القاضى عياض فى الشفاء (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: امثاله.

كما

كما قال صلى الله عليه و سلم فيما أخرجه الشيخان[١] عن أبي هريرة رضى الله عنه «من رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لايتمثل بي» و قد تولى الله سبحانه حفظ الذكر الحكيم[٢] بحراسة السماوات و غيرها "انا نحن نزلنا الذكر و انا له لحفظون" "الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه و من خلفه رصدا ليعلم ان قد ابلغوا رسلت ربهم". ٥

و لما كانوا من الكثرة [٣]و القوة[٣] بمكان، كان كأنه قيل: كيف يغلبون؟ فقال جوابا عن / ذلك: ﴿الملك يومئذ﴾ أي يوم إذ[٤] يأتيهم ذلك. إما في القيامة أو في الدنيا ﴿لله[٤]﴾ أي المحيط بجميع[٥] صفات الكمال وحده، بتغليب اسمه الظاهر، بأن يجرى أمره فيـه على غير الأسباب التي تعرفونها. ١٠ / ٥٦٩

و لما كان كأنه قيل: ما معنى اختصاصه به و كل الأيام له؟ قيل[٦]: ﴿يحكم بينهم[٤]﴾ أي [بين -[٧]] المؤمنين و الكافرين بالأمر الفيصل، لاحكم فيه ظاهرا و لاباطنا لغيره، كما ترونه الآن، بل يمشي فيه الأمر على أتم قوانين العدل. و لذلك سبب ظهورُ العدل[٨] عنه قوله مفصلا[٩] بادئا. [إظهارا لتفرده بالحكم باكرام من كانوا قاطعين بهوانهم في الدارين ١٥

---

(١) رواه البخاري في عدة المناسبات و مسلم في الرؤيا (٢) في مد: العظيم.
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤) من ظ و مد، و في الأصل: ان
(٥) من ظ ومد، و في الأصل: لجميع (٦) من مد، و في الأصل و ظ: فقيل.
(٧) زيد من ظ (٨) من و ظ مد، و في الأصل: الحكم (٩) سقط من ظ.

مع أن تقديمهم أوفق لمقصود السورة - [1]] : ﴿فالذين ءامنوا و عملوا﴾ أى و صدقوا دعواهم الإيمان بأن عملوا ﴿الصّٰلحٰت﴾ و هى ما أمرهم الله به .

و لما كانت إثابته تعالى لأهل طاعته[2] تفضلا منه ، نبه على ذلك باعراء الخبر عن الفاء السببية بخلاف ما يأتى فى حق الكفار فقال : ﴿فى جنّٰت النعيم ه﴾ فى الدنيا مجازا ، لمآلهم إليهم مع ما يجدونه من لذة المناجاة و استشعار القرب ، و فى الآخرة حقيقة بما رحمهم الله به من توفيقهم للأعمال الصالحة ﴿و الذين كفروا﴾ أى غطوا ما أعطيناهم من المعرفة بالأدلة على وحدانيتنا ﴿و كذبوا بٔايٰتنا﴾ ساعين - بما أعطيناهم من الفهم - فى تعجيزها[3] بالمجادلة بما يوحى إليهم أولياؤهم من الشياطين من الشبه ، و قرن الخبر بالفاء إيذانا بأنه مسبب عن كفرهم فقال : ﴿فاولٰٓئك﴾ أى البعداء عن أسباب الكرم ﴿لهم عذاب مهين ع﴾ بسبب ما سعوا فى إهانة آياتنا مريدين إعزاز أنفسهم بمغالبتها و التكبر عن اتباعها .

و لما كان المشركون يمنعون بهذه الشبه و غيرها كثيرا من الناس الإيمان ، و كانوا لا يتمكنون بها إلا ممن يخالطهم ، رغب سبحانه فى الهجرة فقال : ﴿و الذين هاجروا﴾ أى أوقعوا هجرة ديارهم و أهليهم ﴿فى سبيل الله﴾ أى طريق ذى الجلال و الإكرام التى[4] شرعها ، فكانت[5]

---

(١) ما بين الحاجزين زيد من ظ ومد (٢) من ظ ومد ، و فى الأصل : طاعة .
(٣) من ظ ومد ، و فى الأصل : يعجزها (٤) زيد فى الأصل : جعلها ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : و كانت .

ظرفا لمهاجرتهم، فلم يكن لهم بها غرض آخر. و لما كان أكثر ما يخاف من الهجرة القتل[1] لقصد الأعداء للمهاجر بالمصادمة، عند تحقق المصارمة، قال معبرا بأداة التراخي إشارة إلى طول العمر و علو الرتبة بسبب الهجرة[2]: ﴿ثم قتلوآ﴾ أي بعد الهجرة، و ألحق به مطلق الموت فضلا منه فقال: ﴿او ماتوا﴾ [أي -[3]] من غير قتل ﴿ليرزقنهم الله﴾ ٥ أي الملك الأعلى ﴿رزقا حسنا[4]﴾ من حين تفارق أرواحهم أشباحهم لأنهم أحياء عند ربهم، و ذلك لأنهم أرضوا الله بما انخلعوا منه مما أثلوه طول أعمارهم، [4]و أثله آباؤهم من قبلهم[5]، و أموالهم[6] و أهليهم و ديارهم.

و لما كان التقدير: فان الله فعال لما يريد من إحيائهم و رزقهم و غيره، عطف عليه قوله: ﴿و ان الله﴾ أي الجامع لصفات الكمال بعظمته ١٠ و قدرته على الإحياء كما قدر على الإماتة ﴿لهو خير الرزقين ﴾ يرزق الخلق عامة البر منهم و الفاجر، فكيف بمن هاجر إليه! و يعطي عطاء لا يدخله عد، و لا يحويه حد، و كما دلت الآية على تسوية من مات في سبيل الله برباط أو غيره في الرزق بالشهيد، دلت السنة أيضا / من حديث ٥٧٠ / سلمان و غيره رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال[7]: ١٥ من مات مرابطا أجرى عليه الرزق و أمن الفتانين[8].

و لما كان الرزق لايتم إلا بحسن الدار، و كان ذلك من أفضل

(١) سقط من مد (٢) زيد في الأصل: التي شرعها، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) من ظ و مد، و في الأصل: و هم (٥) من مد، و في الأصل و ظ: قتاهم (٦) بين سطري ظ: عطف على « ما أثلوه » (٧) راجع سنن ابن ماجه كتاب الجهاد باب فضل الرباط في سبيل الله (٨) في ابن ماجه: الفتان.

الرزق، قال دالا على ختام التى قبل: ﴿ ليدخلنهم مدخلا ﴾ أى دخولا و مكان دخول على قراءة نافع [و أبى جعفر بفتح الميم -[1]] ، و إدخالا و مكان إدخال على قراءة الباقين ﴿ يرضونه ﴾ لايبغون بـه بدلا، بما أرضوه به مما خرجوا منه .

٥ و لما كان التقدير : فان الله لشكور حميد ، وكان من المعلوم قطعا أنه لايقدر أحد أن يقدر الله حق قدره و إن اجتهد ، لأن الإنسان محل الخطأ و النسيان ، فلو أوخذ[2] بذلك هلك ، وكان ربما ظن ظان أنه لو علم ما قصروا فيـه لغضب عليهم، عطف على ما قدرته قوله: ﴿ و ان الله ﴾ أى الذى عمت رحمته و تمت عظمته ﴿ لعليم ﴾ [أى -[3]]

١٠ بمقاصدهم و ما عملوا مما يرضيه و غيره ﴿ حليم ﴾ عما[4] قصروا فيه من طاعته ، و ما فرطوا فى جنبه سبحانه .

و لما ختم هذه الآيات - التى فيها الإذن للظلومين فى القتال للظالمين - بصفة الحلم[5] ، فكان ذلك مخيلة لوجوب العفو عن حقوق العباد كما فى شريعة عيسى عليه الصلاة و السلام ، نفى ذلك بقوله إذنا

١٥ للجهارين فيمن أخرجهم من ديارهم أن يخرجوه من دياره و يذيقوه بعض ما توعده[6] الله به من العذاب [المهين -[3]] : ﴿ ذلك ج ﴾ أى الأمر المقرر من صفة الله تعالى [ذلك -[7]] ﴿ و من عاقب ﴾ من العباد بأن

(١) زيد من مد ، و راجع أيضا نثر المرجان ٤/٥٠٠ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل :اخذ (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ : مما (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الحكم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : توعدوه (٧) زيد من مد .

أصاب

أصاب خصمه، لمصية[1] يرجو فيها العاقبة ﴿بمثل ما عوقب﴾ أي عولج علاج من يطلب حسن العاقبة ﴿به﴾ [من أيّ معاقب كان -[2]] فلم يتجاوز إلى ظلم ﴿ثم بغي﴾ أي من أيّ باغ كان ﴿عليه﴾ بالعود إلى خصومته لأخذه[3] حقه.

و لما كان ما يحصل للبغي عليه بالكسر عودا على بدء من الذل ٥ و الهوان مبعدا لأن ينجبر، أكد وعده فقال: ﴿لينصرنه الله[4]﴾ أي الذي لا كفوء له.

و لما قيد ذلك بالمثلية، و كان [ذلك -[4]] أمرا خفيا، لا يكاد يوقف عليه، فكان ربما وقعت المجاوزة خطأ، فظن عدم النصرة لذلك، أفهم تعالى أن المؤاخذة إنما هي بالعمد، بقوله؛ و يجوز أن يكون ١٠ التقدير ندبا إلى العفو بعد ضمان النصرة: [5]إن الله[5] لعزيز حكيم، و من عفا و أصلح فقد تعرض لعفو الله عن تقصيره، و مغفرته لذنوبه، فهو[6] احتباك: ذكر النصرة دليل العزة[7] و الحكمة، و ذكر العفو منه سبحانه دليل[8] حذف العفو من[9] العبد ﴿ان الله﴾ أي الذي أحاط بكل شيء قدرة و علما ﴿لعفو﴾ أي عمن[10] اقتص ممن ظلمه أول مرة ﴿غفور﴾ ١٥ لمن اقتص ممن بغى عليه.

---

(١) من ظ و مد، و في الأصل: بمصيبة (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: باخذه (٤) زيد من ظ ومد (٥-٥) في مد: انه (٦) من ظ و مد، و في الأصل «و» (٧) تكرر في الأصل فقط (٨) زيد في الأصل: على، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٩) من مد، وفي الأصل و ظ: في (١٠) في ظ: لمن.

و لما ختم بهذين الوصفين ، ذكر من الدليل عليهما أمرا جامعا للصالح ، عاما للخلائق ، يكون فيه و به الإحسان بالخلق و الرزق فقال : ﴿ ذٰلك ﴾ أى معرفة اتصافه سبحانه بهذين الوصفين ﴿ بان الله ﴾ المتصف بجميع صفات الكمال[1] ﴿ يولج ﴾ لأجل مصالح العباد المسيء ٥ و المحسن ﴿ اليل فى النهار ﴾ فيمحو ظلامه بضيائه . و لو شاء مؤاخذة الناس / لجعله سرمدا فتعطلت[2] مصالح النهار ﴿ و يولج النهار فى الّيل ﴾ /٥٧١ فينسخ[3] ضياءه بظلامه ، و لولا[4] ذلك لتعطلت مصالح الليل ، أو يطوّل أحدهما حيث يراد استيلاء ما طبع عليه على ضد ما طبع عليه الآخر لما يراد من المصالح التى جعل ذلك لأجلها ﴿ و ان الله ﴾ بجلاله ١٠ و عظمته ﴿ سميع ﴾ لما يمكن أن يسمع ﴿ بصير ه ﴾ أى مبصر عالم لما يمكن أن يبصر دائم الاتصاف بذلك ، فهو غير محتاج إلى سكون الليل ليسمع ، و لا لضياء النهار ليبصر ، لأنه منزه عن الأعراض ، و هو لتمام قدرته و علمه لا يخاف فى عفوه غائلة ، و لا يمكن أن يفوته أمر ، أو يكون التقدير : ذلك النصر و العفو بأنه قادر و بأنه عالم .

١٥ و لما وصف نفسه سبحانه [بما ليس لغيره فبان بذلك نقير ما سواه بفعله -[5]] علله بقوله : ﴿ ذٰلك ﴾ أى الاتصاف بتمام القدرة و شمول العلم ﴿ بان الله ﴾ الحاوى لصفات الكمال ، القادر على إخراج المعدوم

---

(١) فى مد : الكمالات (٢) فى ظ : فتعاطت (٣) زيد فى مد : به (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لو (٥) زيد من ظ و مد .

و تجديد ما فات ، من نشر الأموات و غيره ﴿هو﴾ وحده ﴿الحق﴾ أى الواجب الوجود ﴿و ان ما يدعون﴾ [أى دعاء عبادة و هم لا يسمعون -[1]] .

[2]و لما كان سبحانه فوق كل شيء بقهره و سلطانه ، قال محقرا لهم[2] : ﴿من دونه﴾ [أى -[1]] من هذه الأصنام و غيرها ، [و لم يتقدم هنا ٥ من الدليل على بطلان الأوثان مثل ما ذكره فى لقمان[3] لداعى الحال إلى التأكيد بضمير الفصل فقال -[1]] : ﴿هو الباطل﴾ لأنه ممكن وجوده و عدمه ، فليس له من ذاته إلا العدم كغيره من الممكنات ﴿و ان الله﴾ لكونه هو الحق الذى لا كفوء له [﴿هو﴾ وحده -[1]] ﴿العلى الكبيره﴾ وكل ما سواه سافل حقير ، تحت قهره و أمره ، فهو يحيى الموتى كما ١٠ تقدم أول السورة .

و لما دل ما تضمنه رزقه سبحانه للميت فى سبيله بقتل أو غيره على إحيائه له ، و دل سبحانه على ذلك[4] و على أنه خير الرازقين بما له من العظمة ، و ختم بهذين الوصفين ، أتبعه دليلا آخر على ذلك كله بآية مشاهدة جامعة بين العالم العلوى و السفلى ، قاضية بعلوه و كبره ، فقال : ١٥ ﴿الم تر﴾ أى أيها المخاطب ﴿ان الله﴾ أى المحيط قدرة و علما ﴿انزل من السمآء مآء﴾ بأن يرسل رياحا فتثير سحابا فيمطر على الأرض الملساء .

---

(١) زيد من مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ ، و وقع فى الأصل بعد «الواجب الوجود» س ٢ والترتيب من مد (٣) آية ٣٠ (٤) بين سطرى ظ : أى الإحياء .

و لما كان هذا الاستفهام المتلو بالنفي في معنى الإثبات لرؤية الإنزال لكونه فيه معنى الإنكار، عطف [1]على "انزل[1]" [2]معقبا له[2] [على حسب العادة -[3]] قوله، معبرا بالمضارع تنبيها على عظمة النعمة بطول زمان أثر المطر و تجدد نفعه: ﴿فتصبح الارض﴾ أي بعد أن كانت مسودة[4] يابسة، ٥ ميتة هامدة ﴿مخضرة[4]﴾ حية يانعة، مهتزة نامية، بما فيه رزق العباد، و عمارة البلاد، و لم ينصب على أنه جوابه لئلا يفيد نفي الاخضرار، و ذلك لأن الاستفهام من حيث[5] فيه معنى الإنكار نفي لنفي رؤية الإنزال الذي هو إثبات الرؤية، فيكون ما جعل جوابا له منفيا، لأن الجواب متوقف على ما هو جوابه، فاذا نفي ما عليه التوقف انتفى المتوقف عليه، ١٠ أي إذا نفي الملزوم انتفى اللازم، و إذا[6] نفي السبب انتفى المسبب - كما تقدم في "فتكون لهم قلوب[7]"، فلو نصب "يصبح" على أنه جواب الاستفهام لكان المعنى أن عدم الاخضرار متوقف على نفي النفي للانزال [الذي -[3]] هو إثبات الإنزال، و هو واضح الفساد - أفاده شيخنا الإمام أبو الفضل[8] رحمه الله.

١٥ و لما كان هذا إنتاجا للأشياء[9] من أضدادها. لأن كلا من الماء في

(١ - ١) في ظ: عليه، و زيد بعده في الأصل: عليه، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٢ - ٢) في ظ: مسببا عنه (٣) زيد من مد (٤) سقط من ظ. (٥) زيد في الأصل: هو، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٦) من ظ و مد، و في الأصل: ان (٧) آية ٤٦ (٨) ابن حجر العسقلاني (٩) من ظ و مد، و في الأصل: لك شيئا - كذا.

رقته

رقته و ميوعه / و التراب فى كثافته و جموده فى غاية البعد عن النبات فى ٥٧٢ /
تنوعه و خضرته ، و نموه و بهجته ، قال سبحانه و تعالى منبها على ذلك :
﴿ ان الله ﴾ أى[1] الذى له تمام العز و كمال العلم ﴿ لطيف ﴾ أى يسبب
الأشياء عن أضدادها ﴿خبير ﴾ أى مطلع على السرائر و إن دقت ، فلا
يستبعد عليه إحياء من أراد بعد موته ، و الإحسان فى رزقه . ٥

و لما اقتضى ذلك أنهى التصرف ، لأنه لا بد بعد اختلاط الماء
بالتراب من أمور ينشأ عنها النبات ، على تلك الهيئات الغريبة المختلفة ،
فأوجب ذلك أن يكون هو المالك المطلق . قال : ﴿له ما فى السمٰوٰت﴾
أى التى أنزل منها الماء؛ [2]و لما كان السباق لاثبات البعث و الانفراد بالملك
و الدلالة على ذلك ، اقتضى الحال التأكيد باعادة الموصول فقال[2] : ١٠
﴿و ما فى الارض[4]﴾ [أى -[3]] التى استقر فيها ، و ذلك يقتضى ملك
السماوات و الأرضين ، فان[4] كل واحدة منها[1] فى التى فوقها حتى ينتهى
الأمر إلى عرشه سبحانه الذى لا يجوز أصلا أن يكون لغيره .

و لما كان من المألوف عندنا أن المالك فقير إلى ما فى يده ،
مذموم على إمساكه بالتقتير ، و على بذله بالتبذير ، بين أنه بخلاف ذلك ١٥
فقال : ﴿ و ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة التامة ﴿ لهو ﴾ أى وحده
﴿ الغنى ﴾ أى عنهما و عما فيهما ، ما خلق شيئا منهما أو فيهما لحاجة له
إليه بل لحاجتكم أنتم إليه ﴿ الحميد ﴾ فى كل ما يعطيه أو يمنعه ، لما فى

(١) سقط من مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من مد (٤) فى
ظ و مد : لان .

ذلك من الحكم الخفية و الجلية ؛ ثم استدل على ذلك بقوله تعالى :
﴿ الم تر ﴾ أى أيها المخاطب ﴿ ان الله ﴾ أى الحائز لصفات الكمال،
من الجلال و الجمال ﴿سخر لكم﴾ فضلا منه ﴿ما فى الارض﴾ [كله -[1]]
من مسالكها و فجاجها و ما فيها من حيوان و جماد ، و زروع و ثمار ،
٥ فعلم أنه غير محتاج إلى[2] شيء منه .

و لما كان تسخير السلوك فى البحر من أعجب العجب ، قال :
﴿ و الفلك ﴾ أى و [3]سخرها لكم[3] موسقة بما تريدون من البضائع . ثم
بين تسخيرها بقوله : ﴿ تجرى فى البحر ﴾ أى العجاج ، المتلاطم بالأمواج ،
بريح طيبة على لطف و تؤدة .

١٠ و لما كان الراكب فيها - مع حثيث السير و سرعة[4] المر - مستقرا
كأنه على الأرض ، عظم الشأن فى سيرها بقوله : ﴿ بامره[5] ﴾ و لما
كان إمساكها على وجه الماء مع لطافته عن الغرق أمرا غريبا كامساك
السماء على متن الهواء عن الوقوع ، أتبعه قوله : ﴿ و يمسك السمآء ﴾ ثم
فسر ذلك بقوله مبدلا[5] : ﴿ ان تقع ﴾ أى[6] مع علوها و عظمها و كونها
١٥ بغير عماد ﴿ على الارض ﴾ التى هى تحتها .

و لما اقتضى السياق أنه لا بد أن تقع لانحلاله إلى [7]أن يمنع[7]

---

(١) تأخر فى الأصل عن « ما فيها » و الترتيب من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : التى (٣-٣) فى ظ : سخر الفلك (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : شرعة (٥) سقط من ظ (٦) سقط من مد (٧ - ٧) فى ظ : تمسك ، و فى مد : يمنع - كذا .

وقوعها لأنها[1] جسم كثيف عظيم، ليس له من طبعه إلا[2] السفول، أشار إلى ذلك بقوله: ﴿[3]الا باذنه[3]ط﴾ [أي فيقع إذا أذن في وقوعها حين يريد طي هذا العالم و إيجاد عالم البقاء. و لما كان هذا الجود الأعظم و التدبير المحكم محض كرم من غير حاجة أصلا، أشار إليه بقوله -[4]]: ﴿ان الله﴾ [أي -[4]] الذي له الخلق و الأمر. ٥

[5]و لما كان الجماد كله متاعا[6] للحيوان، اقتضى تقديم قوله: ﴿بالناس﴾ أي على ظلمهم ﴿لرءوف﴾ أي [بما -[4]] يحفظ من سرائرهم عن الزيغ بارسال الرسل، و إنزال الكتب، و نصب المناسك، التي يجمع معظمها البيت الذي بوأه لإبراهيم عليه السلام. و هو التوحيد و الصلاة و الحج الحامل على التقوى التي بنيت عليها السورة[5]، فان الرأفة ١٠ - كما / قال الحرالي: ألطف الرحمة و أبلغها، فالمرؤف به تقيمه عناية الرأفة حتى تحفظ[7] بمسراها في سره ظهورَ ما يستدعي العفو، و تارة يكون هذا الحفظ بالقوة بنصب الأدلة، و تارة يضم إلى ذلك الفعل بخلق الهداية في القلب، [8]و هذا خاص بمن له بالمنعم نوع وصلة[8]. ﴿رحيم ه﴾ بما يثبت لهم عموما[9] من الدرجات على ما منحهم [به -[4]] من ثمرات ١٥ /٥٧٣

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: لانه (٢) زيد في الأصل: به، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٣-٣) تقدم ما بين الرقمين على «أشار» س، و الترتيب من ظ و مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) العبارة من هنا إلى «تقديم قوله» ساقطة من ظ (٦) من مد، و في الأصل: متاع (٧) بين سطرى ظ: أي الرأفة (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) سقط من ظ.

ذلك الحفظ من[1] الأعمال المرضية لما تقدم فى الفاتحة من أن الرحيم خاص [الرحمة -[2]] بما ترضاه الإلهية، [3]و تقدم فى البقرة تحقيق هذا الموضع[3].

و لما بين سبحانه جملا من أمهات الدين، و أتبعها الإعانة لأهله على

٥ المعتدين، و ختم بما بعد الموت للمهاجرين، ترغيبا فى منابذة الكافرين، و عرّف بما له من تمام العلم و شمول القدرة، و مثل ذلك بأنواع من التصرف فى خلق السماوات و الأرضين، و أنهاه[4] بالدلالة على أنه كله لنفع[5] الآدميين نعمة منه، تلا ذلك بما هو أكبر منه نعمة عليهم فقال: ﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿ الذى احياكم ﴾ أى [2]عن الجمادية بعد أن أوجدكم[2]

١٠ من العدم بعد أن لم تكونوا شيئا، منة منه عليكم مستقلة، لزم منها المنة بما تقدم [ذكره من المنافع الدنيوية لتستمر حياتكم أولا، و الدينية -[2]] لتنتفعوا[6] بالبقاء ثانيا ﴿ ثم يميتكم ﴾ ليكون الموت واعظا لأولى البصائر منكم، و زاجرا[7] لهم عما طبعوا عليه من الأخلاق المذمومة ﴿ ثم يحييكم ﴾ للتحلى بفصل القضاء و إظهار العدل فى الجزاء.

١٥ و لما علم أن كل ما فى الوجود من جوهر و عرض نعمة على

---

(١) بيان لذلك الحفظ (٢) زيد من ظ و مد (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: انها (٥) زيد فى الأصل: المسلمين، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: لينتفعوا. (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: زواجرا.

الإنسان حتى الحياة و الموت ، و كان من أجلى الأشياء ، و كانت أفعاله معرضة عن رب هذه النعم بالعبادة لغيره ، أو التقصير فى حقه على عموم فضله و خيره ، ختم الآية سبحانه بقوله : ﴿ان الانسان لكفور ه﴾ أى بليغ الكفر حيث لم يشكر على هذه النعم المحيطة به .

و لما تقدم ذكر المناسك ، وكان لكثرة الكفار قد يقع فى النفس ٥ أن إقامتها معجوز عنها ، و كشف سبحانه غمة [هذا -[1]] السؤال بآية "ان الله يدفع عن الذين 'امنوا" و ما بعدها ، فأنتج ذلك علمنا بتصرفه التام بقدرته الباهرة ، و علمه الشامل المقتضى لإقبال العباد إليه ، و اجتماعهم كلهم عليه ، فمن شك فى قدرته على إظهار دينه بمدافعته عن أهله ، أو نازع فيه فهو كفور ، ذكر باظهار [2] أول هذا الخطاب بآخر ذلك ١٠ الخطاب[3] مؤكدا لما أجاب به عن ذلك السؤال من [4] تمام القدرة و شمول العلم[4] أنه[5] هو الذى مكن لكل قوم ما هم فيه من[6] المناسك التى بها انتظام الحياة ، فان وافقت الأمر الإلـهى كانت سببا للحياة الأبدية ، و إلا كانت سببا للهلاك الدائم ، و هو سبحانه الذى نصب من الشرائع لكل قوم ما يلائمهم ، لأنه بتغيير الزمان بايلاج الليل فى النهار على مر الأيام ، ١٥ و توالى الشهور و الأعوام ، يسبب من الأسباب - لأجل امتحان العباد ، و إظهار ما خبأ فى جبلة كل منهم من طاعة و عصيان ، و شكر و كفران

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : نافلما - كذا .
(٣) سقط من مد (٤ - ٤) فى مد : شمول العلم و تمام القدرة (٥) بين سطرى ظ : مفعول ذكر (٦) زيد فى ظ : تمام .

/٥٧٤ - ما يصير الفعل / مصلحة بما يقتضيه من الأسباب بعد أن كان مفسدة و بالعكس ، لاقتداره على كل شيء و إظهار اقتداره كما قال تعالى عند أول ذكره للنسخ "الم تعلم ان الله على كل شيء قدير" - الآيات ، فعلم أن منازعتهم فيه كفر ، فلذلك أتبع هذا قوله من غير عاطف
٥ لما بينهما من تمام الاتصال : ﴿لكل امة﴾ أي في كل زمان ﴿جعلنا﴾ [1]أي بما لنا من العظمة[1] ﴿منسكا﴾ أي شرعا لاجتماعهم به على خالقهم حيث وافق أمره ، و لاجتماعهم على أهوائهم إذا[2] لم يوافقه ، و عن ابن جرير[3] أن أصل المنسك[4] في كلام العرب هو الموضع الذي يعتاده الإنسان و يتردد إليه إما لخير أو لشر .

١٠ و لما كان بحيث أن ما أراده سبحانه كان لا محالة ، قال : ﴿هم ناسكوه﴾ أي متعبدون به ، لأنا ندافع عنهم من يعاديهم فيه حتى يستقيم لهم أمره ، لإسعادهم به أو إشقائهم ، فمن شك في قدرتنا على تمكينهم[5] منه فهو كفور ، فان وافق الأمر كان ربحا و إيمانا ، و إن خالفه كان كفرا و خسرانا .

١٥ و لما كان قد حكم باظهار دينه على الدين كله ، و بأن الكفار على كثرتهم يغلبون بعد ما هم فيه من البطر ، أعلم بذلك بالتعبير بصيغة الزجر لهم بقوله مسببا[6] عن هذه العظمة : ﴿فلا ينازعنك في الامر﴾

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : اذ .
(٣) راجع جامع البيان ١٧ / ١٢٥ (٤) من ظ و مد و الجامع ، و في الأصل : النسك (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : تمكنتهم (٦) في مد : تسبيبا ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة في ظ إلى « العظمة » .

أى بما يلقيه الشيطان إليهم من الشبه ليجادلوا به، من طعنهم فى دينك بالنسخ بقولهم: لو كان من عند الله لما أمر اليوم بشيء و نهى عنه غدا. لأنه يلزم منه البدء، فليس الأمر كما زعموا، بل هو دال على العلم بالعواقب و الاقتدار التام على شرع المذاهب، و غير ذلك من الشبه كما مضت الإشارة إليه، فلا يلتفت إليهم فى شيء نازعوا فيه كائنا ما ٥ كان، و روى[1] أنها نزلت بسبب جدال الكفار بديل بن ورقاء و بشر ابن سفيان الخزاعيين و غيرهما فى الذبائح، و قولهم للمؤمنين: تأكلون ما ذبحتم[2] و هو من قتلكم، و لا تأكلون ما قتل الله - يعنون[2] الميتة.

و لما كان النهى عن المنازعة فى الحقيقة له صلى الله عليه و سلم إلهابا و تهييجا إلى الإعراض عنهم لأنهم أهل لذلك، لأن[3] كيدهم فى ١٠ تضليل، و الإقبال على شأنه، و كان التعبير بما تقدم من تحويله إليهم لتأكيد الأمر مع دلالته على إجلاله صلى الله عليه و سلم عن المواجهة بالنهى[4]، عطف عليه قوله: ﴿و ادع﴾ [5]أى أوقع الدعوة لجميع الخلق[5] ﴿الى ربك﴾ [أى - [6]] المحسن إليك بارسالك، بالحمل [لهم - [6]] على كل ما أمرك به [7]متى ما[7] أمرك، و لا يهولنك قولهم، فانهم مغلوبون ١٥ لامحالة، و لا تتأمل عاقبة من العواقب، بل أقدم على الأمر و إن ظن

(١) راجع البحر المحيط ٦/٣٨٧ (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: يعنوان. (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: بان (٤) سقط من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد من مد (٧ - ٧) من ظ و مد، و فى الأصل: متى.

أن فيه الهلاك ، فانه ليس عليك إلا ذلك ، و أما نظم[1] الأمور على نهج
السداد فى إظهار الدين ، و قهر المعاندين ، فالى الذى أمرك بتلك الأوامر ،
وأحكم[2] الشأن فى جميع الزواجر ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ انك ﴾
٥٧٥/ مؤكدا له بحسب ما / عندهم من الإنكار ﴿لعلى هدى مستقيم ه﴾ فانه تأصيل
٥ العليم القدير و إن طرقه التغيير .

و لما أمره بالإقبال على ما يهمه ، و الإعراض عن منازعتهم ،
فى صيغة نهيهم عن منازعته ، علمه الجواب إن ارتكبوا منهيه بعد
الاجتهاد فى دفعهم ، لما لهم من اللجاج و العتو ، فقال : ﴿و ان جدلوك﴾
أى فى شىء من دينك بشىء مما تقدم من أقوالهم السفسافة أو بغيره
١٠ ﴿فقل﴾ معرضا عن عيب دينهم الذى لا أبين فسادا منه : ﴿الله﴾ أى
الملك المحيط بالعز و العلم ﴿اعلم بما تعملون ه﴾ مهددا لهم بذلك ، مذكرا
لنفسك بقدرة[3] ربك ، قاطعا بذلك المنازعة من حيث رقب ، متوكلا
على الذى أمرك بذلك فى حسن تدبيرك و المدافعة عنك و مجازاتهم
بما سبق علمه بـه مما يستحقونه ؛ قال الرازى فى اللوامع : و ينبغى أن
١٥ يتأدب[4] بهذا كل أحد ، فان أهل الجدل قوم جاوزوا حـد العوام
بتحذلقهم ، و لم يبلغوا درجة الخواص الذين عرفوا الأشياء على ما هى
عليه ، فالعوام منقادون للشريعة . و الخواص يعرفون أسرارها و حقائقها ،
وأهل الجدل قوم فى قلوبهم اضطراب و انزعاج .

(١) من ظ و مد . و فى الأصل : تعلم (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : حكم .
(٣) من ظ ومد ، و فى الأصل : قدره (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : يتاب .

و لما

و لما أمره بالإعراض عنهم ، وكان ذلك شديدا على النفس لتشوفها إلى النصرة ، رجاه [1]في ذلك بقوله[1] ، مستأنفا[2] [مبدلا من مقول الجزاء -[3]] تحذيرا لهم : ﴿ الله ﴾ أى الذى لا كفوء له ﴿يحكم بينكم﴾ أى بينك مع أتباعك و بينهم ﴿يوم القيمة﴾ الذى هو يوم التغابن ﴿فيما كنتم ﴾ [4]أى بما [هو -[5]] لكم كالجبلة[6] ﴿فيه﴾ [7]أى خاصة[7] ﴿تختلفون ﴾ فى أمر ٥ الدين ، و من نصر ذلك اليوم لم يبال بما حل به قبله "و سيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون" قال البغوى[8] : و الاختلاف ذهاب كل واحد من الخصمين إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر .

و لما كان حفظ ما يقع بينهم[9] على كثرتهم فى طول الازمان أمرا هائلا ، أتبعه قوله : ﴿الم تعلم ان الله﴾ بجلال عزه و عظيم سلطانه ١٠ ﴿ يعلم ما فى[10] ﴾ و لما كان السياق لحفظ أحوال الثقلين للحكم بينهم ، [و -[11]] كان أكثر ما يتخيل أن بعض الجن يبلغ استراق السمع من السماء الدنيا ، لم تدع حاجة إلى ذكر أكثر منها ، فأفرد معبرا بما يشمل - لكونه جنسا - الكثير أيضا فقال : ﴿ السمآء و الارض ﴾ مما يتفق[12]

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بذلك فى قوله (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) العبارة من هنا إلى « كالجبلة » ساقطة من ظ (٥) زيد من مد (٦) من مد ، و فى الأصل : فى الجبلة (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٤/٢٢ (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : منهم . (١٠) تأخر فى الأصل و ظ عن « أيضا فقال » س ١٤ و الترتيب من مد . (١١) زيد من ظ و مد (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تنفق .

منهم و من غيرهم من جميع الخلائق الحيوانات و غيرها .

و لما كان الإنسان محل النسيان، لايحفظ الأمور إلا بالكتاب، خاطبه بما يعرف، مع ما فيه من عجيب القدرة، فقال: ﴿ان ذلك﴾ [١]أى الأمر العظيم[١] ﴿فى كتٰب﴾ كتب فيه كل شيء حكم بوقوعه
٥ قبل وقوعه و كتب جزاءه؛ و لما كان جمع ذلك فى كتاب أمرا بالنسبة إلى الإنسان متعذرا، أتبعه التعريف بسهولته عنده فقال: ﴿ان ذلك﴾ أى [٢]علم ذلك الأمر العظيم[٢] بلا كتاب، و جمعه فى كتاب قبل كونه و بعده ﴿على الله﴾ أى الذى لا [حد -[٣]] لعظمته، وحده ﴿يسير ﴾.

و لما أخبر سبحانه أن الشك لايزال ظرفا لهم - لما يلقى الشيطان
١٠ من شبهه فى قلوبهم القابلة[٤] لذلك بمالها من المرض و ما فيها من الفساد - إلى إتيان الساعة، و عقب ذلك بما ذكر من الحكم المفصلة، و الأحكام المشرفة المفضلة، إلى أن ختم بأنه وحده الحكم فى الساعة، مرهبا من تمام علمه / و شمول قدرته، قال معجبا ممن[٥] لاينفعه الموعظة و لايجوّز الواجب و هو يوجب المحال، عاطفا على "و لا يزال": ﴿و يعبدون﴾
١٥ [١]أى على سبيل التجديد و الاستمرار[١] ﴿من دون الله﴾ [١]أى من أدنى رتبة من رتب[١] الذى قامت جميع الدلائل على احتوائه على جميع صفات الكمال، و تنزهه عن شوائب النقص ﴿ما لم ينزل به سلطٰنا﴾

/٥٧٦

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢-٢) فى ظ: علمه (٣) زيد من ظ و مد. (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: المقابلة (٥) من ظ، و فى الأصل و مد: مما.

أى حجة واحدة من الحجج.

و لما كان قد يتوهم أن عدم إنزال السلطان لاينفيه، قال مزيلا لهذا الوهم: ﴿و ما ليس لهم به علمٌ﴾ أى أصلا ﴿و ما﴾ أى و الحال أنهم ما لهم، و لكنه أظهر إشارة إلى الوصف الذى استحقوا به الهلاك فقال: ﴿للظلمين﴾ أى الذين وضعوا التعبد فى غير موضعه بارتكابهم ٥ لهذا الأمر العظيم الخطر؛ و أكد النفى [و استغرق المنفى - ١] باثبات الجار فقال: ﴿من نصيرٍ ه﴾ [أى - ١] ينصرهم من الله، لا مما أشركوه به و لا من غيره، لا فى مدافعة عنهم و لا فى إثبات حجة لمذاهبهم، فنفى أن يكون أحد يمكنه أن يأتى بنصرة تبلغ القصد بأن [يغلب - ٢] المنصور عليه، و أما مطلق نصر لا يفيد بما تقدم من شبه [الشيطان - ٢] فلا. ١٠

و لما ذكر اعترافهم بما لايعرف [بنقل و لاعقل - ٢]، ذكر إنكارهم لما لايصح أن ينكر فقال: ﴿و اذا تتلىٰ﴾ أى على سبيل التجديد و المتابعة من أىّ تالٍ كان ﴿عليهم ءايتنا﴾ أى المسموعة على ما لها من العظمة و العلو[٣]، حال كونها ﴿بينٰت﴾ لا خفاء بها عند من له بصيرة فى شىء مما دعت إليه من الأصول و الفروع ﴿تعرف﴾ بالفراسة فى ١٥ وجوههم - هكذا كان الأصل، و لكنه أبدل الضمير بظاهر يدل على عنادهم فقال: ﴿فى وجوه الذين كفروا﴾ أى تلبسوا بالكفر ﴿المنكرَ﴾ أى الإنكار الذى هو منكر فى نفسه لما حصل لهم من

(١) زيد من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ.

الغيظ؛ ثم بين [ما لاح] في وجوههم فقال: ﴿ يكادون يسطون ﴾ أي يوقعون السطوة بالبطش و العنف ﴿ بالذين يتلون عليهم [اٰيٰتنا] ﴾ أي[2] الدالة على أسمائنا الحسنى، و صفاتنا العلى، القاضية بوحدانيتنا، مع كونها بينات في غاية الوضوح في أنها كلامنا، لما فيها من الحكم و البلاغة ٥ التي عجزوا عنها.

و لما استحقوا - بإنكارهم [و - [3]] ما أرادوه من الأذى لأولياء الله - النكالَ، تسبب عنه إعلامهم بما استحقوه، فقال مؤذنا بالغضب بالإعراض عنهم[4]، آمرا له صلى الله عليه و سلم بتهديدهم: ﴿ قل أفانبئكم ﴾ أي أتعون[5] فأخبركم خبرا عظيما ﴿ بشر من ذٰلكم ﴾ ١٠ [6]الأمر الكبير من الشر الذي أردتموه بعباد الله التالين[7] عليكم للآيات و ما حصل لكم من الضجر من ذلك، فكأنه قيل: ما هو؟ فقيل: ﴿ النار ﴾ ثم استأنف قوله متهكما[8] بهم بذكر الوعد: ﴿ وعدها الله ﴾ العظيم الجليل ﴿ الذين كفروا ﴾ جزاء لهم على همهم هذا، فبئس الموعد هي ﴿ و بئس المصير ﴾.

١٥ و لما أخبر تعالى عن أنه لا حجة لعابد غيره، و هدد من عاند[9]، أتبعه بأن الحجة قائمة على أن ذلك الغير في غاية الحقارة، و لا قدرة

(١-١) من ظ و مد، و في الأصل: كاح (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و في الأصل: عنهما (٥) من الوعي (٦) زيد في الأصل: اي، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: التالين. (٨) من ظ و مد، وفي الأصل: تهكما (٩) من ظ و مد، وفي الأصل: عانه.

له

له على دفع ما هدد به عابدوه و لا على غيره ، فكيف بالصلاحية لتلك[1]
الرتبة الشريفة ، و الخطة العالية المنيفة ، فقال منادياً أهل العقل منبهاً تنبيهاً
/ عاماً : ﴿ يٰأيها الناس ﴾ . /٥٧٧

[2]و لما كان المقصود من المثل تعقله[3] لا قائله ، بنى للمفعول قوله :
﴿ ضرب مثل ﴾ [4]حاصله أن من عبدتموه أمثالكم ، بل هم[5] أحقر منكم ٥
﴿ فاستمعوا ﴾ أي أنصتوا متدبرين ﴿ له ﴾ ثم فسره بقوله :
﴿ ان الذين تدعون ﴾ أي في حوائجكم ، و تجعلونهم آلهة ﴿ من دون الله ﴾
أي الملك الأعلى من هذه الأصنام التي أنتم بها مغترون ، و لما تدعون
فيها مفترون ، [6]لأن سلب القدرة عنها يبين أنها في[7] أدنى المراتب
﴿ لن يخلقوا ذباباً ﴾ أي لا قدرة لهم على ذلك الآن ، و لا يتجدد لهم ١٠
هذا الوصف أصلاً في شيء من الأزمان ، على حال من الأحوال ، مع
صغره ، فكيف بما هو أكبر منه ﴿ و لو اجتمعوا ﴾ [أي الذين زعموهم
شركاء -[8]] ﴿ له ﴾ أي الخلق ، فهم في هذا أمثالكم ﴿ و ان ﴾ أي و أبلغ
من هذا أنهم عاجزون عن[9] مقاومة[10] الذباب فانه إن ﴿ يسلبهم الذباب ﴾
أي الذي تقدم أنه لا قدرة لهم على خلقه و هو في [غاية -[11]] الحقارة ١٥

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : فتلك (٢) العبارة من هنا إلى « للمفعول قوله » ساقطة من ظ (٣) من مد ، و في الأصل : معقله (٤) زيد في مد : اى (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : هي (٦) العبارة من هنا إلى « المراتب » ساقطة من ظ (٧) من مد ، و في الأصل : من (٨) زيد من مد (٩) سقط من مد (١٠) من ظ و مد ، و في الأصل : مقاربة (١١) زيد من ظ و مد .

﴿شيئا﴾ من الأشياء جل أو قل مما تطلونهم[1] به من الطيب أو تضعونه
بين أيديهم من الأكل أو غيره ﴿لا يستنقذوه﴾ أي يوجدوا[2] خلاصه
أو[3] يطلبوه ﴿منه﴾ فهم في هذا أحقر منكم،[4] وجهة التمثيل به في
الاستلاب الوقاحة، ولهذا يجوز عند الإبلاغ في الذب، فلو كانت
٥ وقاحته[5] في الأسد لم ينج منه أحد، ولكن[6] اقتضت الحكمة أن تصحب[7]
قوة الأسد النفرة، ووقاحة الذباب الضعف، [وهو واحد لا جمع،
ففي الجمع بين العباب والمحكم أن ابن عبيدة قال: إنه الصواب، ثم قال:
وفي «كتاب ما تلحن فيه العامة» لأبي عثمان المازني: ويقال: هذا ذباب
واحد، وثلاثة أذبة، لأقل العدد ولأكثره ذباب، وقول الناس: ذبابة
١٠ - خطأ، فلا تقله -[8]].

[ولما كان هذا ربما أفهم قوة الذباب -[9]]، عرف أن المقصود
غير ذلك بقوله، فذلكة للكلام من[10] أوله: ﴿ضعف الطالب﴾ أي
للاستنقاذ من الذباب، وهو الأصنام وعابدوها ﴿والمطلوب﴾ أي
الذباب والأصنام، اجتمعوا في الضعف وإن كان الأصنام أضعف
١٥ بدرجات[11].

---

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: تطلبونهم (٢) في ظ: يستخلصوه، والعبارة فيه من بعده إلى «يطلبوه» ساقطة (٣) من مد، وفي الأصل «و». (٤) العبارة من هنا إلى «الذباب الضعف» ساقطة من ظ (٥) من مد، وفي الأصل: رقاحته (٦) من مد، وفي الأصل: لكنها (٧) من مد، وفي الأصل: يصحف (٨) زيد من مد (٩) زيد من ظ ومد (١٠) من ظ ومد، وفي الأصل: في (١١) سقط من ظ.

و لما أنتج هذا جهلهم بالله، عبر عنه بقوله: ﴿ ما قدروا الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ حق قدره[٥] ﴾ فى وصفهم بصفة غيره كائنا من كان، فكيف و هو أحقر الأشياء. و لما كان كأنه قيل: ما قدره؟ قال: ﴿ ان الله ﴾ أى الجامع لصفات الكمال ﴿ لقوى ﴾ على خلق كل ممكن ﴿ عزيز ﴾ لا يغلبه شىء، و هو يغلب كل شىء بخلاف ٥ أصنامهم و غيرها.

و لما نصب الدليل على أن ما دعوه لا يصلح أن يكون شىء منه إلها بعد أن أخبر أنه لم ينزل إليهم حجة بعبادتهم لهم، و ختم بما له سبحانه من وصفى القوة و العزة بعد أن أثبت أن له الملك كله، تلا ذلك بدليله الذى تقتضيه[١] سعة الملك و قوة السلطان من إنزال الحجج ١٠ على ألسنة الرسل بأوامره و نواهيه الموجب[٢] لإخلاص العبادة [له-[٣]] المقتضى لتعذيب تاركها، فقال: ﴿ الله ﴾ أى الملك الأعلى ﴿ يصطفى ﴾ أى يختار [٤]و يخلص[٤] ﴿ من الملئكة رسلا ﴾ إلى ما ينبغى الإرسال فيه من العذاب و الرحمة، فلا يقدر أحد على صدهم عما أرسلوا له، و لا شك أن قوة الرسول من قوة المرسل ﴿ و من الناس[٥] ﴾ أيضا رسلا يأتون ١٥ عن[٥] الله بما يشرعونه لعباده، لتقوم عليهم بذلك حجة النقل، مضمومة[٦] إلى سلطان العقل. فمن عاداهم خسر و إن طال استدراجه. و لما كان ذلك لا يكون إلا بالعلم، قال: ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له [٧]الجلال و الجمال[٧]

---

(١) فى ظ: يقتضيه (٢) بين سطرى ظ: أى الدليل (٣) زيد من مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: عند (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: مضمونه (٧-٧) من ظ و مد، و فى الأصل: الجمال و الكمال.

﴿ سميع ﴾ أى لما يمكن أن يسمع من الرسول و[1] غيره ﴿ بصير ج ﴾ أى مبصر عالم بكل ما يمكن عقلا أن يبصر و يعلم، بخلاف أصنامهم .

و لما كان المتصف بذلك قد يكون وصفه مقصورا على / بعض الأشياء، أخبر أن صفاته محيطة فقال: ﴿ يعلم ما بين ايديهم ﴾ أى

٥ الرسل ﴿ و ما خلفهم ﴾ أى علمه محيط [2]بما هم مطلعون عليه و بما غاب عنهم[2]، فلا يفعلون شيئا إلا باذنه، فانه يسلك من بين أيديهم و من خلفهم رصدا ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم و إن ظن الجاهلون غير ذلك، لاحتجابه سبحانه و تعالى فى الأسباب، فلا يقع فى فكر أصلا أن المحيط [3]علما بكل شيء[3] الشامل القدرة لكل شيء يكل رسولا[4] من

١٠ رسله إلى نفسه، فيتكلم بشيء لم يرسله به، و لا أنه يمكن شيطانا أو غيره أن يتكلم على لسانه بشيء، بل كل[5] منهم محفوظ فى نفسه "لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى" محفوظ عن تلبيس غيره "انا نحن نزلنا الذكر و انا له لحفظون" ﴿ و الى الله ﴾ أى الذى لا كفوء له، وحده ﴿ ترجع ﴾ [6]أى بغاية السهولة بوعد فصل لا بد منه[6] ﴿ الامور ه ﴾ يوم

١٥ يتجلى[7] لفصل القضاء، فيكون أمره[8] ظاهرا لاخفاء فيه، و لا يصدر[9]

---

(١) زيد فى الأصل: هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢-٢) فى ظ: بهم (٣-٣) من ظ و مد، و فى الأصل: بكل شيء علما (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: رسول (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: كان (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: ينجلى (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: انه (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: يعتذر .

شيء من الأشياء إلا على وجه العدل الظاهر لكل أحد أنه منه، و لا يكون لأحد التفات إلى غيره، و الذى [هو -[1]] بهذه الصفة له أن يشرع ما يشاء، و ينسخ من الشروع ما يشاء، و يحكم بما[2] يريد .

و لما أثبت سبحانه أن الملك و الأمر له وحده، و أنه قد أحكم شرعه، و حفظ رسله، و أنه يمكن لمن[3] يشاء أي دين شاء، و ختم ذلك ٥ بما يصلح للترغيب و الترهيب، و كانت العادة جارية بأن الملك إذا برزت أوامره و انبثت[4] دعاته، أقبل إليه مقبلون، خاطب المقبلين إلى دينه، و هم الخلص من الناس، فقال: ﴿ يـٰأيها الذين ءامنوا ﴾ أي قالوا[5]: آمنا ﴿اركعوا﴾ تصديقا لقولكم ﴿و اسجدوا﴾ أي صلوا الصلاة التي شرعتها للآدميين، فانها رأس العبادة، لتكون دليلا على صدقكم فى الإقرار بالإيمان، ١٠ و خص هذين الركنين فى التعبير عن الصلاة بهما، لأنهما - لمخالفتهما الهيئات المعتادة - هما الدالان على الخضوع، فحسن التعبير بهما عنها[6] جدا فى السورة التى جمعت جميع الفرق الذين [فيهم -[1]] من[7] يستقبح - لما غلب عليه من العتو - بعض الهيئات الدالة على ذل[8] .

و لما خص أشرف[9] العبادة، عم بقوله: [10]﴿و اعبدوا﴾ أي بأنواع ١٥

---

(١) زيد من ظ ومد (٢) من ظ ومد، و فى الأصل: ما (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: ان (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: انبتت (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: كانوا (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: عنهما (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: لم (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: ذلك (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: اعرف (١٠) العبارة من هنا إلى « بلانية فقال » ساقطة من مد .

العبادة ﴿ربكم﴾ المحسن إليكم بكل نعمة دنيوية و دينية . و لما ذكر عموم العبادة ، أتبعها ما قد يكون أعم منها مما صورته صورتها ، و قد يكون بلا نية ، فقال : ﴿و افعلوا الخير﴾ أى كله من القرب كصلة الأرحام و عيادة المرضى و نحو ذلك ، من معالى الأخلاق بنية و بغير نية ، حتى ٥ يكون [1]ذلك لكم[1] عادة فيخف[2] عليكم عمله لله ، و هو قريب من « ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا »[3] ، قال أبو حيان[4] : بدأ بخاص ثم بعام ثم بأعم . ﴿لعلكم تفلحون ج﴾ أى ليكون حالكم حال من يرجو الفلاح ، و هو الفوز بالمطلوب ؛ قال ابن القطاع[5] : أفلح الرجل : فاز بنعيم الآخرة ، و فلح أيضا لغة فيه . و فى الجمع بين العباب و المحكم : الفلح و الفلاح : ١٠ الفوز و البقاء / ، و فى التنزيل "قد افلح المؤمنون" أى نالوا البقاء /٥٧٩ الدائم ، و فى الخبر[6] : أفلح الرجل : ظفر ، و يقال لكل من أصابه خيرا : مفلح .

و لما كان الجهاد أساس العبادة ، و هو - مع كونه حقيقة فى قتال الكفار - صالح[7] لأن يعم كل أمر بمعروف و نهى عن منكر بالمال ١٥ و النفس بالقول و الفعل بالسيف و غيره ، و كل اجتهاد[8] فى تهذيب

(١ - ١) فى مد : لكم ذلك ، و فى ظ : لكم (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيخفف (٣) و الحديث رواه ابن ماجه فى مناسبات الإقامة و الزهد (٤) راجع البحر المحيط ٦ / ٣٩١ (٥) فى كتاب الأفعال ٢ / ٣٦١ (٦) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ ومد فحذفناها ، والحديث رواه البخارى فى غير موضع . (٧) فى ظ : صالحا (٨) زيدت الواو فى الأصل ، ولم تكن فى ظ و مد فحذفناها .

النفس و إخلاص العمل، ختم به فقال: ﴿ و جاهدوا فى[1] الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا كفوء له فى كل ما ينسب إليه سبحانه، لايخرج منه[2] شيء عنه[3] كما لا يخرج شيء من المظروف عن الظرف ﴿حق جهاده﴾ باستفراغ الطاقة [4]فى إيقاع[4] كل [ما[5] -] أمر به من جهاد العدو[6] و النفس على الوجه الذى أمر به من الحج و الغزو و غيرهما جهادا يليق ٥ بما أفهمته الإضافة إلى ضميره سبحانه من الإخلاص و القوة، فانه يهلك[7] جميع من يصدكم عن شيء منه.

و لما أمر سبحانه بهذه الأوامر، أتبعها[8] بعض ما يجب به شكره، و هو كالتعليل لما قبله، فقال: ﴿ هو اجتبٰكم ﴾ أى اختاركم لجعل[9] الرسالة فيكم و الرسول منكم و جعله[10] أشرف الرسل، و دينه أكرم الأديان، ١٠ و كتابه أعظم الكتب، و جعلكم - لكونكم أتباعه - خير الأمم ﴿و ما جعل عليكم فى الدين﴾ الذى اختاره لكم ﴿من حرج﴾ أى ضيق يكون به[11] نوع عذر لمن توانى فى الجهاد الأصغر و الأكبر كما جعل على من كان قبلكم كما تقدم ذكر بعضه فى[12] البقره و غيرها، أعنى ﴿ملة﴾.

---

(١) زيد فى الأصل: سبيل، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) بين سطرى ظ: أى الجهاد (٣) بين سطرى ظ: أى عن الله (٤-٤) من ظ و مد، و فى الأصل: بايقاع (٥) زيد من ظ و مد (٦) بياض فى الأصل ملأناه من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: يها اشد - كذا (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: اتبعه (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: بجعل (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: جعل (١١) سقط من مد (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: « و ».

و لما كان أول مخاطب بهذا قريشا ، ثم مضر ، و كانوا كلهم أولاد إبراهيم عليه الصلاة و السلام حقيقة ، قال : ﴿ ابيكم ابرٰهيم[١] ﴾ أى الذى ترك عبادة الأصنام و نهى عنها ، و وحدالله[٢] و أمر[٢] بتوحيده ، يا من تقيدوا بتقليد الآباء ! فالزموا[٤] دينه لكونه أبا . و لكونه أمرت به ، و هو أب لبعض المخاطبين من الأمة حقيقة ، و لبعضهم مجازا بالاحترام
٥ و التعظيم ، فيعم الخطاب الجنس ، [٣] و لذلك[٣] حثهم على ملته بالتعليل بقوله : ﴿ هو ﴾ أى إبراهيم عليه السلام ﴿ سمّٰكم المسلمين[٥] ﴾ فى الأزمان[٥] المتقدمة ﴿ من قبل ﴾ أى قبل إنزال هذا القرآن ، فنوه بذكركم و الثناء عليكم فى سالف الدهر و قديم الزمان "فكتب ثناءه" فى كتب الأنبياء
١٠ يتلى على الأحبار و الرهبان ، و سماكم أيضا مسلمين ﴿ و فى هذا ﴾ الكتاب الذى أنزل عليكم من بعد إنزال تلك الكتب كما أخبرتكم عن دعوته فى قوله " و من ذريتنا امة مسلمة لك " لأنه بانتفاء الحرج يطابق الاسم المسمى ، و يجوز - و لعله أحسن - أن يكون " هو سمّٰكم " تعليلا للأمر بحق الجهاد بعد تعليله[٦] بقوله " هو اجتبٰكم " فيكون الضمير لله
١٥ تعالى ، و يشهد له بالحسن قراءة أبى رضى الله عنه بالجلالة عوضا عن الضمير ، أى أن كل أمة تسمت باسم من تلقاء نفسها ، و الله تعالى خصكم باسم الإسلام مشتقا له من اسمه "السلام" مع ما خصكم به من

---

(١) ليس فى الأصل فقط (٢ - ٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : كما مر .
(٣-٣) فى ظ : ثم (٤) فى ظ : الكتب (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : تعليل .

اسم

اسم الإيمان اشتقاقا من اسمه المؤمن، فأثبت لكم هذا الاسم في كتبه، و اجتباكم لاتباع رسوله.

[1] و لما كان الاسم إذا كان ناشئا عن الله تعالى سواء كان بواسطة نبي من أنبيائه أو بغير واسطة يكون مخبرا عن كيان المسمى، و كان التقدير: رفع عنكم الحرج و سماكم بالإسلام [1] لتكونوا أشد الأمم انقيادا ٥ / ٥٨٠ لتكونوا خيرهم، علل هذا المعنى بقوله: ﴿ليكون الرسول﴾ يوم القيامة ﴿شهيدا عليكم﴾ لأنه خيركم، و الشهيد يكون خيرا [2] و لكون [3] السياق لإثبات مطلق وصف الإسلام فقط، لم يقتض الحال تقديم [4] الظرف بخلاف آية البقرة [5]، فإنها لإثبات ما هو أخص منه ﴿و تكونوا﴾ [بما في جبلاتكم من الخير [6]] ﴿شهدآء على الناس ج صلے﴾ بأن رسلهم بلغتهم ١٠ رسالات ربهم، لأنكم قدرتم الرسل حق قدرهم، و لم [7] تفرقوا بين أحد منهم، و علمتم أخبارهم من كتابكم على لسان رسولكم صلى الله عليه و سلم، فبذلك [كله [8]] صرتم خيرهم، فأهلتم للشهادة و صحت شهادتكم و قبلكم الحكم العدل، [9] و قد دل [هذا [6]] على أن شهادة غير المسلم ليست مقبولة.

و لما ندبهم لأن [10] يكونوا خير الناس، تسبب عنه قوله [11]: ﴿فاقيموا﴾ ١٥

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) العبارة من من هنا إلى « أخص منه » ساقطة من ظ (٣) من مد، و في الأصل: ليكون (٤) من مد، و في الأصل: تقدم (٥) ١٤٣ (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد، و في الأصل: لا (٨) زيد من ظ و مد (٩) العبارة من هنا إلى « عنه قوله » ساقطة من ظ (١٠) من مد، و في الأصل: انه (١١) من مد، و في الأصل: بقوله.

أى فتسبب عن إنعامى عليكم بهذه النعم و إقامتى لكم فى هذا المقام
الشريف أنى أقول لكم : أقيموا ﴿ الصلوٰة ﴾ التى هى زكاة قلوبكم ،
و صلة ما بينكم و بين ربكم ﴿ و اتوا الزكوٰة ﴾ التى هى طهرة[1] أبدانكم ،
و صلة ما بينكم و بين إخوانكم ﴿ و اعتصموا بالله ﴾ [أى -[2]] المحيط
٥ بجميع صفات الكمال ، فى جميع ما أمركم به ، من المناسك التى[3] تقدمت
و غيرها لتكونوا متقين ، فيذب عنكم من يريد أن يحول بينكم و بين شىء
منها و يقيكم هول الساعة ؛ ثم علل أهليته لاعتصامهم به بقوله : ﴿ هو ﴾
أى وحده ﴿ مولٰكم ج ﴾ أى المتولى لجميع أموركم ، فهو ينصركم على كل
من يعاديكم ، بحيث تتمكنون[4] من إظهار هذا الدين[5] من مناسك الحج
١٠ و غيرها ؛ ثم علل الأمر بالاعتصام [6و توحده بالولاية[6] بقوله :
﴿ فنعم المولى ﴾ أى هو ﴿ و نعم النصير ع ﴾ لأنه إذا تولى أحدا[7] كفاه كل
ما أهمه ، و إذا نصر أحدا أعلاه على كل من خاصمه « و لا يزال العبد
يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته » - الحديث ، « إنه لا يذل من
واليت و لا يعز من عاديت » [و -[2]] هذا نتيجة التقوى ، و ما قبله من
١٥ أفعال الطاعة دليلها . فقد انطبق آخر السورة على أولها ، و رد مقطعها على
مطلعها - و الله [8] أعلم بمراده و أسرار كتابه و هو الهادى للصواب[8] .

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : طهارة (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ
و مد ، و فى الأصل : الذى (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : يتمكنون (٥) من
ظ و مد ، و فى الأصل : المناسك (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ
و مد ، و فى الأصل : احد (٨-٨) فى ظ : الهادى للصواب ، و فى مد : الهادى .

سورة[1] المؤمنون

مقصودها اختصاص المؤمنين بالفلاح، و اسمها واضح الدلالة على ذلك ﴿ بسم الله ﴾ الذى له الأمر كله، فلا راد لأمره ﴿ الرحمن ﴾ الذى من عموم رحمته الإبلاغ فى البيان ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص من أراد بالإيمان. ٥

لما ختمت الحج بنداء[2] "الذين آمنوا" و أمرهم بأمور الدين خاصة و عامة، و ختم بالصلاة و الزكاة و العصمة به سبحانه موصوفا بما ذكر، أوجب ذلك توقع المنادين كل خير، فابتدأت هذه بما يثمر الاعتصام به سبحانه فى الصلاة و غيرها من خلال الدين فى الدارين، فقال تعالى مفتتحا بحرف التوقع: ﴿ قد ﴾ و هى نقيضة لما تثبت المتوقع[3] و تقرب ١٠ الماضى من الحال و لما تنفيه ﴿ افلح ﴾ أى فاز و ظفر الآن بكل ما يريد، و نال البقاء الدائم فى الخير ﴿ المؤمنون ﴾ و عبر بالاسم إشارة إلى أن من أقر بالإيمان و عمل بما أمر به فى آخر التى قبلها، استحق الوصف / الثابت[4] لأنه اتقى و أنفق مما[5] رزق فأفلح "و من يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون"؛ ثم قيدهم بما يلزم من الصدق فى الإيمان فقال: ﴿ الذين هم ﴾ ١٥ أى بضمائرهم و ظواهرهم ﴿ فى صلاتهم ﴾ أضيفت إليهم ترغيبا لهم فى

/ ٥٨١

(١) الثالثة و العشرون من سور القرآن، مكية، و هى مائة و ثمان عشرة آية فى الكوفى، و مائة و سبع عشرة آية فى الباقى (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: مبدا (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: التوقع (٤) العبارة من هنا إلى «المفلحون» ساقطة من ظ (٥) من مد، و فى الأصل: بما.

حفظها، لأنها بينهم و بين الله تعالى، و هو غني عنها، فهم المتمعون بها[1] ﴿خاشعون﴾ أي أذلاء ساكنون متواضعون مطمئنون قاصرون[2] بواطنهم و ظواهرهم[2] على ما هم فيه؛ قال الرازي: خائفون خوفا يملأ القلب حرمة، و الأخلاق تهذيبا، و الأطراف تأديبا، أي خشية[3] أن ترد عليهم ٥ صلاتهم، و من ذلك خفض البصر إلى موضع السجود. قال الرازي: فالعبد إذا دخل في الصلاة رفع الحجاب، و إذا التفت أرخي، قال: و هو خوف ممزوج بتيقظ و استكانة، ثم قد يكون في المعاملة إيثارا و مجاملة و إنصافا و معدلة، و في الخدمة حضورا و استكانة، و في السر تعظيما و حياء و حرمة، و الخشوع في الصلاة بجمع الهمة لها، و الإعراض ١٠ عما سواها، و ذلك بحضور القلب و التفهم و التعظيم و الهيبة و الرجاء و الحياء، و إذا كان هذا حالهم [4] في الصلاة التي هي أقرب القربات، فهم به فيما سواها أولى. قال ابن كثير[5]: و الخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن[6] فرغ قلبه لها، و اشتغل بها عما عداها، و آثرها على غيرها، و حينئذ تكون راحة له و قرة عين[7] «و جعلت قرة عيني في الصلاة» ١٥ رواه أحمد [و النسائي عن انس رضي الله عنه «يا بلال! أرحنا بالصلاة» - رواه أحمد -[8]] عن رجل من أسلم رضي الله عنه.

(١) سقط من مد (٢ - ٢) من ظ و مد، و في الأصل: ظواهرهم و بواطنهم. (٣) زيد في الأصل و ظ: من، و لم تكن الزيادة في مد فحذفناها (٤) العبارة من هنا إلى «الخشوع في الصلاة» ساقطة من مد (٥) راجع تفسيره ٣/٢٣٨. (٦) من ظ و مد و التفسير، و في الأصل: من (٧) سقط من مد (٨) زيد من ظ و مد و التفسير خلاصة ما

و لما كان كل من الصلاة و الخشوع صادا عن اللغو، أتبعه قوله: ﴿و الذين هم﴾ [1] ضمائرهم التي [2] تبعها ظواهرهم ﴿عن اللغو﴾ أي ما لا يعنيهم، و هو كل ما يستحق أن يسقط و يلغى ﴿معرضونۙ﴾ أي تاركون عمدا، فصاروا جامعين فعل ما يعني و ترك ما لا يعني.

و لما جمع بين قاعدتي بناء التكاليف: فعل الخشوع و ترك اللغو، ٥ و كان الإنسان محل العجز و مركز التقصير، فهو لا يكاد يخلو عما لا يعنيه، و كان المال مكفرا لما [3] قصر من الأيمان فضلا عما ذكر منها على سبيل اللغو فكان مكفرا للغو في غير اليمين من باب الأولى "خذ من اموالهم صدقة تطهرهم و تزكيهم بها" أتبعه قوله: ﴿و الذين هم﴾ و إثبات اللام [4] تقوية لاسم الفاعل فقال: ﴿للزكوة﴾ أي التزكية [5]، و هي إخراج ١٠ الزكاة، أو لأداء الزكاة التي هي أعظم مصدق للإيمان ﴿فاعلونۙ﴾ ليجمعوا في طهارة الدين بين القلب و القالب و المال؛ قال ابن كثير [6]: هذه مكية، و إنما فرضت [الزكاة - [7]] بالمدينة [في سنة اثنتين من الهجرة، و الظاهر أن التي [8] فرضت بالمدينة - [7]] إنما هي ذات النصب، و أن أصل الزكاة / ٥٨٢ كان واجبا بمكة كما قال تعالى في سوره الانعام "و آتوا حقه ١٥ يوم حصاده".

---

(١) العبارة من هنا إلى «ظواهرهم» ساقطة من ظ (٢) من مد، و في الأصل: الذي (٣) زيد في الأصل: وصل، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها. (٤) من ظ و مد، و في الأصل: الكلام (٥) من ظ و مد، و في الأصل: المزكية (٦) راجع تفسيره ٣/٢٣٨ (٧) زيد من ظ و مد و التفسير (٨) في ظ: الذي.

و لما أشار إلى أن بذل[1] المال على وجهه طهرة، و أن حبسه عن ذلك تلفة ؛ أتبعه الإيماء إلى أن بذل الفرج فى غير وجهه نجاسة، و حفظه طهرة . فقال : ﴿ و الذين هم لفروجهم ﴾ فى الجماع و ما داناه [2]بالظاهر و الباطن[2] ﴿ حفظون ﴾ أى دائما لا يتبعونها شهوتها، بل هم قائمون عليها

٥٨٢/ ٥ يذلونها / و يضبطونها، و ذكرها بعد اللغو الداعى إليها و بذل المال الذى هو من أعظم أسبابها عظيم المناسبة ؛ ثم استثنى من ذلك فقال : ﴿ الا على ازواجهم ﴾ اللاتى ملكوا أبضاعهن بعقد[3] النكاح، و لعلو الذكر عبر به على ﴿ او ما ملكت ايمانهم ﴾ رقابه[4] من السرارى، و عبر به ما لقربهن مما لا يعقل لنقصهن عن الحرائر الناقصات عن الذكور

١٠ ﴿ فانهم غير ملومين ﴾ أى على بذل الفرج فى ذلك إذا كان على وجهه .

و لما كان من لم يكتف بالحلال مكلفا نفسه طلب ما يضره، سبب عن ذلك قوله مخبرا بما يفهم العلاج : ﴿ فمن ابتغى ﴾ أى تطلب[5] متعديا ﴿ ورآء ذلك ﴾ [العظيم المنفعة -[6]] الذى وقع استثناؤه بزنا أو لواط أو استمناء بيد أو بهيمة أو غيرها ﴿ فاولئك ﴾ البعيدون من الفلاح

١٥ ﴿ هم العدون ﴾ أى المبالغون فى تعدى الحدود، لما يورث ذلك من اختلاط الانساب، و انتهاك الأعراض، و إتلاف الأموال، و إيقاد الشر بين العباد .

---

(١) من ظ و مد، و فى الاصل : ابدال (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل : عقد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : وقابة .
(٥) من ظ و مد، و فى الأصل : يطلب (٦) زيد من مد .

و لما كان ذلك من الأمانات العظيمة، أتبعه عمومها فقال: ﴿ و الذين هم لأمٰنٰتهم ﴾ أى فى الفروج و غيرها، سواء كانت بينهم و بين الله كالصلاة و الصيام و غيرهما، أو فى المعانى الباطنة كالإخلاص و الصدق، أو بينهم و بين الخلق كالودائع و البضائع، فعلى العبد الوفاء بجميعها -[قاله الرازى -[1]]. و لما كان العهد أعظم أمانة، تلاها به تنبيها ٥ على عظمه فقال: ﴿ و عهدهم راعون ۝ ﴾ اى حافظون بالقيام و الرعاية و الإصلاح.

و لما كانت الصلاة أجلّ ما عهد فيه من أمر الدين و آكد، و هى من الأمور الخفية التى وقع الائتمان عليها، لما خفف الله فيها على هذه الأمة باتساع زمانها و مكانها، قال: ﴿ و الذين هم على صلوٰتهم ﴾ التى ١٠ وصفوا بالخشوع فيها ﴿ يحافظون ۝ ﴾ أى يجددون تعهدها[2] بغاية جدهم[3]، لايتركون شيئا من مفروضاتها و لامسنوناتها، و يجتهدون فى كمالاتها، وحّدت[4] فى قراءة حمزة و الكسائى للجنس، و جمعت عند الجماعة إشارة إلى أعدادها و أنواعها، و لا يخفى ما فى افتتاح هذه الأوصاف و اختتامها بالصلاة من التعظيم لها، كما قال صلى الله عليه و سلم[5]: و اعلموا ١٥ أن خير أعمالكم الصلاة.

و لما ذكر مجموع هذه الأوصاف العظيمة، فخم جزاءهم فقال: ﴿ اولٰئك ﴾ أى[6] البالغون من الإحسان أعلى مكان ﴿ هم ﴾ خاصة

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: بعهدها (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: جهدهم (٤) راجع نثر المرجان ٥٢١/٤ (٥) راجع أبواب الطهارة من سنن ابن ماجه (٦) سقط من ظ.

﴿ الوارثون ﴾ أى المستحقون لهذا الوصف المشعر ببقائهم بعد أعدائهم[1] فيرثون دار الله لقربهم منه و اختصاصهم به بعد إرثهم أرض الدنيا التى قارعوا عليها على قلتهم و ضعفهم أعداءنا الكفار على كثرتهم و قوتهم، فكانت العاقبة[2] فيها لهم كما كتبنا فى الزبور "ان الارض يرثها عبادى الصلحون" "لنهلكن الظلمين و لنسكننكم الارض من بعدهم" ﴿ الذين يرثون الفردوس ﴾ التى هى أعلى الجنة ، و هى [فى الأصل -[3]] البستان العظيم الواسع ، يجمع محاسن النبات و الأشجار من العنب و ما ضاهاه من كل ما يكون [فى البساتين و الأودية التى تجمع ضروبا من النبت -[3]] : فيحوزون منها بعد البعث ما أعد الله لهم فيها من المنازل و ما كان أعد للكفار لو آمنوا / أو[4] لو لم يخرجوا بخروج أبويهم من الجنة ﴿ هم ﴾ خاصة ﴿ فيها ﴾ أى[5] لا فى غيرها ﴿ خلدون ﴾ و هذه الآيات أجمع ما ذكر فى وصف المؤمنين ، روى الإمام أحمد فى مسنده[6] و الترمذى فى التفسير[7] من[8] جامعه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : كان إذا نزل على رسول الله صلى الله عليه و سلم الوحى يسمع[9] عند وجهه[10] كدوى النحل[11] فنزل عليه يوما[11] فمكثنا ساعة[12] فاستقبل[13] القبلة

/٥٨٣

(١) من ظ ومد، و الأصل : اعدامهم (٢) من ظ ومد، وفى الأصل : العافية.
(٣) زيد من ظ ومد (٤) من مد ، و فى الأصل وظ « و » (٥) سقط من مد ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة إلى « غيرها » ساقطة من ظ (٦) ١/٣٤ .
(٧) ٢/٣٨٦ (٨) من مد، وفى الأصل وظ : فى (٩) فى مد : فيسمع، وفى الجامع: سمع (١٠) زيد فى المسند: دوى (١١-١١) ليس ما بين الرقمين فى المسند ، و فى الجامع : فانزل عليه يوما (١٢) زيد فى الجامع : فسرى عنه (١٣) من ظ و مد و المسند و الجامع ، و فى الأصل : و استقبل .

و رفع

[1]ورفع[1] يديه فقال: اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، [2]وارض عنا وأرضنا[2]، ثم قال: [3]لقد أنزلت[3] علىّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة، ثم قرأ "قد افلح المؤمنون" حتى ختم العشر - ورواه النسائي في الصلاة وقال: منكر لا يُعرَف أحد رواه غير يونس بن سليم ويونس لا نعرفه، وعزى ٥ أبو حيان آخر الحديث للحاكم في المستدرك.

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: فصل[4] في افتتاحها ما أجمل في قوله تعالى "يآيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير" وأعلم بما ينبغي للراكع والساجد التزامه من الخشوع، ولالتحام[5] الكلامين ما ورد الأول أمرا والثاني مدحة وتعريفا بما به كمال ١٠ الحال، وكأنه لما أمر المؤمنين، وأطمع بالفلاح جزاء لامتثاله، كان مظنة لسؤاله عن تفصيل ما أمر به من العبادة وفعل الخير الذي [6]به يكمل[6] فلاحه فقيل له: المفلح من التزم كذا وكذا، وذكر سبعة أضرب من العبادة هي أصول لما وراءها [و-[7]] مستتبعة سائر التكاليف، وقد بسط حكم كل عبادة منها وما يتعلق بها في الكتاب والسنة؛ ١٥ ولما كانت المحافظة على الصلاة منافرة إتيان المآثم جملة "ان الصلوة

(١-١) من ظ ومد والمسند والجامع، وفي الأصل: فرفع (٢-٢) في الجامع: أرضنا وارض عنا (٣-٣) في الجامع: انزل (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: وصل (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: الالتحام (٦-٦) من ظ ومد، وفي الأصل: يكمل به (٧) زيد من ظ ومد.

تنهى عن الفحشاء و المنكر" لذلك ما ختمت بها هذه العبادات بعد
التنبيه[1] علي محل الصلاة من هذه العبادة بذكر الخشوع فيها أولا ،
و اتبعت هذه الضروب السبعة بذكر أطوار سبعة يتقلب فيها الإنسان
قبل خروجه إلى الدنيا فقال تعالى "و لقد خلقنا الانسان من سللة
٥ من طين - إلى قوله : ثم انشانه خلقا اخر فتبرك الله احسن الخلقين"
و كأن قد قيل له : إنما كمل خلقك و خروجك إلى الدنيا بعد هذه
التقلبات السبعة . و إنما تتخلص من دنياك بالتزام هذه العبادات السبع ،
و قد وقع [عقب -[2]] هذه الآيات قوله تعالى "و لقد خلقنا فوقكم
سبع طرائق" و لعل ذلك مما يقرر هذا الاعتبار [و -[2]] وارد لمناسبته -
١٠ و الله أعلم ، و كما أن صدر هذه السورة مفسر لما أجمل في الآيات قبلها
فكذا الآيات بعد مفصلة لمجمل ما تقدم في قوله تعالى "يايها الناس ان
كنتم في ريب من البعث فانا خلقنكم من تراب ثم من نطفة" - الآية ،
و هذا كاف في التحام السورتين و الله سبحانه المستعان - انتهى .

و لما ذكر سبحانه الجنة المتضمن ذكرها للبعث ، استدل على القدرة
٥٨٤ / ١٥ / عليه بابتداء الخلق للإنسان ، ثم لما هو أكبر منه من الأكوان ، و ما
فيهما من المنافع ، فلما ثبت ذلك شرع يهدد من استكبر عنه باهلاك
الماضين . و ابتدأ بقصة نوح عليه الصلاة و السلام لأنه أول ، و لأن[3]
نجاته كانت في الفلك المختوم به الآية التي قبله ، و في ذلك تذكير بنعمة النجاة

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : الشبيه (٢) زيد من ظ و مد (٣) من
ظ و مد ، و في الأصل : لانه .

فيه[1] لأن الكل من نسله ، فلما ثبت بالتهـديد باهلاك الماضين القدرة التامة بالاختيار ، خوف العرب مثل ذلك العذاب ، فلما تم زاجر الإنذار بالنقم[2] شرع فى الاستعطاف إلى الشكر بالنعم ، بتمييز الإنسان على سائر الحيوان و نحو ذلك ، ثم عاد إلى دلائل القدرة على البعث بالوحدانية و التنزه[3] عن الشريك و الولد - إلى آخرها ، ثم ذكر[4] فى أول التى بعدها ٥ على ما ذكر هنا من صون الفروج ، فذكر حكم[5] من لم يصن فرجه و أتبعه ما يناسبه من توابعه .

و لما كان التقدير : فلقد حكمنا ببعث جميع العباد[6] بعد الممات ، فريقا منهم إلى النعيم ، و فريقا إلى الجحيم ، فانا قادرون على الإعادة [و إن تمزقتم و صرتم ترابا فانه تراب له أصل فى الحياة -[7]] ، كما ١٠ قدرنا على البداءة [فلقد خلقنا أباكم آدم من تراب الأرض قبل أن يكون للتراب أصل فى الحياة -[7]] ، عطف عليه قوله ، دلالة على هذا المقدر[8] و استدلالا على البعث مظهرا له فى مقام العظمة ، مؤكدا[9] إقامة لهم بانكارهم للبعث[10] مقامَ المنكرين : ﴿و لقد خلقنا الانسان﴾ أى هذا النوع الذى تشاهدونه آنسا بنفسه مسرورا بفعله و حسه ﴿ من سللة ﴾ ١٥

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : منه (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالنعم .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لنعو (٤) فى مد : كره (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : كم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : العبد (٧) زيد من مد .
(٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : المقدور (٩) العبارة من هنا إلى « المنكرين » ساقطة من ظ (١٠) سقط من مد .

أي شيء قليل ، بما تدل عليه الصيغة كالقلامة و القمامة ، انتزعناه و استخلصناه برفق ، فكان على نهاية الاعتدال ، و هي طينة آدم عليه الصلاة و السلام ، سنّها - بما له من اللطف - ﴿ من طين ﴾ أي جنس طين الأرض ، روى الإمام أحمد[1] و أبو داود[2] و الترمذي[3] عن أبي موسى رضي الله عنه ٥ عن[4] النبي صلى الله عليه و سلم قال : إن الله خلق آدم عن قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم [على -[5]] قدر الأرض ، جاء منهم الأحمر و الأبيض و الأسود و بين ذلك ، و الخبيث و الطيب و بين ذلك .

و لما ذكر سبحانه أصل الآدمي الأول الذي هو الطين الذي شرفه به بجمعه الطهورين ، و عبر فيه بالخلق لما فيه من الخلط ، لأن الخلق - ١٠ كما مر عن الحرالي في أول البقرة : تقدير أمشاج ما يراد إظهاره بعد الامتزاج و التركيب صورة ، مع أنه ليس مما[6] يجري على حكمة التسبيب[7] التي نعهدها[8] أن يكون من الطين إنسان ، أتبعه سبحانه أصله الثاني الذي هو أطهر الطهورين : الماء الذي منه كل شيء حي ، معبرا[9] عنه بالجعل[10] لأنه كما مر أيضا إظهار أمر عن سبب و تصيير ، [11]و ما هو من الطين

(١) في مسنده ٤/٤٠٠ و ٤٠٢ (٢) في أبواب السنة من سننه (٣) في أبواب التفسير من جامعه (٤) من ظ و مد و المسند ، و في الأصل : ان (٥) زيد من ظ و مد و المسند (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : عما (٧) من مد ، و في الأصل و ظ : التسبب (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : بعدها (٩) من ظ و مد ، و في الأصل جعوا (١٠) من ظ و مد ، و في الأصل : بالجهل . (١١) زيد في ظ : و الطين .

كما

مما يتسبب عنه من[١] الماء و يستجلب منه [٢]و هو[٢] بسيط لا خلط فيه فلا تخليق له ، [و -[٣]] عبر بأداة التراخي[٤] لأن[٥] جعل الطين ماء مستبعد جدا فقال: ﴿ ثم جعلنه ﴾ أى الطين أو هذا النوع المسلول [من -[٦]] المخلوق من الطين بتطوير أفراده [٧]بديع الصنع و لطيف الوضع[٧] ﴿ نطفة ﴾ أى ماء دافقا [٨]لا أثر للطين[٨] فيه ﴿ فى قرار ﴾ أى [من -[٦]] الصلب ٥ و الترائب ثم الرحم ، مصدر جعل اسما[٩] للوضع ﴿ مكين ﴾ أى مانع من الأشياء المفسدة .

/ و لما كان تصيير[١٠] الماء دما أمرا بالغا خارجا عن التسبيب[١١]، و كانت ٥٨٥ / النطفة التى هى مبدأ[١٢] الآدمى تفسد تارة و تأخذ فى التكون أخرى ، عبر بالخلق لما يخلطها به مما تكتسبه من الرحم عند التحمير[١٣] و قرنه ١٠ بأداة التراخي فقال: ﴿ ثم ﴾ أى بعد تراخ فى الزمان و علو فى الرتبة و العظمة ﴿ خلقنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ النطفة ﴾ أى البيضاء جدا ﴿ علقة ﴾ حمراء دما عبيطا شديد الحمرة جامدا غليظا .

---

(١) سقط من ظ (٢-٢) سقط من مد (٣) زيد من مد (٤) العبارة من هنا إلى « جدا » وقعت فى الأصل بعد « أفراده » و الترتيب من ظ و مد (٥) فى ظ : لما كان (٦) زيد من ظ و مد (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و تقدم فى الأصل على « فقال » و الترتيب من مد (٨-٨) من ظ ومد ، وفى الأصل : لا ثر الطين (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : اسم (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : تفسير (١١) من مد ، و فى الأصل وظ : التسبب (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : جهة (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : التحمر .

و لما كان ما بعد العلقة من الأطوار المتصاعدة مسببا كل واحد منه عما قبله بتقدير [1]العزيز العليم الذى اختص به من غير تراخ، و ليس تسببه من العادة التى يقدر عليها [2]غيره سبحانه[2]، عبر بالفاء و الخلق فقال: ﴿ فخلقنا العلقة مضغة ﴾ أى قطعة لحم صغيرة لاشكل فيها و لاتخطيط ﴿فخلقنا المضغة﴾ بتصفيتها و تصليبها بما سببنا لها من الحرارة و الأمور اللطيفة الغامضة ﴿ عظما ﴾ من رأس و رجلين و ما بينهما ﴿فكسونا﴾ بما لنا من قدرة الاختراع، تلك ﴿العظم لحما ق﴾ بما ولدنا منها ترجيعا لحالها قبل كونها عظما، فسترنا تلك العظام و قويناها و شددناها بالروابط و الأعصاب .

و لما كان التصوير و نفخ الروح من الجلالة بمكان أى مكان، أشار إليه بقوله: ﴿ثم انشأنه﴾ أى هذا المحدث عنه بعظمتنا ﴿خلقا اخر ط﴾ أى عظيما جليلا متحركا ناطقا خصيما مبينا بعيدا من الطين جدا؛ قال الرازى: و أصل [3] النون و الشين و الهمزة يدل [4] على ارتفاع شيء و سموه .

و لما كان هذا التفصيل لتطوير الإنسان سببا لتعظيم الخالق قال: ﴿فتبرك﴾ أى ثبت ثباتا لم يثبته شيء، بأن حاز جميع صفات الكمال، و تنزه عن كل شائبة نقص، فكان قادرا على كل شيء، و لو داناه

(١) العبارة من هنا إلى « و الخلق فقال » ساقطة من ظ (٢-٢) من مد، و فى الأصل: سبحانه غيره (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الاصل فى (٤) من ظ و مد. و فى الأصل: تدل .

شيء من عجز لم يكن تام الثبات، و لذلك قال: ﴿ الله ﴾ فعبر بالاسم العلم الجامع لجميع الأسماء الحسنى؛ و أشار إلى جمال الإنسان بقوله: ﴿ احسن الخالقين ﴾ أي المقدرين، أي قدر هذا الخلق العجيب هذا التقدير، ثم طوره في أطواره ما بين طفل رضيع، و محتلم شديد، و شاب نشيط، و كهل عظيم، و شيخ هرم - إلى ما بين ذلك من شؤون لايحيط ٥ بها إلا اللطيف الخبير.

و لما كانت إماتة ما صار هكذا - بعد القوة العظيمة و الإدراك التام - من الغرائب، و كان وجودها فيه و تكررها عليه في كل وقت قد صيرها[1] أمرا مألوفا، و شيئا ظاهرا مكشوفا، و كان عتو الإنسان على خالقه و تمرده و مخالفته لأمره[2] نسيانا لهذا المألوف كالإنكار له، ١٠ أشار إلى ذلك كله بقوله تعالى مسببا[3] مبالغا في التأكيد: ﴿ ثم انكم ﴾ [4]و لما كان الممكن ليس له من ذاته إلا العدم، نزع الجار فقال[4]: ﴿ بعد ذلك ﴾ أي الأمر العظيم من[5] الوصف بالحياة[6] و المد في العمر [في آجال متفاوتة -[7]] ﴿ لميتون ﴾ [8]و أشار[8] بهذا النعت إلى أن الموت أمر ثابت للانسان حتى في حال حياته لازم له[9]، بل ليس لممكن من ذاته / إلا العدم. ١٥ / ٥٨٦

و لما تقرر بذلك القدرة على البعث تقررا[10] لا يشك فيه عاقل،

---

(١) من ظ و مد، و في الأصل: صدرها (٢) من ظ و مد، و في الأصل: لامر (٣) سقط من مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من مد، و في الأصل: في، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة إلى «في العمر» ساقطة من ظ. (٦) من مد، و في الأصل: في الحياة (٧) زيد من ظ ومد (٨-٨) من ظ و مد، و في الأصل: فاشار (٩) في ظ: لهم (١٠) من ظ ومد، وفي الأصل: مقررا.

قال [1]نافيا ما يوهمه إعراء الظرف من الجار[1]: ﴿ثم انكم﴾ و عين البعث الأكبر التام، الذى هو محط الثواب و العقاب، لأن من أقر [به أقر -[2]] بما هو دونه من الحياة فى القبر و غيرها، فقال: ﴿يوم القيمة﴾ [أى - [2]] الذى يجمع فيه جميع الخلائق ﴿تبعثون ۝﴾ فنقصه[3] عن
٥ تأكيد الموت تنبيها على ظهوره، و لم يخله عن التأكيد لكونه على خلاف العادة، و ليس فى ذكر هذا نفى للحياة فى القبر عند السؤال.

و لما بين لهم أن فكرهم[4] فيهم يكفيهم، و لاعتقاد البعث يعنيهم، أتبعه دليلا آخر بالتذكير بخلق ما هو أكبر منهم، و بتدبيرهم بخلقه و خلق ما فيه من المنافع لاستبقائهم، فقال: ﴿و لقد خلقنا فوقكم﴾
١٠ [1]فى جميع جهة الفوق[1] فى ارتفاع لا تدركونه حق الإدراك ﴿سبع﴾ [و لارادة التعظيم أضاف إلى جمع كثرة فقال -[5]]: ﴿طرآئق ۖ﴾ أى سماوات لا تتغير عن حالتها[6] التى دبرناها عليها إلى أن نريد، و بعضها فوق بعض متطابقة، وكل واحدة منها على طريقة تخصها، و فيها طرق لكواكبها؛ قال الإمام عبد الحق الاشبيلى فى كتابه الواعى: سميت طرائق
١٥ لأنها مطارقة بعضها فى أثر بعض - انتهى. و هذا من قولهم: فلان على طريقة - أى حالة - واحدة، و هذا مطراق هذا، أى تلوه و نظيره، و ريش طراق - إذا كان بعضه فوق بعض. و قال ابن القطاع[7]:

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: منقصه (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: مكرهم (٥) زيد من مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: حالها (٧) راجع كتاب الأفعال ٢/٢٨٨.

و أطرق

و أطرق[1] جناح الطائر - أي مبنيا للجهول: ألبس الريش الأعلى الأسفل. و قال أبو عبيد الهروى: و أطرق جناح الطير - إذا وقعت ريشة على التى تحتها فألبستها، و فى ريشه طرق - إذا ركب [2]بعضه بعضا[2]. و قال الصغانى فى مجمع البحرين: و الطرق أيضا بالتحريك فى الريش أن يكون بعضها فوق بعض، و قال ابن الأثير فى النهاية[3]: طارق النعل - إذا صيرها ٥ [4]طاقا فوق طاق[4] و ركب بعضها على بعض، و فى القاموس: و الطراق - ككتاب: كل[5] خصفة يخصف بها النعل و تكون حذوها سواء و أن يقور جلد على مقدار الترس فيلزق بالترس، و قال القزاز: يقال: ترس مُطرَق[6] - إذا جعل له ذلك، و قال الصغانى فى المجمع: و المجان المطرقة التى يطرق بعضها على بعض كالنعل المطرقة - أي المخصوفة بعضها على ١٠ بعض، و يقال: أطرقت بالجلد و العصب، أى[7] ألبست، و قال أبو عبيد: طارق النعل - إذا صيرخصفا فوق خصف، و قال فى الخصف: هو إطباق طاق على طاق، و أصل الخصف: الضم و الجمع، و قال القزاز: [و -[8]] طارقت بين النعلين و الثوبين: جعلت أحدهما فوق الآخر - انتهى. و أصل الطرق الضرب، و مع كون السماوات مطارقة بعضها ١٥ فوق بعض فهى طرق للملائكة يتنزلون فيها بأوامره سبحانه و تعالى.

---

(١) من ظ و مد و كتاب الأفعال، و فى الأصل: طراق (٢ - ٢) من ظ و مد، و فى الأصل: بعضها بعض (٣) ٣/٤٠ (٤-٤) من ظ و مد و النهاية، و فى الأصل: طارقا فوق طارق (٥) من ظ و مد و القاموس، و فى الأصل: على. (٦) فى مد: منطرق (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: او (٨) زيد من ظ و مد.

و لما كان إهمال الشيء بعد إيجاده غفلة عنه، و كان البعث إحداث تدبير لم يكن كما أن الموت كذلك، بين أن مثل تلك [1]الأفعال الشريفة[1] عادته سبحانه إظهارا للقدرة و تنزها عن العجز و الغفلة فقال: ﴿و ما كنا﴾ [1]أى على ما لنا من العظمة[1] ﴿عن الخلق﴾ أى الذى خلقناه و فرغنا
٥ من إيجاده و عن إحداث / ما لم يكن، بقدرتنا التامة و علمنا الشامل ٥٨٧ / ﴿غفلين ه﴾ بل دبرناه تدبيرا محكما ربطناه بأسباب تنشأ[2] عنها مسببات يكون بها صلاحه، و جعلنا فى كل سماء ما ينبغى أن يكون فيها من المنافع، و فى كل أرض كذلك، و حفظناه من الفساد إلى الوقت الذى نريد فيه طىّ هذا العالم و إبراز غيره، و نحن مع ذلك كل يوم فى شأن،
١٠ و إظهار برهان، نعلم ما يلج فى الأرض و ما يخرج منها، و ما ينزل من السماء و ما يعرج فيها، إذا شئنا أنفذنا السبب [فنشأ عنه المسبب -[3]]، و إذا شئنا منعناه مما هيئ له، فلا يكون شيء من ذلك إلا بخلق جديد، فكيف يظن بنا أنا نترك الخلق بعد موتهم سدى، مع أن فيهم المطيع الذى لم نوفه ثوابه، و العاصى الذى لم ننزل به عقابه، أم كيف لا نقدر على
١٥ إعادتهم إلى ما كانوا عليه بعد ما قدرنا على إبداعهم و لم يكونوا شيئا.

و لما ساق[4] سبحانه هذين الدليلين على القدرة على البعث، أتبعهما بما هو من جنسهما و مشاكل للأول منهما، و هو مع ذلك دليل على ختام الثانى من[5] أنه من أجلّ النعم التى يجب شكرها، فقال: ﴿و انزلنا﴾

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى مد: ينشا (٣) زيد من ظ و مد.
(٤) تكرر فى الأصل فقط (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: مع.

أى بعظمتنا ﴿من السمآء﴾ أى من جهتها ﴿مآء بقدر﴾ لعله - و الله أعلم - بقدر ما يسقى[1] الزروع[2] و الأشجار، و يحيى البرارى و القفار، و ما تحتاج إليه البحار، مما تصب فيها الأنهار، إذ لو كان فوق ذلك لأغرقت البحار الأقطار، و لو كان دون ذلك لأدى إلى جفاف النبات و الأشجار ﴿فاسكنّٰه﴾ بعظمتنا[3] ﴿فى الارض صلے ق﴾ بعضه على ظهرها ٥ و بعضه فى[4] بطنها، و لم نعمها بالذى على ظهرها و لم نغور[5] ما فى بطنها[6] ليعم نفعه و ليسهل الوصول إليه ﴿و انا﴾ [7]على ما لنا من العظمة[7] ﴿على ذهاب به﴾ أى على إذهابه بأنواع الإذهاب بكل طريق بالإفساد و الرفع و التغوير و غير ذلك، [7]مع إذهاب البركة التى تكون لمن كنا معه[7] ﴿لقدرون ج﴾ قدرة هى فى نهاية العظمة. فاياكم و التعرض ١٠ لما يسخطنا.

و لما ذكر إنزاله، سبب[8] عنه الدليل الأقرب على البعث فقال: ﴿فانشانا﴾ أى فأخرجنا و أحيينا ﴿لكم﴾ [7]خاصة، لا لنا[7] ﴿به﴾ اى بذلك الماء الذى جعلنا منه كل شيء حي ﴿جنّٰت﴾ أى بساتين تجن - أى تستر - داخلها بما فيها ﴿من نخيل و اعناب م﴾ صرح بهذين الصنفين ١٥ لشرفهما، و لأنهما أكثر ما عند العرب من الثمار، [9]سمى الأول باسم

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: تسقى (٢) فى مد: الزرع (٣) سقط من ظ.
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل: على (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لم يقدر.
(٦) زيد فى الأصل: الا الله، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
(٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) فى مد: تسبب (٩) العبارة من هنا إلى «من شجرته» ص ١٢٢ س ٢ ساقطة من ظ.

شجرته[1] لكثرة ما فيها من المنافع المقصودة بخلاف الثانى فانه المقصود من شجرته ؛ و أشار إلى غيرهما بقوله: ﴿ لكم ﴾ [2]أى خاصة[2] ﴿فيها﴾ أى الجنات ﴿ فواكه كثيرة ﴾ [3]و لكم فيها غير ذلك[3] .

و لما كان التقدير: منها - و هى طرية - تتفكهون ، عطف عليه[3] ٥ [قوله -[4]] : ﴿و منها﴾ [أى -[5]] بعد اليبس و العصر ﴿ تاكلون ﴾ [6]أى يتجدد لكم الأكل بالادخار ، و لعله[6] [7]قدم الظرف تعظيما للامتنان بها[7].

و لما ذكر سبحانه ما إذا عصر كان ماء لاينفع للاصطباح[7] ، أتبعه ما إذا عصر[8] كان دهنا يعم الاصطباح و الاصطباغ ، و فصله عنه لأنه أدل على القدرة فقال : ﴿ و شجرة ﴾ أى و أنشأنا به شجرة ، أى زيتونة ١٠ ﴿ تخرج من طور ﴾ .

و لما كان السياق للامداد[9] بالنعم ، ناسبه المد فقال : ﴿سيناء﴾ قال الحافظ عماد الدين ابن كثير[10]: و هو طور سينين ، و هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام و ما حوله / من الجبال التى /٥٨٨ فيها شجر الزيتون. و قال صاحب القاموس[11]: و الطور : الجبل ، و جبل

---

(١) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى مد فحذفناها (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : عليها (٤) زيد من مد . (٥) زيد من ظ ومد (٦-٦) بياض فى الأصل ملأناه من مد (٧)من ظ و مد ، وفى الأصل : للاستصباح (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : حصر (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : لامداد (١٠) راجع تفسيره ٣/٢٤٣ (١١) راجع ١/٧٨ .

قرب

قرب أيلة يضاف إلى سيناء و [سينين، و جبل بالشام، و قيل: هو المضاف إلى سيناء، و -[1]] جبل بالقدس عن يمين المسجد، و آخر عن قبليه، [به -[2]] قبر هارون عليه السلام، و جبل برأس العين، - و آخر مطلّ على طبرية - انتهى. و هو اسم مركب من الاسمين، و قيل: بل هو مضاف إلى سيناء؛ [و معنى سيناء -[3]] الحسن، و قيل: المبارك، و قيل: ٥ هو[4] حجارة معروفة، و قيل: شجر، و لعله[5] خصه من بين الأطوار لقربه من المخاطبين أولا بهذا القرآن، و هم العرب، و لغرابة[6] نبت الزيتون به[7] لأنه فى بلاد الحر و الزيتون من نبات الأرض الباردة، و لتمحضه لأن يكون نبته مما أنزل من السماء من الماء لعلوه جدا، و[8] بعده من أن يدعى أن ما فيه من النداوة من الماء من البحر لأن الإمام ١٠ أبا العباس أحمد ابن القاص[9] من قدماء أصحاب الشافعى حكى فى كتابه أدلة القبلة أنه يصعد إلى أعلاه فى ستة آلاف مرقاة و ستمائة و [ست و -[2]] ستين مرقاة، قال: و هى مثل الدرج من الصخر، فاذا انتهى إلى مقدار النصف من الطريق يصير إلى مستواه من الأرض فيها أشجار و ماء عذب، و فى هذا الموضع كنيسة على اسم ايليا النبى عليه السلام، و فيه مغار، ١٥ و يقال: إن ايليا عليه السلام لما هرب من إزقيل[9] الملك اختفى فيه؛ ثم يصعد من هذا الموضع فى الدرج حتى ينتهى إلى قلة الجبل،

---

(١) زيد من مد و القاموس (٢) زيد من القاموس (٣) زيد من ظ و مد.
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل: هى (٥) من مد. و فى الأصل و ظ: كانه.
(٦) من ظ ومد، و فى الأصل: لقرابة (٧) سقط من مد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: او (٩) الوفيات ١/٥١ (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: ارض - كذا.

و فى قلبه كنيسة بنيت على اسم موسى عليه السلام بأساطين رخام،
أبوابها من الصفر و الحديـــد، و سقفها من خشب الصنوبر، و أعلى
سقوفها أطباق رصاص قد أحكمت بغاية الإحكام، و ليس [فيها - [1]]
إلا رجل راهب يصلى و يدخن و يسرج قناديلها، و لا يمكن أحدا أن
٥ ينام فيها البتة، و قد اتخذ هذا الراهب لنفسه خارجا من الكنيسة بيتا
صغيرا يأوى فيه، و هذه الكنيسة بنيت فى المكان الذى كلم الله فيه
موسى عليه الصلاة و السلام، و حواليه - أى حوالى الجبل - من أسفله
ستة آلاف ما بين دير و صومعة للرهبان و المتعبدين، كان يحمل إليهم
خراج مصر فى أيام ملك الروم للنفقة على الديارات و غيرها. و ليس
١٠ اليوم بها إلا مقدار سبعين راهبا يأوون [فى] الدير الذى داخل الحصن، و فى
أكثرها يأوى أعراب بنى رمادة. و على الجبل مائة صومعة، و أشجار
هذا الجبل اللوز و السرو، و إذا هبطت من الطور أشرفت على عقبة
تهبط منها فتسير خطوات فتنتهى إلى دير [2] النصرانى: محصّن عليه سور
من حجارة منحوتة ذات شرف [3] عليه بابان من حديد، و فى جوف هذا
١٥ الدير عين ماء عذب، و على هذه العين درابزين من نحاس لئلا يسقط
فى العين أحد. و قد هيء براتج رصاص يجرى فيها الماء إلى كروم لهم
حول الدير، و يقال: إن هذا الدير هو الموضع الذى رأى موسى عليه
السلام فيه النار فى شجرة العليق. [و قبلة - [1]] من بها دبر الكعبة، و فيه

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: بر (٣) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

يقول القائل:

عجب الطور من ثباتك[1] موسى حين ناجاك بالكلام الجليل

و الطور من جملة كور مصر[2]، منه إلى بلد قلزم على البر مسيرة أربعة أيام، ومنه إلى فسطاط مصر مسيرة[3] سبعة أيام - انتهى كلام ابن القاص، و سألت أنا من له خبرة بالجبل المذكور: هل به أشجار الزيتون؟ فأخبرني ٥ أنه لم ير به شيئا / منها، و إنما رآها فيما حوله في قرار الأرض، و هي / ٥٨٩ كثيرة و زيتونها مع كبره أطيب من غيره. فان كان ذلك كذلك فهو أغرب مما لو كانت به، لأنه لعلوه أبرد مما سفل من الأرض، فهو بها أولى، و ظهر لي - و الله أعلم - أن حكمة تقدير الله تعالى أن يكون عدد الدرج ما ذكر موافقة زمان[4] الإيجاد الأول لمكان الإبقاء الأول، ١٠ و ذلك أن الله تعالى خلق السماوات و الأرض في ستة أيام و هو الإيجاد الأول، و كلم[5] موسى عليه الصلاة و السلام، و كتب له الألواح في هذا الجبل، ثم أتم له التوراة و هي أعظم الكتب بعد القرآن. و بالكتب السماوية و الشرائع الربانية انتظام البقاء الأول، كما سلف في الفاتحة و الأنعام و الكهف. ١٥

و لما ذكر سبحانه إنشاء هذه الشجرة بهذا الجبل البعيد عن مياه البحار لعلوه و صلابته أو بما حوله من الأرض الحارة، ذكر تميزها عن

---

(١) من ظ و مد، و في الأصل: ثيابك (٢) زيدت الواو في الأصل و ظ، ولم تكن في مد فحذفناها (٣) سقط من مد (٤) من ظ و مد، و في الأصل: زمن.

(٥) زيد في الأصل: الله، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها.

عامة الأشجار بوجه آخر عجيب فقال : ﴿ تنبت ﴾ أى بالماء الذى لا دهن فيه أصلا ، نباتا[1] على قراءة الجمهور[1] ، أو[2] إنباتا على[3] قراءة ابن كثير[2] و أبى عمرو و ورش[4] [عن يعقوب بضم الفوقانية -[5]] ، ملتبسا ثمره ﴿ بالدهن ﴾ و هو فى الأصل مائع لزج خفيف يتقطع[6] و لايختلط بالماء الذى هو
٥ أصله فيسرج و يدهن به . و كأنه عرّفه لأنه أجلّ الأدهان و أكلها .

و لما كان المأكول منها الدهن و الزيتون قبل العصر ، عطف إشعارا بالتمكن فقال : ﴿ و صبغ ﴾ أى و تنبت بشيء يصبغ - أى يلون - الخبز[7] إذا غمس فيه او أكل به ﴿ للآكلين ﴾ و كأنه نكره لأن فى الإدام ما هو أشرف منه و ألذ و إن كانت بركته مشهورة ؛ روى الإمام أحمد[8]
١٠ عن أبى أسيد مالك بن ربيعة الساعدى الأنصارى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : كلوا الزيت و ادهنوا [به -[9]] فانه من شجرة مباركة . و للترمذى[10] و ابن ماجه[10] و عبد بن حميد فى مسنده و تفسيره كما نقله "ابن كثير عن[11] ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : ائتدموا بالزيت و ادهنوا به فانه يخرج من

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل « و ».
(٣) من مد ، و فى الأصل : فى ، و العبارة من هنا إلى « ورش » ساقطة من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل : عرش (٥) زيد من مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : تقطع (٧) فى الأصل بياض ، ملأناه من ظ و مد (٨) فى مسنده ٣/ ٤٩٧ (٩) زيد من ظ و مد و المسند (١٠) فى أبواب الأطعمة .
(١١ - ١١) سقط ما بين الرقمين من ظ ، و راجع ابن كثير ٣/ ٢٤٣ .

شجرة

شجرة مباركة . و قال أبو حيان[1] : و خص هذه الأنواع الثلاثة من النخل و العنب و الزيتون لأنها أكرم الشجر و أجمعها للنافع .

و [لما -[2]] دل سبحانه و تعالى على قدرته بما أحيا بالماء [حياة -[2]] قاصرة عن الروح، أتبعه ما أفاض عليه به حياة كاملة فقال : ﴿و ان لكم فى الانعام﴾ و هى الإبل و البقر و الغنم ﴿لعبرة[4]﴾ تعبرون ٥ بها من ظاهر أمرها إلى باطنه مما له سبحانه فيها من القدرة التامة على البعث و غيره ؛ ثم استأنف [3]تفصيل ما فيها من العبرة[3] قائلا : ﴿تسقيكم﴾ و لما كان الأنعام مفردا لكونه اسم جمع، و لم يذكر ما يسق[4] منه ، أنث الضمير بحسب المعنى و علم أن المراد ما يكون منه اللبن خاصة و هو الإناث ، [فهو استخدام -[5]] [6]لأنه لو أريد جميع[7] ما يقع عليه ١٠ الاسم لذكر / الضمير . فلذلك قال : ﴿مما فى بطونها﴾ أى[8] نجعله لكم / ٥٩٠ شرابا [نافعا للبدن موافقا للشهوة -[2]] تلتذون به مع خروجه من بين الفرث و الدم كما مضى فى النحل ﴿ و لكم فيها ﴾ أى فى[9] جماعة[10] الأنعام ، [2]و قدم الجار[2] [11]تعظيما لمنافعها حتى كأن غيرها عدم[11]

---

(١) فى البحر المحيط ٦/٤٠٠ (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : نسقى (٥) زيد من مد (٦) زيد قبله فى الأصل الواو ، ولم تكن فى ظ ومد فحذفناها (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل: جمع (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ان (٩) سقط من مد (١٠) زيد فى الأصل : منها ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١١ - ١١) فى الأصل بياض ملأناه من مد .

﴿منافع كثيرة﴾ باستسلامها لما يراد منها[1] مما لا يتيسر من أصغر منها، و بأولادها و أصوافها و أوبارها، و غير ذلك من آثارها.

و لما كان التقدير: تصرفونها في تلك المنافع، عطف عليه مقدما للجار تعظيما لمأكولها[2] فقال: ﴿و منها تاكلون﴾ بسهولة من غير امتناع

٥ ما عن شيء من ذلك، و لو شاء لمنعها [من ذلك -[3]] و سلطها عليكم، و لو شاء لجعل لحمها لا ينضج، أو جعله قذرا لا يؤكل، و لكنه بقدرته و علمه هيأها لما ذكر و ذللها له.

و لما كانت المفاوتة بين الحيوانات في القوى و سهولة الانقياد [دالة على -[4]] كمال القدرة، و كان الحمل للنفس و المتاع عليها و على

١٠ غيرها من الحيوان من أجلّ المنافع بحيث لولا هو لتعطلت أكثر المصالح، ذكره فيها مذكرا بغيرها[5] في البر تلويحا، و ذاكرا[6] لحامل البحر تصريحا، فقال مقدما للجار عدأ لحمل غيرها بالنسبة إلى حملها [7]لعظيم وقعه[7] عدما: ﴿و عليها﴾ أي الأنعام الصالحة للحمل من الإبل و البقر في البر ﴿و على الفلك﴾ في البحر. و لما كان من المعلوم [8]من تذليلها على

١٥ كبرها[9] و قوتها و امتناع غيرها على صغره و ضعفه أنه لا فاعل لذلك

(١) من ظ و مد، و في الأصل: فيها (٢) في ظ: لمنافعها (٣) زيد من ظ.
(٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و في الأصل: الى غيرها (٦) من ظ و مد، و في الأصل: ذكرا (٧-٧) من ظ و مد، و في الأصل: العظيم رفعه (٨) العبارة من هنا إلى «المفعول قوله» ساقطة من ظ (٩) من مد، و في الأصل: كبر.

إلا الله مع أن الممتن به نفس الحمل لا بالنظر إلى شيء آخر، بنى للفعول
قوله: ﴿تحملون ﴾ بانعامه عليكم بذلك، و لو شاء لمنعه، فتذكروا عظيم
قدرته و كمال صنعته، و عظموه حق[1] تعظيمه، و اشكروه على ما أولاكم
من تلك النعم، و أخلصوا له الدين، لتفلحوا فتكونوا من الوارثين.

و لما كان التقدير: فلقد حملنا نوحا و من أردنا ممن آمن به من ٥
أولاده و أهله و غيرهم على الفلك، و أغرقنا من عانده من أهل الأرض
قاطبة بقدرتنا، و نصرناه عليهم بعد ضعفه عنهم بأيدينا و قوتنا، و جعلناه
و ذريته هم الوارثين، و كنتم ذرية فى أصلابهم، و كثرناهم حتى ملأنا
منهم الأرض، دلالة على ما قدمنا من تفردنا كما أجرينا[2] عادة هذا
الكتاب الكريم بذكر عظيم البطش بعد أدلة التوحيد، و أتبعنا بعده ١٠
الرسل الذين سمعتم بهم، و عرفتم بعض أخبارهم، يا من أنكر الآن رسالة
البشر لإنكار رسالة هذا النبي الكريم! عطف عليه يهدد[3] باهلاك الماضين،
للرجوع عن الكفر، و يذكر بنعمة النجاة للاقبال على الشكر، و يسلي[4]
هذا النبي الكريم و من معه من المؤمنين لمن كذب قبله من النبيين
و أوذى[5] من اتباعهم، و يدل على أنه يفضل من عباده من يشاء بالرسالة، ١٥
كما فضل طينة الإنسان على سائر الطين، و على أن الفلاح بالإرث و الحياة
الطيبة فى الدارين مخصوص بالمؤمنين كما ذكر أول السورة، فذكر نوحا

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: من (٢) من ظ و مد، و فى الأصل:
جرينا (٣) من مد، و فى الأصل: تهددا، و فى ظ: تهدد (٤) من ظ و مد،
و فى الأصل: يسيل (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: ارذق.

لأن قصته أشهر القصص ، و لأن قومه كانوا ملء الأرض ، و لم تغن عنهم كثرتهم و لا نفعتهم قوتهم ، و لأنه الأب الثاني بعد [الأب -[1]] الأول المشار إليه بالطين ، و لأن نجاته و نجاة المؤمنين / معه كانت بالفلك المختوم به الآية قبله ، فقال : ﴿ و لقد ارسلنا ﴾ إشارة بصيغة العظمة إلى زيادة التسلية بأنه « أتاه من الآيات ما مثله آمن عليه البشر[2] » و قام هو صلى الله عليه و سلم بذلك حق القيام ﴿ نوحا ﴾ أي و هو الأب الثاني بعد آدم عليهما السلام ﴿ الى قومه ﴾ و هم[3] جميع أهل الأرض لتواصل ما بينهم لكونهم على لغة واحدة ﴿ فقال ﴾ أي فتسبب عن ذلك أن قال : ﴿ يٰقوم ﴾ [ترفقا بهم -[4]] ﴿ اعبدوا الله ﴾ أي الملك الأعظم الذي لا كفوء له ، وحده ، لأنه إلهكم وحده لاستحقاقه لجميع خلال الكمال ؛ و استأنف على سبيل التعليل قوله : ﴿ ما لكم ﴾ و أغرق في النفي بما هو حق العبادة فقال : ﴿ من اله ﴾ أي معبود[5] بحق ﴿ غيره[4] ﴾ فلا تعبدوا سواه .

و لما كانت أدلة الوحدانية و العظمة باعطاء الثواب و إحلال العقاب في غاية الظهور لا تحتاج[5] إلى كبير تأمل ، تسبب عن ذلك إنكاره لأمنهم من مكره ، و الخوف من ضره ، فقال : ﴿ افلا تتقون ﴾ [أي تخافون -[6]] ما[7] ينبغي الخوف منه[8] فتجعلوا لكم وقاية من عذابه[8] فتعملوا

(١) زيد من ظ و مد (٢) اقتباس من الحديث ومر غير مرة (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : هو (٤) زيد من مد (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : لا يحتاج .
(٦) زيد من ظ و مد غير أن في ظ : تخافونه (٧) من مد ، و في الأصل : مما ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة إلى « الخوف منه » في ظ (٨-٨) من ظ و مد ، و في الأصل : لتخافوا معطوفة .

بما تقتضيه التقوى من إفراده بالعبادة خوفا من ضركم و رجاء لنفعكم
﴿فقال﴾ [1]أى فتسبب عن ذلك أن كذبوه فقال[1]: ﴿الملؤا﴾ [أى
الأشراف الذين تملأ رؤيتهم الصدور عظمة ، و لما كان أهل الإيمان
كلهم إذ ذاك قبيلة واحدة لاجتماعهم فى لسان واحد قدم قوله - [2]] :
﴿الذين كفروا﴾ [أى بالله لأن التسلية ببيان التكذيب أتم ، و الصلة هنا ٥
قصيرة لا يحصل بها لبس و لا ضعف فى النظم بخلاف ما يأتى ، و كأن
أفخاذهم[3] كانت متمايزة فزاد فى الشناعة عليهم بأن عرف أنهم من أقرب
الناس إليه بقوله - [2]] : ﴿من قومه ما هذآ﴾ أى نوح عليه الصلاة
و السلام ﴿الا بشر مثلكم لا﴾ أى فلا يعلم ما لا تعلمون ، فأنكروا أن
يكون بعض البشر نبيا ، و لم ينكروا أن يكون بعض الطين إنسانا ، و بعض ١٠
الماء علقة ، و بعض العلقة مضغة - إلى آخره ، فكأنه قيل : فما حمله على
ذلك ؟ فقالوا : ﴿يريد ان يتفضل﴾ أى يتكلف الفضل بادعاء مثل هذا
﴿عليكم ط﴾ لتكونوا أتباعا له ، و لا خصوصية له به دونكم .

و لما كان التقدير : فلم يرسله الله كما ادعى ، عطف عليه قولهم :
﴿و لو شآء الله﴾ اى الملك الأعلى الإرسال إليكم و عدم عبادة غيره ١٥
﴿لأنزل﴾ لذلك ﴿ملٓئكة صلے﴾ و ما علموا أن القادر على [تفضيل - [2]] بعض
الجواهر بجعلها ملائكة قادر على تفضيل ما شاء [و من شاء - [2]] بما

(١-١) وقع فى الأصل بعد «من قومه» والترتيب من ظ و مد إلا أن فى الأصل: بان قال - موضع : فقال (٢) زيد من ظ و مد (٣) جمع فخذ : حى الرجل .

يشاء من الملائكة و غيرها[1] .

[2]و لما كان هذا متضمنا لإنكار رسالة البشر ، صرحوا به فى قولهم كذبا[2] و بهتانا كما كذب فرعون و آله حين[3] قالوا مثل هذا القول[4] و كذبهم المؤمن برسالة يوسف عليه الصلاة و السلام : ﴿ما سمعنا بهذا﴾ أى بارسال نبى من البشر يمنع أن يعبد غير الله بقصد التقريب إليه ، فجعلوا الإله حجرا ، و أحالوا كون النبى بشرا ﴿فى اٰبآئنا الاولين ج﴾ و لا سمعنا[5] بما دعا إليه من التوحيد .

و لما نفوا عنه الرسالة و حصروا أمره فى قصد السيادة ، و كانت سيادته لهم بمثل هــذا عندهم من المحال ، قالوا : ﴿ان﴾ أى ما ﴿هو الا رجل به جنة﴾ أى جنون فى قصده التفضل بما يورث بغضه و هضمه [و ـ[6]] لانعرف له وجها مخصصا به ، فلا نطيع له فيه أبدا ﴿فتربصوا به﴾ اى فتسبب عن الحكم بجنونه أنا نأمركم بالكف عنه لأنه لاحرج عــلى مجنون ﴿حتى﴾ أى إلى[7] ﴿حين ۝﴾ لعله يفيق أو يموت ، فكأنه قيل : فما قال؟ فقيل : ﴿قال﴾ عند ما أيس من فلاحهم : ﴿رب انصرنى﴾ أى أعنّى عليهم ﴿بما كذبون ۝﴾ أى بسبب تكذيبهم لى ، فان تكذيب الرسول استخفاف[8] بالمرسل ﴿فاوحينآ﴾ /٥٩٢

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : غيرهم (٢-٢) وقع فى الأصل بعد « و الصلاة و السلام » و الترتيب من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : غيره . (٤) سقط من مد (٥) زيد فى الأصل : بهذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : التى (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : استخفافا .

أى فتسبب عن دعائه[1] أنا أوحينا ﴿ اليه ان اصنع الفلك ﴾ [2]أى السفينة[2].

و لما كان يخاف من أذاهم له فى عمله بالإفساد وغيره قال: ﴿ باعيننا ﴾ أى أنه لا يغيب عنا شيء [من أمرك و لا من أمرهم و أنت تعرف قدرتنا عليهم -[3]] فثق بحفظنا و لا تخف شيئا من أمرهم - و لما كان لا يعلم تلك ٥ الصنعة، قال: ﴿ و وحينا ﴾ ثم حقق له[4] هلاكهم و قربه بقوله[5]: ﴿ فاذا جآء امرنا ﴾ أى بالهلاك عقب فراغك منه ﴿ و فار التنور[7] ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما[5]: وجه الأرض. و فى القاموس[6]: التنور: الكانون يخبز فيه، و وجه الأرض، و كل مفجر ماء، و جبل قرب المصيصة - [انتهى. و الأليق بهذا الأمر صرفه إلى ما يخبز فيه ليكون آية فى آية -[7]] ١٠ ﴿ فاسلك ﴾ أى فأدخل ﴿ فيها ﴾ أى السفينة ﴿ من كل زوجين ﴾ من الحيوان ﴿ اثنين ﴾ ذكرا و أنثى ﴿ و اهلك ﴾ من أولادك و غيرهم ﴿ الا من سبق عليه ﴾ لا له ﴿ القول منهم ج ﴾ بالهلاك لقطع ما بينك و بينه من الوصلة بالكفر.

و لما كان التقدير: فلا تحمله معك و لا تعطف عليه لظلمه، عطف ١٥ عليه قوله: ﴿ و لا تخاطبنى ﴾ أى بالسؤال فى النجاة ﴿ فى الذين ظلموا ج ﴾ عامة؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ انهم مغرقون ﴾ أى قد ختم القضاء عليهم، و نحن نكرمك عن سؤال لا يقبل.

---

(١) فى مد: وقاية (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من مد (٣) زيد من ظ و مد.
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لهم (٥) راجع الكشاف ٢/ ٩٩٢ (٦) راجع ١/ ٣٧٧ (٧) زيد من مد.

و لما قدم ذلك ، لأن درء المفاسد - بالنهي عما لا يرضى - أولى
من جلب المصالح ، أتبعه الأمر بالشكر فقال : ﴿ فاذا استويت ﴾ أي
اعتدلت ﴿ انت و من معك ﴾ أي من البشر و غيرهم ﴿ على الفلك ﴾
ففرغت من امتثال الأمر بالحمل[1] ﴿ فقل ﴾ لأن علمك بالله ليس كعلم
٥ غيرك فالحمد منك أتم ، و إذا قلت اتبعك من معك ، فانك قدوتهم
و هم في غاية الطاعة لك ، و لهذا أفرد في الجزاء بعد العموم في الشرط
﴿ الحمد ﴾ أي الإحاطة بأوصاف الكمال في الإيجاد و الإعدام ﴿ لله ﴾
أي الذي لا كفوء له لأنه المختص بصفات المجد ﴿ الذي نجّينا ﴾ بحملنا
فيه ﴿ من القوم ﴾ الأشداء الأعتياء ﴿ الظلمين ◦ ﴾ الذين[2] حالهم
١٠ - لوضعهم الأشياء في غير مواضعها - حال من يمشي في الظلام ، فلك
الحمد بعد إفنائهم كما كان [الك - [3]] الحمد في حال إبدائهم و إبقائهم ؛
و الحمد في هذه السورة المفتتحة بأعظم شعيرة بها الإبقاء الأول ، و هي
الصلاة الموصوفة بالخشوع كالحمد في سورة الإيجاد الأول : الأنعام بقوله
تعالى[4] " فقطع دابر القوم الذين ظلموا و الحمد لله رب العلمين "[5] .
١٥ و لما أشار له بهذا القول إلى السلامة بالحمل ، أتبعه الإشارة إلى
الوعد باسكان الأرض فقال : ﴿ و قل رب انزلني ﴾ في الفلك[6] ثم
في الأرض و في كل منزل تنزلني به و تورثني إياه ﴿ منزلا ﴾ موضع
نزول ، أو إنزالا ﴿ مباركا ﴾ أي أهلا لأن يثبت فيه أو به . و لما كان

---

(١) من مد . و في الأصل و ظ : في الجمل (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : الذي (٣) زيد من مد (٤) آية ٤٥ (٥) في مد : الملك .

الثناء أعظم مهيج[1] على إجابة الدعاء، و كان التقدير: فأنت خير الحاملين؛ عطف عليه قوله: ﴿ و أنت خير المنزلين ﴾ لأنك تكفى نزيلك[2] كل هم، و تعطيه كل مراد.

و لما كانت هذه القصة من أغربه[3] القصص، حث على تدبرها بقوله: ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى الأمر العظيم الذى ذكر من أمر نوح ٥ و قومه و كذا ما هو مهاد له ﴿ لأيت ﴾ أى علامات دالات على صدق الأنبياء فى أن المؤمنين هم المفلحون، و أنهم الوارثون للأرض بعد الظالمين و إن عظمت شوكتهم، و اشتدت صولتهم ﴿ و ان ﴾ /[4]أى ٥٩٣/ و إنا بما لنا من العظمة[4] ﴿ كنا ﴾ بما [5]لنا من الوصف الثابت الدال على تمام[6] القدرة ﴿ لمبتلين ﴾ أى فاعلين فعل المختبر لعبادنا بارسال الرسل ١٠ ليظهر فى عالم[7] الشهادة الصالح منهم من غيره، ثم نبتلى الصالحين منهم بما يزيد حسناتهم، و ينقص سيئاتهم، و يعلى درجاتهم، ثم نجعل لهم العاقبة فنبلى بهم الظالمين بما يوجب دمارهم، و يخرب ديارهم، و يمحو آثارهم، هذه عادتنا المستمرة إلى أن نرث الأرض و من عليها فيكون البلاء المبين. ١٥

و لما بين سبحانه و تعالى تكذيبهم و ما عذبهم به، و كان القياس موجبا لأن من يأتى بعدهم يخشى مثل[8] مصرعهم، فيسلك غير سبيلهم،

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: مبيح (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: بذلك (٣) فى مد: أعظم (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) العبارة من هنا إلى « القدرة » ساقطة من ظ (٦) من مد، و فى الأصل: اتمام (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: علم (٨) سقط من مد.

و يقول غير قيلهم ، بين أنه لم تنفعهم العبرة ، فارتكبوا مثل أحوالهم[1] ، و زادوا على أقوالهم و أفعالهم ، لإرادة ذلك من الفاعل المختار ، الواحد القهار ، و أيضا فانه لما كان المقصود - مع التهديد و الدلالة على القدرة و الاختيار - الدلالة على تخصيص المؤمنين بالفلاح و البقاء بعد الأعداء ، ٥ وكان إهلاك المترفين أدل على ذلك ، اقتصر على ذكرهم و أبهمهم ليصح تنزيل قصتهم على كل من ادعى فيهم[2] الإتراف من الكفرة ، و يترجح إرادة عاد لما أعطوا مع ذلك من قوة الأبدان و عظم الأجسام ، و بذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما[3] ، و إرادة ثمود لما فى الشعراء و القمر مما يشابه بعض قولهم هنا ، و للتعبير عن عذابهم بالصيحة و لموافقتهم[4] ١٠ لقوم نوح فى تعليل ردهم بكونه بشرا ، [5]و طوى[5] الإخبار عمن[6] بعدهم بغير التكذيب و الإهلاك لعدم[7] الحاجة إلى ذكر شيء غيره ، فقال : ﴿ثم انشانا﴾ أى أحدثنا و أحيينا و ربينا [8]بما لنا من العظمة[8] . و لما لم يستغرقوا زمان البعد ، أتى بالجار فقال : ﴿من بعدهم قرنا﴾ أى [أمة -][9] [10]و جيلا . و لما كان ربما ظن ظان أنهم فرقة من المهلكين ١٥ نجوا من عذاب سائرهم كما يكون فى حروب سائر الملوك ، عبر عن

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اموالهم (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : منهم (٣) راجع روح المعانى ٥/٤٩٩ (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : لمواقتهم . (٥-٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : يطوى (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : عن (٧) من ظ و مد ، و فى الاصل : لقدم (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٩) زيد من ظ و مد (١٠) العبارة من هنا إلى « بعدهم فقال » ساقطة من ظ .

إنجائهم[1] بانشائهم، حقق أنهم أحدثوا [بعدهم -[2]] فقال: ﴿ءاخرين[4] فارسلنا﴾ أي فتعقب إنشاءنا لهم [3]و تسبب عنه[3] أن أرسلنا.

و لما كان المقصود الإبلاغ في التسلية، عدى الفعل بـ «في» دلالة على أنه عمهم بالإبلاغ[4] كما يعم المظروف الظرف، حتى لم يدع واحدا [منهم -[5]] إلا أبلغ في أمره فقال[6]: ﴿فيهم رسولا منهم﴾ فكان ٥ القياس [يقتضي -[5]] مبادرتهم لاتباعه لعلمهم بما حل بمن قبلهم لأجل التكذيب، و لمعرفتهم غاية المعرفة لكون النبي منهم، بما جملناه عليه من المحاسن، و ما زيناه به من الفضائل، و لأن [7]عزه عزهم[7]. و لدعائه لهم إلى ما لا يخفى حسنه على عاقل، و لا يأباه منصف؛ ثم بين ما أرسل به بقوله: ﴿ان اعبدوا الله﴾ أي وحده لأنه[8] لا مكافئ[8] له، و لذا[9] حفظ ١٠ اسمه فكان لا سمي له[10]؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ما لكم﴾ و دل على الاستغراق بقوله: ﴿من اله غيره﴾.

و لما كانت المثلات قد خلت من قبلهم في المكذبين، و أناخت صروفها بالظالمين، فتسبب عن علمهم بذلك / إنكار قلة مبالاتهم في عدم ٥٩٤ / تحرزهم من مثل مصارعهم، قال: ﴿افلا تتقون﴾ [أي تجعلون ١٥

(١) من مد، و في الأصل: ايجابهم (٢) زيد من مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و مد، و في الأصل: بابلاغ (٥) زيد من ظ و مد. (٦) سقط من مد (٧-٧) من ظ و مد، و في الأصل: عزهم غيره (٨) من ظ و مد، و في الأصل: بانه (٩) من مد، و في الأصل: كذا (١٠) العبارة من «و لذا» إلى هنا ساقطة من ظ.

لكم وقاية مما ينبغى الخوف منه فتجعلوا وقاية تحول بينكم و بين سخط الله - [1]] .

و لما كان التقدير : فلم يؤمنوا و لم يتقوا دأب قوم نوح ، عطف عليه قوله : ﴿و قال الملا﴾ أى الأشراف [الذين تملأ رؤيتهم الصدور ، ٥ فكأن ما اقترن بالواو أعظم فى التسلية مما خلا منها على تقدير سؤال لدلالة هذا على ما عطف عليه - [2]] . و لما كانت القبائل قد تفرقت بتفرق الألسن ، قدم قوله : ﴿ من قومه ﴾ اهتماما و تخصيصا الابلاغ فى التسلية [و لأنه لو أخر لكان بعد تمام الصلة و هى طويلة - [1]] ؛ ثم بين الملأ بقوله : ﴿ الذين كفروا ﴾ أى غطوا ما يعرفون من أدلة ١٠ التوحيد و الانتقام من المشركين ﴿ و كذبوا بلقآء الأخرة ﴾ لتكذيبهم بالبعث .

و لما كان من لازم الشرف الترف ، صرح به إشارة إلى أنه - لظن كونه سعادة فى الدنيا - قاطع فى الغالب عن سعادة الآخرة ، لكونه حاملا على الأشر[3] و البطر و التكبر حتى على المنعم ، فقال : ١٥ ﴿ و اترفنهم ﴾ أى و الحال أنا - [4]بما لنا و على ما لنا من العظمة[4] - نعمناهم ﴿ فى الحيوة الدنيا لا ﴾ أى الدانية الدنيئة [5] ، بالأموال و الأولاد و كثرة السرور ، يخاطبون أتباعهم : ﴿ما هذآ﴾ أشاروا [إليه -[2]] تحقيرا له عند المخاطبين ﴿الا بشر مثلكم لا﴾ أى فى الخلق و الحال ؛ ثم

(١) زيد من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاشد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) سقط من مد .

و صفوه

وصفوه بما يوهم المساواة في كل وصف فقالوا: ﴿يأكل مما تأكلون منه﴾ من طعام الدنيا ﴿ويشرب مما تشربون ﴾ أي منه من شرابها فكيف يكون رسولا دونكم!

ولما كان التقدير: فلئن اتبعتموه[1] إنكم لضالون، عطف عليه: ﴿ولئن أطعتم بشرا مثلكم﴾ في جميع ما ترون ﴿إنكم إذا﴾ أي إذا أطعتموه ٥ ﴿لخسرون ﴾ أي مغبونون لكونكم فضلتم مثلكم عليكم بما يدعيه مما نحن له منكرون؛ ثم بينوا إنكارهم بقولهم: ﴿أيعدكم أنكم إذا متم﴾ ففارقت أرواحكم أجسادكم ﴿وكنتم﴾ أي وكانت أجسادكم ﴿ترابا﴾ باستيلاء التراب على ما دون عظامها[2] ﴿وعظاما﴾ مجردة؛ ثم بين الموعود به بعد أن حرك النفوس إليه، وبعث بما قدمه أتم بعث عليه، فقال [مبدلا ١٠ من "أنكم" الأولى إيضاحا للمعنى -[3]]: ﴿أنكم مخرجون ﴾ أي من تلك الحالة التي صرتم إليها، فراجعون إلى ما كنتم [عليه -[4]] من الحياة على ما كان لكم من الأجسام؛ ثم استأنفوا التصريح بما دل عليه الكلام من استبعادهم ذلك فقالوا: ﴿هيهات هيهات﴾ أي بعد بعد جدا بحيث صار ممتنعا، ولم يرفع ما بعده به بل قطع عنه تفخيما له، فكان كأنه ١٥ قيل: لأي شيء هذا الاستبعاد؟ فقيل: ﴿لما توعدون ﴾.

ولما كانوا بهذا التأكيد في التبعيد كأنهم قالوا: إنا لا نبعث أصلا، اتصل به: ﴿إن هي﴾ أي الحالة التي لا يمكن لنا سواها ﴿إلا حياتنا الدنيا﴾

---

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: اتبعتموهم (٢) في مد: عظاما (٣) زيد من مد (٤) زيد من ظ و مد.

أى التى هى أقرب الأشياء إلينا و هى ما نحن فيها ، ثم فسروها بقولهم : ﴿نموت و نحيا﴾ أى يموت منا من هو موجود ، و ينشأ آخرون بعدهم ﴿و ما نحن بمبعوثين ۝ لا ص﴾ [1]بعد الموت ، فكأنه قيل : فما هذا الكلام الذى يقوله ؟ فقيل : كذب ؛ ثم حصروا أمره[2] فى الكذب فقالوا : ﴿ان﴾

٥ أى ما ﴿هو الا﴾ و ألهبوه على ترك [مثل ـ[3]] ما خاطبهم به بقولهم : ﴿رجل افترى﴾ أى تعمد ﴿على الله﴾ أى الملك الأعلى ﴿كذبا﴾ و الرجل لا ينبغى له مثل ذلك ، [4]أو هو واحد وحده ، أى لا يلتفت إليه[4] ﴿و ما نحن / له بمؤمنين ۝﴾ أى بمصدقين فيما[5] يخبرنا به من البعث و الرسالة ؛ / ٥٩٥

ثم استأنف قوله : ﴿قال رب﴾ أى أيها المحسن إلى[6] [7] بارسالى إليهم

١٠ و غيره من أنواع التربية ﴿انصرنى﴾ [عليهم ـ[3]] أى أوقع[8] لى النصر[9] ﴿بما كذبون ۝﴾ فأجابه ربه بأن ﴿قال عما قليل﴾ أى [10]من الزمن[10] . [و أكد قلته بزيادة « ما » ـ[3]] ﴿ليصبحن ندمين ۝ ج﴾ على تخلفهم عن اتباعك .

و لما تسبب عن دعائه[11] أن تعقب هلاكهم ، وعد الله له بذلك ،

١٥ قال تعالى : ﴿فاخذتهم الصيحة﴾ أى التى كأنها لقوتها لا صيحة إلا هى ،

---

(١) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و مد (٣) زيد من ظ و مد (٤ ـ ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بما (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لى (٧) زيد من ظ (٨) من مد ، و فى الأصل : ارفع (٩) العبارة من « أى أوقع » إلى هنا ساقطة من ظ (١٠ ـ ١٠) فى ظ : زمن (١١) فى مد : ادعائه .

و يمكن أن تكون على بابها فتكون صيحة جبرءيل عليه الصلاة و السلام و يكون القوم ثمود، و يمكن أن تكون[1] مجازا عن العذاب الهائل ﴿بالحق﴾ أى بالأمر الثابت من العذاب الذى أوجب لهم الذى لا تمكن مدافعته لهم و لا لأحد غير الله، و لا يكون كذلك إلا و هو عدل ﴿فجعلنهم﴾ بعظمتنا التى لا تدانيها عظمة، بسبب الصيحة ﴿غثآءج﴾ ٥ كأنهم أعجاز نخل خاوية، جاثمين أمواتا يطرحون كما يطرح الغثاء، و هو ما يحمله السيل من نبات و نحوه فيسود و يبلى فيصير[2] بحيث لا ينتفع به، و نجينا رسولهم و من معه من المؤمنين، فخاب الكافرون، و أفلح المؤمنون، و كانوا هم [3]الوارثين للأرض[3] من بعدهم.

و لما كان هلاكهم على هذا الوجه سببا لهوانهم، عبر عنه بقوله: ١٠ ﴿فبعدا﴾ أى هلاكا و طردا. و لما كان كأنه قيل: لمن؟ قيل: لهم! و لكنه أظهر الضمير تعميما و تعليقا للحكم بالوصف تحذيرا لكل من تلبس به فقال: ﴿للقوم﴾ أى الأقوياء الذين لا عذر لهم فى التخلف عن اتباع الرسل و المدافعة عنهم ﴿الظلمين﴾ الذين وضعوا قوتهم التى كان يجب عليهم بذلها فى نصر الرسل فى خذلانهم.

و لما كانت عادة المكذبين أن يقولوا تكذيبا: هذا تعريض لنا ١٥ بالهلاك، فصرح و لاتدع[4] جهدا فى إحلاله [بنا -[5]] و التعجيل به

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: يكون (٢) سقط من ظ (٣ - ٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الوارثون الارض (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لاتجد (٥) زيد من ظ و مد.

إلينا، فانا لا ندع ما نحن عليه لشيء، و كان العرب أيضا قد ادعوا أن العادة بموتهم و إنشاء من بعدهم شيئا فشيئا لاتنخرم، قال تعالى رادعا لهم : ﴿ ثم انشانا ﴾ أى بعظمتنا التى لايضرها تقديم و لا تأخير، و أثبت الجار لما تقدم فقال : ﴿من بعدهم﴾ أى [من -[1]] بعد من[2]

٥ قدمنا ذكره من نوح و القرن[3] الذى بعده ﴿قرونا[4] اخرين ﴾ ثم أخبر بأنه لم يعجل على أحد منهم قبل الأجل الذى حده[5] له بقوله : ﴿ما تسبق﴾ و لعله عبر بالمضارع إشارة إلى أنه ما كان شيء من ذلك و لايكون، و أشار إلى الاستغراق بقوله : ﴿ من امة اجلها ﴾ أى الذى قدرناه لهلاكها ﴿و ما يستاخرون ﴾ عنه، و كلهم أسفرت عاقبته عن[6] خيبة

١٠ المكذبين و إفلاح المصدقين، و جعلهم بعدهم الوارثين، [و عكس هذا الترتيب فى غيرها من الآيات فقدم الاستئخار لأنه فرض هناك مجيء الأجل فلا يكون حينئذ نظر إلا إلى التأخير -[1]] .

و لما كان قد أملى لكل قوم حتى طال عليهم الزمن[7]، فلما لم يهدهم عقولهم لما نصب لهم من الأدلة، و أسبغ عليهم من النعم، و أحل

١٥ بالمكذبين قبلهم من النقم، أرسل فيهم رسولا، دل على ذلك بأداة التراخى فقال : ﴿ثم ارسلنا﴾ / أى بعد إنشاء كل قرن منهم و طول إمهالنا له، / ٥٩٦

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : ما (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : القرون (٤) من ظ و مد و القرآن الكريم، و فى الأصل : قوما . (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : حد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : من . (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : الزمان .

و من

و من هنا يعلم أن بين كل رسولين فترة[1] ، و أضاف الرسل إليه لأنه فى مقام العظمة و زيادة فى التسلية فقال : ﴿ رسلنا تترا[4] ﴾ أى واحدا بعد واحد ؛ قال الرازى : من وتر القوس لاتصاله . و قال البغوى[2] : واترت الخبر : أتبعت بعضه بعضا و بين الخبرين هنيهة[3] . و قال الأصبهانى : و الأصل : وترى ، فقلبت الواو تاء كما قلبوها فى التقوى . فجاء كل ٥ رسول إلى أمته قائلا : اعبدوا الله ما لكم من إله غيره .

و لما كان كأنه قيل : فكان ماذا ؟ قيل : ﴿ كلما جآء امة ﴾ [4] و لما كان فى [4]بيان التكذيب[4] ، [5]أضاف الرسول[5] إليهم[6] ، ذما لهم لأن يخصوا بالكرامة فيأبوها و لقصد التسلية أيضا فقال : ﴿ رسولها ﴾ أى بما أمرناه [به -[7]] من التوحيد . ١٠

و لما كان الأكثر من كل أمة مكذبا ، أسند الفعل إلى الكل فقال : ﴿ كذبوه ﴾ أى كما فعل هؤلاء بك لما أمرتهم بذلك ﴿ فاتبعنا ﴾ القرون بسبب تكذيبهم ﴿ بعضهم بعضا ﴾ فى الإهلاك ، فكنا نهلك الأمة كلها فى آن واحد ، بعضهم بالصيحة ، و بعضهم بالرجفة ، و بعضهم بالخسف ، و بعضهم بغير ذلك ، فدل أخذنا لهم على غير العادة - من إهلاكنا لهم ١٥

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : نوترة ، و العبارة فى ظ من بعده إلى «فقال» ساقطة (٢) نقلا عن الأصمعى - راجع المعالم على هامش اللباب ٥/٣١ (٣) فى المعالم : مهلة (٤-٤) فى ظ : مقام العظمة (٥-٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : اضافه (٦) فى ظ : اليه (٧) زيد من مد .

جميعا و إنجاء الرسل و من صدقهم و المخالفة بينهم فى نوع العذاب - أنا نحن الفاعلون بهم ذلك باختيارنا لا[1] الدهر . و أنا ما فعلنا ذلك إلا بسبب التكذيب .

و لما كانوا قد ذهبوا لم يبق عند الناس منهم إلا أخبارهم ، جعلوا إياها ، فقال : ﴿و جعلنهم احاديث ج﴾ أى أخبارا يسمر بها و يتعجب منها ليكونوا عظة للستبصرين فيعلموا أنه لا يفلح الكافرون و لا يخيب المؤمنون ، و ما أحسن قول القائل :

و لا شيء يدوم فكن حديثا جميل الذكر فالدنيا حديث

و لما تسبب عن تكذيبهم هلاكهم المقتضى لبعدهم فقال : ﴿فبعدا لقوم﴾ أى أقوياء على ما يطلب منهم ﴿لا يؤمنون ﴾[2] أى لا يتجدد[3] منهم إيمان و إن جرت عليهم الفصول الأربعة ، لأنه لا مزاج لهم معتدل .

و لما كان آل فرعون قد أنكروا الإيمان لبشر مثلهم كما قال من تقدم ذكره من قوم نوح و القرن الذى بعدهم[4] ، و كانوا أترف أهل زمانهم ، و أعظمهم قوة ، و أكثرهم عدة ، و كانوا يستعبدون بنى إسراءيل ، و كان قد نقل إلينا من الآيات التى أظهر رسولهم ما لم ينقل إلينا مثله لمن تقدمه ، صرح سبحانه بهم ، و كأن الرسالة إليهم كانت بعد فترة طويلة ، فدل عليها بحرف التراخى فقال : ﴿ثم ارسلنا﴾[5] أى بما لنا

---

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : الا (٢) العبارة من هنا إلى «لهم معتدل» ساقطة من ظ (٣) من مد ، و فى الأصل : لايجدد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعد (٥) العبارة من هنا إلى « العظمة » ساقطة من ظ .

من العظمة ﴿ موسى[1] ﴾ و زاد في التسلية بقوله : ﴿ و اخاه هرون لا ﴾ أي عاضدا له[2] و بيانا لأن إهلاك فرعون و آله جميعا مع إنجاء الرسولين معا و من آمن بهما لإرادة الواحد القهار لإفلاح المؤمنين وخيبة الكافرين ﴿ بايتنا ﴾ [أي - [3]] المعجزات ، بعظمتنا[4] - لمن يباريها[5] ﴿ و سلطن مبين لا ﴾ أي حجة ملزمة عظيمة[6] واضحة ، و هي حراسته و هو وحده ، و أعلاه على كل من ناواه و هم مع قوتهم ملوء الأرض و عجزهم عن كل ما يرومونه من كيده ، و هذه و إن كانت من جملة الآيات لكنها أعظمها / ، و هي وحدها كافية في إيجاب التصديق ﴿ الى فرعون وملائه ﴾ أي و قومه[7] .

/ ٥٩٧

و لما[8] كان الأطراف لا يخالفون الأشراف ، عدهم عدما ، و من الواضح أن التقدير : أن اعبدوا الله ، ما لكم من إله غيره ، و أشار بقوله ﴿ فاستكبروا[9] ﴾ إلى أنهم أوجدوا الكبر عن الاتباع فيما دعوا إليه عقب الإبلاغ من غير تأمل و لا تثبت [و طلبوا أن لا يكونوا تحت أمر من دعاهم - [3]] ، و أشار بالكون إلى فساد جبلتهم فقال : ﴿ وكانوا قوما ﴾ أي أقوياء ﴿ عالين ج ﴾ على جميع من يناويهم من أمثالهم .

(١) وقع في الأصل بعد « ارسلنا » و الترتيب من ظ و مد (٢) من ظ ومد ، وفي الأصل : لهم (٣) زيد من مد (٤) في مد : بعظمتها ، و ساقطة من ظ (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : يبادر بها (٦) سقط من ظ (٧) زيد في الأصل : أي ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : لكن (٩) ليس في الأصل نقط .

و لما تسبب عن استكبارهم و علوهم إنكارهم للاتباع قال: ﴿ فقالوآ انؤمن ﴾ أى بالله مصدقين[1] ﴿ لبشرين ﴾ و لما كان "مثل" و "غير" قد يوصف بهما المذكر و المؤنث و المثنى و الجمع[2] دون تغيير[2] و لم تدع حاجة إلى التثنية[3] قال: ﴿مثلنا﴾ أى[3] فى البشرية و المأكل

٥ و المشرب و غيرهما مما يعترى البشر كما قال من تقدمهم ﴿و قومهما﴾ أى و الحال أن قومهما ﴿ لنا عبدون ج ﴾ أى فى غاية الذل و الانقياد كالعبيد فنحن أعلى منهما بهذا، و يا ليت شعرى ما لهم لما جعلوا هذا شبهة لم يجعلوا عجزهم عن إهلاك[4] الرسل و عما يأتون به من المعجزات فرقانا و ما جوابهم عن أن من النـاس الجاهل الذى لا يهتدى لشىء

١٠ و العالم الذى يفوق الوصف من فاوت بينهما؟ و إذا جاز التفاوت بينهما فى ذلك فلم لايجوز فى غيره؟. و لما تسبب عن هذا الإنكار التـكذيب، فتسبب عنه الهلاك، قال: ﴿ فكذبوهما ﴾ أى فرعون و ملاؤه موسى و هارون عليهما الصلاة و الصلام ﴿فكانوا﴾ أى فرعون و آله، [و نبه بصيغة المفعول على عظيم القدرة فقال-[5]] : ﴿من المهلـكين﴾

١٥ باغراقنا لهم على تكذيبهم إشارة إلى أنهم لم يهلكوا بأنفسهم من غير مهلك مختار بدليل إغراقهم كلهم بما كان سبب إنجاء بنى إسراءيل كلهم و لم تغن عنهم قوتهم فى أنفسهم ثم قوتهم على خصوص بنى إسراءيل

(١) سقط من ظ (٢ - ٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ماص، مع البياض قبل الكلمة و بعدها (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: التنبيه (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: اهلال (٥) زيد من مد.

باستعبادهم

باستعبادهم إياهم، و لا ضر بنى إسراءيل ضعفهم عن دفاعهم، و لا ذلهم لهم و صغارهم فى أيديهم.

و لما كان ضلال قومها الذين استنقذناهم من عبودية فرعون و قومه أعجب، وكان السامع متشوفا[1] إلى ما كان من أمرهم بعد نصرهم، ذكر ذلك مبتدئا له بحرف التوقع مشيرا إلى حالهم فى ضلالهم تسلية للنبى ٥ صلى الله عليه و سلم فقال: ﴿و لقد اتينا﴾ [أى - [2]] بعظمتنا ﴿موسى الكتب﴾ [أى - [2]] الناظم لمصالح البقاء الأول بل و الثانى.

و لما كان كتابهم لم ينزل إلا بعد هلاك فرعون كما هو واضح لمن تأمل أشتات قصتهم فى القرآن، و كان حال هلاك القبط معرفا أن الكتاب لبنى إسراءيل، اكتفى بضميرهم فقال: ﴿لعلهم﴾ أى قوم موسى و هارون ١٠ عليهما السلام ﴿يهتدون﴾ أى ليكون حالهم عند[3] من لايعلم العواقب حال من ترجى[4] هدايته، فأفهم جعلهم فى ذلك فى مقام الترجى أن فيهم من لم يهتد؛ قال ابن كثير[5]: و بعد أن أنزل التوراة لم تهلك أمة بعامة بل أمر المؤمنين بقتال الكافرين - انتهى. و لايبعد على هذا أن يكون الضمير فى "لعلهم" للقرون الحادثة المدلول / عليها[6] بقوله "قرونا" ١٥ /٥٩٨ و ربما[7] أرشد إلى ذلك قوله تعالى "و لقد اتينا موسى الكتب من بعد

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: متشرفا (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: عن (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: يرجى (٥) راجع تفسيره: ٣/٢٤٥ (٦) من ظ ومد، و فى الأصل: عليهما (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: لما.

ما اهلكنا القرون الاولى بصائر للناس و هدى و رحمة لعلهم يتذكرون "
و قد ختم الهلاك العام بالإغراق[1] كما فتح به، و النيان اللذان وقع
ذلك لهما[2] دعا كل منهما على[2] من عصاه، و كلاهما[2] مثله النبي[2] صلى الله
عليه و سلم في غزوة بدر في الشدة على العصاة بعمر رضى الله عنه الذي
٥ أطاعه النيل و أطاع جيشه الدجلة[3].

[و لما كان من ذكر كلهم قد ردوا من جاءهم لإشعارهم استبعادهم
لأن -[4]] يكون الرسل بشرا، و كان بنو إسرائيل [الذين -[4]]
أعزهم الله و نصرهم على عدوهم و أوضح لهم الطريق بالكتاب[5] قد اتخذوا
عيسى - مع كونه بشرا - إلها، أتبع ذلك ذكره تعجيبا من حال المكذبين
١٠ في هذا الصعود بعد ذلك النزول في أمر من أرسلوا إليهم، و جرت
على أيديهم الآيات لهدايتهم، فقال: ﴿و جعلنا﴾ أي بعظمتنا ﴿ابن مريم﴾
نسبه إليها تحقيقا لكونه لا أب له، و كونه بشرا محمولا في البطن مولودا
لايصلح لرتبة الإلهية؛ و زاد في تحقيق ذلك بقوله: ﴿و امه﴾ [و -[4]]
قال: ﴿ اية ﴾ إشارة إلى ظهور الخوارق على أيديهما حتى كأنهما نفس
١٥ الآية، فلا يرى منهما شيء إلا و هو آية، و لو قال: آيتين، لكان ربما
ظن أنه يراد حقيقة هذا العدد، و لعل في ذلك إشارة إلى أنه تكملت
به آية القدرة على إيجاد[6] الإنسان بكل اعتبار من غير ذكر و لا أنثى

---

(١) في مد: بالإهلاك (٢-٢) بياض في الأصل، ملأناه من ظ و مد (٣) راجع أواخر الخصائص الكبرى للسيوطي (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيدت الواو في الأصل، و لم تكن في ظ و مد فحذفناها (٦) في ظ: الايجاد.

كآدم عليه السلام، و من ذكر بلا أنثى كحواء عليها السلام، و من أنثى بلا ذكر كعيسى عليه السلام، و من الزوجين كبقية الناس، و المراد أن بني إسراءيل - مع[1] الكتاب الذي هو آية مسموعة و النبي الذي هو آية مرئية - لم يهتد أكثرهم؛

و لما كان أهل[2] الغلو في عيسى و أمه عليهما الصلاة و السلام ربما ٥ تشبثوا من هذه العبارة بشيء، حقق بشريتهما و احتياجهما المنافي لرتبة الإلهية فقال: ﴿و اوينهما﴾ [أي -[3]] بعظمتنا لما قصد ملوك البلاد الشامية إهلاكهما ﴿الى ربوة﴾ أي مكان عال [4]من الأرض[4]، و أحسن ما يكون النبات في الأماكن المرتفعة، و الظاهر أن المراد بها عين شمس في بلاد مصر؛ قال ابن كثير[5]: قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ١٠ ليس الربى إلا بمصر و الماء حين يرسل[6] تكون الربى عليها القرى، و لو لا الربى[7] غرقت القرى، و روى عن وهب بن منبه نحو هذا - انتهى. ﴿ذات قرار﴾ [أي -[3]] منبسط صالح لأن[8] يستقر فيه لما فيه من المرافق ﴿و معين﴾ أي ماء ظاهر للعين، و نافع كالماعون، فرع اشتق من أصلين، و لم يقدر من خالفه من الملوك و غيرهم على كثرتهم وقوتهم ١٥ على قتله[9] لا في حال صغره، و لا في حال كبره، كما مضى نقله عن

(١) من ظ و مد، و في الأصل: من (٢) في مد: اكثر (٣) زيد من مد. (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) راجع تفسيره: ٣/٢٤٦ (٦) في التفسير: يسيل (٧) من ظ و مد و التفسير، و في الأصل: الذي (٨) من ظ و مد، و في الأصل: لا (٩) في ظ: قتله.

الإنجيل و صدقه عليه القرآن، مع كونه مظنة لتناهي الضعف بكونه[١]
من أنثى فقط و لا ناصر له إلا الله، و مع ذلك فأنجح الله أمره و أمر
من اتبعه، و خيب[٢] به الكافرين، و رفعه إليه ليؤيد به هذا الدين في
آخر الزمان، و يكون[٢] للمؤمنين حينئذ فلاح لم يتقدمه مثله، [٣]وكان
٥ ذلك من إحسان خالقه و نعمته عليه[٣].

ذكر شيء من دلائل[٤] [كونه -[٥]] آية من الإنجيل:

قال يوحنا[٦] أحد المترجمين للإنجيل و أغلب السياق لمتى فإني خلطت
كلام المترجمين الأربعة: و لما قرب عيد المظال قال إخوة يسوع
- أي الاثني عشر تلميذا - له: تحول من ههنا إلى يهودا ليرى تلاميذك
١٠ الأعمال التي تعمل [لأنه ليس أحد يعمل شيئا سرا فيجب أن يكون
علانية إذ كنت تعمل -[٧]] هذه الأشياء فأظهر نفسك للعالم، فقال لهم
يسوع[٨]: أما وقتي فلم يبلغ، و أما وقتكم فإنه[٩] مستعد في كل حين،
لم يقدر العالم أن يبغضكم و هم يبغضونني لأني أشهد عليهم[١٠] أن أعمالهم
شريرة[١١]، اصعدوا أنتم إلى هذا العيد، فإني لا أصعد الآن، ثم قال[١٢]:
١٥ و لما انتصف أيام العيد صعد يسوع[٨] إلى الهيكل فبدأ يعلم، و كان اليهود

---

(١) في ظ: من كونه (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و في الأصل: دلايله (٥) زيد من ظ و مد.
(٦) راجع آية ٢ فما بعدها من الأصحاح السابع (٧) زيد من ظ و مد و الإنجيل (٨) في مد: يشوع (٩) من ظ و مد، و في الأصل: فانا.
(١٠) في ظ: عليكم (١١) من ظ و مد، و في الأصل: سريره (١٢) راجع آية ١٤ فما بعدها من الأصحاح السابع.

يتعجبون و يقولون: كيف يحسن هذا الكتاب و لم يعلمه أحد، فقال: تعليمي ليس هو لي، بل للذي أرسلني، فمن أحب أن يعمل مرضاته فهو يعرف تعليمي هل هو من الله أو من عندي؟ من[1] يتكلم من عنده إنما يطلب المجد لنفسه، [2]و أما[2] الذي يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق و ليس فيه ظلم، أليس موسى[3] أعطاكم الناموس و ليس فيكم أحد يعمل ٥ بالناموس؛ ثم[4] قال[5]: و في اليوم العظيم الذي هو آخر العيد كان يسوع قائما ينادي: كل من يؤمن بي كما قالت الكتب تجري من بطنه أنهار ماء الحياة، و إن الجمع الكثير سمعوا كلامه فقالوا: هذا نبي حقا، و آخرون قالوا: هذا هو المسيح، [و آخرون قالوا: ألعل المسيح -[5]] من الجليل يأتي؟ أليس قد قال الكتاب: إنه من نسل داود، من بيت لحم قرية ١٠ داود خاصة يأتي المسيح، فوقع بين الجموع خوف من أجله. قال متى[6]: حينئذ جاء إلى يسوع من يروشليم كتبة و فريسيون قائلين: لماذا تلاميذك يتعدون[7] وصية المشيخة إذ لا يغسلون أيديهم عند أكلهم؛ و قال مرقس[8]: ثم اجتمع إليه الفريسيون و بعض الذين جاؤا من يروشليم فنظروا إلى تلاميذه يأكلون الطعام بغير غسل أيديهم، لأن الفريسيين ١٥

---

(١) من ظ و مد و الإنجيل، و في الأصل: ان (٢ - ٢) من مد و الإنجيل، و في الأصل و ظ: فاما (٣) سقط من مد (٤) راجع آية ٢٧ فما بعدها من الأصحاح السابع (٥) زيد من ظ و مد و الإنجيل (٦) راجع آية ١ و ٢ من الأصحاح الخامس عشر (٧) من ظ و مد و الإنجيل، و في الأصل: يتعبدون. (٨) راجع آية ١ فما بعدها من الأصحاح السابع.

و كل اليهود لا يأكلون إلا بغسل أيديهم تمسكا بتعليم شيوخهم و الذين يشترونه من الأسواق إن لم يغسلوه[1] لا يأكلونه، و أشياء أخر كثيرة تمسكوا بها من غسل كؤوس و أواني و مصاغ[2] و أسرة[3]، و سأله الكتبة و الفريسيون : لم تلاميذك لا يسيرون[4] [على -[5]] ما وصت به المشيخة
٥ قال متى[6]: فأجابهم [و قال -[7]] : لما ذا أنتم تتعدون[8] وصية الله من أجل سنتكم، ألم يقل الله : أكرم أباك و أمك، و الذي يقول كلاما رديئا في أبيه و أمه يستأصل[9] بالموت، و أنتم تقولون : من[10] قال لأبيه أو لأمه. [إن -[11]] القربان شيء ينتفع به، [فلا يكرم أباه و أمه -[11]]، فأبطلتم كلام الله من تلقاء روايتكم؛ قال مرقس[12]: و تفعلون[13] كثيرا
١٠ مثل هذا - انتهى. يا مراؤن[14] حسنا يتنبأ[15] - و قال مرقس[16]: نعما[17] يتنبأ عليكم[17] أشعيا قائلا[18]: إن هذا الشعب قرب مني و يكرمني بشفتيه،

(١) من ظ و مد، و في الأصل : لم يغسلونه، و في الإنجيل : لم يغتسلوا (٢) في ظ : مصاع (٣) زيد في الأصل : وكتبه، و لم تكن الزيادة في ظ ومد والإنجيل فحذفناها (٤) من ظ و مد و الإنجيل معنى، و في الأصل : لا يشترون (٥) زيد من مد (٦) راجع آية ٣ فما بعدها من الأصحاح الخامس عشر (٧) زيد من ظ و مد والإنجيل (٨) من ظ و مد و الإنجيل، و في الأصل : تبعدون - كذا. (٩) من ظ و مد و الإنجيل معنى، و في الأصل : يستاهل (١٠) في ظ : ما . (١١) زيد من الإنجيل (١٢) راجع آية ١٣ من الأصحاح السابع (١٣) من ظ ومد والإنجيل، و في الأصل : يفعلون (١٤) من ظ ومد و انجيل متى آية ٧، و في الأصل : مروان (١٥) في الإنجيل : تنبأ عنكم (١٦) راجع آية ٦ من الأصحاح السابع (١٧-١٧) في الإنجيل : تنبأ عنكم (١٨) من ظ ومد و الإنجيل، و في الأصل : قال .

و قلبه بعيد عنى، يعبدوننى باطلا و يعلّمون تعليم وصايا الناس . و دعا الجمع / و قال لهم[1] : اسمعوا و افهموا ، ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان ، لـكن الذى يخرج من الفم ينجس الإنسان . حينئذ جاء إليه تلاميذه و قالوا : اعلم[2] أن الفريسيين لما سمعوا الكلام شكوا ، فأجابهم و قال : كل غرس لايغرسه أبى السماوى يقلع ، دعوهم فانهم عميان يقودهم [عميان -[3]] ، ٥ أجابه بطرس و قال : فسر لنا المثل ! فقال : حتى أنتم لاتفهمون ؟ أما[4] تعلمون أن كل ما يدخل إلى الفم يصل إلى البطن و ينطرد إلى المخرج ، فأما الذى يخرج من[5] الفم فهو يخرج من القلب ، هذا الذى ينجس الإنسان ، لأنه يخرج من القلب الفكر الشرير : القتل الزنا الفسق[6] السرقة و شهادة الزور التجديف[7] ، هذا هو الذى ينجس الإنسان ، [8]و أما[8] الأكل بغير ١٠ غسل [الأيدى -[9]] و فليس ينجس الإنسان ، و قال مرقس[10] : إن كل ما كان خارجا يدخل إلى فم الإنسان لايقدر أن ينجسه لأنه لايصل إلى القلب ، بل إلى الجوف و يذهب إلى خارج ، و الذى يخرج من[11] الإنسان هو الذى ينجس الإنسان ، لأنه من داخل تخرج أفكار سوء : فجور زنا قتل سرقة

/ ٦٠٠

(١) من الإنجيل ، و فى الأصول : نعم (٢) فى الإنجيل : أتعلم (٣) زيد من مد و الإنجيل (٤) زيد فى الأصل : أنتم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و الإنجيل فحذفناها (٥) فى مد : الى (٦) من ظ و مد و الإنجيل ، و فى الأصل : العيسق . (٧) من ظ و مد و الإنجيل ، و فى الأصل : التخديف (٨ - ٨) من ظ و مد و الإنجيل ، و فى الأصل : فانما (٩) زيد بناء على الإنجيل (١٠) راجع آية ١٨ فما بعدها من الأصحاح السابع (١١) زيد فى الأصول : فم ، و لم تكن الزيادة فى الإنجيل فحذفناها .

شره شر غش فسق عين شريرة تجديف[1] تعاظم جهل، هذا كله شر من داخل يخرج[2] و ينجس[2] الإنسان - [انتهى . و فيه مما لايجوز إطلاقه في شرعنا: الأب - كما تقدم غير مرة -][3] .

و لما بين أن عيسى عليه السلام على منهاج إخوانه من الرسل في ٥ الأكل و العبادة، و جميع الأحوال، زاد في تحقيق ذلك بيانا لمن ضل بأن اعتقد فيه ما لايليق به . فقال مخاطبا لجميعهم بعد إهلاك من عاندهم من قومهم على وجه يشمل ما قبل ذلك ردا لمن جعله موجبا لإنكار الرسالة، و تبكيتا لمن ابتدع الرهبانية من أمة عيسى عليه السلام، إعلاما بأن كل رسول قيل له معنى هذا الكلام فعمل به، فكانوا كأنهم ١٠ نودوا بـه في وقت واحد، فعبر بالجمع ليكون أفخم له فيكون أدعى لقبوله: ﴿ يٰٓأيها الرسل﴾ من عيسى و غيره ﴿كلوا ﴾ أنتم و من نجيناه معكم بعد إهلاك المكذبين .

و لما علوا عن رتبة الناس . فلم يكونوا أرضيين[4] ، لم يقل "مما في الارض" و عن رتبة الذين آمنوا، لم يقل "من طيبٰت ما رزقنٰكم" ١٥ ليكونوا عابدين نظرا إلى النعمة أو حذرا من النقمة، كما مضى بيانه في سورة البقرة، بل قال: ﴿ من الطيبٰت ﴾ أي الكاملة التي مننت عليكم بخلقها لكم و إحلالها و إزالة الشبه عنها و جعلها[5] شهية للطبع، نافعة

---

(١) من ظ و مد و الإنجيل، و في الأصل: تحذيف (٢ - ٢) في ظ و مد: ينجس (٣) زيد من مد (٤) من ظ و مد، و في الأصل: ارضين (٥) من مد، و في الأصل و ظ: جعلتها .

للبدن

للبدن، منعشة للروح، و ذلك ما كان حلا غير مستقذر لقوله تعالى "يحل لهم الطيبت و يحرم عليهم الخبئث[1]". و دل سبحانه على [أن -[2]] الحلال عون[3] على الطاعة بقوله: ﴿و اعملوا صالحا﴾ أى سرا و جهرا غير خائفين من أحد، فقد أهلكت عدوكم و أورثتكم أرضهم، و لم يقيد عملهم بشكر و لا غيره، إشارة إلى أنه لوجهه ليس غير، فانهم دائما فى ٥ مقام الشهود، فى حضرة المعبود، و الغنى عن كل سوى حتى عن الغنى؛ ثم حثهم على دوام المراقبة بقوله: ﴿انى بما﴾ أى بكل شيء ﴿تعملون عليم﴾ أى بالغ العلم.

و لما كان هذا تعليلا لما سبقه من الأمر، عطف على لفظه قوله: ﴿و ان﴾ بالكسر فى قراءة/ الكوفيين[4]، و على معناه لما كان يستحقه لو ١٠ /٦٠١ أبرزت لام العلة من الفتح فى قراءة غيرهم ﴿هذه﴾ أى دعوتكم أيها الأنبياء المذكورون إجمالا و تفصيلا و ملتكم المجتمعة على التوحيد أو الجماعة التى أنجيتها معكم من المؤمنين ﴿امتكم﴾ أى مقصدكم الذى تنبغى أن لا توجهوا هممكم إلى غيره أو [جماعة -[1]] أتباعكم حال كونها ﴿امة واحدة﴾ لا شتات فيها أصلا، فما دامت متوحدة فهى مرضية ١٥ ﴿و انا ربكم﴾ أى المحسن إليكم بالخلق و الرزق وحدى، فمن وحدنى نجا، و من كثر الأرباب هلك.

---

(١) سورة ٧ آية ١٥٧ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: نوع (٤) راجع نثر المرجان ٤/ ٥٥٠.

و لما كان الخطاب في هذه السورة كلها للخلص[1] من الأنبياء و من تبعهم من المؤمنين، قال: ﴿ فاتقون ﴾ أي اجعلوا بينكم و بين غضبي وقاية من جمع عبادي بالدعاء إلى وحدانيتي بلا فرقة أصلا، بخلاف سورة الأنبياء المصدرة بالناس [2]فان مطلق العبارة أولى بدعوتها[2].

٥ و لما كان من المعلوم قطعا أن التقدير: فاتقى الأنبياء الله[3] الذي ارسلهم و تجشموا حمل[4] ما أرسلهم به من عظيم الثقل، فدعوا العباد إليه و أرادوا جمعهم عليه، عطف عليه بفاء السبب [5]قوله معبرا بفعل التقطع لأنه يفيد التفرق[5]: ﴿ فتقطعوآ ﴾ أي الأمم، و إنما أضمرهم لوضوح إرادتهم لأن الآيـــة التي قبلها قد صرحت بأن الأنبياء و من

١٠ نجا معهم[6] أمة واحدة لا اختلاف بينها، فعلم قطعا أن الضمير للأمم و من نشأ بعدهم[7]، و لذلك كان النظر إلى الأمر الذي[8] كان واحدا أهم، فقدم قوله: ﴿ امرهم ﴾ أي في الدين بعد أن كان مجتمعا متصلا ﴿ بينهم ﴾ فكانوا شيعا، و هو معنى[9] ﴿ زبرا ﴾ أي قطعا، كل قطعة منها في غاية القوة و الاجتماع و الثبات على ما صارت إليه من الهوى و الضلال،

١٥ بكل شيعة[10] طريقة في الضلال عن الطريق الأمم، و المقصد المستقيم،

---

(١) من ظ و مد، و في الأصل: تتخلص (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ. (٣) من ظ و مد، و في الأصل: بالله (٤) من ظ و مد، و في الأصل: اجل. (٥-٥) في ظ: فقال (٦) في ظ: منهم (٧) العبارة من هنا إلى «فقدم قوله» ساقطة من ظ (٨) من مد، و في الأصل: الذي (٩) من ظ و مد، و في الأصل: بمعنى (١٠) من ظ و مد، و في الأصل: شريعة.

[و كتاب زبروه فى أهويتهم -[1]] و لم يرحموا أنفسهم بما دعتهم إليه الهداة[2] من الاجتماع[3] و الألفة فأهلكوها بالبغضاء و الفرقة[4]، و هو منصوب بأنه مفعول ثان لتقطع على ما مضى تخريجه فى الأنبياء؛ و قد ظهر كما ترى ظهورا بينا أن هذه إشارة إلى الناجين من أمة كل نبى بعد إهلاك أعدائهم، أى أن هذه الجماعة الذين[5] أنجيتهم معكم أمتكم[6]، حال كونهم أمة واحدة ٥ متفقين فى الدين، لا خلاف بينهم، [و -[1]] كما أن جماعتكم واحدة فانا ربكم لا رب [لكم -[1]] غيرى فاتقون. و لا يخالف أحد منكم أمرى و لا[7] تختلفوا و تفترقوا لئلا أعذب العاصى منكم كما عذبت أعداءكم.

و لما كان هذا مما لا يرضاه عاقل، أجيب من كأنه قال: هل رضوا بذلك مع انكشاف ضرره[8]؟ بقوله: ﴿كل حزب﴾ أى فرقة ﴿بما لديهم﴾ ١٠ أى من ضلال و[9] هدى ﴿فرحون﴾ أى مسرورون فضلا عن أنهم راضون غير معرج الضال منهم على ما جاءت به الرسل من الهدى، و [لا -[1]] على الاعتبار بما اتفق لأممهم بسبب تكذيبهم من الردى.

و لما أنتج هذا أن الضلال و إن وضح لا يكشفه إلا ذو الجلال، ١٥

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ: الهداية (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الاجماع (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: المفرقة (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: امة (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: لان (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: ضررهم (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: او.

/٦٠٢ سبب عنه /سبحانه قوله تسلية لرسوله[1] صلى الله عليه و سلم : ﴿ فذرهم ﴾ أى اتركهم على شر حالاتهم ﴿ فى غمرتهم ﴾ أى الضلالة التى غرقوا فيها ﴿ حتى حين ﴾ أى إلى وقت ضربناه لهم من قبل أن نخلقهم و نحن عالمون بكل ما يصدر منهم على أنه وقت يسير .

٥ و لما كان الموجب لغرورهم ظنهم أن حالهم - فى بسط الأرزاق من الأموال و الأولاد - حال الموعود لا المتوعد ، أنكر ذلك عليهم تنبيها لمن سبقت له السعادة ، و كتبت له الحسنى و زيادة ، فقال : ﴿ ايحسبون ﴾ [أى - [2]] لضعف عقولهم ﴿ انما ﴾ أى الذى[3] ﴿ نمدهم ﴾ على عظمتنا ﴿ به ﴾ أى نجعله مددا لهم ﴿ من مال ﴾ نيسره

١٠ لهم ﴿ و بنين ﴾ نمتعهم بهم ، [4]ثم أخبر عن « ان » بدليل قراءة السلمى[5] بالياء التحتية فقال : ﴿ نسارع لهم ﴾ [أى - [2]] به[6] بادرارنا له عليهم فى سرعة من يبارى[7] آخر ﴿ فى الخيرٰت ﴾ التى لا خيرات إلا هى لأنها محمودة العاقبة ، ليس كذلك بل هو وبال عليهم لأنه استدراج إلى الهلاك لأنهم غير عاملين بما يرضى الرحمن ﴿ بل ﴾ هم يسارعون فى

١٥ اسباب الشرور ، و لا يكون عن السبب إلا مسببه ، و لكنهم كالبهائم ﴿ لا يشعرون ﴾ أنهم فى غاية البعد عن الخيرات "سنستدرجهم من

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لرسول الله (٢) زيد من مد (٣) من مد ، و فى الأصل : الذين ، و الكلمة مع سابقتها ساقطة من ظ (٤) العبارة من هنا إلى « التحتية فقال » ساقطة من ظ (٥) فى مد : الشامى - خطأ - راجع البحر المحيط ٦ / ٤١٠ (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : تجازى .

حيث لايعلمون" .

و لما ذكر أهل الافتراق، أتبعهم أهل الاتفاق، فكان كأنه قيل: فمن الذى يكون[1] له الخيرات؟ فأجيب بأنه الخائف من الله، فقيل معبرا بما يناسب أول السورة من الأوصاف، [2]بادئا بالخشية لأنها الحاملة على تجديد الإيمان[2]: ﴿ ان الذين هم ﴾ أى ببواطنهم ﴿ من خشية ربهم ﴾ ٥ أى الخوف العظيم من المحسن إليهم المنعم عليهم ﴿مشفقون ﴾ أى دائمو الحذر ﴿ و الذين هم بأيت ربهم ﴾ المسموعة و المرئية، [لا ما كان من جهة غيره -[3]] ﴿يؤمنون ﴾ لايزال إيمانهم [بها -[4]] يتجدد شكرا لإحسانه إليهم .

و لما كان المؤمن قد يعرض له [ما تقدم -[4]] فى إيمانه من ١٠ شرك جلى أو خفى، قال: ﴿ و الذين هم بربهم ﴾ أى الذى لا محسن إليهم غيره . وحده[5] ﴿لايشركون ﴾ أى شيئا من شرك فى وقت من الأوقات كما لم يشركه فى إحسانه[6] إليهم أحد .

و لما أثبت لهم الإيمان الخالص، نفى عنهم العجب[7] بقوله: ﴿ و الذين يؤتون مآ اتوا ﴾ أى يعطون[8] ما أعطوا من الطاعات، ١٥ وكذا قراءة يحيى بن الحارث و غيره[7]: ياتون ما اتوا . أى يفعلون

---

(١) سقط من مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من ظ (٦) من مد . و فى الأصل و ظ : الاحسان . (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : التعجبية (٨) فى مد : يعطوا .

ما فعلوا من أعمال البر لتتفق القراءتان فى الإخبار عنهم بالسبق : ثم ذكر حالهم فقال : ﴿ و قلوبهم وجلة ﴾ أى شديدة الخوف ، [1]قد وجل فى دواخلها و جال فى [كل -[2]] جزء منها لأنهم[3] عالمون بأنهم لايقدرون الله حق قدره و إن اجتهدوا ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ انهم الى ربهم ﴾

٥ أى الذى طال إحسانه إليهم ﴿ رٰجعون ﴾ بالبعث فيحاسبهم على[4] النقير و القطمير ، و يجزيهم بكل قليل و كثير . و هو النافذ البصير ، قال الحسن البصرى[5] : [6]إن المؤمن[6] جمع[7] إيمانا و خشية ، و المنافق جمع[7] إساءة و أمنا . ثم أثبت لهم ما أفهم أن ضده لأضدادهم فقال : ﴿ اولٰئك ﴾ أى خاصة ﴿ يسارعون ﴾ / أى يسبقون سبق من يساجل آخر ﴿ فى الخيرٰت ﴾ /٦٠٣

١٠ فأفهم ذلك[8] ضد ما ذكر لأضدادهم بقوله : ﴿ و هم لها ﴾ أى إليها [خاصة -[2]] ، أى إلى ثمراتها ، و لكنه عبر باللام إشارة إلى زيادة القرب منها و الوصول إليها مع الأمن لجعل الخيرات ظرفا للسارعة من أخذها على حقيقتها للتعدية ﴿ سٰبقون ﴾ لجميع الناس ، لأنا [نحن -[2]] نسارع لهم فى المسببات أعظم من مسارعتهم فى الأسباب ، و يجوز أن

١٥ يكون "سبقون" بمعنى : عالين[9] ، من وادى « سبقت رحمتى غضبى »

---

(١) العبارة من هنا إلى « جزء منها » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : كانهم (٤) فى مد : عن (٥) راجع البحر المحيط ٦/٤١١ . (٦ - ٦) فى البحر : المؤمن ، و ما بين الرقمين ساقط من ظ (٧) فى البحر : يجمع (٨) سقط من ظ (٩) فى مد : عالمين .

أي أنهم مطيقون لها و معاونون عليها ﴿ و لا ﴾ أي و الحال أنا لانكلفهم، و لكنه عم فقال: ﴿ نكلف نفسا ﴾ أي كافرة أو مؤمنة[1] ﴿ الا وسعها ﴾ فلا يقدر عاص[2] على[3] أن يقول: كنت غير قادر على الطاعة، و لا يظن بنا[4] مؤمن أنا نؤاخذه بالزلة و الهفوة، فان أحدا لايستطيع أن يقدرنا حق قدرنا لأن[5] مبنى المخلوق[6] على العجز. ٥

و لما كانت الأعمال إذا تكاثرت و امتد زمنها تعسر أو تعذر حصرها إلا بالكتابة، عامل العباد سبحانه بما يعرفون مع غناه عن ذلك فقال: ﴿ و لدينا ﴾ أي عندنا [7]على وجه هو أغرب الغريب[7] ﴿ كتب ﴾ [7]و عبر عن كونه سببا للعلم بقوله[7]: ﴿ ينطق ﴾ بما كتب فيه من أعمال العباد من خير و شر. صغير و كبير ﴿ بالحق ﴾ أي[8] الثابت الذي يطابقه ١٠ الواقع، قد كتب فيه أعمالهم من قبل خلقهم، لا زيادة [فيها - [9]] و لا نقص، تعرض الحفظة كل يوم عليه ما كتبوه مما شاهدوه بتحقيق القدر له فيجدونه محررا بمقاديره و أوقاته و جميع أحواله فيزدادون به إيمانا، و من حقيته أنه لا يستطاع إنكار شيء منه.

و لما أفهم ذلك نفي الظلم، صرح به فقال: ﴿ و هم ﴾ أي الخلق ١٥

---

(١) من ظ و مد، و في الأصل: مومن (٢) تكرر في ظ (٣) سقط من مد.
(٤) من ظ و مد، و في الأصل: منا (٥) في مد: لانه (٦) من ظ و مد، و في الأصل: المخلوقات (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) سقط من ظ (٩) زيد من ظ و مد.

كلهم ﴿ لايظلمون ﴾ [1]من ظالم[1] [ما - [2]] بزيادة و لا نقص فى عمل و لا جزاء .

و لما كان التقدير : و لكنهم بذلك لايعلمون ، قال : ﴿بل قلوبهم﴾ أى الكفرة[3] من الخلق ، و يجوز أن يكون هذا الإضراب بدلا من ٥ قوله "بل لايشعرون" ﴿فى غمرة ﴾ أى جهالة قد أغرقتها ﴿ من هذا﴾ أى الذى أخبرنا به من الكتاب الحفيظ فهم به كافرون ﴿و لهم اعمال﴾ [و أثبت الجار إشارة إلى أنه لاعمل لهم يستغرق الدون فقال -[2]] : ﴿ من دون[4] ذلك ﴾ أى مبتدئة من أدنى رتبة التكذيب من سائر المعاصى لأجل تكذيبهم بالكتاب [المستلزم لتكذيبهم بالبعث المستلزم ١٠ لعدم الخوف - [5]] المستلزم للاقدام على كل معضلة ﴿ هم لها ﴾ أى دائما ﴿ عملون ﴾ لاشىء يكفهم إلا عجزهم عنها .

و لما كانوا كالبهائم لايخافون من المهلكة [إلا - [5]] عند المشاهدة ، غي عملهم للخبائث بالأخذ فقال : ﴿حتى اذا اخذنا ﴾ [1]أى بما لنا من العظمة[1] ﴿مترفيهم﴾ الذين هم الرؤساء القادة ﴿ بالعذاب ﴾ فبركت عليهم ١٥ كلا كله ، و أناخت بهم[6] أعجازه و أوائله ﴿اذا هم ﴾ كلهم المترف و من تبعه من باب الأولى ﴿يجرون﴾ أى يصرخون ذلا و انكسارا و جزعا من غير مراعاة لنخوة[7]، لا استكبارا ، و أصل الجأر رفع الصوت

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الكثرة (٤) ليس فى الأصل فقط (٥) زيد من ظ و مد (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : النخوة .

بالتضرع

بالتضرع - قاله البغوي[1]، فكأنه قيل: فهل يقبل اعتذارهم أو[2] يرحم إنكسارهم؟ فقيل: لا بل يقال لهم بلسان الحال أو القال: ﴿لا تجئروا اليوم[3]﴾ بعد تلك الهمم، فان الرجل [من -[3]] لا يفعل شيئا عبثا، ثم علل ذلك بقوله: ﴿انكم منا﴾ / أي خاصة ﴿لا تنصرون *﴾ أي[4] بوجه من الوجوه[4]، / ٦٠٤
[5]و من عدم نصرنا لم يجد له ناصرا، فلا فائدة لجؤاره إلا إظهار الجزع[5]؛ ٥
ثم علل عدم نصره لهم[6] بقوله: ﴿قد كانت ءايتي﴾.

[7]و لما كانت عظمتها التي استحقت بها الإضافة إليه تكفي في[8] الحث على الإيمان بمجرد سماعها، بني للفعول قوله: ﴿تتلى عليكم﴾ [أي -[9]] و هي أجلى الأشياء، من أوليائي و هم الهداة النصحاء ﴿فكنتم﴾[4] أي كونا هو كالجبلة[4] ﴿على اعقابكم﴾ عند تلاوتها ﴿تنكصون *﴾[4] أي ترجعون ١٠ القهقرى إما حسا أو معنى، و الماشي كذلك لا ينظر ما وراءه، [و مضارعه فيه مع الكسر الضم و لم يقرأ به و لو شاذا، دلالة على أنه رجوع كبر و بطر فهو بالهوينا، و لو قرئ بالضم لدل على القوة فأفهم النفرة و الهرب، قال في القاموس[10]: نكص على عقبيه ينكص و ينكص: رجع عما كان عليه من خير، و في الشر قليل، و عن الأمر نكصا و نكوصا و نكاصا[11]. ١٥

---

(١) في معالم التنزيل - راجع اللباب ٥/٣٣ (٢) من ظ و مد، و في الأصل «و» (٣) زيد من ظ و مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقين من ظ. (٥-٥) تكرر ما بين الرقين في الأصل فقط (٦) زيد قبله في الأصل: فبين ذلك، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٧) العبارة من هنا إلى «للفعول قوله» ساقطة من ظ (٨) من مد، و في الأصل: على (٩) زيد من مد (١٠) راجعه مع شرحه (١١) في القاموس: منكصا.

أو على ما ذكرت دلالة على ما تقديره - [1]]: حال كونكم[2] ﴿مستكبرين به﴾ أي بذلك النكوص، لا شيء[3] غير الاستكبار من هرب أو غيره، ذوى سمر في أمرها بالقول الهجر، وهو الفاحش، ولعله إنما قال: ﴿سمرا﴾ بلفظ المفرد[4] لأن كلا منهم يتحدث في أمر الآيات مجتمعا مع غيره ٥ ومنفردا مع نفسه حديثا كثيرا[5] كحديث المسامر الذي من شأنه أن لا يمل؛ وقال: ﴿تهجرون﴾ أي تعرضون[6] عنها وتقولون[7] فيها القول الفاحش، فأسنده إلى الجمع لأن بعضهم كان[8] يستمعها، ولم يكن يفحش القول فيها، [9]أو تعجيبا من أن يجتمع جمع على مثل ذلك لأن الجمع جدير بأن يوجد فيه من يبصر الحق فيأمر به[9].

١٠ ولما كانت الآيات - لما فيها من البلاغة المعجزة، والحكم المعجبة - داعية إلى تقبلها بعد تأملها، وكانوا يعرضون عنها ويفحشون في وصفها تارة بالسحر وأخرى بالشعر، وكرة بالكهانة ومرة بغيرها، تسبب عن ذلك الإنكار عليهم فقال معرضا عنهم إيذانا بالغضب[9] مسندا إلى الجمع الذي هو أولى بالقاء السمع[9]: ﴿أفلم يدبروا القول﴾ أي ١٥ المتلو عليهم بأن ينظروا في أدباره وعواقبه [10]ولو لم يبلغوا[11] في نظرهم

(١) زيد من مد (٢) من مد، وفي الأصل وظ: كونهم (٣) من مد، وفي الأصل وظ: لشيء (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: الفرد (٥) من مد، وفي الأصل وظ: كبيرا (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: يعرضون (٧) من ظ ومد، وفي الأصل: يقولون (٨) من ظ ومد، وفي الأصل: لا (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) العبارة من هنا إلى «الإدغام» ساقطة من ظ. (١١) من مد، وفي الأصل: لم يبلوا.

الغاية بما أشار إليه الادغام، ليعلموا أنه موجب الاقبال و الوصال، و الوصف بأحسن المقال، و لعله عبر بالقول إشارة إلى أن من لم يتقبله ليس بأهل لفهم شيء من القول بل هو في عداد البهائم ﴿ ام جآءهم ﴾ في هذا القول من الأوامر بالتوحيد الآتي بها الرسول الذي هو من نسل إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام و ما ترتب على ذلك من الأوامر التي لا يجهل ٥ حسن فعلها عاقل، و النواهي التي - كما يشهد بقبح إتيانها العالم - يقطع[1] بها الجاهل، و بالرسالة[2] برسول من البشر ﴿ ما لم يات آباءهم الاولين ﴾ الذين[3] بعد إسماعيل و قبله.

و لما كان الرجل الكامل من عرف الرجال بالحق، بدأ بما أشار إليه ثم أعقبه بمن يعرف الشيء الالف به، ثم[4] بمن يعرف الحق ١٠ بالرجال فقال: ﴿ ام لم يعرفوا رسولهم ﴾ أي الذي اتاهم بهذا القول الذي لا قول مثله، و يعرفوا نسبه و صدقه و أمانته، و ما فاتهم به من معالي الأخلاق حتى أنهم لا يجدون فيه - إذا حقت الحقائق - نقيصة يذكرونها، و لا صمة يتخيلونها، كما دلت عليه الأحاديث الصحاح منها حديث أبي سفيان بن حرب رضي الله عنه الذي في أول البخاري / في سؤال ١٥ / ٦٠٥ هرقل ملك الروم له عن شأنه صلى الله عليه و سلم ﴿ فهم ﴾ أي فتسبب عن جهلهم به أنهم ﴿ له ﴾ أي نفسه أو للقول الذي أتى به ﴿ منكرون ﴾ فيكونوا[5] ممن جهل الحق لجهل حال الآتي به، فلم يحرز

(١) من ظ و مد، و في الأصل: لم يقطع (٢) من مد، و في الأصل وظ: من الرسالة (٣) في ظ: التي (٤) زيد بعده في الأصل: بين، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٥) من ظ و مد، و في الأصل: ليكونوا.

شيئا من رتبتى النـاس ، لا رتبه العلماء الناقدين ، و لا رتبة الجهال المتقلدين ، و فى هذا غاية التوبيخ لهم بجهلهم و بعنادهم بأنهم يعرفون أنه أصدق الخلق و أعلام فى كل معنى جميل ثم يكذبونه .

و لما فرغ بمـا قد يجر إلى الطعن فى القول أو القائل ، أشار إلى ٥ العناد فى أمر القائل و القول و الرسول بقوله: ﴿ام يقولون﴾ أى بعد تدبر ما أتى به و عدم عثورهم فيه عـلى وجه من وجوه الطعن ﴿ به ﴾ أى برسولهم[١] ﴿ جنة[٤] ﴾ أى[٢] فلا يوثق به لأنه قد يخلط فيأتى بما فيه مطعن و إن خفى وجه الطعن فيه فى الحال .

و لما كانت جميع هذه الأقسام منتفية و لاسيما الأخير المستلزم ١٠ [عادة للتخليط المستلزم -[٣]] للباطل ، فانهم أعرف الناس بهذا الرسول الكريم و انه أكملهم خلقا ، و أشرفهم خلقا ، و أطهرهم شيما ، و أعظمهم هما ، و أرجحهم عقلا ، و أمتنهم رأيا ، و أرضاهم قولا ، و أصوبهم فعلا ، [أضرب عنها -[٣]] و قال : ﴿ بل ﴾ أى لم ينكصوا عند[٤] سماع الآيات و يسمروا و يهجروا لاعتقاد شيء مما مضى ، و إنما فعلوا ذلك ١٥ لأن هذا الرسول الكريم ﴿ جآءهم بالحق ﴾ الذى لا تخليط فيه بوجه ، و لا شيء أثبت منه و لا أبين مما فيه من التوحيد و الأحكام ، و لقد أوضح ذلك تحديهم بهذا الكتاب فعجزوا فهو بحيث لايجهله منصف ﴿ و اكثرهم ﴾ أى و الحال أن أكثرهم ﴿ للحق كرهون ﴾ متابعة

(١) فى مد : رسولهم (٢) سقط من ظ و مد (٣) زيد من ظ و مد .
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : عن .

للأهواء

الأهواء الرديئة و الشهوات البهيمية عنادا ، و بعضهم يتركونه جهلا و تقليدا أو خوفا من أن يقال : صبا ، و بعضهم يتبعه توفيقا من الله و تأييدا .

و لما كان ربما قيل : ما له ما[1] كان بحسب أهوائهم فكانوا يتبعونه و يستريح و يستريحون من هذه المخالفات ، التى جرت إلى المشاحنات ، ٥ فأوجبت أعظم المقاطعات ، قال مبينا فساد ذلك ، [و لعله حال من فاعل " كاره " -[2]] ، [فان جزاءه خبرى مسوغ لكونه حالا كما ذكره الشيخ سعد الدين فى بحث المسند ، أو هو معطوف على ما تقديره : فلو تركوا الكره لأحبوه و لو أحبوه لاتبعوه و لو اتبعوه لانصلحوا و أصلحوا -[3]] ﴿و لو اتبع الحق﴾ أى فى الأصول والفروع و الأحوال و الأقوال ١٠ ﴿اهوآءهم﴾ أى شهواتهم التى تهوى بهم [4]لكونها أهواء - بما أشار إليه الافتعال[4] ﴿لفسدت السمٰوٰت﴾ على علوها و إحكامها ﴿و الارض﴾ على كثافتها و انتظامها ﴿و من فيهن[5]﴾ على كثرتهم و انتشارهم و قوتهم ، بسبب ادعائهم تعدد الآلهة ، و لو كان ذلك حتما لأدى ببرهان التمانع إلى الفساد[5] . و بسبب اختلاف أهوائهم و اضطرابها[6] المفضى إلى النزاع ١٥ كما ترى من الفساد[7] عند اتباع بعض الأغراض فى بعض الأزمان إلى أن يصلحها الحق بحكمته ، و يقمعها بهيبته و سطوته ، و [8]لكنا لم نتبع[8] الحق

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد من مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى مد : التمانع (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اضطرابهم. (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : النساء (٨-٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : لكن لم يتبع .

أهواءهم ﴿ بل اتينهم ﴾ بعظمتنا ﴿ بذكرهم ﴾ و هو الكتاب [1] الذى في غاية الحكمة[2]، ففيه صلاح العالم و تمام انتظامه، فاذا تأمله الجاهل صده عن جهله فسعد فى أقواله و أفعاله ، و بان له الخير فى سائر أحواله ، و إذا تدبره العالم عرج به إلى نهاية كماله /، فحينئذ يأتى السؤال[3] عمن ٦٠٦ /
٥ أنزله ، فتخضع[4] الرقاب ، و عمن أنزل عليه فيعظم فى الصدور ، و عن قومه فتجلهم النفوس ، و تنكس لمهابتهم الرؤس ، فيكون لهم[5] أعظم ذكر و أعلى[5] شرف .

و لما جعلوا ما يوجب الإقبال سببا للادبار ، قال معجبا منهم : ﴿ فهم عن ذكرهم ﴾ أى[6] الذى هو شرفهم ﴿ معرضون ﴾ لايفوتنا
١٠ باعراضهم مراد ، و لا يلحقنا به ضرر ، إنما ضرره عائد إليهم ، و راجع فى كل حال عليهم .

و لما أبطل تعالى وجوه طعنهم فى المرسل به و المرسل من جهة جهلهم مرة ، و من جهة ادعائهم البطلان أخرى ، نبههم على وجه آخر هم[7] أعرف الناس ببطلانه ليثبت المدعى من الصحة إذا انتفت وجوه المطاعن
١٥ فقال منكرا : ﴿ ام تسئلهم ﴾ أى على ما جئتهم[8] به ﴿ خرجا ﴾ قال

(١) زيد فى ظ : هو (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : الحكم (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : السوالك (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيخضع (٥-٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذكر و اعظم - كذا (٦) زيد فى الاصل و ظ : الذكر ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : هو (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : جيتكم .

البغوى[1] : أجرا و جعلا ، و قال ابن مكتوم فى الجمع بين[2] العباب و المحكم : و الخرج و الخراج شيء يخرجه القوم فى السنة من مالهم بقدر معلوم ، و الخراج غلة العبد و الأمة ، و قال الزجاج : الخراج : الفيء ، و الخرج[3] : الضريبة و الجزية ، و قال الأصبهانى : سئل أبو عمرو ابن العلاء فقال : الخراج ما لزمك و وجب عليك أداؤه ، و الخرج ما تبرعت به من ٥ غير وجوب .

و لما كان الإنكار معناه النفى ، حسن موقع فاء السبب فى قوله : ﴿ فخرج ﴾ أى أم تسألهم ذلك ليكون سؤالك سببا لاتهامك و عدم سؤالك ، بسبب أن خراج ﴿ربك﴾ الذى لم تقصد غيره قط و لم تخل عن بابه وقتا ما ﴿ خير قلے ﴾ من خراجهم ، لأن خراجه غير مقطوع ١٠ و لا ممنوع عن أحد من عباده المسيئين فكيف بالمحسنين ! و كأنه سماه خراجا إشارة إلى[4] أنه أوجب رزق كل أحد على نفسه بوعد لاخلف فيه ﴿و هو خير الرزقين ﴾ فانه يعلم ما يصلح كل مرزوق و ما يفسده ، فيعطيه على حسب ما يعلم منه و لا يحوجه إلى سؤال .

و لما كانت عظمة الملك مقتضية لتقبل ما أتى به و التشرف به على ١٥ أى حال كان ، نبه على أنه حق يكسب قبوله الشرف لو لم يكن من عند الملك فكيف إذا كان [من عنده ، فكيف إذا كان ملك الملوك و مالك الملك فكيف إذا كان -[5]] الآتى به خالصة العباد و أشرف

---

(١) راجع المعالم بهامش اللباب ٥/٣٤ (٢) فى مد : فى (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الخراج (٤) سقط من مد (٥) زيد من ظ و مد .

الخلق ، كما أقام عليه الدليل بنفي هذه المطاعن كلها ، فقال عاطفا على "اتيتهم" : ﴿ و انك ﴾ أى مع انتفاء هذه المطاعن كلها ﴿ لتدعوهم ﴾ أى بهذا الذكر مع ما قدمنا من الوجوه الداعية إلى اتباعك بانتفاء جميع المطاعن عنك و عما جئت به ﴿ الى صراط مستقيم ﴾ لا عوج
٥ فيه و لا طعن أصلا كما تشهد به[1] العقول الصحيحة ، فمن سلكه أوصله إلى الغرض فحاز كل شرف ، و الحال أنهم ، و لكنه عبر بالوصف الحامل لهم على العمى فقال : ﴿ و ان الذين لا يؤمنون بالاخرة ﴾ فلذلك[2] لا يخشون القصاص فيها ﴿ عن الصراط ﴾ أى الذى لا صراط غيره لأنه لا موصل[3] إلى القصد[4] غيره ﴿ لناكبون ﴾ أى عادلون متنحون
١٠ مائلون منحرفون فى سائر أحوالهم سائرون على غير منهج أصلا ، بل خبط عشواء لأنه يجوز أن يراد مطلق الصراط و أن يراد النكرة الموصوفة بالاستقامة .

/٥٠٧ و لما وصفوا بالميل ، و كان / ربما قال قائل : أن جؤارهم المذكور آنفا سلوك فى الصراط ، بين أنه لا اعتداد به لعروضه فقال :
١٥ ﴿ و لو رحمنهم ﴾ أى عاملناهم معاملة المرحوم فى إزالة ضرره و هو معنى ﴿ و كشفنا ﴾ [5]أى بما لنا من العظمة[5] ﴿ ما بهم من ضر ﴾ و هو الذى عرض جؤارهم بسببه[6] ﴿ للجوا ﴾ [[7]أى تمادوا [5]تماديا عظيما[5]]

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : لكونهم (٣) من ظ و مد . و فى الأصل: لا يوصل.
(٤) فى مد : القصد (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ : يسبب .
(٧) زيد من ظ و مد .

﴿فى طغيانهم﴾ [الذى كانوا عليه قبل هذا الجؤار -[1]] [2]وهو[2] إفراطهم فى منابذة الحق و الاستقامة ﴿يعمهون ه﴾ أى يفعلون من التحير و التردد فعل من لا بصيرة له فى السير المنحرف عن القصد، الجائر عن الاستقامة، قال ابن كثير[3]: فهذا من باب علمه بما لا يكون[4] لو كان كيف كان يكون، قال الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما: كل ما فيه "لو" ٥ فهو مما لا يكون [أبدا -[5]]. ثم أتبع هذا الدليل تأبيدا له ما يدل على أنهم لا يسلكون الصراط إلا اضطرارا فقال: ﴿و لقد اخذنٰهم﴾ [أى -[6]] بما لنا من العظمة ﴿بالعذاب﴾ أى بمطلقه كاظهار حزب الله عليهم فى بدر و غيرها ﴿فما استكانوا﴾ [أى -[6]] خضعوا [7]خضوعا هو كالجبلة لهم[7] ﴿لربهم﴾ المحسن إليهم عقب[8] المحنة، و حقيقته ما طلبوا أن ١٠ يكونوا له ليكرموا مقام العبودية من الذل و الخضوع و الانقياد لأوامره[9] تاركين حظوظ أنفسهم، و الحاصل أنه لما ضربهم بالعذاب كان من حقهم أن يكونوا له لا لشركائهم، فما عملوا بمقتضى [7]ذلك إيجادا و لا طلبا[7] ﴿و ما يتضرعون ه﴾ أى يجددون الدعاء بالخضوع و الذل و الخشوع فى كل وقت بحيث يكون لهم عادة، بل هم على ما جبلوا عليه من ١٥ الاستكبار و العتو إلا إذا التقت حلقتا البطان[10]، و لم يبق لهم نوع

---

(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) من ظ و مد، و فى الأصل: اى (٣) راجع تفسيره: ٣/٢٥١ (٤) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد و التفسير فحذفناها (٥) زيد من التفسير (٦) زيد من مد (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: قبل (٩) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: البطلان.

اختيار، بدليل [1]ما أرشد إليه حرف[1] [الغاية من أن التقدير -[2]]: بل[3]
استمروا على عتوهم ﴿حتى اذا فتحنا﴾ أي[4] بما لنا من العظمة، و دل
على أنه فتح عذاب فقال: ﴿ عليهم بابا ﴾ [5]من الأبواب التي تُقهر بها
من شئنا بحيث يعلوه أمرها و لا يستطيع دفعها ﴿ ذا عذاب شديد ﴾
٥ يعني القتل و الأسر يوم بدر - قاله[6] ابن عباس رضي الله عنهما، أو القحط
الذي سلطه عليهم إجابة لدعوة النبي صلى الله عليه و سلم في قوله[7] «اللهم
أعني عليهم بسبع كسبع يوسف» ﴿ اذا هم فيه ﴾ أي ذلك الباب
مظروفون لا يقدرون منه على [نوع - [2]] خلاص ﴿مبلسون ع﴾ أي
متحيرون ساكنون على ما في أنفسهم آئسون لا يقدرون أن ينطقوا
١٠ بكلمة، داخلون في الإبلاس و هو عدم الخير، متأهلون لسكنى 'بولس'
و هو سجن جهنم، لعدم جعلهم التضرع وصفا لهم لازما غير عارض،
و الخوف من الله شعارا دائما غير مفارق، استحضارا لقدرته و استكبارا
لعظمته؛ ثم التفت إلى خطابهم، استعطافا بعتابهم، لأنه عند التذكير
بعذابهم أقرب إلى إيابهم، فقال: ﴿ و هو ﴾ أي ما استكانوا لربهم
١٥ و الحال أنه هو لا غيره ﴿الذي انشا لكم ﴾ [5]يا من يكذب بالآخرة. على
غير مثال سبق ﴿ السمع و الابصار ﴾ و لعله جمعها لأن التفاوت فيها

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد (٣) في ظ: قوله حتى أي.
(٤) سقط من مد، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة في ظ إلى «عذاب فقال» (٥) زيد في الأصل: أي، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها.
(٦) راجع لباب التأويل ٥/٣٤ (٧) تقدم التعليق عليه.

أكثر من التفاوت في السمع ﴿و الافئدة[4]﴾ التي هي مراكز العقول، فكنتم بها أعلى من بقية الحيوانات، [1]جمع فؤاد، و هو القلب لتوقده و تحرقه، من التفؤد و هو التحرق، و عبر به هنا لأن السياق للاتعاظ و الاعتبار، و جمعه جمع القلة إشارة إلى عزة من هو بهذه / الصفة، /٦٠٨ و لعله جمع الأبصار كذلك لاحتمالها للبصيرة[1]. ٥

و لما صور لهم هذه النعم، و هي بحيث لايشك عاقل في أنه لامثل لها، و أنه لو تصور أن يعطى شيئا منها آدمى لم يقدر على مكافأته، حسن تبكيتهم في كفر المنعم بها فقال: ﴿قليلا ما تشكرون ﴾ لمن أولاكم هذه النعم التي لا مثل لها، و لايقدر غيره على شيء منها، مع إدعائكم أنكم أشكر الناس لمن أسدى إليكم أقل ما يكون من النعم التي يقدر[2] على ١٠ مثلها كل أحد، فكنتم بذلك أنزل من الحيوانات العجم صما بكما عميا.

و لما ذكرهم بهذه النعم التي هي دالة على خلقهم، صرح به في قوله: ﴿و هو﴾ أي وحده ﴿الذي ذرأكم﴾ أي خلقكم و بثكم[3] ﴿في الارض﴾ و لما ذكرهم بابدائهم المتضمن للقدرة على إعادتهم مع ما فيها من الحكمة و في تركها من الإخلال بها، صرح بها[4] فقال: ﴿و اليه﴾ أي وحده ١٥ ﴿تحشرون ﴾ يوم النشور.

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد، و في الأصل: لايقدر.
(٣) من ظ و مد، و في الأصل: معكم - كذا (٤) في مد: به.

و لما تضمن ذلك إحياءهم و إماتتهم، صرح به على وجه عام فقال: ﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿ الذى ﴾ من شأنه أنه ﴿ يحيى و يميت ﴾ فلا مانع له من[1] البعث و لا غيره مما يريده . و لما كانت حقيقة البعث إيجاد الشيء كما هو بعد إعدامه، ذكرهم بأمر طالما لابسوه و عالجوه و مارسوه ٥ فقال: ﴿ و له ﴾ أى وحده، لا لغيره[2] ﴿ اختلاف اليل و النهار ﴾[3] أى التصرف[4] فيهما على هذا الوجه، يوجد كلا منهما بعد أن أعدمه كما كان سواء، فدل تعاقبهما على تغيرهما، و تغيرهما بذلك و بالزيادة و النقص على أن لهما مغيرا لا يتغير و أنه لا فعل لهما[5] و أنما الفعل له وحده، و أنه قادر على إعادة المعدوم كما قدر على ابتدائه بما دل على قدرته ١٠ و بهذا الدليل الشهودى للحامدين، و لذلك ختمه بقوله[6] منكرا تسبيب ذلك لعدم عقلهم[6]: ﴿ افلا تعقلون ﴾ أى يكون لكم عقول[7] لتعرفوا ذلك فتعملوا[8] بما تقتضيه من اعتقاد البعث الذى يوجب سلوك الصراط .

و لما كان معنى الاستفهام الإنكارى النفى، حسن بعده كل الحسن قوله: ﴿ بل ﴾ [و -[9]] عدل إلى أسلوب الغيبة للايذان بالغضب بقوله: ١٥ ﴿ قالوا ﴾ أى هؤلاء العرب ﴿ مثل ما قال الاولون ﴾ من قوم نوح و من بعده؛ ثم استأنف قوله: ﴿ قالوآ ﴾ أى منكرين للبعث متعجبين

---

(١) سقط من ظ (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: غيره (٣) العبارة من هنا إلى « على هذا الوجه » ساقطة من ظ (٤) من مد، و فى الأصل: بالتصرف . (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لها (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى ظ: عقل (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: فعلموا (٩) زيد من ظ و مد .

من أمره: ﴿ءاذا متنا و كنا﴾ أى بالبلى بعد الموت ﴿ترابا و عظاما﴾ نخرة، ثم أكدوا الإنكار بقولهم: ﴿ءانا لمبعوثون ﴾[1] أى من [3]باعث ما[2].

و لما كان محط العناية [3]فى هذه السورة الخلق و الإيجاد، و التهديد لأهل العناد، حكى عنهم أنهم قالوا[3]: ﴿لقد وعدنا﴾ مقدما قولهم: ٥ ﴿نحن و اٰبآؤنا﴾ على قولهم[4]: ﴿هذا﴾ أى البعث[5] ﴿من قبل﴾ بخلاف النمل[6]، فان محط العناية فيها[7] الإيمان بالآخرة فلذلك قدم قوله "هذا"، و المراد وعد آبائهم على ألسنة من أتاهم من الرسل [8]غير أن الإخبار بشموله[9] جعله وعدا للكل على حد سواء، ثم استأنفوا قولهم: ﴿ان﴾ [10]أى ما[10] ﴿هذآ الآ اساطير الاولين ﴾ أى كذب لا حقيقة ١٠ له، لأن ذلك معنى الإنكار المؤكد.

و لما أنكروا البعث هذا الإنكار المؤكد، و نفوه هذا النفى المحتم، أمره أن يقررهم بأشياء هم بها مقرون /، و لها عارفون، يلزمهم من /٦٠٩ تسليمها الإقرار بالبعث قطعا، فقال: ﴿قل﴾ [أى -[11]] مجيبا لإنكارهم

---

(١) العبارة من هنا إلى «باعث ما» ساقطة من ظ (٢ - ٢) من مد، و فى الأصل: اى باعثنا (٣-٣) تكرر فى الأصل فقط بعد «فان محط العناية» (٤) فى ظ: قوله (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: بالبعث (٦) راجع آية ٦٨ (٧) زيد فى الأصل: على، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) العبارة من هنا إلى «حد سواء» ساقطة من ظ (٩) من مد، وفى الأصل: لشموله (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ (١١) زيد من مد.

البعث ملزما لهم: ﴿ لمن الارض ﴾ أي[1] على سعتها و كثرة عجائبها ﴿ و من فيهآ ﴾ على كثرتهم و اختلافهم ﴿ ان كنتم ﴾ [2]أي بما[3] هو كالجبلة لكم ﴿ تعلمون ه ﴾ أي أهلا للعلم، وكأنه تنبيه لهم[1] على أنهم [4]أنكروا شيئا[4] لا ينكره عاقل.

٥ و لما كانوا مقرين بذلك، أخبر عن جوابهم قبل جوابهم، ليكون من دلائل النبوة و أعلام الرسالة[5] بقوله استئنافا[6]: ﴿ سيقولون ﴾ أي قطعا: ذلك كله ﴿ لله ﴾ أي المختص بصفات الكمال. و لما كان ذلك دالا على الوحدانية و التفرد بتمام القدرة من وجهين: كون ذلك كله له، و كونه يخبر عن عدوه بشيء فلا يمكنه التخلف عنه، قال: ﴿قل﴾

١٠ أي لهم إذا قالوا لك ذلك منكرا عليهم [7]تسبيبه لعدم تذكرهم [و لو -[8]] على أدنى الوجوه بما أشار إليه الإدغام: ﴿ افلا تذكرون ه ﴾ أي بذلك المركوز في طباعكم المقطوع به عندكم، ما غفلتم[9] عنه من تمام قدرته و باهر عظمته، فتصدقوا ما أخبر به من البعث الذي هو دون ذلك، و تعلموا أنه لا يصلح شيء منها - و هو ملكه - أن يكون شريكا له

---

(١) سقط من مد (٢) العبارة من هنا إلى « كالجبلة لكم » ساقطة من ظ (٣) من مد، و في الأصل: ما (٤ - ٤) من ظ و مد، و في الأصل: انكر اشياء (٥) من ظ و مد، و في الأصل: الرسل له (٦) سقط من ظ (٧) العبارة من هنا إلى « الإدغام » ساقطة من ظ (٨) زيد من مد (٩) في ظ: عطفتم - خطأ.

[1]و لا ولدا، و تعلموا[2] انه لايصح فى الحكمة اصلا أنه يترك[3] البعث لأن أقلكم لايرضى بترك حساب عبيده[4] و العدل بينهم.

و لما ذكرهم بالعالم السفلى لقربه، تلاه بالعلوى لأنه أعظم فقال على ذلك المنوال مرقيا لهم إليه: ﴿قل من رب﴾ [5]أى خالق و مدبر[5] ﴿السمٰوٰت السبع﴾ [6]كما تشاهدون من حركاتها و سير نجومها ٥ ﴿و رب العرش العظيم﴾ الذى أنتم به معترفون ﴿سيقولون لله﴾ [أى -[7]] الذى له[8] كل شىء [9]هو رب[9] [ذلك -[7]] - على قراءة البصريين[10]، [و التقدير -[11]] لغيرهما: ذلك كله لله، لأن معنى من رب الشىء: لمن الشىء، فتفيد اللام الملك صريحا مع إفادة الرب التدبير.

و لما تأكد الأمر و زاد الوضوح، حسن التهديد على التمادى فقال: ١٠ ﴿قل﴾ [5]منكرا عليهم عدم تسببه لهم التقوى[5]: ﴿افلا تتقون﴾ أى تجعلون بينكم و بين حلول السخط من هذا الواسع الملك التام القدرة وقاية بالمتاب من إنكار شىء يسير بالنسبة إلى هذا الملك العظيم هين عليه.

و لما قررهم بالعالمين: العلوى و السفلى، أمره بأن يقررهم بما هو أعم منهما[12] و أعظم، فقال: ﴿قل من بيده﴾ [أى خاصة - [7]] ١٥ ﴿ملكوت كل شىء﴾ [أى -[7]] من العالمين و غيرهما، و الملكوت

(١) العبارة من هنا إلى « و العدل بينهم » ساقطة من ظ (٢) من مد، و فى الأصل: تعلمون (٣) من مد، و فى الأصل: ينزل (٤) من مد، و فى الأصل: عباده (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد فى ظ: مبدعها ثم مدبرها - كذا (٧) زيد من مد (٨) سقط من مد (٩ - ٩) فى ظ: ربه (١٠) راجع نثر المرجان ٤/٥٧٠ (١١) زيد من ظ و مد (١٢) فى ظ: منها.

الملك البليغ[1] الذى لا نقص فيه بوجه؛ قال ابن كثير[2] : كانت العرب
إذا كان السيد فيهم فأجار أحدا لا يخفر فى جواره و ليس لمن دونه أن
يجير عليه لئلا يفتات عليه . و لو أجار ما أفاد، و لهذا قال الله تعالى :
﴿و هو يجير﴾ أى يمنع و يغيث من يشاء فيكون فى حرزه، لايقدر
٥ أحد على الدنو من ساحته ﴿ و لايجار عليه ﴾ أى و لا يمكن أحـــدا
أبدا أن يجير جوارا يكون مستعليا عليه بأن يكون / على غير مراده، /٦١٠
بل يأخذ من أراد و إن نصره جميع الخلائق، و يعلى من أراد و إن
تحاملت عليه كل المصائب، فتبين كالشمس أنه لا شريك يمانعه، ولا
ولد يصانعه [أو يضارعه - [3]] ؛ و قال ابن كثير[2]: و هو السيد العظيم[4]
١٠ الذى لا أعظم منه الذى له الخلق و الأمر، و لامعقب لحكمه الذى
لايمانع و لايخالف، و ما شاء كان، و ما لم يشأ لم يكن .

و لما كان هذا برهانا مع أنه ظاهر لا يخفى على أحد، قد يجمجم
فيه من له غرض فى اللدد، ألهبهم إلى المبادرة إلى الاعتراف به و هيجهم
بقوله[5]: ﴿ان كنتم ﴾ [أى كونا راسخا - [6]] ﴿ تعلمون ه ﴾ أى فى
١٥ عداد من يعلم، [5]و لذلك استأنف قوله[5]: ﴿سيقولون لله ﴾ [أى -[6]]
الذى بيده ذلك، خاصا به، [7]و التقدير لغير البصريين: ذلك كله لله،

---

(١) زيد فى الأصل : اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) راجع تفسيره : ٣/٢٥٣ (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ : الكبير (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد من مد (٧) العبارة من هنا إلى « استأنف قوله » ص ١٧٩ س٣ » ساقطة من ظ .

لأن

لأن اليد أدل شيء على الملك .

و لما كان جوابهم [بذلك - [1]] يقتضى [إنكار - [1]] توقفهم فى الإقرار بالبعث ، استأنف قوله : ﴿ قل ﴾ [2] منكرا عليهم تسبيب ذلك لهم [3] ادعاء أنه سحر ، أوالصرف عن الحق كما يصرف المسحور ﴿ فأنى تسحرون ه ﴾ أى فكيف بعد إقراركم بهذا كله تدعون أن الوعيد بالبعث سحر [4] فى قولكم [4] : افتاتون السحر و انتم تبصرون ، و من أين صار لكم هذا الاعتقاد و قد أقررتم بما يلزم [5] منه شمول العلم و تمام القدرة ؟ و من أين تتخيلون الحق باطلا ، أو كيف تفعلون فعل المسحور بما تأتون به من التخليط فى الأقوال و الأفعال ، و تخدعون و تصرفون عن كل ما دعا إليه ؟ .

و لما كان الإنكار بمعنى النفى ، حسن قوله : ﴿ بل ﴾ أى ليس الأمر كما يقولون ، لم نأتهم بسحر بل ، أو يكون المعنى : ليس هو أساطير ، بل ﴿ اتينهم ﴾ فيه على عظمتنا ﴿ بالحق ﴾ [أى - [1]] الكامل الذى لاحق بعده ، كما دلت عليه « ال [6] » فكل ما أخبر [7] به من التوحيد و البعث و غيرهما فهو حق ﴿ و انهم لكذبون ه ﴾ فى قولهم : إنه سحر لاحقيقة له ، و فى كل ما ادعوه من الولد و الشريك و غيرهما مما بين القرآن فساده

---

(١) زيد من مد (٢) العبارة من هنا إلى « المسحور » ساقطة من ظ (٣) سقط من مد (٤-٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : وقوله (٥) فى ظ : يلزمه (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : ان (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : اخبر .

كما لزمهم بما[1] أقروا به فى جواب هذه الأسئلة الثلاثة .

و لما كان من أعظم كذبهم ما[2] أشار إليه قوله تعالى "و قالوا اتخذ الرحمن[3] ولدا" [قال -[4]] : ﴿ ما اتخذ الله ﴾ أى الذى لا كفوء له ، و أعرق فى النفى بقوله : ﴿ من ولد ﴾ لا من الملائكة و لا من غيرهم ، ٥ لما قام من الأدلة على غناه ، و أنه لايجانس له ، و لما لزمهم باقرارهم أنه يجير و لا يجار عليه ، و أن له السماوات و الأرض[5] و من فيهما .

و لما كان الولد أخص من مطلق الشريك قال : ﴿ و ما كان ﴾ [أى بوجه من الوجوه -[4]] ﴿ معه ﴾ فأفاد بفعل الكون نفى الصحة لينتفى الوجود بطريق الأولى ﴿ من اله ﴾ و زاد[6] "من" لتأكيد النفى ؛ ١٠ و لما لزمهم الكذب فى دعوى الإلهية بولد أو غيره[7] من إقرارهم هذا ، أقام عليه دليلا عقليا ليتطابق الإلزامى و العقلى فقال : ﴿ اذا ﴾ أى إذ لو كان معه إله آخر ﴿ لذهب كل اله بما خلق ﴾ بالتصرف فيه وحده ليتميز ما له عما لغيره ﴿ و لعلا بعضهم ﴾ أى بعض الآلهة ﴿ على بعض ﴾ إذا تخالفت أوامرهم ، فلم يرض أحد منهم أن يضاف ١٥ ما خلقه / إلى غيره ، و لا أن يمضى فيه أمر على غير مراده ، كما هو /٦١١ مقتضى العادة ، فلا يكون المغلوب إلها لعجزه ، و لا يكون مجيرا غير مجار

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بما (٢) من مد ، و فى الأصل : عما ، و فى ظ : بما (٣) من ظ و مد و القرآن الكريم سورة ٢١ آية ٢٦ ، و فى الأصل : الله.
(٤) زيد من ظ و مد (٥) زيد فى الأصل : وما بينهما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : زاده (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : غيرهم .

 عليه

عليه، بيده وحده[1] ملكوت كل شيء، و في ذلك إشارة إلى أنه [لو -[2]] لم يكن ذلك الاختلاف لأمكن أن يكون، فكان إمكانه كافيا في إبطال[3] الشركة لما يلزم ذلك من [4]إمكان العجز المنافي للالهية[4]، كما بين في الأنبياء[5].

و لما طابق الدليلُ الإلزامَ على نفي الشريك، نزه نفسه الشريفة ٥ [6]بما هو نتيجة ذلك[6] بقوله: ﴿سبحٰن الله﴾ أي المتصف بجميع صفات الكمال، المنزه عن كل شائبة نقص ﴿عما يصفون﴾ من كل ما لا يليق بجنابه المقدس من الشريك و الولد وغيره؛ ثم أقام دليلا آخر على كماله بوصفه[7] بقوله: ﴿علم الغيب﴾ [6]و لما كان العلم بذلك لا يستلزم علم الشهادة كما للنائم قال[6]: ﴿و الشهادة﴾ و لا عالم بذلك غيره. ١٠

و لما كان من الواضح الجلي أنه لا مدعى لذلك، و من ادعاه[8] غيره بان كذبه لامحالة، و [أن -[2]] من تم عليه تمت قدرته، فاتضح تفرده كما بين في طٰه، تسبب عنه قوله: ﴿ فتعٰلى ﴾ [9]أي علا العالم المشار إليه علوا عظيما[9] ﴿عما يشركون﴾ فانه لاعلم لشيء منه فلا قدرة [10]و لا[10]

(١) زيد في الأصل: بيده، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٢) زيد من ظ ومد (٣) من ظ ومد، و في الأصل: ابطاله (٤-٤) في ظ: العجز. (٥) راجع آية ٢٢ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ و مد، و في الأصل: لوصفه (٨) من ظ و مد، و في الأصل: ادعاه (٩-٩) وقع في الأصل بعد « يشركون » و الترتيب من مد، و سقط ما بين الرقمين من ظ. (١٠-١٠) من ظ و مد، و في الأصل: فلا.

صلاحية لرتبة الإلهية .

و لما أقام الدليل على كذبهم بالأدلة على عظمته ، و تعاليه عن
كل ما يقول الظالمون ، و بين لهم الأمر غاية البيان بعد أن هددهم بمثل
قوله و ما يشعرون " حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب " و نحوه من
٥ مثل ما أنزله بالماضين ، و أحله بالمكذبين ، و كان من المعلوم أنه ليس
بعد الإعذار[١] إلا إيقاع القضاء و إنزال البلاء ، و كان من الممكن أن يعم
سبحانه الظالم و غيره بعذابه لأنه لا يسئل عما يفعل ، أمره أن يتعوذ من
ذلك إظهارا لعظمة الربوبية و ذل العبودية فقال : ﴿ قل رب ﴾ أى أيها
المحسن إلىّ ، و أكد إظهارا لعظمة المدعو به و إعلاما بما للنبي صلى الله
١٠ عليه و سلم من مزيد الشفقة على أمته [٢]مؤمنهم و كافرهم[٢] ﴿ اما تريني ﴾
أى [إن كان و لا بد من أن تريني -[٣]] قبل موتى ﴿ ما يوعدون ﴾
ثم نبهه[٤] على الزيادة فى الضراعة بتكرير النداء بصفة الإحسان تعبدا
و تخشعا ، و تذللا و تخضعا ، إشارة إلى أن الله سبحانه له أن يفعل
ما يشاء ، فينبغي لأقرب خلقه إليه أن يكون على غاية الحذر منه فقال :
١٥ ﴿ رب فلا تجعلني ﴾ باحسانك إلىّ و فضلك علىّ فيهم ، هكذا كان
الأصل و لكنه أظهر الوصف تعميما الدعوة و تعليقا للحكم بالوصف
فقال : ﴿ فى القوم الظلمين ﴾ [أى -[٥]] الذين أعمالهم أعمال من يمشى فى
الظلام ، فهى فى غير مواضعها ، [٦]فضلا عن أن أكون منهم[٦] فانه

---

(١) فى ظ : الانذار (٢-٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : كافرهم و مومنهم.
(٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : نبه (٥) زيد
من مد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

يوشك أن يخصهم العذاب و يعم من جاورهم لوخامة الظلم و سوء عاقبته.

و لما أرشد التعبير بأداة الشك إلى أن التقدير: فانا على العفو عنهم و على الإملاء لهم لقادرون، عطف عليه قوله مؤكدا لما لهم من التكذيب المتضمن للطعن فى القدرة و هم المقصودون بالتهديد: ﴿ و انا ﴾ [1]أى ٥ بما لنا من / العظمة[1] ﴿علىٓ ان نريك﴾ أى قبل موتك ﴿ ما نعدهمٓ ﴾ / ٦١٢ من العذاب ﴿ لقدرونَ ۝ ﴾ و لما لاح من هذا أن أخذهم و تأخيرهم فى الإمكان على حد سواء، و كانوا يقولون و يفعلون ما لا صبر عليه إلا بمعونة من الله، كان كأنه قال: فما ذا أفعل فيما تعلم من أمرهم؟ فقال آمرا له بمداواته: ﴿ ادفع ﴾ و فخم الأمر بالموصول لما فيه من الإبهام المشوق ١٠ للبيان[2] [ثم -[3]] بأفعل التفضيل فقال: ﴿ بالتى هى احسن ﴾ أى من الأقوال و الأفعال بالصفح و المداراة ﴿ السيئة[4] ﴾ ثم خفف عنه ما يجد من ثقلها بقوله: ﴿نحن اعلم﴾ [1]أى من كل عالم[1] ﴿بما يصفون ۝﴾ فى حقك و حقنا، فلو شئنا منعناهم منه أو عاجلناهم بالعذاب و ليس أحد بأغير منا فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل. ١٥

و لما كان [الصبر -[4]] عليه لايطاق إلا به سبحانه، أمره بالدعاء بذلك فقال: ﴿وقل رب﴾ أيها المحسن إلىّ ﴿اعوذ بك﴾ أى[5] ألتجئ إليك

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ ومد، و فى الأصل: بالبيان.
(٣) زيد من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من مد.

﴿من همزت الشيطين ﴾ أى [1]أن يصلوا إلىّ بوساوسهم[1] التى هى كالنخس بالمهماز فى الإقحام فى السيئات و البعد عن[2] مطلق الحسنات، فكيف بالأحسن منها كما سلطتهم على الكافرين تؤزهم إلى القبائح أزا ﴿و أعوذ بك رب﴾ أى [أيها -[3]] المربى لى ﴿ان يحضرون﴾ [4]أى و لو لم تصل إلىّ وساوسهم[4] فان حضورهم هلكة، و بعدم بركة، لأنهم[5] مطبوعون على الفساد لاينفكون عنه.

و لما كان أضر أوقات حضورهم ساعة الموت، و حالة الفوت، فانه وقت كشف الغطاء، [6]عما كتب من القضاء[6]، وآن اللقاء، و تحتم السفول أو الارتقاء، عقب ذلك بذكره تنبيها على بذل الجهد فى الدعاء و التضرع للعصمة فيه فقال معلقا بقوله تعالى "بل لا يشعرون" أو بمبلسون، منبها بحرف الغاية على أنه سبحانه يمد فى أزمانهم استدراجا لهم: ﴿حتىٓ﴾ أو[6] يكون التقدير كما يرشد إليه السياق: فلا أكون من الكافرين المطيعين للشياطين حتى ﴿اذا جآء﴾ [و قدم المفعول ليذهب الوهم فى فاعله كل مذهب فقال -[7]]: ﴿احدهم الموت﴾ فكشف له الغطاء، و ظهر له الحق، و لاحت له بوارق العذاب، و لم يبق فى شىء من ذلك ارتياب ﴿قال﴾ مخاطبا لملائكة[8] العذاب على عادة جهله و وقوفه مع المحسوس[9]

(١ - ١) فى ظ : وساوسهم (٢) فى ظ : من (٣) زيد من مد، و العبارة من « أى » إلى « لى » ساقطة من ظ (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) سقط من مد (٦) من ظ ومد، وفى الأصل : اى (٧) زيد من مد (٨) من ظ ومد، وفى الأصل : للملائكة (٩) زيد فى الأصل : من، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

داب البهائم: ﴿ رب ارجعون ﴾ أى إلى[1] الدنيا دار العمل؛[2] و يجوز أن يكون الجمع لله[3] تعالى و للملائكة، أو للتعظيم [على عادة فى مخاطبات الأكابر لاسيما الملوك -[4]]، أو لقصد تكرير الفعل للتأكيد.

و لما كان فى تلك الحالة[5] على القطع من اليأس من النجاة لليأس من العمل لفوات[6] داره [7]مع وصوله إلى حد الغرغرة[7] قال: ﴿ لعلى اعمل ﴾ ٥ أى لأكون على رجاء من أن أعمل ﴿ صالحا فيما تركت ﴾ من الإيمان و توابعه؛ قال البغوى[8]: قال قتادة: ما تمنى أن يرجع إلى أهله و عشيرته[9] و لا ليجمع الدنيا و يقضى الشهوات، و لكن تمنى أن يرجع ليعمل[10] بطاعة الله، فرحم الله امرءا عمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب. و قال ابن كثير[11]: كان العلاء بن زياد يقول: لينزلن أحدكم نفسه أنه ١٠ [قد -[12]] حضره الموت فاستقال ربه فأقاله فليعمل[13] بطاعة الله عز و جل.

/ و لما كان القضاء قد قطع بأنه لايرجع، و لو رجع لم يعمل قال /٦١٣ ردعا له و ردا لكلامه: ﴿ كلا ﴾ أى لا يكون شيء من ذلك، فكأنه

(١) سقط من مد (٢) العبارة من هنا إلى « للتأكيد » ساقطة من ظ (٣) فى مد: له (٤) زيد من مد (٥) زيد فى الأصل: تنبيها، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: الفوات (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) فى معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/٣٦ (٩) من مد و المعالم، و فى الأصل و ظ: عترته (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: لعمل، و فى المعالم: فيعمل (١١) راجع تفسيره: ٣/٢٥٥ (١٢) زيد من ظ و مد و التفسير. (١٣) من ظ و مد والتفسير، و فى الأصل: ليعمل.

قيل : فما حكم ما قال ؟ [1]فقال [معرضا عنه إيذانا بالغضب - [2]] : ﴿انها كلمة﴾ أى مقالته "رب ارجعون" - إلى آخره ، كلمة [3] ﴿هو قآئلها[4]﴾ و قد عرف منه الخداع و الكذب فهى كما عهد منه لاحقيقة لها .

و لما كان التقدير : فهو لا يجاب إليها ، عطف عليه قوله ، جامعا

٥ معه [4]كل من ماثله[4] [5]لأن عجز الجمع يلزم منه عجز الواحد[6] : ﴿ و من ورآئهم ﴾ أى من خلفهم و من أمامهم محيط بهم ﴿ برزخ ﴾ أى حاجز بين ما هو فيه و بين الدنيا و القيامة مستمر [3] لايقدر أحد على رفعه [7] ﴿ الى يوم يبعثون ه ﴾ أى تجدد بعثهم بأيسر أمر و أخفه و أهونه [8] .

١٠ و لما عبّى ذلك بالبعث فتشوفت النفس إلى ما يكون بعده ، وكان قد تقدم أن الناس - بعد أن كانوا أمة واحدة فى الاجتماع على ربهم - تقطعوا قطعا ، و تحزبوا أحزابا ، و تعاضدوا بحكم ذلك و تناصروا ، قال نافيا لذلك : ﴿ فاذا نفخ ﴾ أى [بأسهل أمر - [2]] النفخة الثانية و هى نفخة النشور ، [9]أو الثالثة للصعق [9] ﴿ فى الصور ﴾ فقاموا من القبور

---

(١) زيد فى الأصل : فقيل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) زيد من مد (٣) سقط من مد (٤ - ٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : كلما - مع وجود البياض قدر كلمتين (٥) العبارة من هنا إلى « الواحد » ساقطة من ظ (٦) من مد ، و فى الأصل : الواحدة ليعمل (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : دفعه . (٨) من مد ، و فى الأصل : اهون ، و العبارة من « أى تجدد » إلى هنا ساقطة فى ظ (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ .

أو

[1]أو من الصعق[1] ﴿ فلآ انساب ﴾ [1]و هي أعظم الأسباب [1] ﴿ بينهم ﴾ يذكرونها يتفاخرون [بها ﴿ يومئذ ﴾ لما دهمهم من الأمر و شغلهم من البأس و لحقهم من الدهش و رعبهم من الهول - [2]] و علموا[3] من عدم نفعها إلا ما أذن الله فيه، بل يفر الإنسان من أقرب الناس إليه، و إنما[4] أنسابهم الأعمال الصالحة ﴿ و لا يتسآءلون ﴾ اى فى التناصر لأنه انكشف ٥ لهم أن لاحكم إلا الله و أنه لاتغني نفس عن نفس شيئا، فتسبب عن ذلك أنه لا نصرة إلا بالأعمال التى رحم الله بالتيسير لها ثم رحم بقبولها، فلذلك قال: ﴿ فمن ثقلت موازينه ﴾ أى بالأعمال المقبولة، [5]و لعل الجمع لأن لكل[6] عمل ميزانا يعرف أنه لايصلح له غيره، و ذلك أدل على القدرة ﴿ فاولٓئك ﴾ أى خاصة، [7]و لعله جمع للبشارة[8] بكثرة الناجي بعد ١٠ أن أفرد الدلالة على كثرة الأعمال أو على عموم الوزن لكل فرد ﴿ هم المفلحون ﴾ لأنهم المؤمنون الموصوفون ﴿ و من خفت موازينه ﴾ لإعراضه عن تلك الأعمال المؤسسة على الإيمان ﴿ فاولٓئك ﴾ خاصة ﴿ الذين خسروآ انفسهم ﴾ لإهلاكهم إياها باتباعها شهواتها فى دار الأعمال و شغلها بأهوائها عن[9] مراتب الكمال؛ ثم علل ذلك أو بينه بقوله: ١٥ ﴿ فى جهنم خلدون ﴾ و هي دار لا ينفك أسيرها، و لا ينطفئ سعيرها؛

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد، إلا أن العبارة من «يومئذ» إلى «الله فيه» وقعت فى ظ بعد «الأعمال الصالحة».
(٣) من ظ ومد، و فى الأصل: عملوا (٤) فى الأصل بياض، ملأناه من ظ و مد.
(٥) العبارة من هنا إلى «على القدرة» ساقطة من ظ (٦) من مد، و فى الأصل: كل (٧) العبارة من هنا إلى «لكل فرد» ساقطة من ظ (٨) من مد، و فى الأصل: الاشارة (٩) فى مد: على.

ثم استأنف قوله : ﴿ تلفح ﴾ أى تغشى بشديد حرها و سمومها و وهجها ﴿ وجوههم النار ﴾ فتحرقها فما ظنك بغيرها ﴿ و هم فيها كالحون ٥ ﴾ أى متقلصو الشفاه عن الأسنان مع عبوسة الوجوه و تجعدها و تقطبها شغل من هو ممتلئ الباطن كراهية لما دهمه من شدة المعاناة و عظيم
٥ المقاساة [فى دار التجهم - [1]] ، [كما ترى الرؤس المشوية ، و - [2]] لا يناقض نفى التساؤل هنا إثباته فى غيره لأنه فى غير التناصر بل فى التلاوم و التعاتب [3] و التخاصم [3] على أن المقامات فى ذلك اليوم طويلة و كثيرة ، فالمقالات و الأحوال لأجل ذلك متباينة / و كثيرة ، و سيأتى عن ابن /٦١٤ عباس رضى الله عنهما فى سورة الصافات نحو ذلك .
١٠ و لما جرت العادة بأن المعذب بالفعل يضم إليه القيل [4] ، أجيب من قد يسأل عن ذلك بقوله : ﴿ الم ﴾ [5] أى يقال لهم [6] فى تأنيبهم و توبيخهم : ألم ﴿ تكن ءايتى ﴾ [7] التى انتهى عظمها إلى أعلى المراتب باضافتها إلى [7] . [و لما كان مجرد ذكرها كافيا فى الإيمان ، نبه على ذلك بالبناء للمفعول - [1]] : ﴿ تتلى عليكم ﴾ أى تتابع لكم قراءتها فى الدنيا شيئا
١٥ فشيئا . و لما كانت سببا للايمان فجعلوها سببا للكفران ، قال : ﴿ فكنتم ﴾ [أى كونا أنتم عريقون فيه - [2]] ﴿ بها تكذبون ٥ ﴾ و قدم الظرف

---

(١) زيد من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣ - ٣) ورد فى الأصل بعد « المقاساة » س ٥ ، و الترتيب من مد ، و سقط من ظ (٤) من ظ ومد ، و فى الأصل : المقيل (٥) العبارة من هنا إلى « ألم » ساقطة من ظ (٦) سقط من مد . (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .

للاعلام بمبالغتهم في التكذيب؛ ثم استأنف جوابهم بقوله: ﴿قالوا ربنا﴾ [أيها -[1]] المسبغ علينا نعمه ﴿غلبت علينا شقوتنا﴾ أي أهواؤنا التي قادتنا إلى سوء الأعمال التي كانت سببا ظاهرا للشقاوة .

و لما كان التقدير: فكنا معها كالمأسورين ، تؤزنا إليها الشياطين أزا ، عطف عليه [قوله -[1]] ﴿وكنا﴾ أي بما جبلنا عليه ﴿قوما ضآلين ﴾ ٥ في ذلك عن الهدى[2] ، [3]أقوياء في موجبات الشقوة[3] ، فكان سببا للضلال[4] عن طريق السعادة .

و لما تضمن هذا الإقرار الاعتذار ، و كان ذلك ربما سوغ الخلاص ، وصلوا به قولهم: ﴿ربنآ﴾ يا من عودنا بالإحسان ﴿اخرجنا منها﴾ أي النار تفضلا منك على عادة فضلك ، و ردنا إلى دار الدنيا لنعمل ١٠ ما يرضيك ﴿فان عدنا﴾ إلى مثل تلك الضلالات ﴿فانا ظلمون ﴾ فاستؤنف جوابهم بأن ﴿قال﴾ لهم كما يقال للكلب: ﴿اخسؤا﴾ أي انزجروا زجر الكلب و انطردوا عن مخاطبتي [5]ساكتين سكوت هوان ﴿فيها﴾ أي النار ﴿و لا تكلمون ﴾ أصلا ، فانكم لستم أهلا[6] لمخاطبتي ، لأنكم لم تزالوا متصفين بالظلم ، و منه سؤالكم هذا المقهم لأن اتصافكم ١٥ به لا يكون إلا على تقدير عودكم بعد إخراجكم .

و لما كانت الشماتة أسر السرور[7] للشامت و أخزى الخزى للشموت به ،

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : الله (٣-٣) في الأصل بياض ملأناه من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : للهلال (٥) العبارة من هنا إلى « لمخاطبتي » ساقطة من ظ (٦) في مد : باهل (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : سرور .

علل ذلك بقوله : ﴿ انــه كان ﴾ أى كونا ثابتا ﴿ فريق ﴾ أى ناس[1] استضعفتموهم فهان عليكم [فراقهم لكم و -[2]] فراقكم لهم و ظننتم[3] أنكم تفرقون شملهم ﴿ من عبادى ﴾ أى الذين هم أهل للاضافة[4] إلى جنابى لخلوصهم[5] عن الأهواء ﴿ يقولون ﴾ مع الاستمرار : ﴿ ربنآ ﴾ أيها[6]
٥ المحسن إلينا بالخلق و الرزق ﴿ امنا ﴾ أى أوقعنا الإيمان بجميع ما جاءتنا به الرسل لوجوب ذلك علينا لأمرك لنا به .

و لما كان عظم المقام موجبا لتقصير العابــد ، و كان الاعتراف بالتقصير جابرا له قالوا[7] : ﴿ فاغفر لنا ﴾ أى استر بسبب إيماننا [عيوبنا التى كان تقصيرنا بها -[2]] ﴿ [8] و ارحمنا[8] ﴾ [أى افعل بنا فعل الراحم
١٠ من الخير -[2]] الذى هو على صورة الحنو و الشفقة و العطف .

و لما كان التقدير : فأنت خير الغـافرين ، فانك إذا سترت ذنبا أنسيته لكل أحد حتى للحفظة ، عطف عليه قوله : ﴿ و انت خير الرّحمين ﴾ لأنك تخلص مَنْ رحمته من كل شقاء و هوان ، باخلاص الإيمان ، و الخلاص من كل كفران .

١٥ و لما تسبب عن إيمان هؤلاء [زيادة -[2]] كفران أولئك قال :

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بان - كذا (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : ظنكم (٤) فى ظ : الاضافة (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لخلوصكم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اى (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : قال (٨ - ٨) تأخر فى الأصل عن « عطف عليه قوله » س ١٢ و الترتيب من ظ و مد .

﴿ فاتخذتموهم سخريا ﴾ أى موضعا للهزء و التلهى [و الخدمة لـكم، قال الشهاب السمين[1] فى إعرابه : و السخرة - بالضم : الاستخدام ، و سخريا - بالضم منها و السخر بدون هاء : الهزء و المكسور منه يعنى على القراءتين -[2]] و فى النسبة [دلالة على -[2]] زياده [قوة -[2]] فى الفعل كالخصوصية / و العبودية ﴿حتّى انسوكم﴾ أى [لأنهم -[2]] كانوا السبب فى ذلك ٥ / ٦١٥ بتشاغلكم [3]بالاستهزاء بهم[3] و استعبادهم ﴿ ذكرى ﴾ أى [أن -[2]] تذكرونى فتخافونى باقبالكم بكليتكم على ذلك منهم .

[و لما كان التقدير : فتركتموه -[2]] فلم تراقبونى فى أوليائى[4] ، [عطف عليه قوله -[2]]: ﴿و كنتم ﴾ أى[5] بأخلاق هى كالجبلة ﴿منهم﴾ [6]أى خاصة[6] ﴿ تضحكون ﴾ كأنهم لما صرفوا قواهم إلى الاستهزاء بهم ١٠ عد[7] ضحكهم من غيرهم عدما .

و لما تشوفت النفس بعد العلم بما فعل بأعدائهم إلى جزائهم ، قال: ﴿انى جزيتهم﴾ [أى -[2]] مقابلة على عملهم ﴿اليوم بما صبروآ لا﴾ أى على عبادتى ، و لم يشغلهم عنها تألمهم[8] بأذاكم كما شغلكم عنها التذاذكم باهانتهم، فوزهم دونكم، و هو معنى قوله : ﴿ انهم هم ﴾ أى خاصة ﴿الفائزون ﴾ أى ١٥

(١) هو أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي أبو العباس شهاب الدين المعروف بالسمين المتوفى ٧٥٦ هـ - راجع الأعلام ١ / ٢٦٠ (٢) زيد من ظ و مد .
(٣-٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : باستهزايهم (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اوائك (٥) سقط من ظ (٦-٦) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و مد .
(٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : قد (٨) فى ظ : ما ألمهم .

الناجون الظافرون بالخير بعد الإشراف على الهلكة، و غير العبارة[1] لإفادة الاختصاص و الوضوح [و الرسوخ، و كسر الهمزة حمزة و الكسائي على الاستئناف -[2]] .

و لما كان الفائز - و هو الظافر - من لم يحصل له بؤس في ذلك
٥ الأمر الذي فاز به، وكان قد أشار سبحانه بحرف الغاية و ما شاكله إلى أنه[3] مد لأهل الشقاء في الدنيا في الأعمار و الأرزاق حتى استهانوا بعبادة السعداء[4]، فكان ربما قيل : إن أعداءهم فازوا بالاستهزاء بهم و الرفعة عليهم في حال الدنيا، وكان سبحانه قد أسلف ما يرد ذلك من الإخبار بأنه خلدهم في النار و أعرض عنهم و زجرهم عن[5] كلامه، وكان أنعم أهل
١٠ الدنيا إذا غمس في النار غمسة ثم سئل عن نعيمه قال : ما رأيت نعيما قط، فكان ذلك محزا لتقريع الأشقياء بسبب تضييع أيامهم و تندمهم عليها، تشوف السامع إلى أنه هل يسألهم عن تنعيمه لهم في الدنيا الذي كان جديرا منهم[6] بالشكر فقابلوه بالكفر و الاستهزاء بأوليائه ؟ فأجاب تشوفه ذلك مجهلا لهم و مندما[7] و منبها على الجواب [أن فوزهم في الدنيا -[2]]
١٥ - لقلته التي هي أحقر من قطرة في جنب بحر - عدم، بقوله : ﴿قال﴾ [8]تأسيفا على ما أضاعوا من عبادة يسيرة تورثهم[9] سعادة لا انقضاء لها

---

(١) في ظ : العبادة (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد في الأصل : به، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٤) من ظ و مد، و في الأصل : السفلاء (٥) في ظ : من (٦) سقط من مد (٧) من ظ و مد . و في الأصل : تندما (٨) زيد في الأصل : تنبيها لهم، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٩) زيد في الأصل : شهامة و، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها .

و ارتكبوا من لذة قليلة أعقبتهم بؤسا لا آخر له - هذا على قراءة الجماعة[1]،
و بين سبحانه بقراءة ابن كثير و حمزة و الكسائي أن القول بواسطة بعض
عباده الذين أقامهم[2] لتعذيبهم إعراضا عنهم تحقيقا لما أشار إليه[3] "و لا تكلمون[3]"
فقال: "قل" [أي - [4]] يا من أقناه للانتقام ممن أردنا أي لهؤلاء[4]
الذين غرتهم الحياة الدنيا على ما يرون من قصر مدتها و لعبها[5] بأهلها ٥
[6]فكفروا بنا و استهزأوا[6] بعبادنا: ﴿كم لبثتم في الارض﴾ على تلك الحال
التي كنتم تعدونها فوزا ﴿عدد سنين ۝﴾ أنتم فيها ظافرون و لأعدائكم
قاهرون[7]، و لعله عبر بما منه الإسنات[8] الذي معناه القحط إشارة إلى
أن أيام الدنيا ضيقة حرجة و إن كان فيها سعة، و لاسيما للكفرة
بكفرهم و خبثهم و مكرهم الذي جرهم إلى أضيق الضيق و أسوء العيش ١٠
﴿قالوا﴾ استقصارا له في جنب ما رأوا من العذاب و استنقاذا
لأنفسهم ظنا أن مدة لبثهم في النار تكون بمقدار مكثهم في الدنيا:
﴿لبثنا يوما﴾ و لعلهم[9] ذكروا العامل تلذذا / بطول الخطاب، أو تصريحا / ٦١٦
بالمراد دفعا للبس و الارتياب، ثم زادوا في التقليل فقالوا:
﴿او بعض يوم﴾. ١٥

و لما كان المكرة في الدنيا إذا أرادوا تمشية كذبهم قالوا لمن

---

(١) راجع نثر المرجان ٤/٥٨٤ (٢) من ظ و مد، و في الأصل: اقامه (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و في الأصل: هولا (٥) من ظ و مد، و في الأصل: نعيمها (٦ - ٦) من ظ و مد، و في الأصل: و كيف و استهزا، مع وجود البياض بين الكلمتين (٧) في ظ: ظاهرون (٨) في ظ: الانبات (٩) من ظ و مد، و في الأصل: املهم.

أخبروه فتوقف فى خبرهم : سل فلانا ، إيثاقا[١] باخبارهم ، و سترا لعوارهم ، جروا على ذلك تماديا منهم [٢]فى الجهل[٢] بالعليم القدير فى قولهم : ﴿ فسئل ﴾ [٣]أى لتعلم[٣] صدق خبرنا أو بسبب ترددنا فى العلم بحقيقة الحال لتحرير[٤] حقيقة المدة ﴿ العآدين ه ﴾ و يحتمل أيضا قصد[٥] الترقيق عليهم بالإشارة • إلى أن ما هم فيه من العذاب شاغل لهم [عن -[٦]] أن يتصوروا شيئا حاضرا محسوسا ، فضلا عن أن يكون ماضيا ، فضلا عن أن يكون فكريا ، فكيف إن[٧] كان حسابا .

و لما كان ذلك على تقدير تسليمه[٨] لا ينفعهم لأن الجزاء بالعذاب على [عزمهم على -[٦]] التمادى فى العناد على مر الآباد ، المصدق منهم ١٠ بالانهماك فى الفساد ، أجابهم إلى قصدهم فى عدهم بعبارة صالحة صادقة على مدة لبثهم طال أو قصر ، بقوله على طريق الاستئناف لمن تشوف إلى معرفة جوابهم : ﴿ قل ﴾ أى الله على قراءة الجماعة[٩] ، و بينت[١٠] قراءة حمزة و الكسائى أن إسناد القول إليه سبحانه مجاز[١١] عن قول بعض عباده العظماء فقال على طريق الأول : "قل" [أى -[٦]] لهؤلاء الذين ١٥ وقع[١٢] الإعراض عنهم ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ لبثتم ﴾ أى فى الدنيا

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ايثاق (٢ - ٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الجهل (٣ - ٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : اوليعلم (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل: ليخبر (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : صدق (٦) زيد من ظ و مد . (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل: اذا (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : تسليته . (٩) راجع نثر المرجان ٥٨٧/٤ (١٠) زيد فى ظ : على (١١) من ظ و مد ، وفى الأصل : مجازى (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : توقع .

﴿ الا قليلا ﴾ أى هو من القلة بحيث لايسمى بل هو عـــدم ﴿لو انكم كنتم ﴾ أى كونا هو كالجبلة ﴿ تعلمون ﴾ أى فى عداد[1] من يعلم فى ذلك الوقت ، لما آثرتم الفانى على الباقى ، و لأقبلتم على ما ينفعكم ، و تركتم الخلاعة التى لايرضاها عاقل ، و لا يكون على تقدير الرضا بفعلها إلا بعد الفراغ من المهم ، و لكنكم [كنتم - [2]] فى عداد[1] البهائم ، ٥ و فى ذلك تنبيه للؤمنين الذين هم الوارثون على الشكر على ما منحهم من السرور باهلاك أعدائهم و إيراثهم أرضهم و ديارهم ، مع إعزازهم[3] و البركة فى[4] أعمارهم ، بعد إراحتهم منهم فى الدنيا ، ثم بادامة سعادتهم فى الآخرة و شقاوة أعدائهم .

و لما كان حالهم فى ظنهم أن لا بعث ، حتى اشتغلوا بالفرح ، ١٠ و البطر و المرح ، و الاستهزاء بأهل الله ، حال من يظن العبث على الله الملك الحق المبين ، سبب عن ذلك عطفا على قوله " فاتخذتموهم سخريا " إنكاره عليهم فى قوله : ﴿ افحسبتم ﴾ و يجوز أن يكون معطوفا على مقدر نحو : أحسبتم أنا نهملكم فلا ننصف مظلومكم من ظالمكم ،فحسبتم ﴿ انما خلقنكم ﴾ [أى - [5]] على ما لنا من العظمة ﴿ عبثا ﴾ [أى ١٥ عابثين أو للعبث منا أو منكم - [2]] ، لا لحكمة إظهار العدل و الفضل ، حتى اشتغلتم بظلم أنفسكم و غيركم ؛ قال أبو حيان[6] : [و - [7]] العبث :

(١) فى ظ : عدد (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : اغزارهم (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : مع (٥) زيد من مد (٦) فى البحر المحيط ٦/٤١٧ (٧) زيد من ظ و مد و البحر .

العبث الخالى عن فائدة . ﴿ و انكم ﴾ أى و حسبتم أنكم ﴿ الينا ﴾ [أى - [1]] خاصة ﴿ لاترجعون ه ﴾ بوجه [2] من الوجوه لإظهار القدرة و العظمة فى الفصل ، و أخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره و أبو يعلى الموصلى فى الجزء الرابع و العشرين من مسنده و البغوى [3] فى تفسيره عن ابن
٥ مسعود رضى الله عنه أنه رقى رجلا مصابا بهذه الآية إلى آخر السورة فى أذنيه فبرأ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : و الذى نفسى بيده ! لو أن رجلا / موقنا قرأ بها على جبل لزال . و فى سندهما [4] ابن لهيعة . ٦١٧ /
قال ابن كثير [5] : و روى أبو نعيم عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبيه رضى الله عنه ، قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه و سلم فى سرية
١٠ [6] وأمرنا [6] أن نقول إذا أمسينا و أصبحنا " أفحسبتم " - الآية ، [قال - [7]] : فقرأناها فغنمنا و سلمنا .

و لما كان التقدير : ليس الأمر كما حسبتم ، علل ذلك بقوله : ﴿ فتعلى الله ﴾ [أى - [1]] علا [8] الذى له الجلال و الجمال علوا كبيرا عن العبث ؛ ثم وصفه بما ينافى العبث فقال : ﴿ الملك ﴾ أى المحيط بأهل مملكته
١٥ علما و قدرة و سياسة ، و حفظا و رعاية .

و لما كان بعض ملوك الدنيا قد يفعل ما ينافى شيم الملوك من العبث بما فيه من الباطل [9] ، أتبع ذلك بصفة تنزهه عنه فقال : ﴿ الحق ج ﴾

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : وجه (٣) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/٣٨ (٤) فى ظ : مسندهما (٥) راجع تفسيره : ٣/٢٥٩ (٦-٦) فى ظ : فامرنا (٧) زيد من ظ و مد و التفسير (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : علله - كذا (٩) فى ظ : التباطل .

أى الذى لا تطرق للباطل إليه فى شىء من ذاته و لا صفاته، فلا زوال له و لا لملكه فأنى[1] يأتيه العبث.

و لما كان الحق من حيث هو قد يكون له ثان، نفى ذلك فى حقه تعالى بقوله: ﴿لا اله الا هو ج﴾ فلا يوجد له نظير أصلا فى ذات و لا صفة، و من يكون كذلك يكون حائزا لجميع أوصاف الكمال، ٥ و خلال الجلال و الجمال، متعاليا عن سمات النقص، و العبث من أدنى صفات النقص، لخلوه عن الحكمة التى هى أس الكمال؛ ثم زاد فى التعيين و التأكيد للتفرد بوصفه بصفة لا يدعيها[2] غيره فقال: ﴿رب العرش﴾ أى السرير المحيط بجميع الكائنات، العالى عليها علوا لا يدانيه شىء؛ ثم وصف العرش [لأنه فى سياق الحكم بالعدل و التنزه عن العبث بخلاف ١٠ سياق براءة[3] و النمل[4] فانه للقهر و الجبروت -[5]] بقوله: ﴿الكريم ه﴾ أى الذى تنزل منه الخيرات الحاصلة للعباد، مع شرف جوهره، و على رتبته، و مدحه أبلغ مدح لصاحبه، و الكريم من ستر مساوئ الأخلاق باظهار معاليها و تنزه[6] عن كل دناءة؛ قال القزاز: و أصل الكرم فى اللغة الفضل و الرفعة. و لما كان التقدير: فمن دعا الله وحده فأولئك هم ١٥ المفلحون الوارثون فى الدارين، عطف عليه [قوله -[5]]: ﴿و من يدع مع الله﴾ أى الملك الذى لا كفوء له لإحاطته بجميع[7] صفات

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: فانه (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: لا يدعها (٣) آية ١٢٩ (٤) آية ٢٦ (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: كره (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: لجميع.

الكمال ﴿ الها ﴾ و لما كانوا[١] لتعنتهم ينسبون الداعى [له - [٢]] سبحانه باسمين أو أكثر إلى الشرك ، قيد بقوله : ﴿ اٰخر ﴾ ثم أيقظ من سنة الغفلة ، و نبه على الاجتهاد و النظر فى أيام المهلة ، بقول لا أعدل منه و لا أنصف فقال : ﴿ لا برهان له ﴾ [و لمّا كان المراد ما يسمى ٥ برهانا و لو على أدنى الوجوه الكافية ، عبر بالباء سلوكا لغاية الإنصاف دون « على[٣] » المفهمة للاستعلاء بغاية البيان فقال - [٢]] : ﴿ به لا ﴾ [أى بسبب دعائه ذلك - [٢]] فانه إذا اجتهد فى إقامة برهان على ذلك لم يجد[٤] ، بل وجد البراهين كلها قائمة على نفى ذلك ، داعية إلى الفلاح باعتقاد التوحيد و الصلاح ، هذا المراد ، [٥]لا أنه[٥] يجوز أن يقوم على شىء ١٠ غيره برهان ﴿ فانما حسابه ﴾ أى جزاؤه الذى لا تمكن زيادته و لا نقصه ﴿ عند ربه ﴾ الذى رباه ، و لم يربه أحد سواه ، و غمره بالإحسان ، و لم يحسن إليه أحد غيره ، الذى هو أعلم بسريرته و علانيته منه نفسه ، فلا يخفى عليه شىء من أمره .

و لما أفهم كون حسابه عند هذا المحسن أحد أمرين : إما الصفح ١٥ بدوام الإحسان ، و إما الخسران بسبب الكفران[٦] / ، قال على طريق ٦١٨ / الجواب لمن يسأل[٧] عن ذلك : ﴿ انه لا يفلح ﴾ و وضع ﴿ الكٰفرون ﴾ موضع ضميره تنبيها على كفره و تعميما للحكم[٨] ، فصار أول السورة

(١) فى ظ : كان (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم يجدد (٥-٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لانه (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الكفر (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : يساله (٨) أى بالوصف .

و آخرها

و آخرها مفهما لأن الفلاح مختص به المؤمنون .

و لما كان الأمر كذلك، أمر سبحانه نبيه صلى الله عليه و سلم بالاجتهاد في إنقاذ عباده حتى بالدعاء لله في إصلاحهم[1] ليكون الختم بالرحمة للمؤمنين، كما كان الافتتاح بفلاحهم، فقال عاطفا على قوله " ادفع بالتى هى احسن " فانه لا إحسان أحسن من الغفران، أو على ٥ معنى " قال كم لبثتم " الذى بينته[2] قراءة[3] ابن كثير و حمزة و الكسائى بالأمر : "وقل". أو يكون التقدير : فأخلص العبادة له ﴿و قل﴾ لأجل أن أحدا لا يقدره حق قدره: ﴿ رب ﴾ أيها المحسن إلىّ ﴿اغفر و ارحم ﴾ أى أكثر من [تعليق -[4]] هاتين الصفتين فى أمتى لتكثرها، فان فى ذلك شرفا لى و لهم، فأنت خير الغافرين ١٠ ﴿و انت خير الرّٰحمين ع﴾ فمن[5] رحمته أفلح بما توفقه له من امتثال ما أشرت إليه أول السورة، فكان من المؤمنين، فكان من الوارثين الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون، فقد انطبق على الأول هذا الآخر بفوز كل مؤمن، و خيبة كل كافر، نسأل الله تعالى أن يكون لنا أرحم راحم و خير غافر، إنه المتولى للسرائر[5]، و المرجو لإصلاح الضمائر -آمين[6]. ١٥

---

(١) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٢) زيد فى ظ : فى (٣) راجع نثر المرجان ٤ / ٥٨٤ (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : السراير (٦) سقط من ظ و مد .

سورة النور[1]

مقصودها مدلول اسمها المودع قلبها المراد منه أنه تعالى شامل العلم ، اللازم منه تمام القدرة ، اللازم منه إثبات الأمور على غاية الحكمة ، اللازم منه تأكيد الشرف للنبي صلى الله عليه و سلم ، اللازم منه ٥ شرف من اختاره لصحبته على منازل قربهم منه و اختصاصهم به ، اللازم منه غاية النزاهة و الشرف و الطهارة لأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها التى مات النبى صلى الله عليه و سلم و هو عنها راض ، و ماتت هى رضى الله عنها صالحة محسنة ، و هذا هو المقصود بالذات و لكن [2]إثباته محتاج[2] إلى تلك المقدمات ﴿بسم الله﴾ الذى تمت [3]كلمته فبهرت[3] قدرته ١٠ ﴿الرحمن﴾ الذى ظهرت الحقائق كلها بشمول رحمته ﴿الرحيم﴾ الذى شرف من اختاره بخدمته[4] .

لما تقدم فى التى[5] قبلها تحريم الزنا و الحث على الصيانة ، و ختم تلك الآية بذكر الجنة المتضمن للبعث ، [استدل عليه و ذكر ما يتبعه من تهديد و عمل ألى أن فرغت السورة -[6]] و أخبر فى آخرها بتبكيت

---

(١) الرابعة و العشرون من سوز القرآن الكريم ، مدنية وهى اثنتان و ستون آية ، وقيل : أربع وستون آية - راجع روح المعانى ٦/٢ (٢-٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : اثبات يحتاج (٣-٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : حكمته و قهرت . (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لخدمته (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى (٦) زيد من ظ و مد .

المعاندين يوم الندم[1] بقوله "الم تكن ايتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون"
و بقوله "افحسبتم انما خلقنكم عبثا" كل ذلك رحمة منه لخلقه ليرجع
منهم من قضى بسعادته، ثم ختم بقوله "و انت خير الرحمين" فابتدأ
سبحانه هذه السورة بأنه منّ على المخاطبين ببيان ما خلقوا له من الأحكام
لأنهم لم يخلقوا سدي، بل لتكاليف تعبدهم بها ترفع[2] التنازع و تحسم له
مادة الشر، فتوجب الرحمة و العطف بسلامة الصدر بما فيهم من الجنسية،
فقال مخبرا عن مبتدإ تقديره: [هذه -[3]] ﴿سورة﴾ أى عظيمة، ثم
رغب [4]فى امتثال[4] ما فيها مبينا أن تنوينها[5] للتعظيم بقوله: ﴿انزلنها﴾
[أى -[3]] بما لنا / من العظمة و تمام العلم و القدرة ﴿و فرضنها﴾ أى ٦١٩ /
قررناها و قدرناها و أكثرنا فيها من الفروض و أكدناها[6] ﴿و انزلنا فيها﴾ ١٠
بشمول علمنا ﴿ايت﴾ من الحدود و الأحكام و المواعظ و الأمثال
و غيرها، مبرهنا عليها ﴿بينت﴾ لا إشكال فيها رحمة منا لكم، فمن
قبلها دخل فى دعوة نبينا صلى الله عليه و سلم التى لقناه إياها فى آخر
تلك فرحمه خير الرحمين، و من أباها ضل فدخل فى التبكيت بقولنا
"الم تكن ايتى تتلى عليكم" و[7] نحوه، و ذلك[7] معنى قوله: ﴿لعلكم تذكرون﴾ ١٥
أى لتكونوا - إذا تأملتموها[8] مع ما قبلها[9] من الآيات المرققة و القصص

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الندا (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: برفع.
(٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) من ظ و مد، و فى الأصل: بامتثال (٥) من ظ
و مد، و فى الأصل: تنويهها (٦) فى ظ: اكدنا (٧ - ٧) فى ظ: نحو ذلك.
(٨) زيد فى ظ: أى السورة (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: فيها.

المحذرة - على رجاء[1] - عند من لا يعلم العواقب - من أن تتذكروا[2] و لو نوعاً من التذكر - كما أشار إليه الإدغام - بما ترون فيها من الحكم أن الذي نصبها لكم و فصلها إلى ما ترون لا يترككم[3] سدى، فتقبلوا على جميع أوامره، و تنتهوا عن زواجره، ليغفر لكم ما قصرتم فيه من
٥ طاعته، و يرحمكم بتنويل ما لا وصول لكم إليه إلا برحمته[4]، و تتذكروا أيضا بما يبين لكم من الأمور، و يكشف عنه الغطاء من الأحكام التي أعمت عنها حجب النفوس، و سترتها ظلمات الأهوية[5] - ما جبل عليه الآدميون، فتعلموا أن الذي تحبون أن يفعل معكم يحب غيركم أن تفعلوه[6] معه، و الذي تكرهونه من ذلك يكرهه غيركم، فيكون ذلك حاملا لكم على النصفة فيثمر الصفاء، و الألفة و الوفاء، فتكونوا[7] من المؤمنين المفلحين الوارثين الداخلين في دعوة البشير [النذير -[8]] بالرحمة.

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير في برهانه: لما قال تعالى "و الذين هم لفروجهم حفظون" - الآية ثم قال تعالى "فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العدون" استدعى الكلام بيان حكم العادي في
١٥ ذلك، و لم يبين فيها فأوضحه في سورة النور فقال تعالى "الزانية و الزاني" - الآية ثم اتبع ذلك بحكم اللعان و القذف و انجر مع ذلك الإخبار

---

(١) بياض في الأصل، ملأناه من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و في الأصل: تذكروا (٣) من ظ و مد، و في الأصل: لايزاككم - كذا (٤) من ظ و مد، و في الأصل: برحمة منه (٥) في ظ: الوهية (٦) من ظ و مد، و في الأصل: تفعلوه (٧) من ظ و مد، و في الأصل: فيكونوا (٨) زيد من ظ و مد.

بقصة

بقصة الإفك[1] تحذيرا للمؤمنين من زلل الألسنة رجما بالغيب "و تحسبونه هينا و هو عند الله عظيم" واتبع ذلك [2]بعد بوعيد[2] محبى شياع الفاحشة في المؤمنين بقوله تعالى "ان الذين يرمون المحصنت الغفلت المؤمنت" الآيات، ثم بالتحذير[3] من دخول البيوت إلا بعد الاستئذان المشروع، ثم بالأمر بغض الأبصار للرجال و النساء و نهى النساء عن إبداء الزينة ٥ إلا لمن سمى الله سبحانه في الآية، و تكررت هذه المقاصد في هذه السورة إلى ذكر حكم العورات الثلاث، و دخول بيوت الأقارب و ذوى الأرحام، و كل هذا مما تبرأ ذمة المؤمن بالتزام ما أمر الله فيه من ذلك و الوقوف عند ما حده تعالى من أن يكون من العادين المذمومين في قوله تعالى "فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العدون". و ما تخلل الآى[4] / المذكورات ١٠ / ٦٢٠ و نسق عليها مما ليس من الحكم المذكور فلاستجرار[5] الآى إياه و استدعائه، و مظنة استيفاء ذلك و بيان ارتباطه التفسير، [6]و ليس[6] من شرطنا هنا - و الله سبحانه و تعالى يوفقنا لفهم[7] كتابه - انتهى.

و لما كان مبنى هذه الدار على الأنساب في التوارث و الإمامة[8] و النكاح و غير ذلك، و مبنى تلك الدار على الأعمال لقوله تعالى ١٥

---

(١) زيدت الواو في الأصل، و لم تكن في ظ و مد فحذفناها (٢ - ٢) في ظ: توعيد (٣) في ظ: التحذير (٤) من ظ و مد، و في الأصل: الآيات (٥) من ظ و مد. و في الأصل. فلاستجراد (٦ - ٦) من ظ و مد، و في الأصل: من. (٧) من ظ و مد. و في الأصل: لهم (٨) من ظ و مد، و في الأصل: الاباحة.

" فلا انساب بينهم يومئذ " و كان قد حث فى آخر تلك على الستر و الرحمة ، حذر سبحانه [1]و رحمة منه فى[1] أول هذه من لبس الاكساب ، و كسب[2] الأعراض و قطع الأسباب ، معلما أن الستر و الرقة ليسا على عمومهما ، بل على [ما - [3]] يحده سبحانه ، فقال مخاطبا للأئمة و من

٥ يقيمونه[4] : ﴿ الزانية ﴾ و هى من فعلت الزنا ، و هو إيلاج فرج فى فرج مشتهى طبعا محرم شرعا ، و قدمها لأن أثر الزنا يبدو عليها من الحبل و زوال البكارة ، و لأنها أصل الفتنة بهتك[5] ما أمرت به من حجاب القستر و التصون[6] و التحذر ﴿ و الزانى ﴾ .

و لما كان " ال " بمعنى الاسم الموصول ، أدخل الفاء فى الخبر فقال :

١٠ ﴿ فاجلدوا ﴾ أى فاضربوا و إن كان أصله ضرب الجلد بالسوط الذى هو جلد ﴿ كل واحد منهما ﴾ إذا لم يكن محصنا ، بل كان مكلفا بكرا - بما بينته السنة الشريفة ﴿ مائة جلدة ص ﴾ فبدأ بحد الزنا المشار إليه أول تلك بقوله تعالى " فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العدون " و فى التعبير بلفظ الجلد الذى هو ضرب الجلد إشارة إلى أنه لايكون مبرحا

١٥ بحيث يتجاوز الألم إلى اللحم .

و لما كان هذا ظاهرا[7] فى ترك الشفقة عليهما ، صرح به

(١-١) فى ظ : رحمته من (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ليست (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : يسموبه - كذا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لمتك (٦) فى ظ : الصون (٧) فى ظ : ظاهر .

لأنه

[1]لأن من شأن كل من يجوز على نفسه الوقوع في مثل ذلك أن يرحمها فقال[1]: ﴿ و لا تأخذكم ﴾ أى على حال من الأحوال ﴿ بهما رأفة ﴾ أى لين، و لعله عبر بها[2] إعلاما بأنه لم ينه عن مطلق الرحمة، لأن الرأفة أشد الرحمة أو أرقها و تكون[3] عن[4] أسباب من المرؤف به، و كذا قوله: ﴿ فى دين الله ﴾ أى الذى شرعه لكم الملك المحيط بصفات الكمال - إشارة ٥ إلى أن الممنوع منه رحمة تؤدى إلى ترك الحد أو شيء منه أو التهاون به أو الرضى عن منتهكه[5] لا رقة القلب المطبوع عليها البشر كما يحكى عن أبي الدرداء[6] رضي الله عنه أنه بكى يوم فتحت قبرص و ضربت رقاب ناس من أسراها فقيل له: هذا يوم سرور، فقال: هو كذلك، و لكنى أبكى رحمة لهؤلاء العباد الذين عصوا الله فخذلهم و أمكن منهم. ١٠

و لما علم سبحانه ما طبع عليه عباده من رحمة بعضهم لبعض لحث على هذا الحكم بالأمر و النهى، زاد فى التهييج إليه و الحض عليه بقوله: ﴿ ان كنتم ﴾ أى بما هو كالجبلة التي لاتنفك ﴿ تؤمنون بالله ﴾ أى الملك الأعظم الذى هو أرحم الراحمين، فما شرع ذلك إلا رحمة للناس عموما و للزانيين خصوصا، فمن نقص سوطا[7] فقد ادعى أنه أرحم منه، ١٥ و من زاد سوطا[7] فقد / ظن أنه أحكم و أعظم منه. / ٦٢١

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل: فى قوله (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: بهما (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: يكون (٤) فى ظ: على (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: تنهكه (٦) راجع حلية الأولياء ١/ ٢١٦ و ٢١٧ (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: شرطا.

[1]و لما ذكر[2] بالإيمان الذى من شرطه التزام[3] الأحكام، و كان الرجاء غالبا على الإنسان، أتبعه ما يرهبه فقال: ﴿ و اليوم الأخرج ﴾ الذى يحاسب فيه على[4] النقير و القطمير و الخفى و الجلى. و لما كان الخزى و الفضيحة أعظم عند بعض الناس من ضرب السيف[5] فضلا عن ضرب
٥ السوط قال: ﴿ و ليشهد ﴾ أى يحضر حضورا تاما ﴿ عذابهما طآئفة ﴾ أى جماعة يمكن إطافتها أى تحلقها و حفوفها بكل[6] منها ﴿ من المؤمنين ه ﴾ العريقين إشهارا[7] لأمرهما نكالا لهما، [و -[8]] عن نصر بن علقمة أن ذلك ليدعى[9] لهما بالتوبة و الرحمة. و فى كل [هذا -[8]] إشارة ظاهرة إلى أن إقامة الحدود و الغلظة فيها من رحمته سبحانه المشار إليها بقوله
١٠ "و انت خير الرحمين".

و لما كان [فى -[8]] ذلك من الغلظة على الزانى لما[10] ارتكب [من -[8]] الحرام المتصف بالعار ما يفهم مجانبته، صرح به، مانعا من نكاح المتصف بالزنا من ذكر و أنثى، إعلاما بأن وطئ من اتصف به من رجل أو امرأة لايكون إلا زنا و إن كان بعقد، فقال واصلا له بما[11] قبله:

---

(١) العبارة من هنا إلى « يرهبه فقال » وقعت فى الأصل بعد « التى لاتنفك » ص ٢٠٥ س ١٤، و الترتيب من ظ و مد (٢) زيد فى الأصل: يوم -كذا، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لحذفناها (٣) فى ظ: الزام (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: فى (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: المعرف (٦) من ظ ومد، و فى الأصل: وكل (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: اشتهارا (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد و روح المعانى ٦/٩، وفى الأصل: الحكمة ان يدعى.
(١٠) فى ظ: بما (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: لما.

﴿ الزانى لاينكح ﴾ أى لا يتزوج ﴿ الا زانية او مشركة ز ﴾ أى المعلوم اتصافه بالزنا مقصور[1] نكاحه على زانية أو مشركة ، و ذلك محرم ، فهذا تنفير للسلمة عن نكاح المتصف بالزنا حيث سويت بالمشركة إن عاشرته ، و ذلك يرجع إلى أن[2] من نكحت زانيا فهى زانية أو مشركة ، أى فهى مثله أو شر منه ، و لو اقتصر على ذلك لم يكن منع من أن ينكح العفيف ٥ الزانية ، فقال تعالى مانعا من ذلك : ﴿ و الزانية لاينكحهآ ﴾ أى لايتزوجها ﴿ الا زان او مشرك ج ﴾ [أى -[3]] و المعلوم اتصافها بالزنا مقصور نكاحها على زان أو مشرك ، و ذلك محرم فهو تنفير للسلم أن يتزوج من اتصفت بالزنا حيث سوى فى ذلك بالمشرك ، و هو يرجع إلى أن من نكح[4] زانية فهو زان أو مشرك ، أى[5] فهو مثلها أو شر منها ، و أسند النكاح ١٠ فى الموضعين إلى الرجل تنبيها إلى أن النساء لا حق لهن فى مباشرة العقد ؛ ثم صرح بما أفهمه صدر الآية بقوله مبنيا للفعول لأن ذلك يكفى[6] المؤمن الذى[6] الخطاب معه : ﴿ و حرم ذلك ﴾ أى نكاح الزانى و الزانية تحريما لا مثنوية فيه ﴿ على المؤمنين ه ﴾ و علم من هذا أن ذكر [المشرك و -[3]] المشركة لزيادة التنفير ، ثم إن هذا الحكم فسخ كما قال إمامنا الشافعى ١٥ رحمه الله موافقة لابن المسيب[7] بقوله تعالى "و انكحوا الايامى منكم" و هو جمع أيم و هو من لازوج له من الذكور و الإناث ، فأحل للزانى

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : مقصود (٢) سقط من ظ و مد (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ : ينكح (٥) فى ظ : او (٦-٦) فى ظ : المرء من (٧) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥ / ٤٠ .

أن ينكح من شاء ، و للزانية أن تنكح من[1] شاءت ، و قراءة من قرأ "لاينكح" بالنهى راجعة إلى هذا ، لأن الطلب قد يجيء للخبر كما يجيء الخبر للطلب - و الله أعلم ؛ قال الشافعي رحمه الله تعالى و رضى عنه فى الأم فى جزء مترجم بأحكام القرآن[2] و فى جزء بعد كتاب

٥ الحج الكبير و الصغير و الضحايا : ماجاء فى نكاح[3] المحدثين ، فذكر الآية و قال : اختلف أهل التفسير فى هذه الآية اختلافا متباينا ، أخبرنا مسلم ابن خالد عن ابن[4] جريج عن مجاهد أن هذه الآية نزلت فى بغايا من بغايا الجاهلية كانت على منازلهن رأيات ، قال فى الجزء الآخر : و كن غير[5] محصنات ، فأراد / بعض المسلمين نكاحهن فنزلت الآية بتحريم أن / ٦٢٢

١٠ ينكحن[6] إلا من أعلن بمثل [ما -[7]] أعلنّ به أو مشركا[8] ، و قيل : كن زوانى مشركات فنزلت[9] لاينكحهن إلا زان مثلهن [مشرك -[10]] ، أو مشرك و إن لم يكن زانيا ، و حرم ذلك على المؤمنين ، و قيل : هى عامة و لكنها نسخت ، أخبرنا سفيان عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه قال : هى منسوخة نسختها "و انكحوا الايامى منكم" فهى من أيامى المسلمين ، فهذا كما قال ابن المسيب إن شاء الله تعالى ، و عليه

(١) فى ظ : ما (٢) راجع مسند الإمام الشافعى بهامش الأم ٦/٢٢٤ (٣) من ظ و مد و الأم ٥/١٠ ، و فى الأصل : نشا (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد والأم ، و فى الأصل : خير (٦) من ظ و مد و الأم ، وفى الأصل: ينكحهن ، و العبارة من بعده إلى « لاينكحهن » ساقطة من ظ (٧) زيد من مد و الأم . (٨) من الأم ، و فى الأصل و مد : مشرك (٩) من الأم ، و فى الأصل و مد : فنزل . (١٠) زيد من الأم .

دلائل من الكتاب و السنة، ثم استدل على فساد غير هذا القول بأن
الزانية إن كانت مشركة فهي محرمة على زناة المسلمين و غير زناتهم
بقوله تعالى "و لا تنكحوا المشركت حتى يؤمن" - الآية، و لاخلاف
في ذلك، و إن كانت مسلمة فهي بالإسلام محرمة على جميع المشركين بكل
نكاح بقوله تعالى "فان علمتموهن مؤمنت فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن ٥
حل لهم و لا هم يحلون لهن" و لاخلاف في ذلك أيضا، و بأنه[1] لا اختلاف
بين أحد من أهل العلم أيضا في تحريم الوثنيات عفائف كن أو زواني على
من آمن زانيا كان أو عفيفا، و بأن النبي صلى الله عليه و سلم جلد بكرا
في الزنا و جلد امرأة و لم نعلمه[2] قال للزاني: هل لك زوجة فتحرم عليك
إذا زنيت، و لايتزوج[3] هذا الزاني و لا الزانية إلا زانية أو زانيا، [بل -[4]] ١٠
قد روى[5] أن رجلا شكى من امرأته فجورا فقال: طلقها، قال: إني أحبها،
قال: استمتع بها - يشير إلى ما رواه أبوداود و النسائي [و غيرهما -[4]] عن ابن
عباس رضي الله عنهما [6]أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال: إن
امرأتي لا تمنع يد لامس، قال: طلقها، قال: [إني -[7]] لا أصبر عنها،
قال، فأمسكها . و رواه البيهقي و الطبراني من حديث جابر رضي الله ١٥
عنه، [و -[4]] قال شيخنا ابن حجر: إنه حديث حسن صحيح - [انتهى .
قال الشافعي -[4]]: و قد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه

---

(١) في ظ: بان (٢) من ظ و مد، و في الأصل: لم نعمله (٣) في ظ: لاتتزوج.
(٤) زيد من ظ و مد (٥) في ظ: روى (٦) العبارة من هنا إلى «لا أصبر
عنها» ساقطة من مد (٧) زيد من ظ و سنن النسائي ٥٤٨ .

قال لرجل[1] أراد أن ينكح امرأة أحدثت: انكحها نكاح العفيفة المسلمة
- انتهى بالمعنى . و قال فى الجزء الذى بعد الحج[2]: فوجدنا الدلالة عن
رسول الله صلى الله عليه و سلم فى زانية و زان من المسلمين لم نعلمه حرم
على واحد منهما أن ينكح غير زانية و لا زان ، و لاحرم واحدا[3] منهما
٥ على زوجه ؛ ثم قال : فالاختيار للرجل أن لاينكح زانية و للمرأة أن
لا تنكح زانيا ، فان فعلا فليس ذلك بحرام على واحد منهما ، ليست
معصية واحد منهما فى نفسه تحرم عليه الحلال إذا أتاه ، ثم قال : و سواء
حد الزانى منهما أو لم يحد ، أو قامت عليه بينة أو اعترف ، لايحرم زنا
واحد منهما و لا زناهما و لامعصية من المعاصى الحلال إلا أن يختلف[4]
١٠ ديناهما بشرك و إيمان - انتهى . و قد علم أنه لم يرد أن هذا الحكم نسخ
بآية الأيامى فقط ، بل بما انضم إليها من الإجماع و غيره من الآيات
و الأحاديث بحيث صير ذلك دلالتها على ما تناوله متيقنا كدلالة
الخاص على ما تناوله ، فلا يقال : إن الشافعى رحمه الله خالف أصله فى
أن الخاص لاينسخ بالعام ، لأن ما تناوله الخاص متيقن ، و ما تناوله
/٦٢٣ ١٥ العام / ظاهر مظنون ، وكان هذا الحكم - و هو الحرمة فى أول الإسلام
بعد الهجرة - لئلا يغلب حال المفسد على المصلح فيختل بعض الأمر
كما أشير إليه فى البقرة عند "و لا تنكحوا المشركٰت" - الآية[5]، و فى

---

(١) زيد فى ظ : اذا (٢) ٥/ ١٠ (٣) من الأم ، و فى الأصول : واحد .
(٤) من ظ و مد و الأم ، و فى الأصل : يختلفا (٥) ٢٢١ .

المائدة عند " و من يكفر بالايمان فقد حبط عمله [١] " و هو من وادى قوله [٢] :

عن المرء لاتسأل و سل عن قرينه فكل خليل بالمخالل يقتدى

و الجنسية علة الضم ، و المشاكلة سبب المواصلة ، و المخالفة توجب المباعدة و تحرم المؤالفة ، و قد روى أبو داود فى الأدب [٣] و الترمذى فى الزهد [٤] ٥ - و قال : حسن غريب - عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل . و روى الإمام أبو يعلى [٥] الموصلى فى مسنده قال : حدثنا يحيى بن معين حدثنا سعيد ابن الحكم حدثنا يحيى بن أيوب حدثنى يحيى بن سعيد عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت : كانت امرأة بمكة مزاحة ، [يعنى - [٦]] فهاجرت إلى ١٠ المدينة الشريفة ، فنزلت على امرأة شبه لها ، فبلغ ذلك عائشة رضى الله عنها فقالت : صدق حبى ! سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف [٧] و ما تناكر منها اختلف . قال : و لا أعلم إلا قال فى الحديث : و لانعرف [٨] تلك المرأة ، و سيأتى عند " و الطيبت للطيبين " تخريج « الأرواح جنود مجندة » و قال ١٥ الإمام أبو بكر أحمد بن [٩] مروان [١٠] الدينورى فى كتاب المجالسة [١١] : حدثنا

---

(١) آية ٥ (٢) البيت لعدى بن زيد - راجع عيون الأنباء ٣/٧٩ (٣) ٢/١٨٥ . (٤) ٢٨٧ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : أبو يحيى - خطأ ، و الحديث الآتى ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٨ / ٨٨ برواية أبى يعلى و قال : رجاله رجال الصحيح (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد و المجمع ، و فى الأصل : ائتلفوا (٨) من ظ و مد و المجمع ، و فى الأصل : لا تعرف (٩) سقط من ظ و مد (١٠) المتوفى ٣١٠ هـ (١١) راجع كشف الظنون ٢/٢٧٨ .

أحمد بن علي الخزاز حدثنا مصعب بن عبد الله عن أبي غزية الأنصاري قال: قال الشعبي[1]: يقال: إن لله ملكا موكلا بجمع[2] الأشكال بعضها إلى بعض - انتهى. و عزاه شيخنا الحافظ أبو الفضل ابن حجر في تخريج أحاديث مسند الفردوس[3] إلى أنس رضي الله عنه و قال: بتأليف الأشكال.
٥ و يروى أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه خطب أهل الكوفة بعد ثلاثة أيام [4]من مقدمه[4] عليهم[5] فقال: يا أهل الكوفة، قد علمنا شراركم من خياركم، فقالوا: كيف و ما لك إلا ثلاثة أيام؟ فقال: كان معنا شرار و خيار، فانضم خيارنا إلى خياركم، و شرارنا إلى شراركم، فلما تقررت الأحكام، و أذعن الخاص و العام، و ضرب الدين بجرانه،
١٠ و لم يخش وهي شيء من بنيانه، نسخت الحرمة، و بقيت[6] الكراهة أو خلاف الأولى - والله الموفق. و هذا كله توطئة لبراءة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها كما يأتي إيضاحه عند "و الطيبٰت للطيبين" لأنها قرينة خير العالمين و أتقاهم و أعفهم، و لأن كلا منها و من صفوان رضي الله عنهما بعيد عما رمى به شهير بضده، و إليه الإشارة بقول النبي
١٥ صلى الله عليه و سلم: من يعذرني من[7] رجل بلغ أذاه في أهلي، و الله / ما علمت على أهلي إلا خيرا. و لقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا. /٦٢٤

(١) راجع كشف الخفاء ١/٢٩٣ (٢) من ظ و مد و الكشف، و في الأصل: بجمع (٣) راجع الحديث رقم ٣٣٨٠ (٤ - ٤) من ظ و مد، و في الأصل: في تقدمه (٥) في ظ: عليه (٦) زيد في الأصل: اثرها، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٧) من صحيح البخاري ٢/٦٩٧، و في الأصول: في.

و فى رواية[1]: ما علمت عليه من سوء قط، و لا دخل بيتى قط إلا و أنا حاضر . و بقول[2] عائشة رضى الله عنها عن صفوان رضى الله عنه: إنه قتل شهيدا فى سبيل الله . و هذا سوى الآيات المصرحة و الأعلام المفصحة[3]، فهو "و الطيبون" تلويح قبل بيان، و تصريح و إشارة بعد عبارة و توضيح، ليجتمع فى براءة الصديقة رضى الله عنها دليلان عقليان ٥ شهوديان[4] اكتنفا الدليل النقلى[5] فكانا سورا عليه، و حفظا من تصويب طعن إليه، و فى ذلك من فخامة[6] أمرها و عظيم قدرها ما لا يقدره حق قدره إلا الذى خصها به .

و لما نفر[7] سبحانه من نكاح من اتصف بالزنا من رجل أو امرأة، و بدأ ـ لأن نكاح المرأة للزانى مظنة لزناها ـ بتنفير [8]الإناث بما[8] يوهم جواز ١٠ إطلاق الزنا عليهن بمجرد نكاح من علم زناه، و ذلك بعد أن ابتدأ فى حد الزنا بالأنثى أيضا لأن[9] زناها أكبر[10] شرا، و أعظم فضيحة و ضرا، عطف على ذلك تحريم القذف بما يوجب تعظيم الرغبة فى الستر و صيانة الأعراض و إخفاء الفواحش، فقال ذاكرا الجمع لأن الحكم [بإقامة الحد عليه

(١) راجع صحيح البخارى ٢/٦٩٩ (٢) راجع صحيح البخارى ٢/٧٠٠ (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: المفحصة (٤) فى ظ: شهوديا (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: النقل (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: نخاحية ـ كذا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: تقرر (٨-٨) من ظ و مد، و فى الأصل: الزنا كما ـ كذا (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: لا (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: اكثر.

بهم إقامة الحد على الواحد من باب الأولى و لا إيهام فيه لأن الجمع - [1]]
إنما قوبل بالجمع أفهم التوزيع : ﴿ و الذين يرمون ﴾ أى بالزنا ﴿ المحصنٰت ﴾
جمع محصنة ، و هى هنا المسلمة الحرة المكلفة العفيفة ، و المراد القذف
بالزنا [بما - [1]] أرشد إليه السياق سابقا و لاحقا ، ذكورا كان الرامون
٥ أو إناثا [2] بما أفهمه الموصول [2] ، و خص الإناث و إن كان الحكم عاما
للرجال تنبيها على عظيم حق أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، و لأن
الكلام فى حقهن أشنع .

و لما كان إقدام المجترئ على القذف - مع [ما - [1]] شرطه [3] فيه لدرء [4]
الحد إرادة الستر - بعيدا ، أشار إليه بأداة التراخى فقال : ﴿ ثم لم ياتوا ﴾
١٠ أى إلى الحاكم ﴿ باربعة شهدآء ﴾ ذكور [5] ﴿ فاجلدوهم ﴾ أيها المؤمنون
من الأئمة و نوابهم ﴿ ثمنين جلدة ﴾ لكل واحد منهم ، لكل محصنة ،
إن [6] لم يكن القاذف أصلا . إن كانوا أحرارا [7] ، و حد [8] العبد نصف ذلك
لآية [9] النساء " فعليهن نصف ما على المحصنٰت من العذاب " فهذه الآية
مخصوصة بذلك إذ لا فرق بين الذكر و الأنثى و لا بين حد الزنا وحد
١٥ القذف ﴿ و لا تقبلوا لهم ﴾ أى بعد قذفهم على هذا الوجه ﴿ شهادة ﴾

---

(1) زيد من ظ و مد (2-2) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (3) من مد ، و فى الأصل و ظ : شرط (4) فى ظ : كدره (5) فى مد : ذكورا .
(6) فى ظ : اذا (7) فى مد : احرار (8) من ظ و مد ، و فى الأصل : جلد .
(9) رقم ٢٥ .

أىّ

[أىّ شهادة كانت -[1]] ﴿ ابدا ٤ ﴾ للحكم بافترائهم ، و من ثبت افتراؤه سقط الوثوق بكلامه[2] .

و لما كان التقدير: فانهم قد افتروا ، عطف عليه تحذيرا من الإقدام عن غير تثبت : ﴿ و اولٓئك ﴾ أى الذين[3] تقدم ذمهم بالقذف فسفلت[4] رتبتهم جدا ﴿ هم الفسقون ﴾ أى المحكوم بفسقهم الثابت لهم هذا الوصف ٥ و إن كان القاذف منهم محقا فى نفس الأمر .

و لما كان من أصل الشافعى رحمه الله أن الاستثناء المتعقب للجمل المتواصلة المتعاطفة بالواو عائد[5] إلى الجميع سواء كانت من جنس أو أكثر إلا إذا منعت قرينة ، أعاد الاستثناء هنا إلى الفسق و رد الشهادة دون الحكم بالجلد، لأن من تمام التوبة الاستسلام [6]للحد و[6] الاستحلال / منه ، ١٠ / ٦٢٥ [و -[1]] لقرينة كونه حق آدمى و هو لا يسقط بالتوبة ، فى قوله تعالى: ﴿ الا الذين تابوا ﴾ أى رجعوا عما وقعوا فيه من القذف و غيره و ندموا عليه و عزموا على أن لايعودوا كما بين فى البقرة فى قوله[7] تعالى " الا الذين تابوا و اصلحوا و بينوا " و أشار إلى أن الجلد لايسقط بالتوبة بقوله مشيرا بادخال الجار إلى أن قبولها لايتوقف على استغراقها الزمان ١٥ الآتى : ﴿ من بعد ذلك ﴾ أى الأمر الذى أوجب إبعادهم و هو الرمى

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بكلام (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : كالذين (٤) من مد ، و فى الأصل : فسلفت ، و الكلمة ساقطة من ظ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : عايدا (٦-٦) من مد ، و فى الأصل : للجلد او ، و فى ظ : للحد او (٧) آية ١٦٠ .

و الجلد ، فان التوبة لا تغير حكم الرامى فى الجلد ، و إنما[1] تغيره فى رد الشهادة و ما تسببت[2] عنه و هو الفسق ، و أشار إلى شروط التوبة بقوله: ﴿و اصلحوا ج﴾ [أى -[3]] بعد التوبة بمضى مدة يظن بها حسن الحال، و هى سنة يعتبر بها حال التائب بالفصول الأربعة التى تكشف الطباع .

٥ و لما كان استثناؤهم [من رد الشهادة و الفسق ، فكان التقدير : فاقبلوا شهادتهم و لاتصفوهم - [3]] بالفسق ، علله بقوله : ﴿ فان الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ غفور ﴾ أى ستور لهم ما أقدموا عليه لرجوعهم عنه ﴿رحيم ه﴾ أى يفعل بهم من الإكرام فعل الراحم بالمرحوم فى قبول الشهادة .

١٠ و لما كان لفظ المحصنات عاما للزوجات ، وكان لهن حكم غير ما تقدم، أخرجهن بقوله : ﴿ و الذين يرمون ﴾ أى بالزنا ﴿ ازواجهم ﴾ أي من المؤمنات الأحرار و الإماء و الكافرات ﴿و لم يكن لهم﴾ بذلك ﴿ شهدآء الآ انفسهم ﴾ و هذا يفهم أن الزوج إذا كان أحد الأربعة كفى ، لكن يرد هذا المفهوم كونه حكاية واقعة لاشهود فيها ، و قوله

١٥ فى الآية قبلها "ثم لم ياتوا باربعة شهداء" فانه يقتضى كون الشهداء غير الرامى ، و لعله استثناه من الشهداء لأن لعانه يكون بلفظ الشهادة ، و مذهب الشافعى رضى الله عنه أنه لايقبل فى ذلك على زوجته - قال ابن الرفعة[4] فى الكفاية : - لأمرين :أحدهما أن الزنا تعرض لمحل حق

---

(١) فى ظ : اما (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تسبب (٣) زيد من ظ و مد (٤) هو أحمد بن محمد بن على الأنصارى أبو العباس نجم الدين المعروف =

الزوج[١]، فان الزانى مستمتع بالمنافع المستحقة له، فشهادته[٢] فى صفتها تتضمن[٣] إثبات جناية الغير على ما هو مستحق له فلم تسمع، كما إذا شهد أنه جنى على عبده، و الثانى أن من شهد بزنا زوجته فنفس شهادته تدل[٤] على إظهار العداوة، لأن زناها يوغر صدره بتلطيخ فراشه و إدخال العار عليه و على ولده، و هو أبلغ فى العداوة من مؤلم الضرب ٥ و فاحش السب، قال القاضى الحسين: و إلى هذه العلة أشار الشافعى رحمه الله و هى التى حكاها القاضى أبو الطيب فى باب حد قاطع الطريق عن الشيخ أبى حامد. ﴿فشهادة احدهم﴾ أى على من رماها ﴿اربع شهٰدٰت﴾ من خمس فى مقابلة أربعة[٥] شهداء ﴿بالله لا﴾ أى مقرونة بهذا الاسم الكريم الأعظم الموجب لاستحضار جميع صفات الجلال ١٠ والجمال ﴿انه لمن الصٰدقين ۝﴾ أى فيما قذفها به ﴿والخامسة ان لعنة الله﴾ أى الملك الأعظم ﴿عليه﴾ أى هذا القاذف / نفسه ﴿ان كان من الكٰذبين ۝﴾ /٦٢٦ فيما رماها به، و لأجل قطعه بهذه الأيمان الغليظة بصدقه و حكم الله بخلاصه انتفى عنه الولد، فلزم من نفيه الفرقة المؤبدة [من غير لفظ -[٦]] لعدم صلاحيتها أن تكون فراشا له، لأن الولد للفراش، و لا يصح[٧] ١٥

= بابن الرفعة، المتوفى ٧١٠ هـ فقيه شافعى، من مصنفاته الكفاية فى شرح التنبيه - راجع الأعلام ١/٢١٣.

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الفروج (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: بشهادته (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: يتضمن (٤) فى ظ و مد: دال (٥) فى ظ: اربع (٦) زيد من ظ و مد (٧) زيد فى ظ: ان.

اللعان إلا عند حاكم، و لا يخفى ما فى هذا من الإبعاد عن القذف بوجوب مزيد الاحتياط، لما فى ذلك من التكرير و الاقتران بالاسم الأعظم، و الجمع بين الإثبات و ما يتضمن النفى، و الدعاء باللعن المباعد[1] لصفة المؤمن، فاذا فعل الزوج ذلك سقط عنه العذاب بحد القذف [2]و أوجبه[2]
٥ على المقذوفة، فلذلك قال تعالى: ﴿و يدرؤا﴾ أى يدفع ﴿عنها﴾ أى[3] المقذوفة ﴿العذاب﴾ أى المعهود، و هو الحد[4] الذى أوجبه عليها ما تقدم [5]من شهادة الزوج[5] ﴿ان تشهد اربع شهٰدٰت﴾ من خمس ﴿بالله لا﴾ [6]الذى له جميع الأسماء الحسنى و الصفات العلى كما تقدم فى الزوج ﴿انه لمن الكٰذبين﴾ فيما قاله عنها ﴿و الخامسة﴾ من الشهادات
١٠ ﴿ان غضب الله﴾ الذى له الأمر كله فلا كفوء له ﴿عليها﴾ و هو أبلغ من اللعن الذى هو الطرد، لأنه قد يكون بسبب غير الغضب، و سبب التغليظ عليها الحث على اعترافها بالحق لما يعضد الزوج من القرينة من أنه لا يتجشم[7] فضيحة أهله المستلزم لفضيحته[8] إلا و هو صادق، و لأنها مادة الفساد، و هاتكة الحجاب، و خالطة الأنساب ﴿ان كان﴾
١٥ [أى كونا راسخا - [9]] ﴿من الصٰدقين﴾ أى فيما رماها به؛ روى البخارى فى التفسير[10] و غيره[11] عن ابن عباس و غيره رضى الله عنهم أن

---

(١) فى ظ : المتباعد (٢ - ٢) من ظ و مد، و فى الأصل : فاوجبه (٣) زيد فى الأصل : عن، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) فى ظ : اى . (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٦) زيد فى ظ : اى (٧) فى ظ : يتحسم (٨) من ظ و مد، و فى الأصل : لفضيحة (٩) زيد من ظ و مد .
(١٠) ٢/٦٩١ (١١) مثلا كتاب الشهادات ١/٣٦٧ .

هلال بن أمية رضي الله عنه قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه و سلم بشريك بن سحماء[1] رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه و سلم: [2]البينة و إلا[2] حدا في ظهرك، قال: يا رسول الله! إذا رأى أحدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل النبي صلى الله عليه و سلم يقول: البينة و إلا حدا في ظهرك، فقال هلال: و الذي بعثك بالحق! إني لصادق، ٥ [3]و لينزلن[3] الله ما يبرئ ظهري من الحد، فنزل جبريل عليه السلام و أنزل عليه "و الذين يرمون ازواجهم" فقرأ حتى بلغ "ان كان من الصّٰدقين" فانصرف النبي صلى الله عليه و سلم فأرسل إليهما[4]، فجاء هلال فشهد و النبي صلى الله عليه و سلم يقول: إن الله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب؟ ثم قامت فشهدت، فلما كانت عند الخامسة وقفوها و قالوا: ١٠ إنها موجبة، فتلكأت[5] و نكصت حتى ظننا أنها ترجع، ثم قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم. فمضت، و قال النبي صلى الله عليه و سلم: أبصروها فان جاءت به أكحل العينين سابغ الأليتين خدلج الساقين فهو لشريك ابن سحماء[6]، فجاءت به كذلك، فقال النبي صلى الله عليه و سلم: لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي و لها شأن. و قد روى البخاري[7] أيضا ١٥ عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن سبب نزولها قصة مثل هذه لعويمر، و قد تقدم أنه لا يمتنع[8] أن / يكون للآية الواحدة عدة أسباب /٦٢٧

(١) في ظ: سحمه - خطأ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من مد (٣ - ٣) في الصحيح: فلينزلن (٤) في الصحيح: اليها (٥) في مد: فتكلأت (٦) في ظ: سحمه، و في مد: سمحا (٧) راجع الصحيح ٢/٦٩٤ (٨) في ظ: لا يمنع.

معا أو متفرقة[1] .

و لما حرم الله سبحانه بهذه الجمل الأعراض و الأنساب ، فصان بذلك الدماء و الأموال ، علم أن التقدير : فلولا أنه سبحانه خير الغافرين و خير الراحمين ، لما فعل بكم ذلك ، و افضح المذنبين ، و أظهر سرائر ٥ المستخفين ، ففسد النظام ، و أطبقتم على التهاون بالأحكام ، فعطف على هذا الذي علم تقديره قوله : ﴿و لو لا فضل الله﴾ أي بما[2] له من الكرم [3]و الجمال[3] ، و الاتصاف بصفات الكمال ﴿عليكم و رحمته﴾ أي بكم ﴿و ان الله﴾ أي الذي أحاط بكل شيء [4]علما و قدرة[4] ﴿تواب﴾ أي رجاع بالعصاة إليه ﴿حكيم ع﴾ يحكم الأمور فيمنعها من الفساد بما ١٠ يعلم من عواقب الأمور ، لفضح كل عاص ، و لم يوجب أربعة شهداء سترا لكم ، و لأمر[5] بعقوبته بما توجبه معصيته ، ففسد نظامكم ، و اختل نقضكم و إبرامكم ، و نحو ذلك مما لا يبلغ وصفه ، فتذهب النفس فيه كل مذهب ، فهو كما قالوا : رب مسكوت عنه أبلغ من منطوق به . ثم علل ما اقتضته "لولا" من نحو : و لكنه لم يفعل ذلك إفضالا عليكم ١٥ و رحمة لكم ، بقوله على وجه التأكيد لما عرف من حال كثير من غضب [6]لله و لرسوله[6] من إرادة العقوبة للآفكين بضرب الأعناق ، منبها لهم على أن ذلك يجر إلى مفسدة كبيرة : ﴿ان الذين جاءو بالافك﴾

---

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : متفرقا (٢) في ظ : ما (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤ - ٤) في مد : قدرة و علما (٥) في ظ : الامر .
(٦ - ٦) في ظ : الله و رسوله .

أى أسوأ الكذب لأنه القول المصروف عن مدلوله إلى ضده، المقلوب عن وجهه إلى قفاه، و عرّف زيادة[1] تبشيع له فى هذا المقام، حتى كأنه لا إفك إلا هو لأنه فى حق أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها و هى من أحق الناس بالمدحة لما[2] كانت عليه من الحصانة[3] و الشرف و العفة و الكرم، فمن رماها بسوء فقد قلب الأمر عن أحسن وجوهه إلى أقبح ٥ أقفائه، وترك تسميتها تنزيها لها عن هذا المقام[4]، إبعادا لمصون[5] جانبها العلى عن هذا المرام[6] ﴿عصبة﴾ أى جماعة أقلهم عشرة و أكثرهم أربعون، فهم لكونهم عصبة يحمى بعضهم لبعض فيشتد أمرهم، لأن مدار مادة "عصب"[7] على الشدة، و هم مع ذلك ﴿منكم﴾ أى ممن يعد عندكم[8] فى عداد المسلمين، فلو[9] فضحهم الله فى جميع ما أسروه و أعلنوه، و أمركم بأن ١٠ تعاقبوهم بما يستحقون على ذلك، لفسدت ذات البين، بحمايتهم لأنفسهم و هم كثير، و تعصّبِ أوِدّائهم لهم، إلا بأمر خارق يعصم به من ذلك كما كشفت عنه[10] التجربة حين خطب النبي صلى الله عليه و سلم و قال: من يعذرنى من رجل بلغ أذاه فى أهلى، حين كادوا يقتتلون لولا[11] سكنهم

(١) فى ظ: بزيادة (٢) فى ظ: مما (٣) فى ظ: الخصائص (٤) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الصون. (٦) فى ظ: المقام (٧) زيد فى الأصل: تدور، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: عنكم (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: فلولا (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: عند (١١) من مد، و فى الأصل: ملوكا، و الكلمة ساقطة من ظ.

النبي صلى الله عليه و سلم ، فالله سبحانه برحمته بكم يمنع من كيدهم ببيان كذبهم ، و بحكمته يستر عليهم و يخيفهم[١] ، لتنحسم مادة مكرهم ، و تنقطع أسباب ضرهم[٢] .

و لما كان هذا مقتضيا للاهتمام بشأنهم ، أتبعه[٣] قوله ، تحقيرا لأمرهم
٥ مخاطبا للخلص و خصوصا النبي صلى الله عليه و سلم و أبو بكر و عائشة و أمها و صفوان بن المعطل رضى الله عنهم : ﴿ لا تحسبوه ﴾ أى الإفك ﴿ شرا لـــكم[٤] ﴾ [٤]أيها المؤمنون / بأن[٤] يصدقه أحد [٥]أو تنشأ[٥] عنه فتنة ﴿ بل هو خير لكم[٤] ﴾ بثبوت البراءة الموجبة للفخر الذى لا يلحق ، بتلاوتها على مر الدهور بألسنة من لا يحصى من العباد ، فى أكثر البلاد ، و تسلية
١٠ الرسول صلى الله عليه و سلم و الصديقين بذلك ، مع الثواب الجزيل ، بالصبر على مرارة هذا القيل ، و ثبوت إعجاز القرآن بعد إعجازه بالبلاغة بصدقه فى صيانة من أثنى عليها فى ذلك الدهر الطويل ، الذى عاشته[٦] مع رسول الله صلى الله عليه و سلم و بعده إلى أن ماتت رضى الله تعالى عنها أتقى الناس ديانة ، و أظهرهم صيانة ، و أنقاهم عرضا ، و أطهرهم[٧]
١٥ نفسا ، فهو لسان صدق فى الدنيا ، و رفعة منازل[٨] فى الآخرة[٩] إلى غير

---

(١) فى ظ : يخفيهم (٢) فى ظ : ضربهم (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : يتبعه (٤ - ٤) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٥ - ٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : و ينشأ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : عاشت (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : يطهرهم (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : منازله (٩) فى ظ و مد : الاخرى .

ذلك من [١] الحكم، التى [١] رتبها بارئ النسم، من الفوائد الدينية و الأحكام و الآداب .

و لما كان لا شفاء لغيظ الإنسان أعظم من انتصار الملك الديان له، علل ذلك بقوله: ﴿لكل امرئ منهم﴾ أى الآفكين ﴿ما﴾ أى جزاء ما ﴿اكتسب﴾ بخوضه فيه ﴿من الاثم ج﴾ الموجب لشقائه، و صيغة ٥ الافتعال من "كسب" تستعمل [٢] فى الذنب إشارة إلى أن الإثم يرتب [٣] على ما حصل فيه تصميم و عزم قوى صدقه العمل بما فيه من الجد و النشاط، و تجرد فى الخير إشارة إلى أن الثواب يكتب بمجرد فعل الخير بل و نيته ﴿و الذى تولى كبره﴾ أى معظمه باشاعته و المجاهرة به ﴿منهم له﴾ بما [٤] يخصه لإمعانه فى الأذى ﴿عذاب عظيم ه﴾ أى [٥] ١٠ أعظم من عذاب الباقين، لأنهم لم يقولوا شيئا إلا كان عليه مثل وزره من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا، و قصة الإفك معروفة فى الصحيح [٦] و السنن و غيرها شهيرة جدا، و ذلك أن النبى صلى الله عليه و سلم غزى بنى المصطلق بعد ما أنزلت آية الحجاب، و كانت معه الصديقة [بنت الصديق - [٧]] زوجته أم المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها تحمل ١٥ فى هودج لها [٨]، فافتقدت عقدا لها ليلة فرجعت إلى الموضع الذى تخلت

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل: الختم الذى (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: يستعمل (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: ترتب (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: بما (٥) سقط من ظ و مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: الصحيحين، و راجع حديث الإفك من المغازى (٧) زيد من ظ و مد (٨) سقط من ظ.

فيه فالتمسته ، فرحل النبي صلى الله عليه و سلم و حمل جمالوها هودجها و هم يظنونها[1] فيه ، فلما رجعت فلم تجد أحدا اضطجعت[2] مكان هودجها رجاء أن يعلموا بها فيرجعوا ، و كان صفوان بن المعطل [3]السلمى ثم[3] الذكوانى رضى الله عنه قد عرس من وراء الجيش ، فأصبح فى مكانهم ، فلما رآها ٥ - و كان رآها قبل الحجاب - استرجع و أناخ راحلته فوطئ على يدها ، و لم يتكلم بكلمة غير استرجاعه ، فركبت أم المؤمنين رضى الله عنها ، ثم أقبل بها حتى لحق بالجيش و هم نزول فى نصف النهار ، فتكلم أهل الإفك فيهما رضى الله عنهما ، و كان من سمى منهم عبد الله بن أبى المنافق ، و زيد بن رفاعة ، و مسطح بن أثاثة ، و حمنة بنت جحش ، ١٠ و حسان بن ثابت ، قال عروة بن الزبير[4] : فى ناس آخرين لا علم لى بهم غير أنهم / عصبة كما قال الله تعالى . هكذا ذكروا حسان منهم و أنا و الله لا أظن به[5] أصلا و إن جاءت تسميته فى الصحيح فقد يخطئ الثقة لأسباب لا تحصى ، كما يعرف ذلك من مارس نقد الأخبار ، و كيف يظن به ذلك و لا شغل له إلا مدح النبى صلى الله عليه و سلم ١٥ و المدافعة عنه و الذم لأعدائه و قد شهد رسول الله صلى الله عليه و سلم أن جبريل عليه السلام معه ، فأقسم بالله أن الذى أيده بجبريل[6] ما كان

/٣٤٩

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يظنون انها (٢) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣-٣) من ظ و مد، وفى الأصل : الشملى . (٤) راجع حديث الإفك - المغازى من صحيح البخارى (٥) زيد فى ظ : ذلك . (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : جبريل .

ليكله إلى نفسه فى مثل هذه الواقعة ، و قد سبقنى إلى الذب عنه الحافظ عماد الدين ابن كثير[١] الدمشقى رحمه الله وكيف لاينافح[٢] عنه و هو القائل :

فان أبى و والده[٣] وعرضى لعرض محمد منكم وقاء

و هو القائل يمدح عائشة رضى الله عنه و يكذب من نقل عنه ذلك : ٥

حصان[٤] رزان ما تزن بريبة و تصبح غرثى من لحوم الغوافل

حليلة خير الناس دينا و منصبا نبى الهدى و المكرمات الفواضل

عقيلة حى من لؤى بن غالب كرام المساعى مجدها غير زائل

مهذبة قد طيب الله خيمها و طهرها من كل شين[٥] و باطل

[٦]فان كان ما بلغت عنى قلته[٦] فلا رفعت سوطى إلىّ أناملى[٧] ١٠

وكيف و ودى ما حييت و نصرتى لآل رسول [الله - [٨]] زين المحافل

له رتب عال على الناس فضلها[٩] تقاصر عنها سورة المتطاول

و قال الحافظ أبوعمر[١٠] ابن عبد البر فى الاستيعاب[١١] : و أنكر قوم أن يكون حسان خاض فى الإفك و جلد فيه ، و رووا[١٢] عن عائشة رضى الله عنها

---

(١) راجع تفسيره : ٣/٢٧٢ (٢) فى ظ : يكافح (٣) من ظ و مد وديوان حسان ، و فى الأصل : والدتى (٤) من ظ و مد و الديوان و البحر المحيط ٦/٤٣٧ ، و فى الأصل : وزان (٥) فى الديوان : سوء (٦ - ٦) فى الديوان : فان كنت قد قلت الذى قد زعمتم (٧) من مد والديوان و البحر ، و فى الأصل : انامل ، و فى ظ : الانامل (٨) زيد من ظ و مد والديوان و البحر (٩) فى الديوان : كلهم (١٠) فى ظ : ابوعمرو - خطأ (١١) راجع ١ / ١٢٧ (١٢) من ظ و مد و الاستيعاب ، و فى الأصل : ورد .

أنها برأته من ذلك - انتهى . و استمر أهل الإفك فى هذا أكثر من شهر ، و الله تعالى عالم بما يقولون ، و أن قولهم [يكاد -[1]] يقطع أكباد أحب خلقه إليه[2] ، و هو قادر على تكذيبهم عند أول ما خاضوا فيه[3] ، و لكنه سبحانه أراد لناس[4] رفعة الدرجات ، و لآخرين الهلاك ، فيا لله
٥ ما لقى النبى صلى الله عليه و سلم و الصديق و آله رضى الله عنهم و كل من أحبهم و هم[5] خير الناس ، و الله سبحانه و تعالى يملى للآفكين و يمهلهم ، و كأن الحال لعمرى كما قال أبو تمام الطائى فى قصيدة :

كذا فليجل الخطب[6] وليفدح[6] الأمر و ليس لعين لم يفض دمعها عذر

و حين سمعت عائشة رضى الله عنها بقول [أهل -[1]] الإفك سقطت
١٠ مغشيا عليها و أصابتها حمى بنافض ، و استأذنت رسول الله صلى الله عليه و سلم فى إتيان بيت أبيها فأذن لها فسألت أمها عن الخبر ، فأخبرتها فاستعبرت و بكت ، و كان أبو بكر رضى الله عنه فى علية يقرأ فسمع حسها فنزل فسأل أمها فقالت : بلغها الذى ذكر من شأنها ، ففاضت عيناه ، و استمرت هى رضى الله عنها تبكى حتى ظنت أن البكاء فالق
١٥ كبدها ، و ساعدتها على البكاء امرأة من / أولى الوفاء و المؤاساة و الكرم و الإيثار و معالى الشيم : الأنصار رضى الله عنهم ، فكانت تبكى معها ، و سأل رسول الله صلى الله عليه و سلم عن عائشة رضى الله عنها جاريتها

٦٣٠ / أ

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : الله (٣) سقط من ظ .
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الناس (٥) فى ظ : هو (٦ - ٦) من ديوان الطائى ٣٦٨ ، و فى الأصل : او يقدح ، و فى ظ و مد : او يفدح .

بريرة رضى الله عنها فاستعظمت أن يظن فى عائشة رضى الله عنها مثل ذلك [١]و قالت[١] : سبحان الله ! و الله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر ، و خطب رسول الله صلى الله عليه و سلم [الناس على -[٢]] المنبر و استعذر ممن تكلم[٣] فى أهله و ما علم عليهم إلا خيرا ، و شهد رسول الله صلى الله عليه و سلم - و هو الصادق المصدوق - بصلاح ٥ صفوان بن المعطل رضى الله عنه [٤]و أنه[٤] ما علم عليه إلا خيرا ، فكاد الناس يقتتلون فسكنهم رسول الله صلى الله عليه و سلم ، ثم دخل بعد أن صلى العصر على عائشة رضى الله عنها و هى تبكى و الأنصارية معها[٥] فوعظها ، فأجابت و أجادت ، فأنزل الله على رسول الله صلى الله عليه و سلم فى ذلك المجلس فأخذه ما كان يأخذه[٦] من البرحاء ، قالت عائشة ١٠ رضى الله عنها : فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فو الله ما فزعت و ما باليت ، قد عرفت أنى بريئة ، و أن الله غير ظالمى[٧] ، و أما أبواى فوالذى نفس عائشة بيده ! ما سرى عن رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقا من أن يأتى الله بتحقيق ما قال الناس ، قالت : فرفع عنه و إنى لأتبين السرور فى وجهه و هو يمسح عن جبينه ١٥ العرق و يقول : أبشرى يا عائشة ، فقد أنزل الله براءتك ، فكنت أشد ما كنت غضبا ، فقال لى أبواى : قومى إليه ! فقلت : و الله لا أقوم إليه

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فقالت (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : يتكلم (٤-٤) فى ظ : فانه (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : منها (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يأخذ (٧) فى ظ : ظالم .

و لا أحده و لا أحدكما و لا أحـــد إلا الله الذى أنزل براءتى ، لقد سمعتموه فما أنكرتموه و لا غيرتموه ، و أنزل الله تعالى "ان الذين جاؤا بالافـــك" العشر الآيات[1] كلها ، قالت عائشة رضى الله عنها : و [الله -[2]] ! إن الرجل الذى قيل له ما قيل ليقول : سبحان الله ! و الذى ٥ نفسى بيده ! ما كشفت كنف[3] أنثى قط . قالت : ثم قتل بعد ذلك شهيدا فى سبيل الله .

و لما أخبر سبحانه و تعالى بعقابهم ، و كان فى المؤمنين من سمعه فسكت ، و فيهم[4] من سمعه فتحدث[5] به متعجبا من قائله ، أو[6] مستثبتا فى أمره ، و منهم من كذبه ، أتبعه سبحانه بعتابهم ، فى أسلوب خطابهم ، مثنيا على ١٠ من كذبه ، فقال مستأنفا محرضا : ﴿ لولآ ﴾ أى هلا و لم لا ﴿ اذ سمعتموه ﴾ أيها المدعون للايمان . و لما كان هذا الإفك قد تمالأ عليه رجال و نساء قال : ﴿ ظن المؤمنون ﴾ أى منكم ﴿ و المؤمنٰت ﴾ وكان الأصل : ظننتم[7] ، و لكنه التفت إلى الغيبة تنبيها على التوبيخ ، و صرح بالنساء ، و نبه على الوصف المقتضى لحسن الظن تخويفا للذى ظن ١٥ السوء من سوء الخاتمة : ﴿ بانفسهم ﴾ حقيقة ﴿ خيرا لا ﴾ و هم دون من كذب عليها ، فقطعوا ببراءتها لأن الإنسان لايظن بالناس[8] إلا ما هو متصف به أو باخوانهم ، لأن / المؤمنين كالجسد الواحد ، أو[9] ظنوا /٦٣١

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : آيات (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : كشف (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : منهم (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لحدث (٦) فى مد « و » (٧) زيد فى ظ : به (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : فى الناس (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل « و » .

ما يظن بالرجل لو خلا بأمه، و بالمرأة إذا خلت بابنها[1]، فان نساء النبي صلى الله عليه و سلم أمهات المؤمنين ﴿و قالوا هذآ افك﴾ أى كذب عظيم خلف منكب على وجهه ﴿مبين ۝﴾ أى واضح فى نفسه، موضح لغيره، و بيانه و ظهوره أن المرتاب يكاد يقول: خذونى، فهو يسعى فى التستر جهده، فاتيان صفوان بعائشة رضى الله عنها راكبة على جمله ٥ داخلا بها الجيش فى نحر[2] الظهيرة و الناس كلهم يشاهدون و رسول الله صلى الله عليه و سلم بين أظهرهم ينزل عليه الوحى، إدلالا بحسن عمله، غافلا عما يظن به أهل الريب، أدل دليل على البراءة و كذب القاذفين، و لو كان هناك أدنى ريبة لجاء كل منهما وحده على وجه[3] من التستر و الذعر، تعرف به[4] خيانته، فالأمور تذاق، ١٠ و لا يظن الإنسان بالناس إلا ما[5] فى نفسه، و لقد عمل أبو أيوب الانصارى و صاحبته رضى الله عنهما بما أشارت إليه هذه الآية؛ قال ابن إسحاق[6]: حدثنى أبى إسحاق بن يسار عن بعض رجال بنى النجار أن أبا أيوب خالد بن زيد رضى الله عنه قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب! ألا تسمع ما يقول الناس فى عائشة رضى الله عنها؟ قال: بلى[7] و ذلك الكذب، ١٥ أكنت يا أم أيوب فاعلة؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله، قال[8]: فعائشة و الله خير منك. و روى البغوى[9] أنه قال: سبحانك هذا بهتان عظيم، فنزلت الآية[10] على وفق قوله رضى الله عنه. ثم علل سبحانه

(١) فى ظ: بابيها (٢) فى ظ: نحو (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: منه (٥) فى ظ: بما (٦) راجع سيرة ابن هشام ٢/١٧٣ (٧) فى ظ: بل (٨) فى ظ: قالت. (٩) راجع المعالم بهامش اللباب ٥/٥٢ (١٠) زيد فى ظ و مد: الآتية.

بيان كذب الآفكين بأن قال موبخا لمن اختلقه و اذاعه ملقنا لمن ندبه إلى ظن الخير: ﴿ لولا ﴾ أى هلا و لم لا ﴿ جآءو ﴾ أى المفترون له أولا ﴿ عليـه ﴾ إن كانوا صادقين ﴿ باربعة شهدآء ج ﴾ كما تقدم أن القذف لا يباح إلا بها .

٥ و لما تسبب عن كونهم لم يأتوا بالشهداء كذبهم قال[1]: ﴿ فاذ ﴾ أى فحين ﴿ لم ياتوا بالشهدآء ﴾ أى الموصوفين ﴿ فاولـٰئك ﴾ أى البعداء من الصواب ﴿ عند الله ﴾ أى فى حكم الملك الأعلى ، بل و فى هذه الواقعة بخصوصها فى علمه ﴿ هم[2] الكٰذبون ﴾ [أى -[3]] الكذب العظيم ظاهرا و باطنا .

١٠ و لما بين لهم باقامة الدليل على كذب الخائضين فى هذا الكلام أنهم استحقوا الملام ، و كان ذلك مرغبا لأهل التقوى ، بين أنهم استحقوا بالتقصير فى الإنكار عمومَ الانتقام فى سياق مبشر بالعفو ، فقال عاطفا على "و لولا" الماضية : ﴿ و لولا فضل الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿ عليكم و رحمته ﴾ أى معاملته لكم بمزيد الإنعام ، الناظر ١٥ إلى الفضل و الإكرام ، اللازم للرحمة ﴿ فى الدنيا ﴾ بقبول التوبة و المعاملة بالحلم ﴿ و الأخرة ﴾ بالعفو عمن[4] يريد أن يعفو عنه منكم ﴿ لمسكم ﴾ أى عاجلا عموما ﴿ فى مآ افضتم ﴾ [5]أى اندفعتم على أىّ وجه كان ﴿ فيه ﴾ بعضكم حقيقة ، و بعضكم مجازا بعدم الإنكار ﴿ عذاب عظيم صلے ﴾ أى[6]

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فقال (٢) زيد فى ظ : فى علمه (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : عما (٥) زيد فى ظ : فيه (٦) زيد فى الأصل : عاجل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

يحتقر

يحتقر معه اللوم و الجلد، بأن يهلك فيتصل به عذاب الآخرة ؛ ثم بين
وقت حلوله / و زمان تعجيله بقوله: ﴿ اذ ﴾ أى مسكم حين ﴿ تلقونه ﴾ /٦٣٢
أى تجتهدون فى تلق - أى قبول - هذا الكلام الفاحش و إلقائه[1]
﴿ بالسنتكم ﴾ باشاعة البعض و سؤال آخرين [و سكوت آخرين -[2]]
﴿ و تقولون ﴾ و قوله: ﴿ بافواهكم ﴾ تصوير لمزيد[3] قبحه، و إشارة إلى ٥
أنه [قول -[4]] لاحقيقة له، فلا يمكن ارتسامه فى القلب بنوع دليل؛
و أكد هذا المعنى بقوله: ﴿ ما ليس لكم به علم ﴾ [أى -[5]] بوجه
من الوجوه، و تنكيره للتحقير ﴿ و تحسبونه ﴾ بدليل سكوتكم عن
إنكاره ﴿ هيناﷺ و هو ﴾ أى و الحال أنه ﴿ عند الله ﴾ أى الذى لا يبلغ
أحد مقدار عظمته ﴿ عظيم ۝ ﴾ أى فى حد ذاته و لو كان فى غير أم ١٠
المؤمنين رضى الله عنها، فكيف و هو فى جنابها المصون، و هى زوجة
خاتم الأنبياء و إمام المرسلين عليه أفضل الصلاة و أفضل التسليم .

و لما بين فحشه و شناعته، و قبحه و فظاعته، عطف على التأديب
الأول فى[6] قوله "لولا اذ سمعتموه" تأديبا ثانيا فقال: ﴿ و لو لآ اذ ﴾
أى[7] و هلا حين ﴿ سمعتموه قلتم ﴾ أى حين السماع من غير توقف ١٥
و لا تلعثم، و فصل بين آلة[8] التحضيض و القول المحضض عليه بالظرف لأن
الظروف تنزل من الشيء منزلة نفسه[9] لوقوعه فيها، و أنها لا انفكاك لها

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: القايله (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى مد: مزيد (٤) زيد من ظ (٥) زيد من مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: من. (٧) سقط من ظ (٨) بمعنى الأداة (٩) فى ظ: شبه .

عنه ، و لأن[1] ذكره منبه على الاهتمام به لوجوب المبادرة إلى المحضض
عليه : ﴿ما يكون﴾ أى ما ينبغى و ما يصح ﴿لنآ ان نتكلم﴾ حقيقة
بالنطق و لا مجازا بالسكوت عن الإنكار ﴿بهذا ﴾ أى بمثله [فى -[2]]
حق أدنى الناس فكيف بمن[3] اختارها العليم الحكيم لصحبة أكمل الخلق ،
٥ ثم دللتم على شدة نفرتكم منه بأن وصلتم بهذا النفى [قولكم - [2]] :
﴿ سبحٰنك ﴾ تعجبا [4]من أن[4] يخطر بالبال ، فى حال من الأحوال .

و لما كان تنزيه الله تعالى فى مثل ذلك و إن كان للتعجب إشارة
إلى تنزيه المقام الذى وقع فيه التعجب تنزيها عظيما ، حسن أن يوصل
بذلك قوله تعليلا للتعجب و النفى : ﴿ هذا بهتان ﴾ أى كذب يبهت[5]
١٠ من يواجه به ، و يحيره لشدة ما يفعل فى القوى الباطنة ، لأنه فى غاية
الغفلة عنه[6] لكونه أبعد الناس منه ؛ ثم هوله بقوله : ﴿ عظيم ﴾ و المراد
أن الذى ينبغى للانسان أولا أن لايظن باخوانه المؤمنين و لايسمع
فيهم إلا خيرا ، فان غلبه الشيطان و ارتسم شىء من ذلك فى ذهنه فلا
يتكلم به ، و يبادر إلى تكذيبه .

١٥ و لما كان هـــذا كله وعظا لهم و استصلاحا ، [7]ترجمه بقوله[7] :
﴿ يعظكم الله ﴾ أى يرقق قلوبكم الذى له الكمال كله فيمهل بحلمه ، و لايهمل
بحكمته و علمه ، بالتحذير على وجه الاستعطاف : ﴿ان﴾ أى كراهة لأن[8]

(١) فى ظ : ان (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : من (٤ - ٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بان (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : يهبت (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : منه (٧-٧) فى ظ : برحمته (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ان .

﴿ تعودوا لمثلهٓ ابدا ﴾ أى ما دمتم أهلا لسماع هذا القول؛ ثم[1] عظم هذا الوعظ، و ألهب سامعه بقوله: ﴿ان كنتم مؤمنين ﴾ أى[2] متصفين بالإيمان راسخين فيه فانكم[3] لا تعودون، فان عدتم فأنتم غير صادقين فى دعواكم الاتصافَ به ﴿و يبين الله﴾ أى بما له من الاتصاف بصفات الجلال و الإكرام ﴿لكم الأيٰت﴾ أى العلامات الموضحة للحق و الباطل، ٥ من كل أمر دينى أو دنيوى ﴿و الله﴾ أى المحيط بجميع الكمال ﴿عليم﴾ فثقوا ببيانه ﴿حكيم ه﴾ لا يضع شيئا إلا فى أحكم مواضعه و إن دق عليكم فهم ذلك، / فلا تتوقفوا فى أمر من أوامره. و اعلموا أنه لم[4] يختر لنبيه / ٦٣٣ عليه الصلاة و السلام إلا الخلص من عباده، على حسب منازلهم عنده، و قربهم من قلبه. ١٠

و لما كان من أعظم الوعظ[5] بيان ما يستحق على الذنب من العقاب، أدبهم تأديبا ثالثا أشد من الأولين، فقال واعظا و مقبحا لحال الخائضين[6] فى الإفك [و ـ[7]] محذرا و مهددا: ﴿ ان الذين يحبون ﴾ عبر بالحب إشارة إلى أنه لا يرتكب هذا مع شناعته إلا محب له، و لا يحبه إلا بعيد عن الاستقامة ﴿ان تشيع﴾ أى تنتشر [8]بالقول أو بالفعل[8] ﴿الفاحشة﴾ ١٥ أى الفعلة الكبيرة[9] القبح، و يصير لها[10] شيعة يحامون[11] عليها

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: فى (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: بانكم (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لا (٥) فى ظ: الواعظ.
(٦) من ظ و مد، و فى الأصل: الخاريضين (٧) زيد من ظ و مد.
(٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: الكثيرة.
(١٠) من ظ و مد، و فى لأصل: بما (١١) فى ظ: تحاموا.

﴿ فى الذين اٰمنوا ﴾ و لو كانوا فى أدنى[1] درجات الإيمان فكيف [بمن -[2]] تسنم ذروته ، و تبوأ غايته ﴿ لهم عذاب اليم لا ﴾ ردعا لهم عن إرادة إشاعة مثل ذلك لما فيه من عظيم الأذى ﴿ فى الدنيا ﴾ بالحد و غيره مما[3] ينتقم الله منهم به ﴿ و الاٰخرة ﴾ فان الله يعلم هل كفر الحد عنهم جميع

٥ مرتكبهم أم[4] لا ﴿ و الله ﴾ أى المستجمع لصفات الجلال و الجمال ﴿ يعلم ﴾ أى [له -[2]] العلم التام ، فهو يعلم مقادير الأشياء ما ظهر منها و ما بطن و ما الحكمة فى ستره أو إظهاره أو غير ذلك من جميع الأمور ﴿ و انتم لا تعلمون ه ﴾ أى ليس لكم علم من أنفسكم فاعملوا[5] بما علمكم الله ، و لا تتجاوزوه تضلوا .

١٠ و لما ختم بالحكم عليهم بالجهل ، و كان التقدير كما أرشد إليه ما يأتى من العطف على غير معطوف : فلولا فضل الله عليكم و رحمته بكم لعجل هلاك المحبين اشيوع[6] ذلك بعذاب الدنيا ليكون موصولا بعذاب الآخرة ، عطف عليه قوله مكررا التذكير بالمنة بترك المعاجلة حاذفا الجواب[7] ، منبها بالتكرير و الحذف على قوة المبالغة و شدة التهويل :

١٥ ﴿ و لولا فضل الله ﴾ أى الحائز لجميع الجلال و الإكرام ﴿ عليكم و رحمته ﴾ بكم ﴿ و ان ﴾ أى و لولا أن ﴿ الله ﴾ أى الذى له القدرة التامة فسبقت رحمته غضبه ﴿ رءوف ﴾ بكم فى نصب ما يزيل[8] جهلكم بما يحفظ

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعلى (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : كما .
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : او (٥) فى ظ : فاعلموا (٦) زيد فى ظ : الفاحشة (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : للجواب (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : يريكم .

من سرائركم بارسال الرسل و إنزال الكتب [1]و نصب[1] الحدود ، الزاجرة عن الجهل ، الحاملة على التقوى ، التى هى ثمرة العلم ، فان الرأفة - كما تقدم فى الحج و غيرها - تقيم[2] المرؤف به - لأنها ألطف الرحمة و أبلغها - على أقوم سنن حتى تحفظ بمسراها فى سره ظهور ما يستدعى العفو ، و تارة يكون هذا الحفظ بالقوة بنصب الأدلة ، و تارة يضم إلى ذلك ٥ الفعل بخلق الهداية فى القلب [بما للرؤف به من الوصلة[3] بسهولة الانقياد و قوة الاستعداد -[4]] ﴿ رحيم ﴾ بما يثبت لكم من الدرجات على ما منحكم به من ثمرات ذلك الحفظ من الأعمال المرضية ، و الجواب محذوف تقديره: لتركتم فى ظلمات الجهل تعمهون ، فثارت[5] بينكم الفتن حتى تفانيتم و وصلتم إلى العذاب الدائم[6] بعد الهم اللازم . ١٠

و لما أخبرهم بأنه ما أنزل لهم هذا الشرع على لسان هذا الرسول الرؤف الرحيم إلا رحمة لهم ، بعد أن حذرهم موارد الجهل ، نهاهم عن التمادى فيه [7]فى سياق[7] معلم أن الداعى إليه الشيطان العدو ، فقال سارا لهم بالإقبال عليهم بالنداء: ﴿ يٰأيها الذين ءامنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان ﴿ لاتتبعوا ﴾ [8]أى بجهدكم[8] ﴿خطوٰت﴾ أى طرق ﴿ الشيطٰن ﴾ أى ١٥ لاتقتدوا به و لا تسلكوا مسالكه [التى يحمل على سلوكها بتزيينها -[4]]

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بنصب (٢) من مد ، و فى الأصل : يعم - و فى ظ : تقدم (٣) فى ظ : الوصف (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ : فتارة . (٦) فى ظ : القائم (٧-٧) فى ظ : بسياق (٨-٨) تأخر فى الأصل عن «مسالكه» س ١٦ ، و الترتيب من ظ و مد.

فى شيء من الأشياء، و كأنه أشار بصيغة الافتعال إلى العفو عن الهفوات •

٦٣٤/ /و لما كان التقدير : فانه من يتنكب عن طريقه يأت بالحسنى و المعروف ، عطف عليه قوله : ﴿و من يتبع﴾ أى بعزم ثابت من غير[1] أن يكون مخطئا أو ناسيا ؛ و أظهر و لم يضمر لزيادة التنفير فقال : ﴿ خطوٰت الشيطٰن ﴾ أى[2] و[3] يقتد به يقع فى مهاوى الجهل الناشئ عنها كل شر ﴿ فانه ﴾ أي الشيطان ﴿يامر بالفحشآء﴾ و هى ما أغرق فى القبح ﴿ و المنكر ﴾ و هو ما لم يجوزه الشرع ، فهو أولا يقصد أعلى الضلال ، فان [4]لم يصل تنزل[4] إلى أدناه ، و ربما درج بغير ذلك ، ١٠ و من المعلوم أن من اتبع من هذا سبيله عمل بعمله[5] ، فصار فى غاية السفول ، و هذا أشد [6]فى التنفير[6] من إعادة الضمير فى "فانه على من" - و الله الموفق •

و لما كان التقدير : فلو لا فضل الله عليكم و رحمته لاتبعتم الشيطان مع أمره بالقبائح ، عطف عليه قوله : ﴿ و لولا فضل الله ﴾ أى ذى[7] ١٥ الجلال و الإكرام ﴿ عليكم ﴾ أى بتطهير نفوسكم و رفعها عما تعشقه

(١) سقط من ظ (٢) زيد فى الأصل : لاتقتد و به اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها. (٤ - ٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : يصل يتنزل (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعلمه (٦ - ٦) من مد ، و فى الأصل : على التنفير ، و فى ظ : بالتنفير (٧) فى ظ : ذو .

من الدنايا إلى المعالى ﴿ و رحمته ﴾ لكم با كرامكم و رفعتكم بشرع التوبة المكفرة لما جرّ إليه الجهل من ناقص الأقوال و سفساف الأفعال ﴿ ما زكىٰ ﴾ أى طهر و نما ﴿ منكم ﴾ و أكد الاستغراق بقوله: ﴿ من احد ﴾ و عم الزمان بقوله: ﴿ ابدا و لكن الله ﴾ أى بجلاله و كماله ﴿ يزكى ﴾ [1]أى يطهر و ينمى[1] ﴿ من يشآء ﴾ من عباده، من ٥ جميع أدناس نفسه و[2] أمراض قلبه، و إن كان العباد و أخلاقهم فى الانتشار و الكثرة بحيث لايحصيهم غيره، [فلذلك زكى منكم من شاء فصانه عن هذا الإفك، و خذل من شاء -[3]]. ثم ختم الآية بما لا تصح التزكية بدونه فقال: ﴿ و الله ﴾ [4]أى الذى له جميع صفات الكمال[4] ﴿ سميع ﴾ أى [5]لجميع أقوالهم[5] ﴿ عليم ه ﴾ بكل ما يخطر فى بالهم، و ينشأ عنه من ١٠ أحوالهم و أفعالهم، فهو خبير بمن هو أهل للتزكية[6] و من ليس بأهل لها، فاشكروا الله على تزكيته لكم من الخوض فى [مثل -[3]] ما خاض فيه غيركم ممن خذله[7] نوعا من الخذلان، و اصبروا على ذلك منهم، و لا تقطعوا إحسانكم عنهم، فان ذلك يكون زيادة فى زكاتكم، و سببا لإقبال من علم فيه الخير منهم، فقبلت توبته، و غسلت حوبته، و هذا المراد ١٥

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: او.
(٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على «ثم ختم» س ٨، و الترتيب من ظ و مد (٥-٥) فى ظ: لجميع اقوالكم، و فى مد: لاقوالهم.
(٦) فى ظ: التزكية (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: خذلته.

من قوله: ﴿ ولا ياتل ﴾ أى يحلف مبالغا[1] فى اليمين ﴿ اولوا الفضل منكم ﴾ الذين جعلتهم بما آتيتهم من العلم و الأخلاق الصالحة أهلا لبر غيرهم ﴿ و السعة ﴾ أى بما أوسعت عليهم فى دنياهم.

و لما كان السياق و السباق و اللحاق موضحا للمراد،[2] لم يحتج إلى ٥ ذكر أداة النفى فقال: ﴿ان يؤتوآ ﴾ ثم ذكر الصفات المقتضية للاحسان فقال: ﴿اولى القربى ﴾ و عددها بأداة[3] العطف تكثيرا [لها -[4]] و تعظيما لأمرها، و إشارة[5] إلى[6] أن صفة منها كافية فى الإحسان، فكيف إذا اجتمعت! فقال سبحانه: ﴿ و المسكين ﴾ أى الذين لايجدون ما يغنيهم و إن لم تكن لهم قرابة ﴿ و المهجرين ﴾ لأهلهم و ديارهم و أموالهم ١٠ ﴿ فى سبيل الله صلى ﴾ أى الذى عم[7] الخلائق بجوده لما له من الإحاطة بالجلال و الإكرام و إن انتفى عنهم الوصفان الأولان، فان هذه الصفات مؤذنة بأنهم /ممن زكى الله، و تعدادها - بجعلها علة للعفو[3] - دليل على أن الزاكى / ٦٣٥ من غير المعصومين قد يزل، فتدركه الزكاة بالتوبة فيرجع كما كان، [و قد تكون الثلاثة لموصوف واحد لأن سبب نزولها مسطح رضى الله عنه، ١٥ فالعطف إذن للتمكن فى كل وصف منها -[4]].

(١) فى ظ: متابعا (٢) زيدت الواو فى الأصل و ظ، ولم تكن فى مد فحذفناها. (٣) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: اشار (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: هم.

و لما كان النهى عن ذلك غير صريح فى العفو ، و كان التقدير : فليؤتوهم ، عطف عليه مصرحا بالمقصود قوله : ﴿ و ليعفوا ﴾ أى عن زللهم[١] بأن يمحوه و يغطوه بما يسبلونه عليه من أستار الحلم حتى لا يبقى له أثر . و لما كان المحو لا ينفى التذكر قال : ﴿ و ليصفحوا ﴾ أى يعرضوا عنه أصلا و رأسا ، فلا يخطروه لهم على بال ليثمر ذلك الإحسان ، و منه ٥ الصفوح و هو الكريم .

و لما كانت لذة الخطاب تنسى كل عتاب ، أقبل سبحانه بفضله و منّه و طوله على أولى الفضل ، مرغبا فى أن يفعلوا بغيرهم ما يحبون أن يفعل بهم ، مرهبا من أن يشدد[٢] عليهم إن شددوا فقال : ﴿ الا تحبون ﴾ أى يا أولى الفضل ﴿ ان يغفر الله ﴾ [أى -[٣]] الملك ١٠ الأعظم ﴿ لكم ﴾ أى ما [٤]قصرتم فى[٤] حقه ، و سبب نزولها كما فى الصحيح[٥] من حديث عائشة رضى الله عنها أن أباها رضى الله تعالى عنه كان حلف بعد ما برأ الله عائشة رضى الله عنها [أن -[٣]] لا ينفق على مسطح ابن[٦] خالته لكونه خاض من أهل الإفك ؛ و فى تفسير الأصبهانى[٧] عن ابن عباس رضى الله عنهما[٨] : أقسم ناس من الصحابة ١٥ فيهم أبو بكر رضى الله عنهم أن لا يتصدقوا[٩] على رجل تكلم بشىء من

(١) فى ظ : زلتهم (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تسدد (٣) زيد من ظ و مد (٤ - ٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : تصدتم من - كذا (٥) ٢/٦٩٨ . (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : ان (٧) راجع كشف الظنون ١ / ٤٤٢ . (٨) و الضحاك - كما فى المعالم - راجع اللباب ٥/٥٣ (٩) من ظ و مد و المعالم ، و فى الأصل : لا ينفقوا .

الإفك و لا ينفعوهم فأنزل الله هذه الآية . و ناهيك بشهادة الله جل جلاله للصديق بأنه من أولى الفضل فيا له من شرف ما أجلاه[1] ! و من سؤدد و نخار ما أعلاه ! و لا سيما و قد صدقه رضى الله عنه بالعفو عمن شنع على ثمرة فؤاده و مهجة كبده ، و هى الصديقة[2] زوجة خاتم ٥ المرسلين ، و خير الخلائق أجمعين ، و الحلف على أنه لا يقطع النفقة[3] عنه أبدا ، فيالله من أخلاق ما أبهاها ! و شمائل ما أطهرها و أزكاها ! و أشرفها و أسناها ! .

و لما كان الجواب قطعا كما أجاب الصديق[4] رضى الله عنه : بلى و الله ! إنا لنحب أن يغفر الله لنا ، و كان كأنه قيل : فاغفروا لمن أساء ١٠ إليكم ، فالله حكم عدل ، يجازيهم على إساءتهم إليكم إن شاء ، و الله عليم شكور ، يشكر لكم ما صنعتم إليهم ، عطف عليه قوله : ﴿ و الله ﴾ أى مع قدرته الكاملة و علمه الشامل ﴿غفور رحيم ﴾ من صفته ذلك ، إن شاء يغفر[5] لكم ذنوبكم بأن يمحوها فلا يدع لها أثرا[6] و يرحمكم بعد محوها بالفضل عليكم كما فعلتم معهم ، فان الجزاء من جنس العمل .

١٥ و لما كان الختم بهذين الوصفين بعد الأمر بالعفو ربما جرأ على مثل هذه الإساءة ، وصل به مرهبا من الوقوع فى مثل ذلك قوله معمما للحكم : ﴿ ان الذين يرمون ﴾ أى بالفاحشة ﴿ المحصنت ﴾ أى اللائى جعلن

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : احلاه كذا (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الصديقية (٣) فى ظ : المنفعة (٤) راجع اللباب ٥ / ٥٣ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : غفر (٦) فى ظ : اثر .

أنفسهن من العفة فى مثل الحصن . و لما كان الهامّ بالسيئ و المقدم عليه عالما بما يرمى[1] به منه، جاعلا له نصب عينه، أكد معنى الإحصان[2] بقوله : ﴿ الغفلٰت ﴾ أى عن السوء حتى عن مجرد ذكره . و لما كان وصف الإيمـان حاملا على كل خير / [و - [3]] مانعا من كل سوء، ٦٣٦/ نبه على أن الحامل على الوصفين المتقدمين إنما هو التقوى، و صرف[4] ٥ ما لهن من الفطنة إلى ما لله عليهن من الحقوق فقال : ﴿ المؤمنٰت ﴾ .

و لما ثبت بهذه الأوصاف البعد عن السوء، ذكر جزاء القاذف كفًّا عنه و تحذيرا منه بصيغة المجهول، لأن المحذور [5]اللعن لا كونه[5] من معين، و تنبيها على وقوع [اللعن - [3]] من كل من يتأتى منه فقال : ﴿ لعنوا ﴾ أى أبعدوا عن رحمة الله، و فعل معهم فعل المبعد من الحد و غـــيره ١٠ ﴿ فى الدنيا و الأخرة ص ﴾ ثم زاد فى تعظيم القذف لمن هذه أوصافها فقال : ﴿ و لهم ﴾ أى فى الآخرة ﴿ عذاب عظيم لا ﴾ و قيد بوصف الإيمان لأن قذف الكافرة[6] و إن كان محرما ليس فيه هذا المجموع، و هذا الحكم و إن كان عاما فهو لأجل الصديقة[7] بالذات و بالقصد الأول و فيما فيه من التشديد الذى قل أن يوجد مثله فى القرآن من الإعلام ١٥

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : يوى (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : الاحسان (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : ضرب . (٥ - ٥) من ظ و مد، و فى الأصل : لاالمن لالكونه - كذا (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : الآخرة (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : الصديقية .

على قدرها، و جلى أمرها، فى عظيم فخرها. [ما - [١]] يجل[٢] عن الوصف؛
ثم أتبع [ذلك - [١]] ذكر اليوم الذى يكون فيه أثر ذلك على وجه
زاد الأمر عظما[٣] فقال: ﴿يوم تشهد عليهم﴾ أى يوم القيامة فى ذلك
الجمع العظيم ﴿السنتهم﴾ إن رفعوا عن الكذب ﴿و ايديهم و ارجلهم﴾
٥ إن أنكرت ألسنتهم[٤] كذبا و[٥] فجورا ظنا أن الكذب ينفعها
﴿ بما كانوا يعملون ﴾ من هذا القذف و غيره؛ ثم زاد فى التهويل
بقوله: ﴿ يومئذ ﴾ أى[٥] إذ تشهد عليهم هذه الجوارح ﴿يوفيهم الله﴾
[أى - [١]] المحيط [٦]بكل شئ[٦] علما و قدرة و له[٧] الكمال كله ﴿ دينهم ﴾
أى جزاءهم ﴿ الحق ﴾ أى الذى يظهر لكل أحد من أهل ذلك الجمع
١٠ العظيم أنهم يستحقونه[٨]، فلا يقدر أحد على نوع طعن فيه ﴿و يعلمون﴾
أى إذ ذاك، لانقطاع الأسباب، و رفع كل حجاب ﴿ ان الله ﴾
[أى - [١]] الذى له العظمة [المطلقة - [١]]، فلا كفوء له ﴿ هو ﴾ أى
وحده ﴿ الحق ﴾ [أى - [٩]] الثابت أمره [١٠]فلا أمر[١٠] لأحد سواه،
﴿ المبين ﴾ الذى لا أوضح من شأنه فى ألوهيته و علمه و قدرته و تفرده
١٥ بجميع صفات الكمال، و تنزهه عن جميع سمات النقص، فيندمون

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: يكل (٣) من ظ و مد،
و فى الأصل: عظيما (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: انفسهم (٥) سقط من ظ.
(٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٧) زيد فى الأصل: الجمال و، و لم تكن
الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: يستحقرونه.
(٩) زيد من مد (١٠-١٠) من مد، و فى الأصل: لا أمر، و فى ظ: لامر.

على

على ما فعلوا فى الدنيا مما يقدح فى المراقبة و تجرى عليه الغفلة ؛ قال ابن
كثير[١] : و أمهات المؤمنين أولى بالدخول فى هذا من كل محصنة لاسيما[٢]
التى كانت سبب النزول ، و هى عائشة بنت الصديق رضى الله تعالى عنهما ،
و قد أجمع العلماء قاطبة على أن[٣] من سبها بعد هذا و رماها بما[٣] رماها
به [بعد هذا -[٤]] [٥]الذى ذكر[٥] فى هذه الآية ، فانه كافر [لأنه -[٦]] ٥
معاند للقرآن ، و فى بقية أمهات المؤمنين رضى الله عنهن قولان أصحهما[٧]
أنهن كهى ، و الله أعلم - انتهى . و قد علم من هذه الآيات و ما سبقها
من أول السورة و ما لحقها إلى آخرها أن الله تعالى ما غلظ فى شىء
من المعاصى ما غلظ فى قصة الإفك ، و لا توعد فى شىء ما توعد فيها ،
و أكد و بشع ، / و وبخ و قرع ، كل ذلك إظهارا [٨]لشرف رسوله[٨] ١٠ / ٦٣٧
صلى الله عليه و سلم [و غضبا له -[٩]] و إعظاما لحرمته و صونا لحجابه .

و لما تضمن ما ذكر[١٠] من وصفه تعالى علمه بالخفيات ، أتبعه ما
هو كالعلة لآية " الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة " دليلا شهوديا
على براءة عائشة رضى الله تعالى عنها فقال : ﴿ الخبيثت ﴾ أى من النساء
و قدم [هذا -[٩]] الوصف لأن كلامهم فيه ، فاذا انتفى ثبت الطيب ١٥

---

(١) راجع تفسيره : ٣/٢٧٦ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد و التفسير ، و فى الأصل : فيما (٤) زيد من التفسير (٥ - ٥) من التفسير ، و فى الأصل : الذين ذموا ، و فى ظ و مد : الذين ذكروا - كذا (٦) زيد من ظ و مد و التفسير (٧) من ظ و مد و التفسير ، و فى الأصل : اصحهن (٨-٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : لرسوله (٩) زيد من ظ و مد (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذكره .

﴿ للخبيثين ﴾ أى من الرجال . و لما كان ذلك لايفهم أن الخبيث مقصور على الخبيثة قال: ﴿ و الخبيثون ﴾ أى من الرجال أيضا[1] ﴿ للخبيثت ج﴾ أى من النساء .

و لما أنتج هذا[2] براءتها رضى الله عنها لأنها قرينة أطيب الخلق، ٥ أكده بقوله : ﴿ و الطيبت ﴾ أى منهن ﴿ للطيبين ﴾ أى منهم ﴿ و الطيبون للطيبت ج﴾ بذلك قضى العليم الخبير أن كل شكل ينضم إلى شكله، و يفعل أفعال مثله، و هو سبحانه قد اختار لهذا[3] النبي الكريم - لكونه أشرف خلقه - خلص عباده من الأزواج و الأولاد و الأصحاب "كنتم خير امة اخرجت للناس" «خيركم قرنى» وكلما ازداد[4] الإنسان ١٠ منهم من قلبه صلى الله عليه وسلم قربا ازداد طهارة، وكفى بهذا البرهان دليلا على براءة الصديقة رضى الله عنها، فكيف و قد أنزل الله العظيم فى براءتها صريح كلامه القديم، و حاطه من أوله و آخره بهاتين[5] الآيتين المشيرتين إلى الدليل العادى، و قد تقدم عند آية "[6]الزانى" ذكر[6] لحديث[7] «الأرواح جنود[8] مجندة» و ما لاءمه[9]، لكنه لم يستوعب تخريجه،

(١) سقط من ظ و مد (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: هذه (٣) فى ظ : انه .
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل: زاد (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: بهذه .
(٦-٦) من ظ ، و فى الأصل: الزانى ذا ، و فى مد : الزنى ذكر - كذا .
(٧) من ظ ، و فى الأصل و مد : الحديث (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : جند (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : للايمة - كذا .

و قد خرجه مسلم فى الأدب[١] [من صحيحه -[٢]] و أبو داود فى سننه[٣] من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، و ما تناكر منها اختلف. و فى رواية[٤] عنه رفعها: الناس معادن كمعادن الذهب و الفضة، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا، و الأرواح جنود مجندة، ٥ فما تعارف منها ائتلف، و ما تناكر منها اختلف. و هذا الحديث روى أيضا[٤] عن عائشة [أم المؤمنين -[٢]] رضى الله عنها و على بن أبى طالب و سلمان الفارسى [٥]و عبد الله بن عباس[٥] و عبد الله بن مسعود و عبد الله بن عمرو و عمرو بن عبسة[٦] رضى الله عنهم، و قد علق البخارى فى صحيحه[٧] حديث عائشة رضى الله عنها بصيغة الجزم، و وصله فى ١٠ كتاب الأدب المفرد[٨] وكذا الإسماعيلى فى المستخرج، و أبو الشيخ فى كتاب الأمثال، و تقدم عزوه إلى أبى يعلى، و لفظ حديث ابن عمر رضى الله عنهما: فما كان فى الله ائتلف، و ما كان فى غير الله اختلف - أخرجه أبو الشيخ فى الأمثال، و لفظ حديث ابن مسعود رضى الله عنه "فاذا التقت تشامّ[٩] كما تشامّ[٩] الخيل، فما[١٠] تعارف منها ائتلف - ١٥

---

(١) ٢/٣٣١ (٢) زيد من ظ و مد (٣) ٢/١٨٥ (٤ - ٤) من ظ و مد، و فى الأصل: ايضاروى (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد، و الرواية واردة عن ابن عباس أيضا كما فى كشف الخفاء ١/١٢١ (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: عينية - خطأ (٧) ١/٤٦٩ (٨) راجع فتح البارى ١٣/٢٢٣ (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: تسام (١٠) فى الأصل: فيما - خطأ.

/٦٣٨ الحديث ، و أما حديث على رضى / الله عنه فرواه الطبرانى فى الأوسط
فى ترجمة محمد بن الفضل السقطى و أبو عبد الله بن منده فى كتاب الروح[١]
عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله
عنه لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه : يا أبا الحسن ! ربما شهدت و غبنا
٥ و ربما شهدنا و غبت ، ثلاث أسألك عنهن هل عندك منهن علم ؟ قال
على : و ما هن ؟ قال : الرجل يحب الرجل و لم ير منه خيرا ، و[٢] الرجل
يبغض الرجل و لم ير منه شرا ، فقال على رضى الله عنه : نعم ! سمعت
رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : إن الأرواح جنود[٣] مجندة ،[٤] فما
تعارف منها ائتلف ، و ما تناكر منها اختلف ، قال عمر : واحدة ، [قال -[٥]] :
١٠ و الرجل يحدث الحديث إذ نسيه [فبينا هو و ما نسيه -[٥]] إذ ذكره ؟
فقال على رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول :
[ما -[٦]] من القلوب قلب إلا وله سحابة كسحابة القمر ، بينما [٧]القمر مضىء[٧]
إذ علته[٨] سحابة فأظلم إذ[٩] تجلت [فأضاء ، و بينا القلب يتحدث إذ
تجللته سحابة فنسى إذ تجلت -[٥]] عنه فذكر ، فقال عمر رضى الله عنه :

(١) و كتاب ابن منده اسمه الكامل : كتاب النفس و الروح ، و الحديث قد ذكره عنه ابن قيم فى كتاب الروح ٤٤ و ما بعدها (٢) فى ظ : او (٣) من ظ و مد و الروح ، و فى الأصل : جند (٤) زيد فى الروح : تلتقى فى الهواء فتشام .
(٥) زيد من الروح (٦) زيد من ظ و مد و الروح (٧-٧) فى مد : يضىء .
(٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : غلبته ، و فى الروح : تجللته (٩) فى ظ : اذا .

اثنتان، و قال: [و -[1]] الرجل يرى[2] الرؤيا[3]، فمنها ما يصدق و منها[3] ما يكذب؟ قال: نعم! سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: ما من عبد [4]أو أمة[4] ينام فيستثقل[5] نوما إلا عرج بروحه إلى العرش، [6]فالتي لاتستيقظ[6] [[7]إلا عند[7] العرش فتلك الرؤيا التي تصدق، و[8] [9]التي تستيقظ[9] -[10]] دون العرش [11]فتلك الرؤيا[11] التي تكذب[12]، فقال عمر ٥ رضي الله عنه: ثلاث كنت في طلبهن فالحمد لله الذي أصبتهن[13] قبل الموت - و كذا أخرج الطبراني حديث سلمان كحديث أبي هريرة - رضي الله عنهم أجمعين، و أنشدوا لأبي نواس [في المعنى -[14]]:

إن القلوب لأجناد مجندة ... لله في الأرض بالأهواء تعترف

فما تعارف منها فهو مؤتلف ... و ما تناكر منها فهو مختلف ١٠

و لما ثبت هذا كانت نتيجته قطعا: ﴿اولّئك﴾ أي العالو الأوصاف بالطهارة و الطيب ﴿مبرءون﴾ ببراءة الله و براءة كل من له تأمل في مثل هذا الدليل ﴿مما يقولون﴾ أي القذفة الأخابث[15] لأنها لاتكون

---

(١) زيد من الروح (٢) من ظ و مد و الروح، و في الأصل: يروى. (٣) سقط من ظ (٤-٤) من ظ و مد، و في الأصل: و لا آمة، و ليس ما بين الرقمين في الروح (٥) في الروح: يثمل - كذا (٦-٦) من ظ و مد، و في الأصل والروح: فالذى لايستيقظ (٧ - ٧) في الروح: دون (٨) زيد في ظ و مد: الرويا، و لم تكن الزيادة في الروح فحذفناها (٩ - ٩) في الروح: الذى يستيقظ (١٠) زيد من ظ و مد و الروح (١١ - ١١) في الروح: فهي. (١٢) من ظ و مد و الروح، و في الأصل: يكذب (١٣) من ظ و مد و الروح، و في الأصل: اعيتهن (١٤) زيد من ظ و مد (١٥) من ظ و مد، و في الأصل: الاجانب.

زوجة أطيب الطيبين إلا و هى كذلك .

و لما أثبت لهم البراءة ، استأنف الإخبار بجزائهم فقال: ﴿لهم مغفرة﴾ أى لما قصروا فيه إن قصروا . و لما كان فى معرض الحث على الإنفاق على بعض الآفكين[1] قال: ﴿و رزق كريم﴾ أى يحيون به حياة طيبة، ٥ و يحسنون به إلى[2] من أساء إليهم[3]، و لا ينقصه ذلك لكرمه فى نفسه بسعته و طيبه و غير ذلك من خلال[4] الكرم .

و لما أنهى سبحانه الأمر فى براءة عائشة رضى الله عنها على هذا الوجه الذى كساها به [5]من الشرف[5] ما كساها ، و حلاها برونقه من مزايا [6]الفضل ما حلاها ، و كأن أهل الإفك قد فتحوا بإفكهم هذا باب ١٠ الظنون السيئة عداوة من[6] إبليس لأهل هذا الدين بعد أن كانوا فى ذلك و فى كثير من سجاياهم -[7]إذ كان[7] قانعا [منهم -[8]] بداء الشرك - على الفطرة الأولى ، أمر تعالى ردا لما أثار بوسواسه من الداء بالتنزه / عن ٦٣٩/ مواقع التهم و التلبس بما يحسم[9] الفساد فقال: ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا﴾ أى ألزموا أنفسهم[10] هذا الدين ﴿لا تدخلوا﴾ أى واحد[11] منكم، و لعله

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاولين (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : على (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : عليهم (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : جلال (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من مد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٧ - ٧) فى ظ : اذا كانوا (٨) زيد من ظ و مد (٩) زيد فى الأصل : هذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : انفسكم (١١) من مد ، و فى الأصل و ظ . واحدا .

خاطب[1] الجمع لأنهم فى مظنة أن يطردوا[2] الشيطان بتزين[3] بعضهم بحضرة[4] بعض بلباس التقوى ، فمن خان[5] منهم منعه إخوانه ، فلم يتمكن منه شيطانه ، فنهى[6] الواحد من باب الأولى ﴿ بيوتا غير بيوتكم ﴾ [أى - [7]] التى هى سكنكم ﴿ حتى تستانسوا ﴾ أى تطلبوا بالاستئذان أن يأنس بكم من فيها و تأنسوا به ، فلو قيل له : من ؟ فقال : أنا[8] ، لم يحصل الاستئناس ٥ لعدم معرفته ، بل الذى عليه أن يقول : أنا فلان - يسمى نفسه بما يعرف به ليؤنس به فيؤذن له أو[9] ينفر منه فيرد ﴿ و تسلموا على[2] اهلها[4] ﴾ أى الذين هم سكانها و لو بالعارية منكم فتقولوا[10] : السلام عليكم ! أأدخل ؟ أو[11] تطرقوا[12] الباب إن كان قد لا يسمع الاستئذان ليؤذن لكم ﴿ ذلكم ﴾ الأمر العالى الذى أمرتكم به ﴿ خير لكم ﴾ مما كنتم تفعلونه ١٠ من الدخول بغير إذن و من تحية الجاهلية ، لأنكم إذا دخلتم بغير إذن ربما[13] رأيتم ما يسوءكم ، و إذا استأذنتم لم تدخلوا على ما تكرهون[14] ، هذا فى الدنيا ، و أما فى الأخرى[15] فأعظم ، و قد روى أبو موسى

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يخاطب (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تطروا - كذا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بتزيين (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : لحضرة (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : خاف (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : فهى (٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : انا (٩) فى ظ : ان - كذا (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيقولوا .
(١١) فى مد « و » (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : يطرق (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : وبما (١٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : يكرهون .
(١٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الآخرة .

الأشعري[1] رضى الله عنه[2] : إذا سلم ثلاثا فلم يجبه أحد فليرجع . وكان هذا إذا ظن أن صاحب البيت سمع .

و لما كان كل إنسان لاينفك عن أحوال [يكره -[3]] أن يطلع عليها أو تقطع[4] عليه ، قال: ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ أى لتكون[5] حالكم ٥ حال من يرجى أن يتذكر برجوعه إلى نفسه عند سماع هذا النهى ، فيعرف أن ما يسوءه من غيره يسوء غيره [منه -[3]] ، فيفعل ما يجب أن يفعل معه خوفا من المقابلة ، لأن الجزاء من جنس العمل ، و كل ما يجب عليه فى غير بيته يستحب[6] [له -[7]] فى بيته بنحو التنحنحة و رفع الصوت بالذكر و نحوه على ما أشار إليه حديث النهى عن ١٠ الطروق لكيلا يرى من أهله ما يكره .

و لما كان السكان قد يكونون غائبين ، و الإنسان لكونه عورة لا يحب أن يطلع[8] غيره على جميع أموره ، قال : ﴿ فان لم تجدوا فيهآ ﴾ أى البيوت التى ليس بها سكناكم[9] ﴿ احدا ﴾ قد يمنعكم ، فالله يمنعكم منها ، تقديما لدرء المفاسد ﴿ فلا تدخلوها ﴾ [أى -[3]] أبدا

(١) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/٥٥ (٢) زيد فى الأصل : انه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : يقطع (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ليكون (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يستخيا (٧) زيد من مد (٨) زيد فى الأصل : عليه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٩) فى ظ : سكنى ، و فى مد : سكانكم .

﴿حتى يؤذن لكم ج﴾ من آذن ما بإذن شرعي من الساكن أو غيره، لأن الدخول تصرف في ملك الغير أو حقه فلا يحل بدون إذنه. و لما كان كأنه قيل: فان أذن لكم في شيء ما[1] استأذنتم فيه فادخلوا، عطف عليه قوله: ﴿و ان قيل لكم﴾ من[2] قائل [ما إذا -[3]] استأذنتم في[4] بيت فكان خاليا أو فيه أحد: ﴿ارجعوا فارجعوا﴾ أي و لا تستنكفوا ٥ من أن تواجهوا بما تكرهون من صريح المنع، فان الحق أحق أن يتبع، و للناس عورات و أمور لا يحبون اطلاع غيرهم عليها.

و لما كان في المنع نقص يوجب غضاضة و وحرا في الصدر، وعد سبحانه عليه بما[5] يجبر ذلك، فقال على طريق الاستئناف: ﴿هو﴾ أي الرجوع [المعين -[6]] ﴿ازكى﴾ أي أطهر و أنمى ﴿لكم ج﴾ فان فيه ١٠ طهارة من غضاضة الوقوف على باب الغير، و نماء بما يلحق صاحب البيت من الاستحياء عند امتثال أمره في الرجوع مع ما في ذلك عند الله. / ٦٤٠

و لما كان التقدير: فالله يجازيكم على امتثال أمره، و كان الإنسان[7] قد يفعل في البيوت الخالية و غيرها من الأمور الخفية ما يخالف ما أدب [به -[6]] سبحانه مما صورته مصلحة و هو مفسدة، عطف على ذلك المقدر ١٥ قوله: ﴿و الله﴾ أي الملك الأعلى. و لما كان المراد المبالغة في العلم، قدم الجار ليصير كما إذا سألت شخصا[8] عن علم شيء فقال لك: ما

(١) من ظ و مد، و في الأصل: مما (٢) زيد في الأصل: أي، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٣) زيد من ظ و مد، غير أن «إذا» ليست في ظ (٤) من ظ و مد، و في الأصل: على (٥) في ظ: ما (٦) زيد من ظ و مد (٧) في ظ: الاتيان - خطأ (٨) من ظ و مد، و في الأصل: شيخا.

أعلم غيره ، فقال : ﴿ بما تعملون ﴾ أى و إن التبس[1] أمره على أحذق الخلق ﴿ عليم ﴾ لا يخفى عليه شيء منه و إن دق، فإياكم[2] و مشتبهات الأمور ، فإذا وقفتم للاستئذان فلا تقفوا تجاه الباب ، و لكن على[3] يمينه أو يساره ، لأن الاستئذان إنما جعل [4]من أجل[4] البصر ، و تحاموا

٥ النظر إلى الكوى التى قد ينظر منها أحد من أهل البيت ليعرف من على الباب : هل هو ممن يؤنس به[5] فيؤذن له . أو لا فيرد ، و نحو هذا من أشكاله مما لا يخفى على متشرع فطن[6] ، يطير طائر فكره فى فسيح ما أشار إليه مثل قوله صلى الله عليه و سلم : إذا حدث الرجل فالتفت فهى أمانة - رواه أحمد[7] و أبو داود[8] و الترمذى[9] عن جابر رضى الله عنه .

١٠ و لما كان من الأماكن - التى [قد -[10]] لا يوجد بها أحد - ما يباح الدخول إليه لخلوه أو عدم[11] اختصاص النازل[12] به كالخانات و الربط ، أتبع ما تقدم التعريف بأنه[13] لم يدخل [14] فى النهى فقال مستأنفا : ﴿ ليس عليكم جناح ﴾ أى [15]ميل بلوم[15] أصلا ﴿ ان تدخلوا بيوتا ﴾ كالخانات و الربط ﴿ غير مسكونة ﴾ ثم وصفها بقوله : ﴿ فيها متاع ﴾

(١) فى ظ : الملتبس (٢) تكرر فى ظ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : عن .
(٤-٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لاجل (٥) من ظ ، مد ، و فى الأصل : منه (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : نظن (٧) ٣/٣٢٤ و غيرها (٨) ٢/١٨٨ .
(٩) ٢/٢٤٢ (١٠) زيد من ظ و مد (١١) من مد ، و فى الأصل : لعدم ، و فى ظ : علم (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : النازل (١٣) تكرر فى مد (١٤) العبارة من هنا إلى «و الربط» ساقطة من ظ (١٥-١٥) بياض فى الأصل عباناه من مد .

أي

أى استمتاع بنوع انتفاع[1] كالاستظلال[2] و نحوه ﴿ لكم[3] ﴾ و يدخل فيه المعد للضيف إذا أذن فيه صاحبه فى أول الأمر و وضع الضيف متاعه فيه، لأن الاستئذان لئلا يهجم على ما يراد[3] الاطلاع عليه و يراد طيه[4] عن علم الغير، فاذا لم يخف ذلك فلا معنى للاستئذان .

و لما كان التقدير : فالله لا [يمنعكم عما -[5]] ينفعكم، و لا يضر غيركم، ٥ عطف عليه [قوله -[5]] : ﴿ و الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ يعلم ﴾ فى كل وقت ﴿ ما تبدون ﴾ [و أكد باعادة الموصول فقال -[5]] : ﴿ و ما تكتمون ﴾ تحذيرا من أن تزاحموا أحدا فى مباح بما يؤذيه و يضيق عليه، معتلّين بأصل الإباحة، أو يؤذن لكم فى منزل فتبطنوا فيه الخيانة [فانه و إن -[5]] وقع الاحتراز من الخونة بالحجاب فلابد ١٠ من الخلطة لما بنى عليه الإنسان من الحاجة إلى العشرة، و لذلك اتصل به على طريق الاستئناف قوله تعالى، مقبلا على أعلى خلقه فهما[6] و أشدهم لنفسه ضبطا دون بقيتهم، إشارة إلى صعوبة الأمر و خطر المقام، مخوفا[7] لهم بالإعراض عنهم، بالتردى برداء الكبر، و الاحتجاب فى مقام القهر : ﴿ قل للمؤمنين ﴾ فعبر بالوصف إشارة إلى عدم القدرة على الاحتراز ١٥ من المخالط[8] بعد الخلطة، و أنه لا يعف فيها إلا من رسخ الإيمان فى قلبه

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : الاستظلال (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : لايراد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : عليه (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : فيهما (٧) فى ظ : تخوفا .
(٨) فى ظ : المخالطة .

لخفاء الخيانة حينئذ بخلاف ما سبق فى المنع من الدخول حيث كان التعبير بـ «الذين امنوا» ﴿يغضوا﴾ أى يخفضوا و لا يرفعوا، بل يكفوا عما نهوا عنه.

و لما كان الأمر فى غاية العسر، قال: ﴿من ابصارهم﴾ باثبات "من" التبعيضية إشارة إلى العفو عن النظرة الأولى، و أن المأخوذ / به إنما هو التمادى. و لما كان [1]"البصر بريد[1] الزنا قدمه.

و لما كان حفظ الفرج لخطر المواقعة أسهل من حفظ البصر، و لأنه لا يفعل به من غير اختيار، حذف "من" لقصد العموم[2] فقال[3]: ﴿و يحفظوا فروجهم[5]﴾ [أى -[4]] عن كل حرام من كشف و غيره، و لم يستثن[5] الزوجة أو ملك اليمين استغناء عنه بما سبق فى المؤمنون، و لأن المقام للتهويل فى أمر الحفظ و التشديد، و رغب[6] فى ذلك بتعليله بقوله: ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العالى العظيم من كل من الغض و الحفظ الذى أمرتهم به ﴿ ازكى لهم[5] ﴾ أى أقرب إلى أن ينموا و يكثروا و يطهروا حسا و معنى و يبارك لهم، أما الحسى فهو أن الزنا مجلبة[7] للموت بالطاعون. و يورث الفقر و غيرهما من البلايا: ما من قوم ظهر فيهم الزنا إلا أخذوا بالسنة - رواه أحمد[8] عن عمرو بن العاص رضى الله عنهما[8]،

(١ - ١) من ظ و مد، و فى الأصل: النظر يودى الى - كذا (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: التعميم (٣) فى ظ: قال (٤) زيد من ظ و مد (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: لم يستثن (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: رغبة. (٧) من ظ و مد. و فى الأصل: محلية (٨) فى مسنده: ٤/٢٠٥ بلفظ: ما من قوم يظهر فيهم الزنا

و رواه عنـه أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الحكم فى كتاب الفتوح[1] و لفظه: ما من قوم يظهر فيهم[2] الزنا[3] إلا أخذوا بالفنا، و ما من قوم يظهر فيهم الربا[4] إلا أخذوا بالسنة، و ما من قوم يظهر فيهم الرشا إلا أخذوا بالرعب. الزنا يورث[5] الفقر - رواه البيهقى عن ابن عمر[6] رضى الله عنهما. إذا ظهر الزنا ظهر الفقر و المسكنة - رواه ابن ماجة ٥ و البزار - و هذا لفظه عن ابن عمر رضى الله عنهما - و البيهقى و لفظه: الزنا يورث الفقر. و فى رواية له[7]: ما ظهرت الفاحشة فى قوم قط يعمل بها فيهم علانية إلا ظهر فيهم الطاعون و الأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم. و رواه عنه ابن إسحاق فى السيرة فى سرية عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه إلى دومة الجندل[8] و لفظه: إنه لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى ١٠ يعلنوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون و الأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم الذين مضوا، و لم ينقصوا المكيال و الميزان إلا أخذوا بالسنين و شدة المؤنة وجور السلطان، و لم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، فلولا البهائم ما مطروا، و ما نقضوا عهد الله و عهد رسوله إلا[9] سلط عليهم عدو[9] من غيرهم، فأخذ بعض ما كان فى أيديهم، و ما ١٥

(١) أى فتوح مصر و أخبارها - راجع منها ص ٢٤٩ (٢) من ظ و مد و الفتوح. و فى الأصل: منهم (٣) فى الفتوح: الربا (٤) فى الفتوح: الزنا (٥) تكرر فى ظ (٦) راجع مسند الفردوس رقم الحديث: ٦٥٧٨ (٧) راجع سنن ابن ماجة ص ٣٠٠ (٨) راجع سيرة ابن هشام ٣/٨٨ و سنن ابن ماجة أيضا (٩-٩) من ظ و مد و السيرة، و فى الأصل و السنن: سلط الله عليهم عدوا.

لم يحكم[1] أئمتهم بكتاب الله و تجبروا[2] فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم . و فى الترغيب للمنذرى عن ابن ماجة و البزار و البيهقى عنه رضى الله عنه نحو هذا اللفظ ، و فى آخر السيرة[3] عن أبى بكر رضى الله عنه فى خطبته عند ما ولى الخلافة : لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله ٥ إلا ضربهم الله بالذل ، و لا تشيع الفاحشة فى قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء . و فى الموطأ[4] عن مالك عن[5] يحيى بن سعيد أنه بلغه عن ابن عباس رضى الله عنهما [أنه - [6]] قال : ما ظهر الغلول فى قوم [قط - [7]] إلا ألقى[8] فى قلوبهم الرعب ، و لا فشا الزنا فى قوم [قط - [7]] إلا كثر فيهم الموت ، و لا نقص قوم قط[9] المكيال و الميزان إلا قطع[8] عنهم ١٠ الرزق ، و لا حكم قوم بغير الحق إلا فشا فيهم الدم ، و لا ختر قوم بالعهد[10] إلا سلط[8] عليهم العدو . و روى الطبرانى[11] فى الأوسط عن / أبى ذر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : إذا كثرت الفاحشة كثر الفساد و جار السلطان ، و فيه : أمثلهم فى[12] ذلك الزمان المداهن . إذا[13] ظهر الربا و الزنا فى قرية أذن الله فى هلاكها - رواه الطبرانى عن ابن عباس

٦٤٢ /

---

(١) من مد و السيرة ، و فى الأصل و السنن : لم تحكم ، و فى ظ : لم - كذا .
(٢) من السيرة ، و فى الأصول : ينجزوا ، و فى السنن : يتخيروا (٣) ١٠٢/٣ .
(٤) ص ١٧٣ (٥) فى ظ : بن - خطأ (٦) زيد من ظ و مد و الموطأ (٧) زيد من الموطأ (٨) زيد فى الأصل : الله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و الموطأ فحذفناها (٩) ليس فى الموطأ (١٠) من ظ و مد و الموطأ ، و فى الأصل : العهد .
(١١) راجع مجمع الزوائد : ٣٢٥/٥ (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الا .

رضي الله عنهما ، و أما المعنوي فروى الإمام أحمد[1] عن أبي أمامة رضي الله عنه قال[2]: ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة[3] ثم يغض بصره إلا أخلف[3] الله له عبادة يجد حلاوتها . قال ابن كثير[4] : و روي هذا مرفوعا عن ابن[5] عمر و حذيفة و عائشة رضي الله عنهم و لكن في[6] أسانيدها ضعف . و ساق له شاهدا من الطبراني عن ابن مسعود رضي الله ٥ عنه بلفظ : إن النظرة[7] سهم من سهام إبليس مسموم ، من تركها[8] مخافتي أبدلته إيمانا يجد حلاوته في قلبه . فعلم من ذلك أن من تخلق[9] بما أمره[10] الله هنا كان قلبه موضعا للحكمة ، و فعله أهلا للنجح ، و ذكره مقرونا بالقبول .

و لما كان[11] الزكاء يتضمن التكثير و التطهير ، و كان الكلام هنا في ١٠ غض البصر ، و كان ظاهرا جدا في الطهارة ، لم يدع داع إلى التأكيد بالتصريح بالطهارة ، و أما آية البقرة[12] فلما كانت في العضل ، و كان لا يكون [إلا -[13]] عن ضغائن و إحن[14] ، فكان الولي ربما ظن أن منعها عمن عضلها عنه أطهر له و لها ، أكد العبارة بفعل الزكاء بالتصريح بما[15]

---

(١) في مسنده ٥ / ٢٦٤ (٢) زيد في المسند : أول مرة (٣) في المسند : أحدث
(٤) راجع تفسيره ٣ / ٢٨٢ (٥) في التفسير : ابي (٦) سقط من ظ (٧) في التفسير : النظر (٨) زيد في الأصول : من . و لم تكن الزيادة في التفسير فحذفناها .
(٩) من ظ ومد ، وفي الأصل : خلق (١٠) من ظ و مد ، وفي الاصل : امر .
(١١) زيد في الأصل : عدم الزنا في ان ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (١٢) رقم ٢٣٢ (١٣) زيد من ظ و مد (١٤) من ظ و مد . و في الأصل : احر (١٥) من ظ و مد ، و في الأصل : بما .

أفهمه من الطهارة .

و لما كان المقام صعبا لميل النفوس إلى الدنايا و اتباعها للشهوات ، علل هذا الأمر مرغبا و مرهبا بقوله: ﴿ ان الله ﴾ [أي - [1]] الذى لا يخفى عليه شيء لما له من الإحاطة الكاملة ﴿ خبير ﴾ و لما كان وازع
٥ الحياء مع ذلك مانعا عظيما فلا يخالف إلا بمعالجة و تدرب ، عبر بالصنعة فقال: ﴿ بما يصنعون ه ﴾ أي و إن تناهوا فى إخفائه ، و دققوا فى تدبير المكر فيه .

و لما بدأ بالقومة من الرجال ، ثنى بالنساء فقال : ﴿ و قل للمؤمنت ﴾ فرغب أيضا بذكر هذا الوصف الشريف ﴿ يغضضن ﴾ [و لما كان المراد
١٠ الغض عن بعض المبصرات و هم المحارم قال - [2]] : ﴿ من ابصارهن ﴾ فلا يتبعنها [3] النظر إلى منهى عنه من رجل أو غيره ، و أجابوا عن حديث [4] عائشة رضى الله عنها فى النظر إلى لعب الحبشة فى المسجد باحتمال أنها كانت دون البلوغ لأنها قالت : فاقدروا [5] قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو . ﴿ و يحفظن فروجهن ﴾ عما لا يحل لهن من
١٥ كشف و غيره .

و لما كان [النساء - [2]] حبائل الشيطان ، أمرن بزيادة الستر بقوله ،

---

(١) زيد من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : و لا يتبعها (٤) رواه البخارى فى صحيحه - باب نظر المرأة إلى الحبش و نحوهم من غير ريبة : كتاب النكاح (٥) فى ظ : و اقدروا .

ناهيا

ناهيا عن الزينة ليكون[1] النهي عن مواقعها من الجسد أشد و أولى: ﴿و لا يبدين زينتهن﴾ أي كالحلي و الفاخر من الثياب فكيف بما وراءها ﴿الا ما ظهر منها﴾ أي كان بحيث يظهر فيشق التحرز[2] في إخفائه فبدا من غير قصد كالسوار[3] و الخاتم[4] و الكحل فانها[5] لا بد لها من مزاولة حاجتها بيدها و من كشف وجهها[6] في الشهادة و نحوها. ٥

و لما كان أكثر الزينة في الأعناق و الأيدي و الأرجل، وكان دوام ستر الأعناق أيسر و أمكن، خصها فقال: ﴿و ليضربن﴾ من الضرب، و هو وضع الشيء بسرعة و تحامل، يقال: ضرب في عمله: أخذ فيه، و ضرب بيده إلى كذا: أهوى، و على يده: أمسك، و ضرب الليل بأرواقه: أقبل، و الضارب: الليل الذي ذهبت ظلمته / يمينا و شمالا ١٠ / ٦٤٣ و ملأت الدنيا، و الضارب: الطويل من كل شيء و المتحرك.

و لما كان المقصود من هذا الضرب بعض الخمار، و هو ما لاصق الجيب منه، عداه بالباء فقال: ﴿بخمرهن﴾ جمع خمار، و هو منديل يوضع على الرأس، و قال أبوحيان[7]: و هو المقنعة التي[8] تلقي المرأة على رأسها. ﴿على جيوبهن﴾ جمع جيب، و هو خرق الثوب الذي ١٥

---

(١) في ظ: لايكون - خطأ (٢) من ظ و مد، و في الأصل: بالتحرز.
(٣) زيد في الأصل: به، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٤) من ظ و مد، و في الأصل: الخواتم (٥) في ظ: و انها (٦) من ظ و مد، و في الأصل: وجها (٧) في البحر المحيط ٦/ ٤٤٣ (٨) من ظ و مد والبحر، و في الأصل: الذي.

يحيط بالعنق، فالمعنى حينئذ : [1]يهوين بها[1] إلى ما تحت العنق و يسبلنها من جميع الجوانب و يطولنها سترا للشعر و الصدر و غيرهما مما هنالك، و كأنه اختير لفظ الضرب إشارة إلى قوة القصد للستر و إشارة[2] إلى العفو عما قد يبدو عند تحرك الخمار عند مزاولة[3] شيء من الخل، قال
٥ أبو حيان[4] : و كان النساء يغطين رؤسهن بالأخمرة و يسدلنها من وراء الظهور فيبقى النحر و العنق و الآذان لا ستر عليهن . و روى البخاري في التفسير[5] عن عائشة رضي الله عنها قالت : يرحم الله نساء المهاجرات الأول[6] لما نزلت "و ليضربن بخمرهن" شققن مروطهن - و في رواية : أخذن أزرهن فشققنها من قبل الحواشي - فاختمرن بها . يعني
١٠ تستترن[7] ما قدام . و الإزار هنا[8] الملاء .

و لما كان ذكر الجيب ربما أوهم خصوصا في الزينة، عم بقوله : ﴿ و لا يبدين ﴾ أو[9] كرره لبيان [10]من يحل[10] الإبداء [11]له و من لا يحل، و للتأكيد ﴿ زينتهن ﴾ أي الخفية في أي موضع كانت من عنق أو غيره[12] ،

(١ - ١) من ظ و مد، و في الأصل : تهوين لها (٢) من ظ و مد، و في الأصل : اشار (٣) في ظ : مناولة (٤) في البحر المحيط ٦/٤٤٨ (٥) ٢ / ٧٠٠ . (٦) زيدت الواو في الأصل، ولم تكن في ظ ومد و الصحيح حذفناها (٧) من ظ و مد، وفي الأصل : فسترن (٨) في ظ و مد: ههنا (٩) في ظ : اى، و العبارة من هنا إلى «من لا يحل» متكورة في الأصل ببعض المفارقات (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ (١١) العبارة من هنا إلى «و للتأكيد» ساقطة من ظ .
(١٢) من ظ و مد، و في الأصل : غيرها .

و هى ما عدا الوجه و الكفين ، و ظهور القدمين ، [1] بوضع الجلباب ،
و هو الثوب الذى يغطى الثياب و الخمار - قاله ابن عباس رضى الله عنهما .
﴿الا لبعولتهن﴾ أى أزواجهن ، فان الزينة لهم جعلت . قال أبو حيان[2] :
ثم ثنى بالمحارم و سوى بينهم فى إبداء الزينة ، و لكن تختلف مراتبهم
فى الحرمة بحسب[3] ما فى نفوس البشر [فالأب [4] و الأخ[4] ليس -[5]] ٥
كابن الزوج - انتهى . فقال تعالى : ﴿ او اٰبآئهن ﴾ أى فان لهم عليهن
من الشفقة ما يمنع النظر بالشهوة و[6] مثلهم فى هذا المعنى سواء الأعمام
و الأخوال و كل منهما والد[7] مجازا [بدليل[8] " و اٰله اٰبائك ابرٰهم
و اسمٰعيل" -[9]] ﴿ او اٰبآء بعولتهن ﴾ فان رحمتهم لأولادهم مانعة
﴿ او ابنآئهن ﴾ [فان لهن [10] عليهن من الهيبة ما يبعد عن ذلك ١٠
﴿او ابنآء بعولتهن﴾ -[9]] فان هيبة آبائهم[11] حائلة ﴿ او اخوانهن﴾ فان
لهم من الرغبة فى صيانتهن عن العار ما يحفظ من الريبة[12] ﴿ او بنىٓ ﴾
[عدل به عن جمع التكسير لئلا يتوالى أربع مضمرات من غير فاصل
حصين فتنقص عذوبته -[9]] ﴿اخوانهن او بنىٓ اخواتهن﴾ فانهم كأبنائهن
﴿او نسآئهن ﴾ أى المسلمات ، و أما غير المسلمات فحكمهن حكم الرجال؛ ١٥

(١) العبارة من هنا إلى « رضى الله عنهما » متكررة فى الأصل بعد « وللتأكيد » ص ٢٦٠ س ١٣ (٢) فى البحر المحيط ٦/٤٤٨ (٣) من ظ ومد و البحر ، و فى الأصل : بسبب (٤-٤) ليس فى ظ ومد (٥) زيد من ظ ومد والبحر (٦) زيد فى ظ : فى (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: واكد (٨) سورة ٢ آية ١٣٣ (٩) زيد من ظ ومد (١٠) كذا (١١) فى ظ : آبائهن (١٢) من مد ، وفى الأصل : الزينة ، و فى ظ : الرتبة .

روى سعيد بن منصور فى سننه عن عمر رضى الله عنه[١] أنه كتب إلى
أبى عبيدة رضى الله عنه ينهى عن دخول الذميات الحمام مع المسلمات ،
و قال : فانه لايحل لامرأة تؤمن بالله و اليوم الآخر أن ينظر إلى عورتها
إلا أهل ملتها ؛ و فى مسند عبد بن حميد نحوه[٢] عن ابن عباس رضى الله
٥ عنهما[٣]. ﴿او ما ملكت ايمانهن﴾ أى من الذكور و الإناث و إن كن
غير مسلمات لما لهن عليهن[٤] من الهيبة ، و حمل ابن المسيب الآية على
الإماء فقط ؛ قال أبو حيان[٣]: قال الزمخشرى : و هذا / هو الصحيح ، /٦٤٤
لأن عبد المرأة بمنزلة الأجنبى منها خصيا كان أو فحلا ، و عن ميسون[٥]
ابنة بحدل الكلابية أن معاوية رضى الله عنه دخل عليها[٦] و معه[٧] خصى
١٠ فتقنعت منه فقال : هو خصى ، فقالت : يا معاوية ! أترى المثلة به[٨] تحلل
ما حرم الله - انتهى . و قصة مابور[٩] ترد هذا ، و قوله : الكلابية ،
قال شيخنا[١٠] فى تخريج الكشاف : صوابه : الكلبية - باسكان اللام .
﴿ او التابعين ﴾ أى للخدمة أو غيرها ﴿ غير اولى الاربة ﴾ أى الحاجة
إلى الاستمتاع بالنساء ﴿ من الرجال ﴾ كالشيوخ الفانين و من بهم علة
١٥ منعت شهوتهم ، و كذا من كان ممسوحا[١١] لقصة مابور ﴿ او ﴾ من

(١) راجع روح المعانى ٦/٥٤ و المعالم بهامش اللباب ٥/٥٧ (٢) سقط من مد .
(٣) راجع البحر المحيط ٦ / ٤٤٨ (٤) فى مد : عليهم (٥) من ظ و مد و البحر ،
و فى الأصل : مسرف - كذا (٦) فى ظ : عليهما (٧) فى مد : معها (٨) ليس
فى البحر (٩) راجع الإصابة ٦/١٣ (١٠) أى ابن حجر ، و كان فى الأصل : سهما ،
و التصحيح من ظ و مد (١١) فى ظ : ممسوخا .

﴿الطفل﴾ أى جنسه، و الطفل الصغير ما لم يبلغ الحلم أو خمس عشرة سنة، و هو فى الأصل: الرخص الناعم من كل شيء، وكأنه سمى بذلك لأنه يخرج ملتبسا[1] بالتراب الذى تأكله[2] الحامل، قال فى القاموس[3]: و طَفِلَ النبتُ كفرح و طفل بالضم تطفيلا: أصابه التراب، و الطفال، كغراب و سحاب: الطين اليابس. قال القزاز: و يسميه أهل نجد الكلام[4]، ٥ و العامة تقول لجنس[5] منه: طفل. ﴿الذين لم يظهروا﴾ أى لم يعلوا[6] بالنظر المقصود للاطلاع ﴿على عورٰت النسآء﴾ لعدم بلوغ سن الشهوة لذلك.

و لما نهى عن الإظهار، نبه على أمر خفى منه فقال: ﴿و لا يضربن بارجلهن﴾ أى و الخلاخيل و غيرها من الزينة فيها. ١٠ و لما كان ذلك لمطلق الإعلام، بناه للفعول فقال: ﴿ليعلم ما يخفين﴾ أى بالساتر الذى أمرن به ﴿من زينتهن﴾ بالصوت الناشىء من الحركة عند الضرب المذكور، و فى معنى ذلك التطيب. و النهى عن ذلك يفهم النهى[7] عن موضعه من الجسد من باب الأولى.

و لما انهى[8] سبحانه ما أمره صلى الله عليه و سلم بالتقدم فيه إلى ١٥ الرجال و النساء، وكان من المعلوم أن العبد الحقير المجبول على الضعف

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: متلبسا (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: ماكله. (٣) ٤/٧ (٤) بالضم - كما ذكره فى تاج العروس عن ابن دريد [كلم] (٥) فى ظ: الجنس (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: لم يعلموا (٧) فى ظ: المنهى (٨) من ظ ومد، و فى الأصل: نهى.

الموجب للتقصير لن يقدر على أن يقدر المولى العلى الكبير حق قدره و إن أبلغ فى الاجتهاد و زاد فى التشمير ، أتبعه التلطف بالإقبال عليهم فى الأمر باقبالهم إليه إشارة إلى أن الأمر فى غاية الصعوبة ، و أن الإنسان لكونه محل الزلل و التقصير - و إن اجتهد - لايسعه إلا إحسان

٥ الرحيم الرحمن ، فقال : ﴿ و توبوآ الى الله ﴾ أى ارجعوا إلى طاعة الملك الأعلى مهما حصل منكم[1] زيغ كما كنتم تفعلونه[2] فى الجاهلية ﴿جميعا﴾ رجالكم و نساؤكم ﴿ ايه المؤمنون ﴾ و التعبير بالوصف إشارة إلى علو مقام التوبة بأنه[3] لايقدر على ملازمتها إلا راسخ القدم فى الإيمان، عارف بأنه - و إن بالغ فى الاجتهاد - واقع فى النقصان ، [و هذا الأمر

١٠ للوجوب ، و إذا كان للراسخين فى الإيمان فمن دونه من باب الأولى -[4]] ﴿لعلكم تفلحون ه﴾ أى لتكونوا على رجاء [من -[4]] الفوز بالمطلوب[5] الذى مضى أول سورة المؤمنون تعليقه بتلك الأوصاف التى منها رعاية الأمانة و لاسيما فى الفروج ؛ [قال الغزالى فى كتاب التوبة[6] من الإحياء: إن الإنسان من حيث جبل على النقص لا يخلو عما يوجب عليه التوبة ،

١٥ فان خلا فى بعض الأحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب ، فان[7] خلا عنه فلا يخلو عن وسواس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله ، فان خلا[8] عنه فلا يخلو عن غفلة

---

(١) من ظ ومد ، و فى الأصل : لكم (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : تفعلون .
(٣) فى ظ : فانه (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : المطلوب (٦) ٤/٧ (٧) فى مد : فلا (٨) سقط من مد .

و قصور فى العلم بالله و صفاته و أفعاله ، و كل ذلك نقص ، و له أسباب ، و ترك أسبابه بالتشاغل بأضدادها[1] رجوع عن طريق إلى ضده ، و المراد بالتوبة الرجوع[2] ، و لايتصور الخلو فى حق الآدمى عن هذا النقص ، و إنما يتفاوتون فى المقادير -[3]] .

و لما تقدم سبحانه إلى عباده فى الأمور العامة للأحوال و الأشخاص ٥ فى الزنا و أسبابه ، فحكم و قرر ، و وعظ و حذر ، أتبعه أسباب العصمة التى هى نعم العون على التوبة فقال مرشدا : ﴿ و انكحوا الايامى ﴾ مقلوب أيايم جمع أيم ، وزن فعيل من آم ، عينه ياء ، و هو العزب ذكرا كان أو أنثى ثيبا أو بكرا ﴿ منكم ﴾ أى من أحراركم[4] ، و أغنى لفظ الأيم عن / ذكر الصلاح لأنه لايقال لمن قصر عن درجة النكاح ١٠ / ٦٤٥ ﴿ و الصلحين ﴾ أى للنكاح ﴿ من عبادكم و امآئكم ﴾ أى أرقائكم الذكور و الإناث ، احتياطا لمصالحهم و [صونا لهم عن الفساد -[5]] امتثالا لما ندب إليه حديث[6] « تناكحوا تكاثروا[7] فانى أباهى بكم الامم يوم القيامة » .

و لما كان للزواج[8] كلف يهاب لأجلها ، لما طبع الآدمى عليه من ١٥ الهلع[9] فى قلة الوثوق بالرزق ، أجاب من كأنه قال : قد يكون الإنسان

(١) من الإحياء ، و فى الأصول : باضداده (٢) فى الإحياء ، رجوع (٣) زيد من ظ و مد و الإحياء (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : حواركم (٥) زيد من ظ و مد (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : تناسلوا ، و فى رواية عبد الرزاق : تكثروا - راجع كنوز الدقائق (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : الزواج (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : الهلح - كذا .

غير قادر لكونه معدما[1]. بقوله: ﴿ ان يكونوا ﴾ أى كل من ذكر من
حر أو عبد، [2] و التعبير[2] بالمضارع يشعر بأنه قد يكون فى النكاح ضيق[3]
و سعة ﴿فقرآء﴾ أى من المال ﴿يغنهم الله﴾ أى الذى له الكمال كله[4]،
إذا تزوجوا ﴿ من فضله[4] ﴾ لأنه [قد -[5]] كتب لكل نفس رزقها[6]
٥ فلا [7]يمنعكم فقرهم[7] من إنكاحهم، و عن ابن أبى حاتم عن أبى بكر
الصديق رضى الله عنه [أنه قال: أطيعوا الله فيما أمركم به من - [8]]
النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنا. و قال البغوى[9]: قال عمر
رضى الله عنه: [10] عجبت لمن يبتغى[11] الغنا بغير النكاح - و قرأ هذه الآية.
و عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال: التمسوا الغنى [12]فى النكاح[12]،
١٠ و تلا هذه الآية - رواه ابن جرير[13]. و لأحمد[14] و [الترمذى[15] و -[5]]
النسائى[16] و ابن ماجة[17] عن أبى هريرة رضى الله عنه رفعه: ثلاثة حق
على الله عونهم: الناكح يريد العفاف، و المكاتب يريد الأداء، و الغازى

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: مقدما (٢-٢) فى ظ: فالتعبير (٣) فى ظ: فى.
(٤) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) زيد من
ظ و مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: رزقا (٧-٧) فى ظ: يمنعها فقركم.
(٨) زيد من ظ و مد و كنز العمال ٨ / ٢٨٥ (٩) راجع المعالم على هامش
اللباب ٥/ ٦٠ (١٠) العبارة من هنا إلى « الغنا بغير » متكررة فى الأصل بعد
« الصديق رضى الله عنه » س ٦ (١١) فى المعالم: ابتغى (١٢-١٢) سقط ما بين
الرقمين من ظ (١٣) راجع من تفسيره الجزء ١٨/ ٨٨ (١٤) فى مسنده ٢/ ٤٣٧.
(١٥) ١/ ٢١٠ (١٦) ٢/ ٥٧ (١٧) ١/ ٨٤.

فى

فى سبيل الله . و يؤيده ما فى الصحيح[1] من حديث الواهبة نفسها حيث زوجها رسول الله صلى الله عليه و سلم لمن [لم - [2]] يجد و لا خاتما من حديد .

و لما كان التقدير : فالله ذو فضل عظيم ، عطف عليه قوله : ﴿ و الله ﴾ [أى -[2]] ذو الجلال و الإكرام ﴿ واسع عليم ﴾ أى[3] فهو بسعة قدرته ٥ يسوق ما كتبه للمرأة على يد الزوج ، و بشمول علمه يسبب[4] أسبابه .
و لما أمر سبحانه بما يعصم من الفتنة من غض البصر [ثم - [2]] بما يحصن من النكاح[5]، و جرأ[6] عليه بالوعد بالإغناء[7]، و كان هذا الوعد فيما بعد النكاح ، و قدم الكلام فيه ترغيبا للانسان فى التوكل و الإحصان ، و كان قبله ما قد يتعذر لأجله إما بعدم وجدان المهر و ما يطلب منه تقديمه ، ١٠ أو بعدم رضى العبد و غيره بكون[8] ولده رقيقا أو غير ذلك ، أتبعه قوله حاثا على قمع النفس الأمارة عند العجز : ﴿ و ليستعفف ﴾ أى يبالغ فى [طلب - [2]] العفة [و إيجادها - [2]] عن الحرام ﴿ الذين لايجدون نكاحا ﴾ أى قدرة عليه و باعثا[9] إليه ﴿ حتى يغنيهم الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بجميع صفات الكمال ﴿ من فضله ﴾ فى ذلك الذى ١٥

(١) ٧٦٧/٢ (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ (٤) من مد ، وفى الأصل و ظ : بسبب (٥) زيد فى الأصل : و وعد ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : جو (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالاعتنا (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : و يكون . (٩) فى ظ : باحثا .

تعذر عليهم النكاح بسببه .

و لما كان من جملة الموانع كما تقدم[١] خوف الرق على الولد لمن له من الرقيق همة علية ، و نفس أبية ، أتبعه قوله : ﴿و الذين يبتغون﴾ أى يطلبون طلبا عازما ﴿الكتب﴾ أى المكاتبة ﴿مما ملكت ايمانكم﴾

٥ ذكرا كان أو أنثى ؛ و عبر بـ «ما» إشارة[٢] إلى ما فى الرقيق من النقص ﴿فكاتبوهم﴾ أى ندبا لأنه معاوضة تتضمن[٣] الإرفاق على [ما -[٤]] يؤدونه إليكم منجما ، فاذا أدوه عتقوا ﴿ان علمتم فيهم خيرا صلى ق﴾ أى تصرفا صالحا فى دينهم و دنياهم لئلا يفسد حالهم بعد الاستقلال بأنفسهم؛ قال ابن كثير[٥] : و روى أبو داود فى كتاب المراسيل عن يحيى بن / أبى ٦٤٦/

١٠ كثير قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن علمتم فيهم[٦] حرفة[٧] و لا ترسلوهم كلا على الناس - انتهى . و لعله عبر بالعلم فى موضع[٨] الظن لذلك ﴿و اتوهم﴾ وجوبا إذا أدوا إليكم ﴿من مال الله﴾ [أى -[٤]] الذى عم[٩] كل شيء بنعمته[١٠]، لأنه الملك الأعظم ﴿الذى اتكم ط﴾ و لو بحط شيء من مال الكتابة .

١٥ و لما أمر سبحانه بالجود فى أمر الرقيق تارة بالنفس ، و تارة

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بقدم (٢) فى ظ : اشار (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : يتضمن (٤) زيد من ظ و مد (٥) راجع تفسيره ٣ / ٢٨٧ . (٦) فى ظ : فيهن (٧) من مد و التفسير ، وفى الأصل : حرفة ، و فى ظ : خيرفه - كذا (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : مواضع (٩) زيد فى الأصل : جوده ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : نعمة .

بالمال، نهاهم عما ينافيه فقال : ﴿ و لا تكرهوا فتيتكم ﴾ اى إماءكم، و لعله عبر بلفظ الفتوة هزا لهم إلى معالى الاخلاق، و تخجيلا من طلب الفتوة[1] من أمة ﴿ على البغآء ﴾ أى الزنا لتأخذوا[2] منهن مما يأخذنه[3] من ذلك .

و لما كان الإكراه على الزنا لايصح إلا عند العفة، و كان ذلك ٥ نادرا من أمة، قال : ﴿ان﴾ بأداة الشك ﴿اردن تحصنا﴾ و فى ذلك زيادة تقبيح للاكراه على هذا الفعل حيث كانت النساء مطلقا يتعففن[4] عنه مع أنهن مجبولات على حبه، فكيف إذا لم يمنعهن مانع خوف أو حياء كالإماء، فكيف إذا أذن لهن فيه، فكيف إذا ألجئن إليه، و أشار[5] بصيغة التفعل و ذكر الإرادة إلى أن ذلك لا يكون إلا عن ١٠ عفة بالغة، و زاد فى تصوير التقبيح بذكر علة التزام هذا العار[6] فى قوله : ﴿لتبتغوا﴾ أى تطلبوا طلبا حثيثا فيه رغبة قوية باكراههن على هذا الفعل الفاحش ﴿ عرض الحيوة الدنيا ﴾ فان العرض متحقق فيه الزوال، و الدنيا مشتقة من الدناءة .

و لما نهى سبحانه عن الإكراه، رغب الموالى[7] فى التوبة عند المخالفة ١٥

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : القوة (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : لياخذوا (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : ياخذونه (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : لعصص - كذا (٥) فى ظ : اشارة (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : العام (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : الوالى .

فيه فقال: ﴿ و من يكرههن ﴾ دون أن يقول[1] : و إن أكرهن ، و عبر بالمضارع إعلاما بأنه[2] يقبل التوبة ممن خالف بعد نزول الآية ، و عبر بالاسم العلم فى قوله : ﴿ فان الله ﴾ إعلاما بأن الجلال غير مؤيس من الرحمة ، و لعله عبر بلفظ « بعد » إشارة إلى[3] العفو عن الميل إلى
٥ ذلك الفعل عند مواقعته إن[4] رجعت إلى الكراهة بعده ، فان النفس لا تملك بغضه حينئذ ، فقال: ﴿ من بعد اكراههن غفور ﴾ أى لهن و للوالى[5] ، يستر ذلك الذنب إن تابوا ﴿ رحيم ﴾ بالتوفيق للصنفين[6] إلى ما يرضيه .

و لما أتم سبحانه هـذه الآيات فى براءة عائشة رضى الله عنها
١٠ و مقدماتها و خواتيمها ، قال عاطفا على [قوله -[7]] أولها " و انزلنا فيها ايٰت بينٰت لعلكم تذكرون " : ﴿ و لقد انزلنآ ﴾ أى بما لنا من العظمة ترغيبا لكم و ترهيبا ﴿ اليكم ﴾ أى لتتعظوا ﴿ ايٰت مبينٰت ﴾ مفصل فيها[8] الحق من[9] الباطل ، موضح [10]بالنقل و العقل[10] بحيث صارت لشدة[11] بيانها تبين هى لمن تدبرها طرق الصواب كما أوضحنا[12] ذلك لمن يتدبره[13]

(١) فى مد : تقول (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بما (٣) زيد بعده فى الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الى (٥) فى ظ : الموالى (٦) فى ظ : للصفين (٧) زيد من ظ و مد . (٨) فى ظ : عنها (٩) فى ظ : عن (١٠ - ١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالعقل و النقل (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : شدة (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : اوضحا (١٣) فى ظ : تدبره .

فى

فى براءة عائشة رضى الله تعالى عنها و ما تقـدمها [1] و تبعها مما هو صلاحكم فى الدين و الدنيا ﴿ و مثلا ﴾ أى و [2] شبها بأحوالكم ﴿ من الذين خلوا من قبلكم ﴾ أى من [3] أحوالهم بما [3] أنزل الله [4] إليهم فى التوراة فى أحوال المخالطة و الزنا و قذف الأبرياء كيوسف و مريم عليهما السلام و تبرئتهم [5] كما قدمت [6] كثيرا منه [6] فى سورة المائدة و غيرها ٥ مما صار فى حسن سبكه [7] فى هذا الكتاب، و بديع حبكه عند أولى الألباب، كالأمثال السائرة / ، و الأفلاك الدائرة ﴿ و موعظة للمتقين ﴾ /٦٤٧ بما فيه من الأحكام و الفواصل المنبئة [8] عن العلل المذكرة [9] بما يقرب من الله زلفى، و ينور القلب، و يوجب الحب و الألفة، و يذهب وحر الصدر؛ ثم علل إنزاله لذلك على هذا السنن الأقوم، و النظم ١٠ المحكم، بقوله : ﴿ الله ﴾ أى [10] الذى أحاطت قدرته و علمه ﴿ نور ﴾ أى ذو نور ﴿ السموت و الارض ﴾ لأنه [11] مظهرهما [12] بإيجادهما و أيجاد [12] أهلهما و هاديهم بالتنوير بالعلم الجاعل صاحبه بهدايته [13] إلى الصراط المستقيم كالماشى فى نور الشمس، لايضع [شيئا فى غير موضعه كما

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : يقدمها (٢) سقطت الواو من مد (٣-٣) من ظ و مد، و فى الأصل : احوالكم مما (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : توبتهم (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل : منه كثيرا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : سبله (٨) من مد، و فى الأصل : المثبتة، و فى ظ : المنبئة - كذا (٩) من مد، و فى الأصل و ظ : المذكورة (١٠) سقط من مد. (١١) من ظ و مد، و فى الأصل : لانها (١٢ - ١٢) فى مد : بايجاد (١٣) زيد فى الأصل : هاديا مهديا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

أن الماشي في النور لايضع - [١]] رجلا في غير موضعها اللائق بها ،
و لا شك أن النور [٢] هو ما به تظهر الأشياء و تنكشف ، فهو سبحانه
مظهرهما ، و هما و ما فيهما دال على ظهوره ، و أنه تام القدرة شامل
العلم حاوٍ لصفات الكمال ، منزه عن شوائب النقص ، و في آخر الشورى
٥ ما ينفع جدا هنا .

و لما كان من المحال أن يضل عن نور هو ملء الخافقين أحد
من سكانهما ، بين وجه خفائه مع ظهور ضيائه و اتساعه و قوة شعاعه ،
حتى ضل عنه أكثر الناس ، فقال مبيناً باضافة النور إلى ضميره أن الإخبار
عنه بالنور مجاز لاحقيقة ، منبها على أن آياته الهادية [٣] تلوح خلال الشبهات
١٠ الناشئة عن الأوهام الغالبة على [٤] الخلق التي هي كالظلمات ﴿ مثل نوره ﴾
أي الذي هدى به إلى سبيل الرشاد في خفائه عن بعض الناس مع شدة
ظهوره ، و هو آياته الدالة عليه من أقواله و أفعاله ﴿ كمشكوٰة ﴾ أي
مثل كوة أي [٥] خرق لكن غير نافذ في جدار ؛ قال البغوي [٦] : فان كان
لها منفذ فهي كوة .

١٥ و لما كان دخل المشكاة في هذا المثل خفيا فقدمها تشويقا [٧] إلى
شرحه ، أتبعه قوله [٨] شارحا له : ﴿فيها مصباح [٨] ﴾ أي سراج ضخم ثاقب ،

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيدت الواو في ظ (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : النارية (٤) في ظ و مد : عن (٥) سقط من ظ (٦) في المعالم - راجع هامش اللباب ٥/٦٣ (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : تشريفا (٨) وقع في الأصل بعد « شارحا له » و الترتيب من ظ و مد .

و هو الذبالة - أى الفتيلة - الضخمة المتقدة، من الصباح الذى هو نور الفجر، و المصباح الذى هو الكوكب الكبير؛ قال البغوى[1]: و أصله[2] الضوء - انتهى. فاذا كان[3] فى المشكاة اجتمعت أشعته[4] فكان أشد إنارة، و لو كان فى فضاء لافترقت أشعته؛ و أتى ببقية الكلام استئنافا على تقدير سؤال تعظيما له فقال: ﴿المصباح فى زجاجة[5]﴾ أى قنديل. ٥

و لما كان من الزجاج ما هو فى غاية الصفاء، بين أن هذه منه فقال: ﴿الزجاجة كأنها﴾ أى فى شدة الصفاء ﴿كوكب﴾ شبهه به[5] دون الشمس و القمر لأنهما يعتريهما الخسوف ﴿درى﴾ أى متلألئ[6] بالأنوار فانه إذا كان فى زجاجة صافية[7] انعكست الأشعة المنفصلة عنه من بعض جوانب الزجاجة إلى بعض لما فيها من[8] الصفاء و الشفيف ١٠ فيزداد[9] النور [و يبلغ النهاية -[10]] كما أن شعاع الشمس إذا وقع على ماء أو زجاجة صافية تضاعف النور حتى أنه[11] يظهر فيما يقابله مثل ذلك النور؛ و الدرى - قال الزجاج[12]: مأخوذ من درأ / - إذا اندفع منقضا فتضاعف[13] نوره. /٦٤٨

---

(١) فى المعالم - راجع هامش اللباب ٥/٦٣ (٢) زيد فى المعالم: من (٣) فى ظ: كانت (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: اسعة (٥-٥) بياض فى الأصل ملأناه من ظ و مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: متلالا - كذا! (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: فيه (٨) سقط من مد (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: و يزداد (١٠) زيد من ظ و مد (١١) سقط من ظ (١٢) ذكر قوله هذا فى اللباب ٥/٦٣ و ٦٤ غير معزو إليه (١٣) فى اللباب: فيتضاعف.

و لما كان من المصابيح أيضا ما يكون نوره ضعيفا بين أن هذا
ليس كذلك فقال: ﴿ يوقد[1] ﴾ أى المصباح، بأن اشتد وقده . و لما
كان هذا الضوء يختلف باختلاف ما يتقد فيه، فاذا كان دهنا[2] صافيا
خالصا كان شديدا، و كانت الأدهان التى توقد ليس فيها ما يظهر فيه
٥ الصفاء كالزيت لأنه ربما بلغ فى الصفاء و الرقة مبلغ الماء مع زيادة
بياض و شعاع يتردد فى أجزائه، قال: ﴿من شجرة﴾ أى زيتها ﴿مبٰركة﴾
أى عظيمة الثبات[3] و الخيرات يطيب منبتها ﴿ زيتونة ﴾ .
و لما كان الزيت[4] يختلف باختلاف شجرته[5] فى احتجابها عن الشمس[5]
و بروزها لها، لأن[6] الشجر ربما ضعف و خبث[7] ثمره بحائل[8] بينه و بين
١٠ الشمس، بين أن هذه الشجرة ليست كذلك فقال: ﴿ لا شرقية ﴾ أى
ليست منسوبة إلى الشرق وحده، لكونها [بحيث - [9]] لا يتمكن منها

(١) فى المعالم: قرأ أبو جعفر و ابن كثير و أبو عمرو و يعقوب: توقد - بالتاء و فتحها و فتح الواو و الدال و تشديد القاف على الماضى يعنى المصباح أى اتقد، يقال: توقدت النار - إذا اتقدت، و قرأ أهل الكوفة غير حفص: توقد - بالتاء و ضمها و فتح القاف خفيفا - يعنى الزجاجة، أى نار الزجاجة لأن الزجاجة لا توقد، و قرأ الآخرون بالياء و ضمها خفيفا - يعنى المصباح (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: هنا (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: النبات (٤) سقط من مد (٥ - ٥) من ظ و مد، و فى الأصل: باحجابها من الثمن (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: كان (٧) من مد، و فى الأصل: جنت، و فى ظ: يخبث.
(٨) من مد، و فى الأصل: بحامل، و فى ظ: تخايل (٩) زيد من ظ و مد .

الشمس

الشمس إلا عند الشروق [لكونها -[1]] في لحف جبل [يظلها -[1]] إذا تضيفت[2] الشمس للغروب ﴿ و لا غربية ﴾ لأنها في سفح جبل يسترها من الشمس عند الشروق[3] . بل هي بارزة للشمس من حين[4] الشروق إلى وقت الغروب ، ليكون ثمرها أنضج فيكون زيته[5] أصفى ، قال البغوي[6] : هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عكرمة و الكلبي و الأكثرين . ٥ فهي[7] لزكاء عنصرها ، و طهارة منبتها ، و بروزها للشمس و الرياح ، بحيث ﴿ يكاد زيتها ﴾ لشدة صفائه ﴿يضيء و لو لم تمسسه نار﴾ .

و لما علم من هذا أن لهذا الممثل به أنوارا[8] متظاهرة بمعاونة[9] المشكاة و الزجاجة و المصباح و الزيت ، فلم يبق مما يقوى نوره و يزيده[10] إشراقا ، و يمده باضاءة نقية ، قال في الممثل له : ﴿ نور على نور ﴾ أي أن ١٠ العلم الرباني[11] عظيم الاتساع كلما سرحت فيه النظر[12] ، و أطلقت عنان الفكر ، أتى بالغرائب و لا يمكن أن يوقف له على حد .

و لما كان الإخبار عن مضاعفة هذا النور موجبا لاعتقاد أنه لا يخفى عن أحد ، أشار إلى أنه - بشمول علمه و تمام قدرته - يعمى عنه من يريد مع شدة ضيائه ، و عظيم لألائه ، فقال : ﴿يهدى الله﴾ [أي -[1]] ١٥

(١) زيد من ظ و مد (٢) أي مالت ، و في ظ : خصفت (٣) في ظ : الشرق .
(٤) من ظ و مد ، و في الأصل : حيث (٥) في ظ : زيتها - كذا (٦) في المعالم - راجع هامش اللباب ٥/٦٤ (٧) سقط من ظ (٨) في الأصل وظ : انوار (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : بمكادنة (١٠) في ظ : يزيدهم (١١) في ظ : التربانى - كذا ، خطأ (١٢) من ظ و مد ، و في الأصل : التطهر .

بعظمته المحيطة بكل[1] شيء ﴿لنوره من يشآء﴾ كما[2] هدى الله من هدى
من المؤمنين لتبرئة[3] عائشة رضى الله عنها قبل إنزال براءتها، بكون[4] الله
اختارها لنبيه صلى الله عليه و سلم، و لا يختار له إلا طيبا طاهرا و ما شاكل
ذلك، و علم أن قسيم ذلك «و يضل الله عن نوره من يشاء» و علم
٥ أن وجـــه كونه ضل[5] عنه [أكثر الناس -[6]] إنما هو ستر القادر له
بنقص فى حس[7] من يريد سبحانـــه إضلاله، لا لنقص فى النور [8] كما
قال الشاعر[8] :

والنجم تستصغر الأبصار صورته[9] فالذنب[10] للطرف لا للنجم فى الصغر

كما سيأتى إيضاح ذلك عند قوله تعالى "الم تر الى ربك كيف مـــد
١٠ الظل"، و مر آنفا فى حديث عـــلى رضى الله عنه فى الأرواح[11] ما
ينفع ههنا.

و لما كان كأنه قيل: ضرب الله هذا المثل لكم لتدبروه فتنتفعوا
بـــه، عطف عليه قوله: ﴿و يضرب الله﴾ [أى -[6]] بما له [من
الإحاطـــة -[6]] بكمال القدرة و شمول العلم ﴿الامثال[12] للناس﴾ لعلمه

---

(١) من ظ و مد. و فى الأصل: لكل (٢) سقط من مد (٣) فى ظ: كتبرئة.
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لكون (٥) فى مد: اضل (٦) زيد من ظ
و مد (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: حسن (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين
من ظ و مد (٩) من ظ و مد و نظم الدرر ١/٩، و فى الأصل: رويته.
(١٠) من نظم الدرر، و فى الأصول: و الذنب (١١) زيدت الواو فى
الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (١٢) تقدم فى الأصل على «أى بما له»
و الترتيب من ظ و مد.

بها ، تقريبا للأفهام ، لعلهم يهتدون ﴿ والله ﴾ [أي[1]] الذي له جميع صفات الكمال ﴿ بكل شيء ﴾ أي منها / و من غيرها ﴿ عليم ﴾ يبين[2] كل شيء [بما -[3]] يسهل سبيله [3]فتقوا بما يقول[3] ، و إن لم تفهموه فاتهموا أنفسكم و أمعنوا[4] النظر فيه يفتح لكم سبحانه ما انغلق منه . / ٦٤٩

و لما كان كأنه قيل : فأي[5] شيء يكون هذه المشكاة ؟ قال شافيا لعى هذا السؤال : ﴿ في بيوت ﴾ أي في جدران بيوت ، لجمع دلالة على أن المراد بالمشكاة الجنس لا الواحد ، و في وحدتها و وحدة آلات النور إشارة إلى عزته جدا ﴿ اذن الله ﴾ أي مكن بجلاله فأباح و ندب و أوجب ﴿ ان ترفع ﴾ حسا[6] في البناء ، و معنى باخلاصها للعمل الصالح ، من كل رافع أذن له سبحانه في ذلك ، فعلى المرء إذا دخلها أن يتحصن[7] من العدو بما رواه أبو داود[8] عن عبد الله بن عمرو[9] رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه كان إذا دخل المسجد قال : أعوذ بالله العظيم ، و بوجهه الكريم ، و سلطانه القديم ، من الشيطان الرجيم . قال عقبة بن مسلم : فاذا قال ذلك قال الشيطان : حفظ مني سائر اليوم .

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : بين (٣ - ٣) من ظ و مد ، و في الأصل : فتقوى بما يقوك - كذا (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : امتعنوا (٥) في مد : اى (٦) في ظ : حثا (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : تتحصن (٨) راجع سننه ١/ ٤٨ (٩) من مد و السنن ، و في الأصل و ظ : عمر .

﴿و يذكرَ﴾ من كل ذاكر أذن له سبحانه[1] ﴿فيها اسمه لا﴾ اى [ذكرا -[2]] صافيا عن شوب، و خالصا عن[3] غش ﴿يسبح﴾ أى يصلي و ينزه ﴿له﴾ [أى -[2]] خاصة ﴿فيها بالغدو﴾ أى الابكار، بصلاة الصبح ﴿و الأصال لا﴾ أى العشيات، ببقية الصلوات، فيفتحون أعمالهم

٥ و يختمونها[4] بذكره ليحفظوا فيما بين ذلك و يبارك لهم فيما يتقلبون[5] فيه، و جمع الأصيل لتحقق أن المراد الظهر و العصر و المغرب و العشاء؛ قال البغوى[6]: لأن اسم الأصيل يجمعها. ﴿رجال لا﴾ أىّ رجال ﴿لا تلهيهم تجارة﴾ أى بيع أو[7] شرى أو غيرهما، يظهر لهم فيها ربح.

١٠ و لما كان الإنسان قد يضطر إلى الخروج بالبيع عن بعض ما يملك للاقتيات [بثمنه -[2]] أو[8] التبلغ به[9] إلى بعض المهمات التي لا وصول له إليها إلا به، [أو بتحصيل ما لا يملك كذلك مع أن البيع في التجارة أيضا هو الطلبة الكلية لأنه موضع تحقق الربح الذي لا صبر عنه -[2]]، قال: ﴿و لا بيع﴾ أى و إن لم يكن على وجه التجارة، و البيع يطلق

١٠ بالاشتراك على التحصيل الذي هو الشرى و على الإزالة ﴿عن ذكر الله﴾ أى الذي له الجلال و الإكرام مطلقا بصلاة و غيرها، فهم [في -[2]]

---

(١) من ظ و مد، و في الأصل: شيء منه - مصحفا (٢) زيد من ظ و مد.
(٣) من ظ و مد، و في الأصل: من (٤) من ظ و مد، و في الأصل: يختمون.
(٥) في ظ: يتقلبونه (٦) في المعالم على هامش اللباب ٥/٦٦ (٧) من ظ و مد، و في الأصل: اى (٨) في ظ: «و» (٩) سقط من ظ.

كل وقت فى شهود و مراقبة لمن تعرف إليهم[1] بصفات الكمال ﴿ و ﴾ لا يلهيهم ذلك عن ﴿ اقام الصلوٰة ﴾ التى هى طهرة الأرواح، أعادها بعد ذكرها بالتسبيح تصريحا بها تأكيدا لها و حثا على حفظ[2] وقتها لأنه[2] من جملة مقوماتها[3] و كذا جميع حدودها و لو بأوجز ما يكون من أدنى الكمال - بما أشار إليه حرف التاء إشعارا بأن هذا المدح[4] ٥ لا يتوقف على أنهى الكمال ﴿ و ﴾ لا عن ﴿ ايتآء الزكوٰة لا ﴾ التى هى زكاة[5] الأشباح و نماؤها، و خص الرجال مع أن حضور النساء المساجد سنة شهيرة، إشارة إلى أن صلاتهن فى بيوتهن أفضل لما روى أبو داود فى سننه[6] و ابن خزيمة فى صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: صلاة المرأة فى ١٠ بيتها أفضل من [صلاتها فى -[7]] حجرتها، و صلاتها فى مخدعها أفضل من صلاتها فى بيتها. و المخدع: الخزانة. و للامام أحمد[8] و الطبرانى[9] و ابن خزيمة و الحاكم[10] عن أم سلمة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: خير مساجد النساء قعر بيوتهن. و لأحمد[11] و ابن خزيمة و ابن حبان فى صحيحيهما عن أم حميد امرأة أبى حميد الساعدى ١٥

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: اليه (٢-٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ذكرها كانه (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: مقدماتها (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: المنع (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: زكاة (٦) ١/ ٥٩ (٧) زيد من ظ و مد و السنن (٨) راجع مسنده ٦/ ٢٩٧ (٩) راجع مجمع الزوائد ٢/ ٣٣ (١٠) راجع المستدرك ١/ ٢٠٩ (١١) راجع مسنده ٦/ ٣٧١.

/٦٥٠ رضى الله عنهما أنها قالت : يا رسول الله ! إنى أحب الصلاة / معك ، قال : قد علمت أنك تحبين الصلاة معى ، و صلاتك فى بيتك خير من صلاتك [فى حجرتك ، و صلاتك فى حجرتك خير من صلاتك -[1]] فى دارك ، و صلاتك فى دارك خير من صلاتك فى مسجد قومك ، و صلاتك فى ٥ مسجد قومك خير من صلاتك فى مسجدى ، قال[2] : فأمرت فبنى لها مسجد فى أقصى بيت[3] من بيتها[4] و أظلمه ، فكانت[5] تصلى فيه حتى لقيت الله عز و جل .

و لما وصف الرجال المذكورين بما وصفهم به[6] ، ذكر علة فعلهم لذلك زيادة فى مدحهم فقال : ﴿ يخافون يوما ﴾ و هو يوم القيامة ، ١٠ هو بحيث ﴿ تتقلب فيه ﴾ أى لشدة هوله ، تقلبا ظاهرا - بما أشار إليه إثبات التائين[7] ﴿ القلوب و الابصار ﴾ أى بين طمع فى النجاة و حذر من الهلاك ، و يمكن أن يقال : المشاكى - و الله أعلم - هى المساجد ، و الزجاج هى[8] الرجال ، و المصابيح هى القلوب ، و تلألؤها ما تشتمل عليه من المعانى الحاملة على الذكر ، و الشجرة الموصوفة هى

---

(١) زيد من المسند (٢) من ظ و مد و المسند ، و فى الأصل : قالت (٣) كذا فى الأصول و مجمع الزوائد ٢/٣٤ حيث ذكر الحديث عن الإمام أحمد ، و فى المسند : شيء (٤) زيد فى الأصل : بين بيوتها ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و المسند فحذفناها (٥) من المسند ، وفى الأصول : وكانت (٦) سقط من ظ . (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : النسائى - كذا (٨) فى ظ : من .

مثال الأبدان ، التي صفاها الله من الأدران ، و طبعها[1] على الاستقامة ، و الزيت مثال لما وضع سبحانه فيها من جميل الأسرار ، و قد ورد في بعض الأخبار أن المساجد لأهل السماوات[2] كالنجوم [لأهل الأرض -[3]] ، و في معجم الطبراني في الأوسط[4] عن ابن عمر رضي الله عنهما : "كمشكاة[5]" قال : جوف محمد صلى الله عليه و سلم ، و الزجاجة قلبه ، و[6] المصباح ٥ النور[7] الذي في قلبه ، و الشجرة إبراهيم عليه السلام ، "لا شرقية و لا غربية" : لا يهودي و لا نصراني.

و لما بين تعالى أفعال هؤلاء الرجال التي أقبلوا بها عليه ، و أعرضوا عما عداه ، بين غايتهم فيها فقال : ﴿ليجزيهم﴾ أي يفعلون ذلك ليجزيهم ﴿الله﴾ [أي في دار كرامته بعد البعث -[3]] بعظمته و جلاله ، و كرمه ١٠ وجماله ﴿احسن ما عملوا﴾ أي جزاءه ، ويغفرلهم سيئه ﴿و يزيدهم من فضله[1]﴾ على العدل من الجزاء ما لم يستحقوه - كما هي عادة أهل الكرم .

و لما كان التقدير: فان الله لجلاله ، و [8]عظمته و كماله[8] ، لا يرضى أن يقتصر[9] في جزاء المحسن على ما يستحقه [فقط -[3]] ، عطف عليه بيانا لأن قدرته و عظمته لا حد لها قوله : ﴿و الله﴾ [أي -[3]] الذي ١٥

---

(١) في ظ : طيها (٢) من ظ ومد ، وفي الأصل : السماء (٣) زيد من ظ ومد .
(٤) راجع مجمع الزوائد ٧/٨٣ (٥) سقط من ظ (٦) زيد في الأصل : في ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد و المجمع فحذفناها (٧) زيد في ظ : اى (٨-٨) من ظ و مد ، و في الأصل : كرمه و عظمته (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : يقص .

لا كفوء له فلا[1] اعتراض عليه ﴿يرزق من يشآء﴾ . و لما كان المعنى : رزقا يفوق الحد ، و يفوت العد ، عبر عنه بقوله : ﴿ بغير حساب ه ﴾ فهو كناية عن السعة ، و يجوز أن يكون مع السعة التوفيق ، فيكون بشارة بنفي الحساب في الآخرة أيضا أصلا و رأسا ، لأن ذلك المرزوق
٥ لم يعمل ما فيه درك عليه فلا يحاسب ، أو يحاسب و لا[2] يعاقب ، فيكون المراد بنفي الحساب نفي[3] عسره و عقابه ، و يجوز أن يراد[4] الرزق كفافا ، و قد ورد أنه لا حساب فيه : روى ابن كثير[5] من عند ابن أبي حاتم بسنده[6] عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إذا جمع الله الأولين و الآخرين يوم القيامة جاء مناد فنادى
١٠ بصوت يسمع الخلائق : سيعلم أهل الجمع من أولى [7]بالكرم ، ليقم[7] الذين لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله ، فيقومون و هم قليل ، ثم يحاسب سائر الخلائق .

و لما أخبر تعالى أن الذين اتبعوا نور الحق سبحانه ، وصلوا - من جزائه بسبب ما هداهم[8] إليه النور من الأعمال الصالحة - إلى حقائق هي
١٠ في نفس الأمر الحقائق . أخبر عن أضدادهم الذين اتبعوا الباطل فحالت

---

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : ولا (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : لم .
(٣) من ظ و مد ، و في الأصل : نفى (٤) من ظ ومد ، وفي الأصل : يكون .
(٥) راجع تفسيره ٣ / ٢٩٦ (٦) من ظ ومد ، وفي الأصل : بسنده (٧-٧) من ظ و مد و التفسير ، و في الأصل : الكرم ليعم (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : عداهم .

حاله

جباله / الوعرة الشامخة[1] بين أبصار بصائرهم و بين تلك[2] الأنوار بضد حالهم / ٦٥١
فقال: ﴿و الذين كفروآ﴾ أى ستروا بما لزموه من الضلال ما انتشر
من نور[3] الله ﴿اعمالهم﴾ [كائنة فى يوم الجزاء -[4]] ﴿كسراب﴾
و هو ما تراه نصف النهار فى البرارى لاصقا بالأرض يلمع كأنه ماء،
و كلما قربت منه بعد حتى تصل إلى جبل و نحوه فيخفى؛ قال الرازى فى ٥
اللوامع: و السراب شعاع ينكشف فينسرب و يجرى كالماء تخيلا؛ و قال
ابن كثير[5]: يرى عن بعد كأنه بحر طام، و إنما يكون ذلك بعد نصف
النهار، و أما الآل[6] فانما يكون[7] أول النهار، يرى كأنه ماء بين السماء
و الأرض - انتهى[8]. و قال البغوى[9]: و الآل ما ارتفع عن[10] الأرض،
و هو شعاع [يرى -[11]] بين السماء و الأرض بالغدوات شبه الملاءة، ١٠
يرفع [فيه -[11]] الشخوص، يرى فيه الصغير كبيرا، و القصير طويلا،
و الرقراق[12] يكون بالعشايا، و هو ما ترقرق من السراب[13]، أى جاء
و ذهب. ﴿بقيعة﴾ جمع قاع، و هو أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت

---

(١) زيد فى الأصل: التى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: ذلك (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: انوار (٤) زيد من ظ ومد (٥) راجع تفسيره ٣/٢٩٦ (٦) فى ظ: الان، و فى التفسير: الأول - خطأ.
(٧) زيد بعده فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و التفسير فحذفناها.
(٨) سقط من ظ و مد و تستمر السقطة فى الأخير إلى « السماء و الأرض ».
(٩) راجع المعالم بهامش اللباب ٥/٦٧ (١٠) فى المعالم: من (١١) زيد من المعالم.
(١٢) زيد بعده فى الأصول: هو ما، و لم تكن الزيادة فى المعالم فحذفناها.
(١٣) من ظ و مد و المعالم، و فى الأصل: التراب.

عنها الجبال و الآكام - قاله فى القاموس . و قال أبو عبد الله القزاز فى ديوانه : القيعة و القاع واحد، و هما[1] الأرض المستوية الملساء يخفن فيها التراب[2]، الفراء : القيعة جمع قاع كجار و جيرة . و قال الصغانى فى مجمع البحرين : و القاع : المستوى من الأرض، و الجمع أقواع و أقوع
٥ و قيعان، صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها، و القيعة مثل القاع، و هو أيضا من الواو، و بعضهم يقول : هو جمع؛ و قال ابن جرير[3] : و القاع ما[4] انبسط من الأرض و اتسع، و فيه يكون السراب . و قال عبد الغافر الفارسى فى مجمع الغرائب : قال الفراء : القاع : مستنقع الماء، و القاع : [المكان -[5]] المستوى الواسع فى وطأة[6] من الأرض يعلوه
١٠ المطر فيمسكه و يستوى نباته، و جمعه قيعة و قيعان . ﴿يحسبه الظمان﴾ أى العطشان الشديد العطش[7] من ضعف العقل ﴿ماء﴾ فيقصده[8] و لا يزال [سائرا -[5]] ﴿حتى اذا جاءه﴾ أى جاء الموضع الذى توهمه به ﴿لم يجده شيئا﴾ من الأشياء، فلم يفده قصده غير زيادة العطش بزيادة التعب، و بعده عن مواطن الرجاء، فيشتد بأسه، و [9]تنقطع حيله[9] فيهلك،

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : هو (٢) زيد فى الأصل : و قال، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) من ظ و مد . و فى الأصل : ابو جريرة، و راجع من تفسيره الجزء ١٨/١٠٣ (٤) من ظ و مد و التفسير، و فى الأصل : من (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : فضاءة (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : المعطر (٨) من ظ و مد، و فى الأصل : فيقصد . (٩-٩) من ظ و مد، و فى الأصل : ينقطع حبه .

و هكذا الكافر يظن أعماله تجديه شيئا فاذا هي قد أهلكته.

و لما كان الله محيطا بعلمه و قدرته بكل مكان قال: ﴿ و وجد الله ﴾ أي [1]قدرة المحيط[1] بكل شيء ﴿ عنده ﴾ أي عند ذلك الموضع الذي قصده لما تخيل فيه الخير فخاب ظنه ﴿ فوفٰه حسابه ﴾ أي جزاء عمله على ما تقتضيه أعماله على حكم العدل، فلم يكفِ هذا الجاهل [2]خيبة و كمدا[2] ٥ أنه لم يجد ما قصده شيئا كغيره من السراب حتى وجد عنده[3] الزبانية تعتله إلى نار، لا يفك أسيرها، و لا يخمد سعيرها.

و لما كان سبحانه لا يحتاج إلى كاتب، و لا يدخل عليه لبس، و لا يصعب عليه ضبط شيء [و - [4]] إن كثر، و لا يقدر [أحد - [4]] أن يتأخر عما يريده به بنوع حيلة، عبر عن ذلك بقوله: ﴿ و الله ﴾ ١٠ أي الذي له القدرة الكاملة و العلم الشامل ﴿ سريع الحساب ﴾ أي لأنه لا يحتاج إلى / حفظ بقلب، و لا عقد بأصابع، و لا شيء غير ذلك، / ٦٥٢ و لكنه عالم بذلك كله قبل أن يعمله[5] العبد و بعد عمله [له - [4]]، لا يعزب عنه[6] منه و لا من غيره شيء.

و لما بين [سبحانه - [7]] بهذا المثال[8] أنهم لم يصلوا إلى شيء غير ١٥ التعب، المثمر للعطب، و كان هذا لا يفعله بنفسه عاقل، ضرب مثالا

(١-١) من مد، و في الأصل: قدرته المحيطة، و في ظ: قدرته المحيط (٢-٢) من ظ و مد. و في الأصل: صيه و كذا - كذا (٣) من ظ و مد، و في الأصل: عند (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و في الأصل: يعلمه (٦) زيد في ظ: مثقال (٧) زيد من ظ (٨) من ظ و مد، و في الأصل: المال.

آخر بين فيه الحامل لهم على الوقوع فى عثول الأول ، و هو السير بغير دليل ، الموقع فى خبط العشواء كالماشى فى الظلام ، فقال عاطفا على "كسراب" قوله[1] : ﴿ او ﴾ [للتخيير ، أى أعمالهم لكونها لا منفعة لها كسراب ، و لكونها خالية عن نور الحق - [2]]
٥ ﴿ كظلمٰت ﴾ أو للتنويع ، فانها إن كانت حسنة الظاهر فكالسراب[3] ، أو قبيحة فكالظلمات[4] ، أو للتقسيم باعتبار وقتين كالظلمات فى الدنيا و السراب[5] فى الآخرة ﴿ فى بحر ﴾ هو مثال قلب الكافر ﴿ لجى ﴾ أى[6] ذى لج هو اللج ، إشارة إلى أنه عميق لا يدرك له قرار ، لان اللج معظم الماء ، و يكون جمع لجة أيضا ، و الاوفق هنا أن يكون منسوبا إلى الجمع ،
١٠ لأنه أهول ، و المقام للتهويل ، قال القزاز فى ديوانه : و لجة البحر معروفة و هو الموضع الذى لا ترى منه أرضا و لا جبلا ، و بحر لجى : واسع اللجة ، و جمع اللجة لجج و لج . ﴿ يغشٰه ﴾ أى يغطى هذا البحر و يعلوه ، أو يلحق الكائن فيه ﴿ موج ﴾ و هو مثل ما يغشى قلبه من الجهل و الشك و الحيرة ، كائن[7] ﴿ من فوقه ﴾ أى هذا الموج ﴿ موج ﴾
١٥ آخر ﴿ من فوقه ﴾ أى هذا الموج الثانى المركوم على الأول ﴿ سحاب ﴾ قد غطى النجوم ، و هو مثال الرين[8] و الختم و الطبع

---

(١) فى ظ و مد : فقال (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : فكالشرار (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : كالظلمات (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الشرار (٦) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : الهوى - كذا .

على

على القلب، فلا شمالة تبصر و لا أرض .

و لما كان هذا أمرا مهولا، أشار إلى هوله و تصويره بقوله: ﴿ ظلمت ﴾ أى من البحر و الموجين و السحاب ﴿ بعضها ﴾ . [و لما كان المراد استغراق الجهة، لم يثبت الجار فقال -[1]] : ﴿ فوق بعض ﴾ متراكمة[2]، فلذلك يحصد كل البعد أن ينفذ فيها بصر، و لذلك[3] قال : ٥ ﴿ اذآ اخرج ﴾ أى الكائن فى [4]هذا البحر[4] [بدلالة المعنى و إن لم يجر له ذكر -[1]] ﴿ يده ﴾ [و هى أقرب شىء إليه - [5]] ﴿ لم يكد ﴾ أى الكائن فيه[5] ﴿ يرٰها ﴾ أى يقرب من ذلك فضلا عن أن يكون، لأن الله [قد -[1]] ستر عنه كل نور بهذه [الظلمات -[1]] المتكاثفة، و هو مثال لعمله و أنه عدم لما تقدم [من أن العدم كله ظلمة ، فلا ١٠ عمل له يكون شيئا و لايقرب من ذلك لأنه لا أهلية له بوجه - [1]] ﴿ و من لم يجعل الله ﴾ أى الملك[6] الأعظم ﴿ له نورا ﴾ من الأنوار، و هو قوة الإيجاد و الإظهار ﴿ فما له من نورٍ ﴾ أصلا ، لأنه سبحانه يستر نوره[7] و إن كان ملء السماوات و الأرض عمن يشاء بحجب الأهوية، لأنه قادر على ما يريد . ١٥

و لما كان قيام الأمور ، و ظهورها كل ظهور، إنما هو بالنور ، حسا

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : متراكبة (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : لذا (٤-٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : هذه الظلمات.
(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيها (٦) زيد فى ظ : مقادير اعمالهم - كذا .
(٧) سقط من ظ .

بالإيجاد . و معنى بجعل الموجودات آيات مرئيات تدل على موجدها ،
قال تعالى دالا على ما أخبر به من أنه وحده نور السماوات و الأرض ،
أي موجدهما بعلمه و قدرته[١] و من أن من كساه من نوره فاز [في
يوم البعث الذي يجازي فيه الخلق على ما يقتضيه العلم الذي هو النور
٥ في الحقيقة من مقادير أعمالهم -[٢]] ، و من أعراه[٣] من النور هلك :
﴿ الم تر ﴾ أي تعلم يا رأس الفائزين رتبة الإحسان علما هو في ثباته
كما بالمشاهدة ﴿ ان الله ﴾ الحائز لصفات[٤] الكمال ﴿ يسبح له ﴾ أي
ينزه[٥] عن كل شائبة نقص لأجله خاصة بما له [فيه -[٢]] من القدرة
الكاملة ﴿ من في السموٰت ﴾ . [و لما كان مبنى السورة على شمول
١٠ العلم و القدرة لم يؤكد فقال -[٦]] : ﴿ و الارض ﴾ أي هما و كل ما[٧]
فيهما بلسان حاله ، أو آلة مقاله ، و عرف أن المراد العموم بعطفه بعض
ما لا يعقل ، و عبر / بـ « من » لأن المخبر به من وظائف العقلاء . /٦٥٣
و لما كان أمر[٨] الطير أدل لأنه أعجب ، قال مخصصا : ﴿ و الطير صٰفّٰت ﴾
أي باسطات أجنحتها في جو السماء ، لا شبهة في أنه لا يمسكهن إلا الله ،
١٥ و إمساكه لها في الجو مع أنها أجرام ثقيلة ، [٩]و تقديره[٩] لها فيه على
القبض و البسط حجة[١٠] قاطعة على كمال قدرته .

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : عراه (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : الصفات (٥) من مد ، و في الأصل و ظ : تنزه (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : من (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : امير (٩-٩) من ظ و مد ، و في الأصل : فبقدرته .
(١٠) من ظ و مد ، و في الأصل : علة .

و لما كان العلم يوصف به ما هو سببه كالكتاب المصنف و نحوه، و يشتق للشيء اسم فاعل مما لابسه كما يقال: ليله قائم، و نهاره صائم، "و لاتزال تطلع على خائنة منهم" و كانت أسطر القدرة مجودة على كل كائن، شديدة الوضوح في صفحات كل شيء، فكانت الكائنات بذلك دالة على خالقها و ما له من كل صفة كمال، صح إطلاق[1] العلم ٥ عليها و إسناده إليها فقال: ﴿ كل ﴾ أي من المخلوقات ﴿ قد علم ﴾ أي بما كان سببا له من العلم بما فيه من الآيات الدالة المعلمة [2] بما لموجده[2] من صفات الكمال[3] ﴿ صلاته ﴾ أي الوجه الذي به وصلته بمولاه و نسبته إليه ﴿ و تسبيحه[4] ﴾ أي الحال الذي به براءة صانعه من الشين و تعاليه عن النقص، و[4] قد صرحت بذلك ألسن أحوالها[5]، نيابة عن ١٠ [بيان -[6]] مقالها، هذا بقيامه صامتا جامدا، و هذا بنموه مهتزا رابيا، إلجاء و قهرا، و هذا بحركته[7] بالإرادة، و قصده وجوه منافعه، و بعده عن أحوال مضاره بمجرد فطرته و ما أودع في طبيعته، و هذا بنطقه و عقله، و نباهته و فضله، مع أن نسبة كل منهم إلى الأرض و السماء واحدة، و يدل على ذلك دلالة واضحة ما روى الإمام أحمد في المسند[8] ١٥ عن[9] عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه و سلم أن

(١) في ظ: اطلاقه (٢-٢) في ظ: بالوحدة (٣) زيد في الأصل: له سبحانه، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٤) سقط من مد (٥) في ظ: احواله. (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و في الأصل: بحركه (٨) راجع ٢/١٧٠. (٩) من ظ و مد، و في الأصل: من.

نوحا عليه السلام أوصى ابنه عند موته بلا إله إلا الله . فإن السماوات السبع و الأرضين السبع لو كن حلقة مبهمة قصمتهن[1] ، و سبحان الله و بحمده ، [2] فانها صلاة[2] كل شيء و بها يرزق الخلق . [و قال الغزالي في الإحياء[3] : و روى أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم
٥ فقال : تولت عني الدنيا و قلت ذات يدي ، فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم : فأين أنت من صلاة الملائكة و تسبيح الخلائق و بها يرزقون ، قال : فقلت : و ما هي يارسول الله ؟ قال : قل « سبحان الله و بحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله » مائة مرة ما بين طلوع الفجر إلى أن تصلي الصبح ، تاتيك الدنيا راغمة صاغرة ، و يخلق الله من كل كلمة ملكا
١٠ يسبح الله إلى يوم القيامة لك ثوابه . قال الحافظ زين الدين العراقي : رواه المستغفري في الدعوات عن ابن عمر رضي الله عنهما و قال : غريب من حديث مالك ، و لا أعرف له أصلا من حديث مالك -[4]] .

و لما كان التقدير : فالله قدير على جميع تلك الشؤن ، [عطف عليه قوله -[4]] : ﴿ و الله ﴾ [أي -[4]] المحيط علما و قدرة ﴿ عليم بما يفعلون ه ﴾
١٥ بما ثبت مما أخبركم[5] به في هذه السورة عن دقائق أقوالكم و أحوالكم ، و ضمائركم و أفعالكم ، و قد تقدم في الأعراف عند "او لم ينظروا في ملكوت السموت و الارض[6]" ما ينفع هنا .

---

(١) من مد و المسند ، و في الأصل : و ختمهن ، و في ظ : فصمتهن (٢-٢) من ظ و مد و المسند ، و في الأصل : فانها الصلاة (٣) راجع ١/٢٠٧ (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : اخبرهم .
(٦) راجع آية ١٨٥ .

و لما أخبر عما في الكونين بما[1] يستلزم الملك[2] [على أنهى وجوه التمام المستلزم للقدرة على البعث -[3]] ، أخبر عنهما بالتصريح به فقال: ﴿ و لله ﴾ أي الذي لا ملك سواه ﴿ ملك السموٰت و الارض ج ﴾ مع كونه مالكا مسخرا مصرفا لجميع ذلك ، فهو جامع للملك و الملك .

و لما كان التقدير : و من الله المبدأ للكل بالإيجاد من العدم ، عطف ٥ عليه قوله : ﴿ و الى الله ﴾ أي الذي له الإحاطة بكل شيء ﴿ المصير ه ﴾ أي لهم[4] كلهم بعد الفناء ، و إنما طوى هذا المقدر[5] لأنه لاخلاف فيه .

و[6] لما أخبر بذلك فتقرر ملكه و قدرته على البعث على حسب ما وعد به -[3]] بعد [أن -[3]] تحرر ملكه ، دل عليه بتصرفه في العالم العلوى و السفلى بما يدل على القدرة على الإعادة فقال : ﴿ الم تر ان الله ﴾ ١٠ أى ذا[7] الجلال[8] و الجمال ﴿ يزجى ﴾ أى يسوق بالرياح ، و سيأتى الكلام عليها فى النمل / ؛ و قال أبو حيان[9] : إن الإزجاء يستعمل فى سوق الثقل / ٦٥٤ برفق[10] . ﴿ سحابا ﴾ أى بعد أن أنشأه من العدم[11] تارة من السفل ، و تارة من العلو ، ضعيفا رقيقا متفرقا ، قال أبو حيان[9] : و هو اسم جنس واحده[12]

(١) فى ظ : ما (٢) فى ظ : المالك (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بهم (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : المقدار (٦) سقطت الواو من ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذى (٨) زيد فى الأصل : و الكمال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٩) راجع البحر المحيط ٦/٤٦٤ (١٠) فى ظ : يرتق (١١) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها .
(١٢) فى ظ : واحدته .

سحابة ، و المعنى : يسوق سحابة إلى سحابة . و هو معنى ﴿ ثم يؤلف بينه ﴾
أى بين أجزائه بعد أن كانت[1] قطعا فى جهات مختلفة ﴿ ثم يجعله ركاما ﴾
فى غاية العظمة متراكبا بعضه على بعض بعد أن كان فى غاية الرقة
﴿ فترى ﴾ [أى فى تلك الحالة المستمرة -[2]] ﴿ الودق ﴾ أى المطر ؛
٥ قال القزاز : و قيل : هو احتفال المطر . ﴿ يخرج من خلٰله ج ﴾ أى فتوقه
التى حدثت بالتراكم و[3] انعصار بعضه من بعض ﴿ و ينزل من السمآء ﴾
أى من جهتها مبتدئا[4] ﴿ من جبال فيها ﴾ أى فى السماء ، و هى السحاب
الذى صار بعد تراكمه كالجبال ؛ [5]و بعض فقال[5] : ﴿ من برد ﴾ هو[6]
ماء منعقد ؛ و بين أن ذلك بإرادته و اختياره بقوله : ﴿ فيصيب به ﴾
١٠ أى البرد و المطر على وجه النقمة أو[7] الرحمة ﴿ من يشآء ﴾ من الناس
و غيرهم ﴿ و يصرفه عن من يشآء ط ﴾ صرفه عنه ؛ ثم نبه على ما هو غاية
فى العجب فى[8] ذلك بما فى الماء من النار التى ربما[9] نزلت منها صاعقة
فأحرقت ما لا تحرق النار فقال : ﴿ يكاد سنا ﴾ أى ضوء ﴿ برقه ﴾
و هو اضطراب النور فى خلاله ﴿ يذهب ﴾ أى هو ، ملتبسا ﴿ بالابصار ه ﴾
١٥ لشدة لمعه و تلألؤه ، فتكون قوة البرق دليلا على تكاثف السحاب و بشيرا[10]

(١) فى ظ : كان (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : او (٤) من مد ، و فى الأصل : مبتذل ، و الكلمة ساقطة من ظ (٥ - ٥) فى ظ : مبتدئا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اى (٧) زيد فى الأصل : النعمة او ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٩) فى ظ : بما . (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : تبشيرا .

بقوة المطر، و نذيرا[1] بنزول الصواعق؛ ثم ذكر ما هو أدل على الاختيار، فقال مترجما لما مضى بزيادة: ﴿يقلب الله﴾ أى [الذى له الأمر كله -[2]] بتحويل الظلام ضياء و الضياء ظلاما، و النقص تارة و الزيادة أخرى، مع المطر تارة و الصحو أخرى ﴿اليل و النهار﴾ فينشأ عن ذلك التقليب من الحر و البرد و النمو و الينوع و اليبس ما يبهر العقول؛ ٥ و لهذا قال منبها على النتيجة: ﴿ان فى ذلك﴾ أى [الأمر العظيم -[2]] الذى ذكر من جميع ما تقدم ﴿لعبرة لاولى الابصار﴾ أى النافذة، و القلوب الناقدة، يعبرون منها إلى معرفة ما لمدبر ذلك من القدرة التامة و العلم الشامل الدال قطعا على الوحدانية.

و لما ذكر أولا أحوال الخافقين دليلا على وحدانيته، و فصل ١٠ منها الآثار العلوية، فذكر ما يسق الأرض، و طوى ذكر ما ينشأ عنه من النبات للعلم به، ذكر [أحوال -[2]] ما يتكون به من الحيوانات [دليلا ظاهرا على الإعادة، و برهانا قاهرا للمنكرين لها -[2]] فقال: ﴿و الله﴾ [أى -[2]] الذى له العلم الكامل و القدرة الشاملة ﴿خلق كل دآبة﴾ [أى مما تقدم أنه يسبح له -[2]]. ١٥

و لما [3]ذكر أنواعا من الحيوان، نكر بخلاف ما فى الأنبياء فقال[3]: ﴿من مآء﴾ أى دافق [هو أعظم أجزاء مادته -[2]] كما خلق النبات من ماء هامر [كذلك -[2]]، و فاوت بينه مع كون الكل من الماء الهامر

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: جديرا (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) من ظ و مد، وموضع ما بين الرقمين بياض فى الأصل قدر كلمتين.

الذى لا تفاوت فيه ﴿ فنهم ﴾ أى الدواب .

و لما كان فى سياق التعظيم ، و كان قد آتى كل نفس من الإدراك ما تعرف[1] به منافعها و مضارها ، عبر عن الكل بأداة من يعقل و إن كانوا متفاوتين فى التمييز فقال : ﴿ من يمشى على بطنه ج ﴾ أى من غير

٥ رجل ؛ و قدم هذا[2] لكونه / أدل على القدرة ، و سماه مشيا استعارة ٦٥٥ / و مشاكلة ﴿ و منهم من يمشى على رجلين ج ﴾ أى ليس غير ﴿ و منهم من يمشى على اربع ط ﴾ أى من الأيدى و الأرجل ، و فى هذا تنبيه على من يمشى على أكثر من ذلك ، و إليه الإشارة بقوله : ﴿ يخلق الله ﴾ و عبر باسم الجلالة إعلاما بتناهى العظمة ؛ و قال : ﴿ ما يشآء ط ﴾

١٠ دلالة على أنه فعله بقدرته و اختياره[3] ، لا مدخل لشىء غير ذلك فيه إلا بتقدير[4] العزيز العليم .

[[5] و لما كانت هذه الأدلة ناظرة إلى البعث أتم نظر ، و كانوا منكرين له ، أكد قوله[6]] : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الكمال المطلق ﴿ على كل شىء ﴾ من ذلك و غيره ﴿ قدير ه ﴾ .

١٥ و لما اتضح بهذا ما لله تعالى من صفات الكمال و التنزه عن كل شائبة نقص ، و قامت أدلة الوحدانية على ساق ، [7]و اتسقت[7] براهين الألوهية أى اتساق ، قال مترجما لتلك الأدلة : ﴿ لقد انزلنآ ﴾ أى فى

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : يعرف (٢) من ظ ومد ، و فى الأصل : لهذا .
(٣) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها .
(٤) فى ظ : بتسخير (٥) زيد من ظ ومد (٦) زيد فى ظ بعده : بتقدير - كذا .
(٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .

هذه

هذه السورة و ما تقدمها، بما لنا من العظمة ﴿ ايت ﴾ أى من الحكم و الأحكام و الأدلة و الأمثال ﴿ مبينت ﴾ لا خفاء فى شىء منها عند أحد من الخلق، لأن الله قد أراد هدايتكم، بعضكم بالبيان، و بعضكم بخلق الإذعان ﴿ و الله ﴾ [أى -[1]] الملك الأعظم ﴿ يهدى من يشآء ﴾ من العباد كلهم ﴿ إلى صراط مستقيم ﴾ بالقوة بانزال الآيات، و الفعل ٥ بخلق الإيمان و الإخبات، فيؤمنون[2] إيمانا قلبيا ثابتا.

و لما كان إخفاء هذه الآيات عن البعض بعد بيانها أعجب من ابتداء نصبها، فكان السياق ظاهرا فى أن التقدير: و الله يضل من يشاء فيكفرون بالآيات و الذكر الحكيم، و كان الخروج من نورها بعد التلبس بها إلى الظلام أشد غرابة، عطف على [ما -[1]] قدرته مما دل عليه السياق أتم ١٠ دلالة قوله دليلا شهوديا على ذلك المطوى، معجبا ممن عمى عن دلائل التوحيد التى أقامها تعالى و عددها و أوضحها بحيث صارت كما ذكر تعالى أعظم من نور الشمس: ﴿ و يقولون ﴾ أى الذين ظهر لهم[3] نور الله، بالسنتهم فقط: ﴿ امنا بالله ﴾ الذى أوضح لنا[4] جلاله، و عظمته و كماله ﴿ و بالرسول ﴾ الذى علمنا كمال رسالته و عمومها بما[5] أقام عليها من الأدلة ١٥ ﴿ و اطعنا ﴾ أى أوجدنا الطاعة لله و للرسول، و عظم المخالفة بين الفعل و القول بأداة البعد[6] فقال: ﴿ ثم يتولى ﴾ أى يرتد بانكار القلب و يعرض عن[7] طاعة الله و رسوله، ضلالا منهم عن الحق ﴿ فريق منهم ﴾

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ: فلو لا يعلمون - كذا (٣) فى ظ: له.
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لهم (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: الفعل (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: على.

أى ناس يقصدون الفرقة من هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة[1].

و لما كان ينبغي أن يكون وقوع الارتداد منهم - كما أشير إليه - في غاية البعد و إنه كان في أقل زمن، أشار إليه بأداة التراخي، و أكد ذلك بقوله مثبتا الجار: ﴿ من بعد ذلك ﴾ أى القول السديد[2] ٥ الشديد المؤكد، مع الله الذي هو أكبر من كل شيء، و مع رسوله الذي هو أشرف الخلائق ﴿ و مآ اولٓئك ﴾ أى البعداء البغضاء الذين صاروا بتوليهم[3] في محل البعد ﴿ بالمؤمنين ﴾ أى بالكاملين في الإيمان قولا و عقدا، و إنما هم من أهل الوصف اللساني، المجرد عن المعنى الإيقاني.

١٠ ٦٥٦ / / و لما فضحهم بما أخفوه من توليهم[3]، قبح عليهم ما أظهروه، فقال معبرا بأداة التحقيق[4]: ﴿ و اذا دعوآ ﴾ أى الذين ادعوا الإيمان من أى داع كان ﴿ الى الله ﴾ أى ما نصب الملك الأعظم من أحكامه ﴿ و رسوله ليحكم ﴾ أى الرسول ﴿ بينهم ﴾ بما أراه الله ﴿ اذا فريق منهم ﴾ أى ناس[5] مجبولون على [6]الأذى المفرق[6] ﴿ معرضون ﴾ أى فاجأوا ١٥ الإعراض، إذا كان الحق عليهم، لاتباعهم أهواءهم، مفاجأة تؤذن بثباتهم فيه ﴿ و ان يكن ﴾ أى كونا ثابتا [جدا - [7]] ﴿ لهم ﴾ أى

---

(١) من مد، و في الأصل: اسد، و الكلمة ساقطة من ظ (٢) من ظ و مد، و في الأصل: بتوليتهم (٣) في ظ: توليتهم (٤) من مد، و في الأصل و ظ: التحقق (٥) زيد في الأصل: اى، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها. (٦-٦) من ظ و مد، و في الأصل: الادنى المعرف (٧) زيد من ظ و مد.

على سبيل الفرض ﴿الحق﴾ أي بلا شبهة ﴿ياتوآ اليه﴾ أي[1] الرسول ﴿مذعنين ﴾ أي منقادين أتم انقياد لما وافق من أهوائهم لعلمهم[2] أنه دائر مع الحق لهم و عليهم، لا اطاعة الله و رسوله صلى الله عليه و سلم .

و لما كان سبب فعلهم هذا بعد إظهارهم الطاعة مشكلا ، ناسب أن يسأل عنه ، فقال تعالى مبينا[3] له بعد التنبيه على ما يحتمله من الحالات : ٥ ﴿ا فى قلوبهم مرض﴾ أي نوع فساد من أصل الفطرة يحملهم على الضلال ﴿ ام ارتابوآ ﴾ بأن حدثت لهم شبهة أعمتهم عن الطريق ﴿ام﴾ ليس فيهم خلل لا أصلي و لا طارئ ، بل الخلل فى الحاكم فهم[4] ﴿يخافون ان يحيف﴾ أي يجور ﴿ الله ﴾ الغنى عن كل شيء، لأن له كل شيء ﴿عليهم﴾ بنصب حكم جائر و هو منزه عن الأغراض ﴿ و رسوله ﴾ الذي ١٠ لا ينطق عن الهوى، بضرب أمر زائغ و قد ثبتت[5] عصمته عن الأدناس .

و لما لم يكن شيء من ذلك كائنا . أضرب عنه فقال : ﴿بل اولئك﴾ أي البعداء البغضاء ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ الظلمون ﴾ أي الكاملون فى الظلم ، لأن قلوبهم مطبوعة على المرض و الريب ، لا أن فيها نوعا واحدا منه ، و ليسوا يخافون الجور[6] ، بل هو مرادهم إذا كان الحق عليهم . ١٥

و[7] لما نفى[7] عنهم الإيمان الكامل بما وصفهم[8] به ، كان كأنه -

(١) زيد فى الأصل : الى . و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ ومد، و فى الأصل : بعلمهم (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : تثبيتا (٤) من ظ ، و فى الأصل و مد : فيهم (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ثبت (٦) فى ظ : الجوار (٧ - ٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا يعنى - كذا (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : وضعهم .

مثل[1] عن حال المؤمنين فقال : ﴿ انما كان ﴾ أى دائما ﴿قول المؤمنين﴾ أى العريقين فى ذلك الوصف ، و أطبق العشرة على نصب القول ليكون اسم " كان " أوغل[2] الاسمين فى التعريف ، وهو 'أن' و صلتها"[3] لأنه لاسبيل عليه للتنكير ، و لشبهه[4] - كما قال ابن جنى فى المحتسب - بالمضمر
٥ من حيث أنه لا يجوز وصفه كما لا يجوز وصف المضمر ، و قرأ على رضى الله عنه بخلاف و ابن أبى إسحاق " قول " بالرفع[5] ﴿ اذا دعوآ ﴾ أى من أىّ داع كان ﴿ الى الله ﴾ أى ما أنزل الملك الذى لا كفوء له من أحكامه ﴿ و رسوله ليحكم ﴾ أى الله بما نصب من أحكامه ، أو الرسول صلى الله عليه و سلم بما يخاطبهم به من كلامه[6] ﴿ بينهم ﴾
١٠ [أى -[7]] فى حكومة من الحكومات لهم أو عليهم ﴿ان يقولوا سمعنا﴾ أى الدعاء ﴿ و اطعنا ﴾ أى بالإجابة لله و رسوله صلى الله عليه و سلم . و لما كان التقدير : فأولئك هم المؤمنون . عطف عليه قوله : ﴿و اولٓـئك﴾ أى العالو[8] الرتبة ﴿ هم ﴾ خاصة ﴿المفلحون ه﴾ الذين تقدم فى أول المؤمنون[9] وصفهم بأنهم يدركون [جميع -[7]] مأمولهم .
١٥ و لما رتب سبحانه الفلاح على هذا النوع الخاص من الطاعة ،

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : سبيل (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : اوعل (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : صلها - كذا (٤) زيد فى الأصل : بالضمير ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) راجع البحر المحيط ٦/٤٦٨ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : كلامهم (٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : العالى (٩) فى ظ و مد : المؤمنين .

أتبعه

أتبعه عموم / الطاعة فقال: ﴿ و من يطع الله ﴾ أي الذي له الأمر كله /٦٥٧
﴿ و رسوله ﴾ أي في الإذعان للقضاء و غيره فيما ساءه و سره من جميع
الأعمال الظاهرة ﴿ و يخش الله ﴾ أي الذي له الجلال و الإكرام، بقلبه
لما مضى من ذنوبه ليحمله ذلك على كل خير، كما كان الصحابة رضوان
الله عليهم إذا وقع أحد منهم في تقصير يأتي إلى[1] النبي صلى الله عليه ٥
و سلم فيقول: طهرني. و يلقن أحدهم الرجوع فلا يرجع. و في تطهيره[2]
الإتيان على نفسه، وقع ذلك لرجالهم و نسائهم - رضي الله عنهم أجمعين
و أحيانا على منهاجهم و حشرنا في زمرتهم! ﴿ و يتقه ﴾ أي الله فيما
يستقبل بأن[3] يجعل[4] بينه و بينما يسخطه وقاية من المباحات فيتركها ورعا.
و لما أفرد الضمائر إشارة إلى قلة المطيع، جمع لئلا يظن أنه واحد ١٠
فقال: ﴿ فأولٓئك ﴾ العالو الرتبة ﴿ هم الفآئزون ﴾ بالملك الأبدي،
و لا فوز لغيرهم.

و لما ذكر سبحانه ما رتب على الطاعة الظاهرة التي هي دليل الانقياد
الباطن، ذكر حال المنافقين فيه، فقال عاطفا على "و يقولون" لأنه
ليس المراد منه إلا مجرد القول من غير إرادة [تقييد -[5]] بزمان معين: ١٥
﴿ و اقسموا ﴾ وكأنه عبر بالماضي إشارة إلى أنهم لم يسمحوا به أكثر
من مرة[6]، لما يدل عليه من زيادة الخضوع و الذل ﴿ بالله ﴾ اى الملك
الذي له الكمال المطلق؛ و استعار من جهد النفس قوله في موضع الحال:

(١) سقط من ظ (٢) في ظ: تطهير (٣) في ظ: ان (٤) من ظ و مد، و في
الأصل: لايجعل (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد، و في الأصل: مدة.

﴿ جهد ايمانهم ﴾ أى غاية الإقسام : ﴿ لئن امرتهم ﴾ أى بامر من الأمور ﴿ ليخرجن[4] ﴾ مما هم ملتبسون[1] به من خلاوه . كائنا ما كان ، إلى ما أمرتهم به ، و ذلك أنهم كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه و سلم : أينما كنت نكن معك ، إن خرجت خرجنا ، و إن أقمت أقمنا ، ٥ و إن أمرتنا بالجهاد جاهدنا - قاله البغوى[2] . فكأنه قيل : ما ذا تفعل فى اختبارهم ؟ فقيل : الأمر أوضح من ذلك ، فان لكل حق حقيقة ، و لكل فعل أدلة ﴿ قل ﴾ أى لهم : ﴿ لا تقسموا ج ﴾ أى لا تحلفوا فان العلم بما أنتم عليه لايحتاج إلى الإقسام ، و ليكن[3] المحرك لكم إلى الخروج محبة الامتثال لا إلزام[4] الإقسام ، و فيه إشارة إلى أنهم أهل للاتهام[5] ، ١٠ و كذا[6] قال المتنبى :

و فى يمينك فيما[7] أنت واعده ما دل أنك فى الميعاد متهم

ثم علل ذلك بقوله : ﴿ طاعة ﴾ أى هذه الحقيقة ﴿ معروفة ط ﴾ أى منكم و من غيركم[8] ، و إرادة الحقيقة هو الذى سوغ[9] الابتداء بها مع تنكير لفظها ، لأن[10] العموم الذى تصلح[11] له كما قالوا من أعرف المعارف ،

---

(١) من ظ و مد ، و فى الاصل : متلبسون (٢) فى المعالم - راجع هامش اللباب ٥/٧٠ (٣) فى ظ : لكن (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لزام (٥) فى ظ : للاهتمام (٦) فى مد : لذا (٧) فى ظ : ما (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : غيرهم (٩) من مد ، و فى الأصل : سرع ، و فى ظ : يسوغ (١٠) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يصلح .

و لم[1] تعرف بـ « ال » لئلا يظن أنها لعهد ذكرى أو نحوه ، و المعنى أن الطاعة و إن اجتهد العبد فى إخفائها لا بد أن تظهر مخايلها على شمائله ، وكذا[2] المعصية لأنه « ما أسر عبد سريرة[3] إلا ألبسه الله رداءها » ـ رواه الطبرانى[4] عن جندب رضى الله عنه ، و روى مسدد[5] عن عثمان ابن عفان رضى الله عنه قال : لو أن رجلا دخل بيتا فى جوف بيت ٥ فأدمن هناك عملا أوشك الناس أن / يتحدثوا به ، و ما من عامل /٦٥٨ عمل عملا إلا كساه الله رداء عمله ، إن كان خيرا فخير ، و إن كان شرا فشر . و لأبى يعلى[4] و الحاكم ـ و قال : صحيح الإسناد و لم يخرجاه ـ عن أبى سعيد رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : لو أن أحدكم يعمل فى صخرة صماء ليس لها باب و لا كوة ١٠ لخرج عمله للناس كائنا ما[6] كان . ثم علل إظهاره للخبء بقوله[7] : ﴿ان الله﴾ أى الذى له الإحاطة بكل شىء ﴿خبير بما تعملون ﴾ و إن اجتهدتم فى إخفائه ، فهو ينصب عليه دلائل[8] يعرفه[9] بها عباده ، فالحلف غير مغنٍ عن الحالف ، و التسليم غير ضار للمسلم .

و لما نبه على خداعهم ، و أشار إلى عدم الاغترار بايمانهم ، و إلى ١٥

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : كم (٢) فى مد : لذا (٣) فى ظ : لسريرة .
(٤) راجع مجمع الزوائد ١٠/٢٢٥ (٥) راجع كنز العمال ٢/١٣٧ (٦) من المجمع ، و فى الأصول : من (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : فقال (٨) فى ظ : دليل (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : يعرف .

قبول شهادة التوسم فيهم ، أمر بترغيبهم و ترهيبهم[1] ، مشيرا إلى الإعراض
عن عقوبتهم فقال : ﴿ قل اطيعوا ﴾ أيها الذين أقروا بالإيمان ﴿ الله ﴾
أي الذى له الكمال المطلق ﴿ و اطيعوا الرسول[4] ﴾ أى الذى له الرسالة
المطلقة ، ظاهرا و باطنا لا كالمنافقين ﴿ فان تولوا ﴾ أى توجد منكم[2]
٥ التولية عن ذلك عصيانا[3] له و لو على أدنى وجوه التولية ـ بما أشار
إليه حذف التاء ، [4] تضلوا فلا تضروا[4] إلا أنفسكم ، و هو معنى قوله :
﴿ فانما عليه ﴾ أى الرسول ﴿ ما حمل ﴾ أى من التبليغ ممن إذا حمل
أحدا[5] شيئا فلا بد من حمله له أو حمل ما هو أثقل منه ﴿ و عليكم ما حملتم[4] ﴾
من القبول ، و ليس عليه أن يقسركم[6] على الهداية ؛ و أفهم بقوله ـ :
١٠ ﴿ و إن تطيعوه ﴾ أى بالإقبال على كل ما يأمركم به ﴿ تهتدوا[4] ﴾ أى إلى
كل خير ـ أنه لا هداية لهم بدون متابعته ؛ روى عبد الله بن الإمام أحمد
فى زيادات المسند[7] عن النعمان بن بشير رضى الله عنه أن النبى صلى الله
عليه و سلم قال على المنبر : من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير[8] ، و من[9]
لم يشكر الناس لم يشكر الله ، و التحدث بنعمة الله شكر ، و تركه كفر ،
١٥ و الجماعة رحمة ، و الفرقة عذاب . قال : فقال أبو أمامة الباهلى رضى الله
عنه : عليكم بالسواد الأعظم ! قال : فقال رجل : ما السواد الأعظم ؟

---

(١) فى ظ : تركيبهم (٢) فى مد : منهم (٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : غضبا .
(٤ - ٤) من ظ و مد ، و فى الاصل : نظرا فلاتصرف (٥) من مد ، و فى
الأصل : ابعدا ، و الكلمة ساقطة من ظ (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : يقركم .
(٧) راجع المسند ٤/٢٧٨ و ٣٧٥ (٨) الكلمة مطموسة فى مد (٩) سقط من ظ .

فنادى[1] أبو أمامة هذه الآية [في سورة -[2]] النور "فان تولوا فانما عليه ما حمل و عليكم ما حملتم" .

و لما كان ما حمله الرسول صلى الله عليه و سلم مبهما ، عينه بقوله : ﴿ و ما على الرسول ﴾ أي[3] من جهة غيره ﴿ الا البلٰغ المبين ۝ ﴾ أي التبليغ الذي يحصل به البلاغ من غير شك ، إما بالإيضاح وحده أو مضموما ٥ إلى السيف فما دونه من أنواع الزواجر .

و لما لاح بهذا الإذن في الكف عن قتل النبي صلى الله عليه و سلم للمنافقين لئلا يقول الناس : إن محمدا استنصر بقوم ، فلما نصره الله بهم أقبل يقتلهم[4] . فيمتنع من يسمع ذلك من الدخول في الإسلام . فتكون مفسدة قتلهم أعظم من مفسدة إبقائهم[5] ، لأن الدين لم يكن حينئذ ١٠ [تمكن -[6]] تمكنا لا يؤثر فيه مثل ذلك ، تشوفت النفوس إلى أن هذا الحال[7] هل[3] يستمر ؟ فجلى الله عنها هذا الكرب بقوله ، بيانا لأن تمكن الدين غير مفتقر إليهم سواء أقبلوا أو أدبروا : ﴿ وعد الله ﴾ أي الذي له الإحاطة بكل شيء ﴿ الذين اٰمنوا ﴾ / و هو مع ذلك كالتعليل لما قبله /٦٥٩ ترغيبا[8] لمن نظر في الدنيا [نوع نظر -[6]] ؛ و قيد بقوله : ﴿ منكم ﴾ ١٥ تصريحا بأهل القرن الأول ، ليكون ظاهرا في إخراج المنافقين المتولين

(١) من ظ و مد و المسند ، وفي الأصل : نقال (٢) زيد من ظ ومد و المسند.
(٣) سقط من ظ (٤) في ظ : بقتلهم (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : ايقاعهم .
(٦) زيد من ظ ومد (٧) من ظ ومد ، و في الأصل : الحاصل (٨) في ظ : ترهيبا.

بالإعراض ، إشارة إلى أنهم لايزالون فى ذل و ضعة ؛ و قدم هذا القيد اهتماما به لما ذكر بخلاف ما يأتى فى سورة الفتح[١] ﴿ و عملوا ﴾ تصديقا لإيمانهم ﴿ الصّٰلحٰت ﴾ من الإذعان للأحكام و غيرها ، و أكد غاية التأكيد بلام القسم ، لما عند أكثر الناس من الريب فى ذلك فقال:

٥ ﴿ ليستخلفنهم فى الارض ﴾ أى أرض العرب و العجم ، بأن يمد زمانهم ، و ينفذ أحكامهم ﴿ كما استخلف ﴾ أى طلب و أوجد خلافته بإيجادهم ﴿ الذين من قبلهم ص ﴾ أى من الأمم من بنى إسراءيل و غيرهم من كل من حصلت له مكنة ، و ظفر على الأعداء بعد الضعف الشديد كما كتب فى الزبور "ان الارض يرثها عبادى الصّٰلحون" وكما قال

١٠ موسى عليه السلام "ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتقين" ﴿ و ليمكنن لهم ﴾ أى فى الباطن و الظاهر ﴿ دينهم ﴾ أضافه[٢] إليهم إشارة إلى رسوخ أقدامهم فيه و أنه أبدى[٣] لاينسخ ﴿ الذى ارتضىٰ لهم ﴾ حتى يقيموا[٤] الحدود فيه من قتل و[٥] غيره على الشريف و الوضيع سواء كان الواقعون[٦] فى ذلك عصبة أم لا ، لا يراعون أحدا ، و لا يخافون

١٥ لومة لائم ، لأنه لايضره إذ ذاك إدبار مدبر[٧] كما قال صلى الله عليه و سلم عن الحرورية كافة إنه إن[٨] أدركهم ليقتلنهم قتل عاد[٩] ، بعد أن كفه

(١) راجع آية ٢٩ (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : اضافة (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : اهدى (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : تقيموا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : او (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الواقفون (٧) فى ظ : مدبرين (٨) فى ظ : اذا (٩) راجع مسند الإمام أحمد ٣/٦٨ .

عن قتل رأسهم و نهى عن قتله - و هو واحد - فى غزوة حنين .

و لما بشرهم بالتمكين، أشار لهم إلى مقداره بقوله: ﴿و ليبدلنهم﴾ و أشار إلى عدم استغراق هذا الأمن[1] العام لجميع الزمان باثبات الجار فقال: ﴿من بعد خوفهم﴾ هذا الذى هم فيه الآن ﴿ امنا[5] ﴾ أى عظيما بمقدار هذا الخوف، فى زمن النبوة و خلافتها؛ ثم أتبع ذلك نتيجته ٥ بقوله تعليلا للتمكين و ما معه: ﴿ يعبدوننى ﴾ أى وحدى؛ و صرح[2] بالمراد بيانا لحال العبادة النافعة بقوله: ﴿ لايشركون بى شيئا[5] ﴾ ظاهرا و لا باطنا، لأن زمانهم يكون زمن عدل، فلا يتحابون فيه بالرغبة و الرهبة؛ [3]روى الطبرانى فى الأوسط[4] عن أبى بن كعب رضى الله عنه قال: لما قدم النبى صلى الله عليه و سلم و أصحابه رضى الله عنهم المدينة، ١٠ و آوتهم الأنصار - رضى الله عنهم أجمعين[5]، رمتهم[6] العرب من[7] قوس واحدة فنزلت " ليستخلفنهم فى الارض " - الآية - و لقد صدق الله سبحانه - و من أصدق من الله حديثا - ففتح سبحانه لهم البلاد، و نصرهم على جبابرة العباد، فأذلوا رقاب الأكاسرة، و استعبدوا أبناء القياصرة، و مكنوا شرقا و غربا مكنة لم تحصل قبلهم لأمة من الأمم، كما قال ١٥ صلى الله عليه و سلم[8]: إن الله زوى لى[5] الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها،

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الامر (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ضوح (٣) زيدت الواو فى ظ (٤) راجع مجمع الزوائد ٧/٨٣ (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد و المجمع، و فى الأصل: رحتهم (٧) من ظ و مد و المجمع، وفى الأصل: على (٨) راجع مسند الإمام أحمد ٥/٢٧٨، و راجع أيضا الفتن عند مسلم و أبى داود و الترمذى و ابن ماجه .

و سيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها . يعرف[1] ذلك من طالع فتوح
البلاد ، و أجمعها و أحسنها النصف الثانى من سيرة الحافظ أبى[2] الربيع ٦٦٠/
ابن سالم الكلاعى ، و كتاب شيخه ابن حبيش[3] أيضا جامع ، و لا أعلم
شيئا أنفع فى رسوخ الإيمان ، بعد حفظ القرآن ، من مطالعة[4] السير
٥ و الفتوح ، و سيرة الكلاعى جامعة للأمرين[5] ، و نظمى للسيرة فى القصيدة
التى أولها :

ما بال جفنك هامى الدمع هامره و بحر فكرك وافى الهم وافره

أجمع السير[6] - يسر الله إكمال شرحها ، آمين .

و لما قتلوا عثمان رضى الله عنه ، و خرجوا على على ثم ابنه الحسن
١٠ رضى الله عنهما ، نزع[7] الله ذلك الأمن كما أشير إليه بـ « من » و تنكير
" امنا " و جاء الخوف[8] و استمر يتطاول و يزداد قليلا قليلا إلى أن
صار فى زماننا هذا إلى أمر عظيم - و الله المستعان .

و لما كان التقدير : فمن[9] ثبت على دين الإسلام ، و انقاد لأحكامه
و استقام ، نال هذه البشرى ، عطف عليه قوله : ﴿ و من كفر ﴾
١٥ [أى -[10]] بالإعراض عن الأحكام أو غيرها ؛ أو هو عطف على " يعبدوننى "

---

(١) زيد فى ظ : من (٢) فى الأصل : بن ، و التصحيح من ظ و مد و تذكرة الحفاظ ١٤١٧ ، و هو سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميرى الكلاعى المتوفى ٦٣٤ هـ (٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصارى الأندلسى أبو القاسم ابن حبيش المتوفى ٥٨٤ هـ (٤) فى ظ : مطالع (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : للأميرين (٦) فى ظ : الشيئين (٧) فى ظ : انزع (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : الخوف (٩) فى ظ : فما (١٠) زيد من ظ و مد .

لأن

لأن معناه: و من [لم - ١] يعبدني .

و لما كان الفاسق ٢ الكامل إنما هو من مات على كفره لحبط عمله، فكان بذلك كفره مستغرقا لزمانه [دون من مات مسلما و إن كان كافرا في جميع ما مضى له قبل ذلك - ١]، أسقط الجار فقال: ﴿ ٣بعد ذلك٣ ﴾ أي الاستخلاف العظيم على الوجه المشروح ٥، ﴿ فأولئك ﴾ البعداء من الخير ﴿ هم ﴾ خاصة ﴿ الفسقون ۝ ﴾ أي الخارجون من الدين خروجا كاملا، لا تقبل معه معذرة، و لا تقال لصاحبه عثرة، بل تقام عليهم الأحكام بالقتل و غيره، [و - ١] لا يراعى فيهم ملام ٤، و لا تأخذ بهم رأفة عند الانتقام ٥، كما تقدم [في - ٦] أول السورة فيمن لزمه الجلد، و لعل الآية مشيرة إلى أهل الردة . ١٠

و لما تمت هذه البشرى، و كان التقدير: فاعملوا ٧ و اعبدوا، عطف عليه قوله: ﴿ و اقيموا الصلوة ﴾ أي فإنها قوام ما بينكم و بين ربكم؛ مع أنه يصح عطفه على قوله "اطيعوا الله" فيكون من مقول "قل"؛ ﴿ و اتوا الزكوة ﴾ فهي نظام ما بينكم و بين إخوانكم ﴿ و اطيعوا الرسول ﴾ [أي - ١] المحيط بالرسالة ٨ في كل ما يأمركم به، فإنما هو عن أمر ربكم ١٥ ﴿ لعلكم ترحمون ۝ ﴾ أي لتكونوا [عند من يجهل العواقب - ١] على

(١) زيد من ظ ومد (٢) من ظ ومد، و في الأصل: الفسق (٣-٣) تكرر ما بين الرقمين في الأصل دون ظ ومد بعد « من كفره » ص ٣٠٦ س ١٤ (٤) سقط من ظ (٥) من مد، و في الأصل و ظ: انتقام (٦) زيد من مد (٧) في مد: فاعلموا (٨) في ظ ومد: الرسالة .

رجاء من حصول الرحمة ممن لا راحم في الحقيقة[1] غيره .

و لما كان الكفار من الكثرة و القوة بمكان ، كان الحال جديرا بتأكيد معنى التمكين ، جوابا لسؤال من كأنه قال : و هل ذلك ممكن؟ فقال : ﴿ لا تحسبن ﴾ أي أيها المخاطب ﴿ الذين كفروا ﴾ أي و إن
٥ زادت كثرتهم[2] على العد ، و تجاوزت عظمتهم الحد ، فان ذلك الحسبان ضعف عقل ، لأن الملك لا يعجزه من تحت قهره ، و يجوز[3] أن يكون خطابا للنبي صلى الله عليه و سلم لزيادة تحقيقه ، لأنه على قدر عظمة المخاطب يكون إنجاز الوعد[3] ﴿ معجزين ﴾ لأهل ودنا ﴿ في الارض ﴾ فانهم مأخوذون لا محالة ﴿ و ماوٰهم ﴾ [4] أي مسكنهم[4] و منزلهم بعد الأخذ
١٠ ﴿ النار ﴾ . و لما كانت سكنى الشيء لا تكون[5] إلا بعد الصيرورة إليه قال : ﴿ و لبئس المصير ﴾ مصيرها ! فكيف إذا كان على وجه السكنى .

/٦٦١ و لما كان الملل / من شيم النفوس ، فكان تدريج الكلام في المقاصد لا سيما الأحكام شيئا فشيئا خلال مقاصد أخرى أوقع في القلب ، و أشهى إلى الطبع ، لاسيما إذا كان على وجوه من المناسبات عجيبة ،
١٥ و ضروب من الاتصالات هي مع دقتها غريبة ، زين الله تأصيلها [بتفصيلها[6]] فابتدأ السورة بطائفة منها ، وفصلها بدرر[7] الوعظ ، وجواهر الحكم[8] ،

---

(١) زيد في الأصل : احد ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٢) في ظ : كثرتكم (٣ - ٣) ورد ما بين الرقمين في ظ بعد « تجاوزت عظمتهم » .
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ ومد ، وفي الأصل : لا يكون .
(٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ ومد ، وفي الأصل : بدور (٨) في ظ : الحلم .

والحث على[1] معالي الأخلاق، و مكارم الأعمال، ثم وصلها بالإلهيات[2] التي هي أصولها. و عن على مقاماتها تفرعت فصولها، فلما ختمها بالتمكين لأهل "هذا الدين"[3]، و توهين أمر المعتدين، شرع في إكمالها[4]، باثبات بقية أحوالها، تأكيدا لما حكم به من التمكين، وما ختمه من ذلك من التوهين، و تحذيرا بما ختمه به من العذاب ٥ المهين، و تحقيقا لما ألزم به من الطاعة[5]، و لزوم السنة و الجماعة، فقال واصلا بما ختم به الأحكام الأولى، من الأمر بانكاح[6] الأيامى، و الكف عن إكراه البغايا[7]، إثر الذين لم يظهروا على عورات النساء: ﴿ يٰأيها الذين ءامنوا ﴾ أى من الرجال و النساء، إما للتغليب، و إما لأن النساء أولى بحفظ العورة ﴿ ليستاذنكم ﴾ تصديقا لدعوى الإيمان ١٠ ﴿ الذين ملكت ايمانكم ﴾ من العبيد و الإماء البالغين، و من قاربهم، للدخول عليكم كراهة الاطلاع على عوراتكم و التطرق بذلك إلى مساءتكم[8] ﴿ و الذين ﴾ ظهروا على عورات النساء، و لكنهم ﴿ لم يبلغوا الحلم ﴾ و قيده بقوله: ﴿ منكم ﴾ ليخرج الأرقاء و الكفار ﴿ ثلث مرٰت ﴾ في كل دور، و يمكن ان يراد: ثلاث استئذانات في كل مرة، فان ١٥ لم يحصل الإذن رجع المستأذن - كما تقدم: المرة الأولى من الأوقات

(١) في ظ: مع (٢) من ظ ومد، و في الأصل: بالهيئات (٢-٢) من ظ ومد، و في الأصل: الدين هذا (٤) في ظ: كمالها (٥) من ظ ومد، و في الأصل: الطاعات (٦) من مد، و في الأصل و ظ: بالنكاح (٧) من ظ و مد، و في الأصل: البقايا (٨) من ظ و مد، و في الأصل: مسافكم.

الثلاث ﴿ من قبل صلوٰة الفجر ﴾ لأنه وقت القيام من المضاجع و طرح ثياب[1] النوم ﴿و﴾ الثانية ﴿حين تضعون ثيابكم﴾ أى التى للخروج بين الناس ﴿من الظهيرة﴾ للقائلة ﴿و﴾ الثالثة ﴿من بعد صلوٰة العشآء﴾ لأنه وقت الانفصال من ثياب اليقظة ، و الاتصال بثياب النوم ، و خص[2]

٥ هذه الأوقات لأنها ساعات الخلوة[3] و وضع الثياب ، و أثبت [من -[4]] فى الموضعين دلالة على قرب الزمن من الوقت المذكور لضبطه[5] ، و أسقطها فى الأوسط دلالة على استغراقه لأنه غير[6] منضبط ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ ثلث عورٰت ﴾ أى اختلالات فى التستر[7] و التحفظ ، و أصل العورة - كما قال البيضاوى : الخلل[8] . لأنه لما كانت [العورة -[4]]

١٠ تبدو فيها سميت بها ﴿ لكم ﴾ لأنها ساعات وضع الثياب و الخلوة بالأهل ؛ و بين حكم ما عدا ذلك بقوله مستأنفا : ﴿ ليس عليكم ﴾ أى فى ترك الأمر ﴿ و لا عليهم ﴾ [9] يعنى العبيد و الخدم و الصبيان ، فى ترك الاستئذان ﴿ جناح ﴾ أى إثم ، و أصله الميل ﴿ بعدهن ﴾ أى فى جميع ما سوى هذه الأوقات / إذا هجموا[10] عليكم ؛ ثم علل الإباحة فى غيرها ، /٦٦٢

(١) فى ظ : ثبات - خطأ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : حصر (٣) من ظ ومد، و فى الأصل : الخلوات (٤) زيد من ظ ومد (٥) فى ظ : لضبطه (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : خبر (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الستر (٨) من ظ و مد و مدارك التنزيل ، و فى الأصل : التخلل (٩) زيد فى الأصل : اى فى ترك الأمر ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠) من ظ ومد ، و فى الأصل : حجموا .

مخرجا

مخرجا لغيرهم، مبينا أن حكمة الاستئذان في كل وقت كما مضى بقوله: ﴿ طوافون عليكم ﴾ أى لعمل ما[1] تحتاجونه فى الخدمة كما أنتم طوافون عليهم لعمل ما[1] يصلحهم[2] و يصلحكم فى الاستخدام ﴿ بعضكم ﴾ طواف ﴿على بعض[4]﴾ لعمل ما يعجز عنه الآخر أو يشق عليه. فلو عم الأمر بالاستئذان لأدى إلى الحرج. ٥

و لما أعلى سبحانه البيان فى هذه الآيات إلى حد يعجز الإنسان لاسيما [3]و هى[3] فى الأحكام، و الكلام فيها[4] يعيي أهل البيان، وكان السامع لما جبل عليه من النسيان، يذهل عن أن هذا هو الشأن، فى جميع القرآن، قال مشيرا إلى عظم شأنها، فى تفريقها[5] و بيانها: ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا البيان ﴿ يبين الله ﴾ بما له من إحاطة العلم والقدرة ﴿ لكم ﴾ [6]أيتها ١٠ الأمة خاصة[6] ﴿ الأيٰت ﴾ فى الأحكام وغيرها بعلمه و حكمته[7] ﴿ والله ﴾ الذى له الإحاطة العامة بكل شيء ﴿ عليم ﴾ بكل شيء ﴿ حكيم ﴾ يتقن ما يريده، فلا يقدر أحد على نقضه، و[8] ختمُ الآية بهذا الوصف يدل على أنها محكمة لم تنسخ كما قال الشعبى و غيره - أفاده ابن كثير[9]. و حُكى مثله عن ابن عباس رضى الله عنهما و سعيد بن جبير. ١٥

(١-١) ما بين الرقمين متكرر فى ظ (٢) زيد فى الأصل: به، و لم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٣-٣) من ظ ومد، وفى الأصل: فهى (٤) من ظ ومد، و فى الأصل: فيما (٥) فى ظ: تعريفها (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ. (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: حكمه (٨) زيد فى الأصل: لما، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٩) راجع تفسيره ٣/٣٠٢.

و لما بين حكم الصبيان و الأرقاء الذين هم أطوع للأمر، و أقبل لكل خير، أتبعه حكم البالغين من الأحرار فقال: ﴿و اذا بلغ الاطفال منكم﴾ أى من أحراركم ﴿الحلم﴾ أى السن الذى يكون فيه[1] إنزال المنى
٥ برؤية الجماع فى النوم، هذا أصله. و المراد سن مطلق الإنزال ﴿فليستاذنوا﴾ على غيرهم فى جميع الأوقات[2] ﴿كما استاذن الذين من قبلهم[5]﴾ على ما بين[3] فى أول الآيات القائلة "لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا"، و نقل ابن كثير[4] عن يحيى بن أبى كثير و سعيد بن جبير أن الغلام إذا كان رباعيا [فانه - [5]] يستأذن فى العورات الثلاث على أبويه، فاذا
١٠ بلغ [الحلم - [6]] فليستأذن على كل حال.

و لما كانت آيات الاستئذان أتقن حاسم لمواد[7] الشر، و تركها أعظم فاتح لأبواب الفتن، و كان إخراج الكلام. فى أحكام الحلال و الحرام، مع التهذيب و البيان. فى النهاية من الصعوبة[8]، و كان فطم النفوس عما ألفت فى غاية من العسر شديدة، أشار سبحانه إلى ذلك
١٥ بتكرير آية البيان، إشارة إلى أنها - لما لها من العلو - جديرة بالتأكيد، و إلى أن البلغاء يستبعدون [القدرة على البيان - [9]] كلما أريد [10]على هذا السنن[10]

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: منه (٢) فى ظ: الاقارب - كذا (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: يبين (٤) راجع تفسيره ٣/٣٠٣ (٥) زيد من التفسير. (٦) زيد من ظ و مد و التفسير (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: لمراد. (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: الضعف به (٩) زيد من ظ و مد. (١٠-١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: عن النفس - كذا.

فقال: ﴿ كذلك ﴾ أى مثـل ذلك[1] البيان الذى بينه فى[2] آيات الأحكام ﴿ يبين الله ﴾ بما له من صفات الكمال ﴿ لكم ﴾ مع ما لكم من خلال[3] النقص ﴿ ءايته ﴾ أى العلامات الدالة عليه من هذه الفرعيات و ما رقت إليه من الأصليات، فأضافها إليه[4] سبحانه تعظيما لها، إشارة إلى أنها مقدمة للآيات الإلهيات، لأن من [5]لم يتفرغ عن مكدرات[5] ٥ الأفكار، لم يطر ذلك المطار، /و حثا على تدبر ما تقدم منها لاستحضار ٦٦٣ / مادعت إليه من الحكم، و فصلت به من المواعظ، و تنبيها على ما فيها من العلوم النافعة دينا و دنيا، و زاد فى الترغيب فى العلم و الحكمة إشارة إلى أن ذلك سبب كل سعادة فقال: ﴿ و الله ﴾ أى المحيط بكل شىء ﴿ عليم حكيم ﴾ روى الطبرانى[6] و غيره عن أنس رضى الله عنه ١٠ قال: لما كانت صبيحة احتلمت دخلت على النبى صلى الله عليه و سلم فأخبرته أنى قد احتلمت، فقال: لا تدخل على النساء. فما أتى على يوم كان أشد منه.

و لما ذكر سبحانه اقبال الشباب، فى [تغيير حكم الحجاب، أتبعه الحكم عند إدبار الشباب، فى -[7]] إلقاء الظاهر من الثياب، فقال: ١٥ ﴿ و القواعد ﴾ و حقق الأمر بقوله: ﴿ من النسآء ﴾ جمع قاعد، و هى

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: هذا (٢) زيد فى الأصل: هذه، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) فى ظ: خلاص (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الله (٥ - ٥) فى ظ: يتفرغ من مكدورات (٦) راجع مجمع الزوائد ٤/٣٢٦ (٧) زيد من ظ و مد.

التى قعدت عن الولد و عن الحيض كبرا و عن الزوج . و لما كان هذا الأخير قطبها قال : ﴿ التى لايرجون نكاحا ﴾ أى لعدم رغبتهن فيه أو لوصولهن إلى حد لايرغب فيهن معه ﴿ فليس عليهن جناح ﴾ أى شيء من الحرج فى ﴿ ان يضعن ثيابهن ﴾ أى الظاهرة فوق الثياب

٥ الساترة بحضرة الرجال بدليل قراءة ابن مسعود[1] رضى الله عنه " من ثيابهن " قال أبوصالح : تضع[2] الجلباب ، و هو ما يغطى ثيابها من فوق كالملحفة ، و تقوم بين يدى الرجل فى الدرع و الخمار ﴿ غير متبرجت بزينة[4] ﴾ أى متعمدات - بوضع ما أبيح لهن[3] وضعه - إظهار وجوههن مع الزينة ، أو غير متظاهرات بالزينة ، قال فى الجمع بين العباب و المحكم : تبرجت

١٠ المرأة : أظهرت وجهها . و فى القاموس : تبرجت : أظهرت زينتها للرجال - انتهى . و مادة [برج -] تدور على الظهور كما مضى فى الحجر[5] ، و قال البيضاوى[6] : و أصل البرج التكلف[7] فى إظهار ما يخفى - انتهى . و كأنه أشير بصيغة التفعل إلى أن ما ظهر منها[7] من وجهها أو زينتها عفوا غير مقصود به الفساد[8] لا حرج فيه .

١٥ و لما ذكر الجائز ، و كان[9] إبداء الوجه داعيا إلى الريبة ، أشار إليه

(١) و أبى بن كعب - كما ذكره فى المعالم - راجع هامش اللباب ٥/٧٣ (٢) فى ظ : يضع (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لها (٤) زيد من ظ و مد . (٥) راجع آية ١٦ (٦) راجع هذه الآية فى المدارك (٧) سقط من ظ (٨) زيدت الواو فى الأصل ، ولم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٩) فى ظ : كأنه .

بقوله

بقوله ذاكرا[1] المستحب، بعثا على اختيار أفضل الأعمال و أحسنها: ﴿و ان يستعففن﴾ أى يطلبن العفة بدوام الستر و عدم التخفف[2] بالقاء الجلباب و الخمار ﴿خير لهن[4]﴾ من الإلقاء المذكور.

و لما كان ما ذكر من حالهن من الخلطة على ذلك الوصف معلوما أنه لا يخلو عن كلام، كان التقدير: فالله فى وضع الحرج عنهن رؤف ٥ بهن رحيم، عطف عليه قوله: ﴿و الله﴾ [أى -[3]] الذى له [جميع -[3]] صفات الكمال ﴿سميع﴾ أى لكلامهن إذا خاطبن الرجال هل يخضعن فيه و[4] يتصنعن[5] فى ترخيم الصوت [به -[3]] أو يلقينه على الحالة المعروفة غير المنكرة ﴿عليم ه﴾ بما يقصدن[6] به و بكل شيء.

و لما أتم سبحانه ما ذكر من حرمات البيوت المستلزمة لصيانة ١٠ الأبضاع[7] على وجه يلزم منه إحراز الأموال، أتبعه ما يباح من ذلك للأكل الذى هو من أجلّ مقاصد الأموال اجتماعا و انفرادا، فقال فى جواب من كأنه / سأل: [هل -[3]] هذا التحجير فى البيوت سار / ٦٦٤ فى الأقارب و غيرهم فى جميع الأحوال؟: ﴿ليس على الاعمىٰ حرج﴾ أى فى مؤاكلة غيره [و ما يأتى من الأحكام، و إن كره غيره -[3]] ١٥ أكله لمد يده كيفما اتفق فانه مرحوم، و الاستئذان من أجل

(١) من مد، وفى الأصل: ذكر، وفى ظ: ذكرا (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: التحقق (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: او (٥) فى ظ ومد: يصنعن (٦) فى مد: يقصدون (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: الايضاح.

البصر ﴿و لا على الاعرج﴾ [1]الذى لا يرجى ﴿حرج﴾ [و إن تقذر منه بعض المترفين -[2]] فانه يجامعه فى أنه يرحم لنقصه ﴿و لا على المريض﴾ أى مرضا[3] يرجى بعرج أو غيره ﴿حرج﴾ كذلك لمرضه ، و أخره لرجاء برئه[1] ﴿و لا على[2] انفسكم﴾ [أي -[2]] و لا على غير[4] من ذكر ، و عبر
٥ بذلك تذكيرا بأن الكل من نفس واحدة ﴿ان تاكلوا من بيوتكم﴾ أى التى فيها عيالكم ، و ذكرها سبحانه لئلا يحصل من تركها لو تركها ريبة ، و ليدخل فيها بيوت الأولاد لأنهم من كسب الأب « أطيب ما أكل الرجل من كسبه و إن ولده من كسبه » « أنت و مالك لأبيك » ﴿او بيوت ابآئكم﴾ و إن بعدت أنسابكم - و لعله جمع لذلك - فانها
١٠ مرباكم و حرمتها حرمتكم ﴿او بيوت امهتكم﴾ كذلك ، و قدم الأب لأنه أجل و هو حاكم بيته دائما و المال له[5] ﴿او بيوت اخوانكم﴾ من الابوين أو الأب أو الأم بالنسب أو الرضاع ، فانهم من أولى من رضى بذلك بعد الوالدين ، لأنهم أشقاؤكم[6] ، و هم أولياء بيوتهم ﴿او بيوت اخوتكم﴾ فانهن بعدهم ، من أجل أن ولى البيت - إذا كن
١٥ مزوجات - الزوج ﴿او بيوت اعمامكم﴾ فانهم شقائق آبائكم سواء كانوا أشقاء أو لأب أو أم[7] ، و لو أفرد العم لتوهم أنه الشقيق فقط فانه أحق بالاسم ﴿او بيوت عمتكم﴾ فهن بعد الأعمام لضعفهن ، و لأنه ربما

(١) زيد فى الأصل : اى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : مرض (٤) من ظ ومد ، و فى الأصل : غيره (٥) العبارة من هنا إلى « اولياء بيوتهم » ساقطة من ظ (٦) فى مد : منكم (٧) فى ظ : لأم .

كان أولياء بيوتهن الأزواج ﴿ او بيوت اخوالكم ﴾ لأنهم شقائق أمهاتكم ﴿ او بيوت خلتكم ﴾ أخرهن لما ذكر ﴿ او ما ملكتم مفاتحة ﴾ أى التصرف فيه[1] بوجه من الوجوه كالوكالة ﴿ او صديقكم[4] ﴾ الذى[2] تعرفون رضاه بذلك و لو[3] بقرينة كما هو الغالب، و لذلك أطلقه، و إن لم يكن أمكنكم من مفتاحه بل كان عيالة فيه، كل ذلك من غير إفساد ٥ و لا حمل و لا ادخار، و قد عدل الصديق هنا بالقريب، تنبيها على شريف رتبة الصداقة و لطيف سرها، و خفيف أمرها، و أفرده لعزته؛ و عن جعفر بن محمد[4]: من عظم حرمة الصديق أن جعله الله كالنفس و الأب و من معه. قال الأصبهانى: و قالوا: إذا دل ظاهر الحال على رضا المالك قام ذلك مقام الإذن الصريح، و ربما سمج [5]الاستئذان و ثقل[5] كمن قدم ١٠ إليه طعام فاستأذن صاحبه فى الأكل.

و لما ذكر معدن الأكل، ذكر حاله فقال: ﴿ ليس عليكم جناح ﴾ أى شىء من الإثم الذى من شأنه أن يميل بصاحبه عن السواء [فى - [6]] ﴿ ان تاكلوا جميعا ﴾ أى[3] مجتمعين و إن كان بينكم ناقص الخلقة، لأن من كان معرضا للآفات جدير بأن يرحم المبتلى، فلا يستقذره حذرا من ١٥ انعكاس الحال[7].

---

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: به (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الذين. (٣) فى ظ: او (٤) راجع روح المعانى ٦ / ١١٢، (٥ - ٥) من ظ و مد، و فى الأصل: بالاستيذان نقل الاذن - كذا (٦) زيد من ظ و مد (٧) وقع بعده فى الأصل «او اشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم» فرتبنا الآية فيما سيأتى حسب وقوعها فى ظ و مد.

/ و لما رغب فى أول الإسلام - لما كان فيه أكثر الناس من ٦٦٥ /
الضيق - فى المؤاساة ، و الاجتماع مع الضيوف ، ترغيبا ظن به الوجوب ،
مع [ما - [1]] كانوا عليه من الكرم [2] الباعث على الجود و [3] الاجتماع
الآنس بالمحتاج [3] ، خفف عنهم بقوله : [[1] - ﴿او اشتاتا [1]﴾ أى متفرقين لغير
٥ قصد الاستقذار ، و الترفع و الإضرار [4] ، و إن كان الأكل فى جماعة أفضل
و أبرك - كما يفهمه تقديمه ، فقد روى الإمام أحمد [5] و أبو داود [6] و ابن ماجه [7]
عن وحشى بن حرب عن أبيه عن جده أن رجلا قال للنبي صلى الله
عليه و سلم : إنا نأكل و لا نشبع ، قال : فلعلكم تأكلون متفرقين ؟ اجتمعوا
على طعامكم ، و اذكروا اسم الله يبارك لكم فيه . و لابن ماجه [7] عن
١٠ عمر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال : كلوا جميعا
و لا تفرقوا فان البركة مع الجماعة .

و لما ذكر موطن الأكل و كيفيته ، ذكر الحال التى يكون عليها
الداخل إلى تلك المواطن أو غيرها ، فقال مسببا عما مضى من الإذن ،
معبرا بأداة التحقيق ، بشارة بأنهم يطيعون بعد أن كانوا تحرجوا من
١٥ ذلك حين أنزل تعالى «لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل [8]» : ﴿فاذا دخلتم﴾
أى بسبب ذلك أو غيره ﴿ بيوتا ﴾ أى مأذونا فيها ، أىّ بيوت كانت
مملوكة أو لا ، مساجد أو غيرها ﴿فسلموا﴾ عقب الدخول ﴿على [2] انفسكم﴾

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : المكرم (٣ - ٣) من
ظ و مد ، و فى الأصل : الاهتمام للانفس للحتاج - كذا (٤) فى ظ : الاضطرار .
(٥) فى المسند ٣/٥٠١ (٦) فى السنن ٢/٨٧ (٧) فى السنن ٢٤٤ (٨) سورة ٤ آية ٢٩ .

أى

أى أهلها الذين هم منكم دينا و قربا، و عبر بذلك ترغيبا فى السلام، و الإحسان فى الإكرام، و لتصلح العبارة لما إذا لم يكن فيها أحد فيقال حينئذ «السلام علينا و على عباد الله الصالحين» فيكون من الاستعمال] فى الحقيقة و المجاز ﴿تحية﴾ مصدر من المعنى دون اللفظ، [1]أى أوقعوا الدعاء للحي بسلامة و حياة و ملك و بقاء[1] ﴿من عند الله﴾ أى هى ٥ جديرة لتمام حسنها أن تضاف إلى من له الكمال كله سبحانه ﴿مبركة﴾ أى ثابتة أعظم ثبات بكونها موافقة لما شرع الله[2] من خالص قلوبكم ﴿طيبة[4]﴾ تلذذ السمع؛ ثم[3] وصف البيان، تنبيها على ما فى هذه الآيات من الحسن و الإحسان، فقال مستأنفا كما مر غير مرة: ﴿كذلك﴾ أى مثل هذا البيان، العظيم الشأن ﴿يبين الله﴾ [أى - [4]] المحيط بكل ١٠ شيء ﴿لكم الأيت﴾ التى لا أكمل منها.

و لما كان الله تعالى، بعلمه و حكمته، و عزه و قدرته، و لطفه و خبرته، قد خلق عقلا نيرا يهدى إلى الحق، و إلى طريق مستقيم، و قسمه بين عباده، و خلق فيهم أنواعا من العوائق لذلك العقل عن النفوذ على سمت الاستقامة، من الهوى و الكسل، و الفتور و الملل[5]، جعلها حجبا ١٥ تحجبه[7] عن النفوذ، و تستر[6] عنه المدارك، و تمنعه من البلوغ، إلا برياضات

(١-١) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من ظ و مد (٢) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٣) زيد بعده فى الأصل: اكد، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ: الملك. (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: يحجبه (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: يستر.

مجاهدات تكل عنها القوى، و تضعف عندها[1] العزائم، فلا يكاد الماهر منهم يرتب[2] قياسا[3] صحيحا، لغلطه فى المقدمات، فتكون النتيجة حينئذ فاسدة[4] القاعدة، واهية الأساس، فكانوا لايزالون[5] لذلك مختلفين، حتى يوصلهم الاختلاف إلى الإحن، و المشاجرة و الفتن، فيجرهم[6] إلى ٥ السيف و ذهاب النفوس و تلف الأرواح، فأنزل سبحانه لهم فى كل وقت شرعا يليق بذلك الزمان على لسان رسول من رسله عليهم الصلاة و السلام، جعل ذلك الشرع[7] يطابق العقل السوى[8]، و النور الضوى، و المنهل الروى، و السبب[9] القوى، من تمسك به هدى و لم يزغ، حد فيه سبحانه[10] حدودا، و أقام فيه زواجر، لتظهر حكمته، و يتضح علمه ١٠ و قدرته، فصارت شرائع متفقة الأصول، مختلفة الفروع، بحسب الأزمنة، إشارة إلى أن الفاعل [فى -[11]] تغيير الأحكام بحسب الأزمان واحد مختار، و امتحانا للعباد، تميزا لأهل الصلاح منهم من أهل الفساد، و كانت الإغارة على شيء من الأعراض و[12] الأموال على غير ما أذن

---

(١) من ظ ومد، و فى الأصل: عنها (٢) من ظ ومد، و فى الأصل: بريت. (٣) زيد فى الأصل: شديدا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) زيد فى الأصل: العقيدة و، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لايزال (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: فتجرهم (٧) زيد فى الأصل: هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: السرى (٩) فى ظ: البيت (١٠) زيد فى الأصل: و اقام، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١١) زيد من ظ و مد (١٢) سقط من ظ.

فيه تُذهب العقول، و تعمى البصائر، ختم الآية بقوله: ﴿لعلكم تعقلون ع﴾
أى لتكونوا على رجاء عند من يصح منه الرجاء من ثبات هذا الوصف
لكم، و هو ضبط[1] النفوس و ردها عن الأهوية، باتباع آيات الشرع
التى أنزلها الذى كرر وصفه هنا بأنه عليم حكيم، فلا تتولوا بعد قولكم
"سمعنا و اطعنا" عن الإذعان للأحكام و أنتم معرضون. ٥

و لما كان سبحانه قد نفى عنهم الإيمان بالتولى عن الأحكام، و تلاه[2]
بما رأيت أن نظمه أحسن / نظام، حتى ختم بما أومأ إلى أن من عمى ٦٦٦ /
عن أحكامه بعد هذا البيان مسلوب العقل، و كرر فى هذه السورة ذكر
البيان، تكريرا[3] أشار إلى لمعان المعانى [4]بأمتن بنان[4]، حتى صارت مشخصات
للعيان، و بين من حاز وصف الإيمان، بحسن الاستئذان، و كان أمر ١٠
الرسول صلى الله عليه و سلم أجلّ[5] موطن تجب الإقامة فيه و يهجر ما
عداه من الأوطان، فتصير الأرض برحبها ضيقة لأجله، محظورا سلوكها
مِن جرّاه، بمنزلة بيت الغير الذى لا يحل دخوله بغير إذن، قال معرفا[6]
بذلك على طريق الحصر مقابلا لسلب[7] "و ما اولئك بالمؤمنين" مبينا
عظيم الجناية[8] فى الذهاب عن مجلس النبى صلى الله عليه و سلم المقتضى ١٥
للجمع من غير إذن: ﴿انما المؤمنون﴾ أى الكاملون [الذين لهم الفلاح -[9]]

---

(١) فى ظ: هبط (٢) فى مد: تلا (٣) فى ظ: اشار (٤-٤) من ظ و مد، و فى الأصل: باس بيان (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: من (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: معرضا (٧) فى ظ: للسلب (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: الخيانة (٩) زيد من ظ و مد.

﴿ الذين ءامنوا بالله ﴾ أى الملك الأعلى ﴿ و رسوله ﴾ ظاهرا و باطنا .
و لما كان الكلام فى الراسخين ، كان الموضع لأداة التحقيق فقال :
﴿ و اذا ﴾ أى و صدقوا إيمانهم بأنهم إذا ﴿ كانوا معه ﴾ أى الرسول
صلى الله عليه و سلم ﴿ علىٰ امر جامع ﴾ أى لهم على الله ، كالجهاد
٥ لأعداء الله ، و التشاور فى مهم ، و صلاة الجمعة ، و نحو ذلك
﴿ لم يذهبوا ﴾ عن ذلك الأمر خطوة إلى موضع من الأرض و لو
أنه بيوتهم ، اشىء من الأشياء و لو أنه أهم مهماتهم ، لأنه أخذ عليهم الميثاق
بالطاعة[1] فى العسر و اليسر و المنشط و المكره ﴿ حتى يستاذنوه[2] ﴾ فيأذن
لهم ، لأن المأمور به قد صار منزلهم و مأواهم [2] و متبواهم [2] ، و صار كل
١٠ ما سواه من الأماكن و الأمور له عليه الصلاة و السلام دونهم ،
لا حظ لهم فيه ، فلا يحل لهم أن يدخلوه حسا أو معنى إلا باذنه ، و هذا
من عظيم التنبيه على عليّ أمره ، و شريف قدره ، و ذلك أنه سبحانه
كما أمرهم بالاستئذان عند الدخول عليه و على غيره ، أفرده بأمرهم
باستئذانه عند الانصراف عنه صلى الله عليه و سلم ، و جعل [رتبة - [3]]
١٥ ذلك [تالية - [3]] لرتبة الإيمان بالله و الرسول ، و جعلهما كالتسبيب[4]
له مع تصدير الجملة بأداة الحصر ، و إيقاع المؤمنين فى مبتدأ مخبرا عنه
بموصول أحاطت وصلته[5] بالرتب الثلاث[6] شرحا له .

---

(١) فى ظ : فى الطاعة (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ و مد.
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : كالتسبب (٥) من مد ، و فى الأصل : سلته ،
و فى ظ : سلته (٦) من ظ و مد . و فى الأصل : الثلاثة .

و لما

و لما نفى عن المؤمنين الذهاب إلى غاية الاستئذان، فأفهم أن المستأذن مؤمن، صرح بهذا المفهوم ليكون آكد، فقال تشديدا فى الإخلال بالأدب بين يديه صلى الله عليه و سلم، و تأكيدا لحفظ حرمته و الأدب معه [لئلا يتشوش فكره -[1]] فى أسلوب آخر، و[2] بيانا لأن[2] الاستئذان مصداق الإيمان: ﴿ ان الذين يستاذنونك ﴾ أى يطلبون إذنك لهم إذا ٥ أرادوا الانصراف، فى شىء من أمورهم التى يحتمل أن تمنع[3] منها ﴿اولٓئك﴾ العالو الرتبة خاصة ﴿الذين يؤمنون﴾ أى يوجدون الإيمان فى كل وقت ﴿بالله﴾ الذى له الأمر كله فلا كفوء له ﴿و رسوله ج﴾ و ذلك ناظم لأشتات[4] خصال الإيمان.

و لما قصرهم على الاستئذان، تسبب عن / ذلك إعلامه صلى الله ١٠ / ٦٦٧ عليه و سلم بما يفعل[5] إذ ذاك فقال: ﴿ فاذا استاذنوك ﴾ أى هؤلاء الذين صحت دعواهم؛ و شدد عليهم تأكيدا لتعظيم الأدب[6] معه صلى الله عليه و سلم بقوله: ﴿ لبعض شانهم ﴾ و هو ما تشتد الحاجة إليه ﴿ فاذن لمن شئت منهم ﴾ قيل: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا صعد المنبر يوم الجمعة فمن أراد أن يخرج لعذر قام بحياله فيعرف ١٥ أنه يستأذن فيأذن[7] لمن شاء، قال مجاهد: و إذن الإمام يوم الجمعة أن يشير بيده، و قيل: كذلك ينبغى أن يكون الناس مع أئمتهم و مقدميهم

---

(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) من ظ و مد، و فى الأصل: بيان (٣) فى ظ و مد: يمنع (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الاشتات (٥) فى ظ: ينقل. (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: للادب (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: فيكون.

فى الدين و العلم لا يخذلونهم فى نازلة من النوازل -[1]] .

و لما أثبت له بهذا التفويض من الشرف ما لا يبلغ وصفه ، أفهمهم[2] أن حال المستأذن قاصرة عن[3] حال المفوض الملازم كيفما كانت ، فقال: ﴿ و استغفر لهم الله[4] ﴾ أى الذى له الغنى المطلق ، فلا تنفعه طاعة ، ٥ و لا تضره معصية ، أو يكون الكلام شاملا لمن صحت دعواه و غيره؛ ثم علل ذلك ترغيبا فى الاستغفار ، و تطييبا لقلوب أهل الأوزار ، بقوله: ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ غفور ﴾ أى له هذا الوصف فهو جدير بأن يغفر لهم ما قصروا فيه ﴿ رحيم ٥ ﴾ أى فكل ما أمرهم به فهو خير لهم و إن تراءى لهم خلافه .

١٠ و لما أظهرت هذه السورة بعمومها[4] ، و هذه الآيات بخصوصها ، من شرف الرسول ما بهر[5] العقول ، لأجل ما وقع للمنافق من التجرؤ على[6] ذلك الجناب الأشم ، و المنصب الأتم ، و علم منه أن له صلى الله عليه و سلم فى كل أمره و جميع شأنه خصوصية ليست لغيره ، صرح بذلك تفخيما للشأن ، و تعظيما للمقام ، ليتأدب من ناضل[7] عن المنافق ، أو توانى ١٥ فى أمره فقصر عن مدى أهل السوابق ، فقال منبها على أن المصائب سبب لإظهار المناقب أو إشهار[8] المعايب ﴿ لا تجعلوا ﴾ [أى يا أيها الذين آمنوا - [1]] ﴿ دعآء الرسول ﴾ أى لكم الذى يوقعه ﴿ بينكم ﴾

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : انهم (٣) فى ظ : على (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لعمومها (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بهم (٦) فى ظ : عن . (٧) فى ظ : اضل - كذا (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : اشتهار .

و لو على سبيل العموم ، فى وجوب الامتثال ﴿ كدعآء بعضكم بعضا ﴾ فان أمره عظيم ، و مخالفته استحلالا كفر ، و لا تجعلوا أيضا دعاءكم إياه كدعاء بعضكم لبعض بمجرد الاسم ، بل تأدبوا معه بالتفخيم و التبجيل و التعظيم كما سن الله[1] بنحو : يا أيها [النبى ، و يا أيها -[2]] الرسول ، [مع إظهار الأدب فى هيئة القول و الفعل بخفض الصوت و التواضع -[2]] . ٥

و لما كان بعضهم يظهر المؤالفة ، و يبطن المخالفة ، حذر من ذلك بشمول علمه و تمام قدرته ، فقال معللا مؤكدا محققا معلما بتجديد[3] تعليق العلم الشهودى كلما جدد أحد خيانة لدوام اتصافه بإحاطة العلم من غير نظر إلى زمان : ﴿ قد يعلم الله ﴾ أى الحائز لجميع صفات المجد [4]إن ظننتم[4] أن ما تفعلونه[5] من التستر يخفى أمركم على رسوله صلى الله عليه ١٠ و سلم ، فهو سبحانه يعلم ﴿ الذين يتسللون ﴾ و عين أهل التوبيخ بقوله : ﴿ منكم ﴾ أى يتكلفون سل أنفسهم ليجعلوا ذهابهم فى غاية الخفاء ﴿ لواذا ج ﴾ أى تسللا مستخفين [به -[2]] بتستر بعضهم فيه ببعض ؛ يقال : لاذ بالشيء لوذا[1] و لواذا و ملاوذة : استتر و تحصن ، فهو مصدر لتسلل من غير لفظه ، و لعله أدخل " قد " على المضارع ليزيد أهل ١٥ التحقيق تحقيقا[6] ، و يفتح لأهل الريب إلى الاحتمال طريقا ، فانه يكفى فى الخوف / من النكال طروق الاحتمال ؛ و سبب عن علمه قوله : /٦٦٨

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بتجدد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : يفعلونه (٦) فى مد : تحققا .

﴿ فليحذر ﴾ أي يوقع الحذر ﴿ الذين يخالفون ﴾ أي يوقعون مخالفته بالذهاب مجاوزين معرضين ﴿ عن امرة ﴾ أي أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم ، إلى خلافه ﴿ ان تصيبهم فتنة ﴾ أي شيء يخالطهم في الدنيا فيحيل[1] أمورهم إلى غير الحالة المحبوبة التي كانوا عليها ﴿او يصيبهم عذاب اليم ﴾

٥ في الآخرة ، و هذا يدل على أن الأمر للوجوب حتى يصرف عنه صارف، لترتيب[2] العقاب على الإخلال به ، لأن التحذير من العقاب إنما يكون بعد قيام المقتضى لنزول العذاب .

و لما أقام سبحانه الأدلة على أنه نور السماوات و الأرض بأنه[3] لا قيام لشيء إلا به سبحانه ، و ختم بالتحذير[4] لكل مخالف ، أنتج ذلك

١٠ أن له كل شيء فقال : ﴿ الآ ان لله ﴾ أي الذي له جميع المجد جميع ﴿ ما في السمٰوٰت ﴾ [و لثبوت أنه سبحانه محيط العلم و القدرة ، لم يقتض المقام التأكيد باعادة الموصول فقال -[5]] : ﴿و الارض﴾ أي من جوهر و عرض ، و هما[6] له أيضا لأن الأرض في السماء ، و كل سماء في التي فوقها حتى ينتهي ذلك إلى العرش الذي صرح في غير آية

١٥ أنه صاحبه ، و هو سماء أيضا لعلوه عما دونه ، فكل ما فيه له ، و ذلك أبلغ - لدلالته بطريق المجاز - مما لو[7] صرح به ، فدل ذلك - بعد الدلالة

---

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : فيحتمل (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : لترتب (٣) في ظ : لانه (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : التحذير ، و زيد قبله في مد : الآية ، ثم ضرب عليه (٥) زيد من ظ و مد (٦) في ظ : بما . (٧) سقط من ظ .

على

على وجوده - [1]على وحدانيته، و كمال علمه و قدرته .

و لما كانت أحوالهم من جملة ما له، كان من المعلوم أنها لم تقم فى أصلها و لا بقاء لها إلا بعلمه [و -[2]] لأنها[3] بخلقه، فلذلك قال محققا مؤكدا مرهبا: ﴿قد يعلم مآ انتم﴾ أيها الناس كلكم ﴿عليه[4]﴾ أى الآن، و المراد بالمضارع هنا وجود الوصف من غير نظر إلى زمان، ٥ و لو عبر بالماضى لتوهم الاختصاص به، و الكلام فى إدخال "قد" عليه كما مضى آنفا باعتبار / أولى[4] النفوذ فى البصر، و أهل الكلال[5] و الكدر / ٦٦٩ ﴿و يوم﴾ أى و يعلم ما هم عليه يوم ﴿يرجعون﴾ أى بقهر قاهر لهم على ذلك، لا يقدرون له على دفاع، و لا نوع امتناع ﴿اليه﴾ [6]و كان[6] الأصل: ما أنتم عليه، و لكنه أعرض عنهم تهويلا للأمر، أو يكون ١٠ ذلك خاصا بالمتولين[7] المعرضين[8] إشارة إلى أنهم يناقشون الحساب، و[9] يكون سر الالتفات التنبيه على الإعراض عن المكذب بالقيامة، و الإقبال على المصدق، صونا لنفيس الكلام، عن الجفاة الأغبياء اللئام ﴿فينبئهم﴾ أى فيتسبب عن ذلك أنه يخبرهم تخبيرا عظيما ﴿بما عملوا[ط]﴾ فليعدوا لكل شيء منه جوابا ﴿و الله﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿بكل شيء﴾ من ذلك وغيره ﴿عليم ع﴾ فلذلك أنزل الآيات

---

(١) زيدت الواو قبله فى الأصل، ولم تكن فى ظ ومد فحذفناها (٢) زيد من ظ ومد (٣) فى ظ: انها (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: الى (٥) فى مد: الكلام. (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: فكان (٧) فى ظ: بالمومنين (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: المعرضون (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: او .

البينات[1] ، وكان نور الأرض و السماوات ، فقد رد الختام على المبدا ، و التحم الآخر بالأول و الأثنا - و الله الهادى[2] .

* * *

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : البينات (٢) زيد بعده فى ظ و مد : قال مؤلفه عفا الله عنه « هذا آخر الجزء الرابع من كتاب نظم الدرر من تناسب الآى و السور ، إنشاء كاتبه أفقر الخلائق إلى عفو الخالق أبى الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن على أبى بكر البقاعى الشافعى نزيل القاهرة المعزية ، و كان الفراغ من تبييض ما نقل منه فى نصف ذى الحجة الحرام سنة ثمان و ستين و ثمانمائة من مسجدى من رحبة باب العبد بالقاهرة ، وكان ثالثا فى اثنين و ثلاثين كراسا ، فكثرت فيه الإلحاقات فصار مسودة فنقلته فى ثمانية و أربعين كراسا فجعلته فى مجلدين فكان هذا رابعا ، و كان فراغى منه يوم الثلاثاء تاسع عشرى [فى ظ : تاسع عشر] شهر ربيع الأول سنة ثمان و سبعين و ثمانمائة ["و ثمانمائة" ليس فى مد] و الحمد لله رب العالمين » انتهى ما وجده العبد الفقير إلى الله تعالى سالم السنهورى المالكى [و فى ظ : انتهى ما وجدته] فى آخر الجزء المنقول منه بخط مؤلفه ، و بعده فى مد : و وافق فراغ الفقير المذكور من نقل الجزء المبارك فى يوم الثلاثاء المبارك بعيد عصره فى شهر ربيع الأول من شهور سنة سبعين و تسعمائة و حسبنا الله و نعم الوكيل ، وفى ظ : كانت النسخة التى نقلت منها هذه النسخة والحمدلله وحده .

[1] سورة الفرقان [2]

مقصودها إنذار عامة المكلفين بما له سبحانه من القدرة الشاملة ، المستلزم للعلم التام ، المدلول عليه بهذا القرآن المبين ، المستلزم لأنه [3] / لا موجد على الحقيقة سواه ، فهو الحق ، و ما سواه باطل ، و تسميتها بالفرقان واضح الدلالة على ذلك ، فان الكتاب ما نزل إلا للتفرقة بين الملتبسات، و تمييز الحق من الباطل " ليهلك من هلك عن بينة و يحيى من حيّ عن بينة " فلا يكون لأحد على الله حجة ﴿ بسم الله ﴾ الذى له الحجة البالغة [4] ، لإحاطة عظمته ، [5] و شمول [5] علمه و قدرته ﴿ الرحمن ﴾ [6] الذى عم بنعمة الفرقان ، أهلَ الإيمان و الكفران [6] ﴿ الرحيم ﴾ الذى خصّ من شاء من عباده بملابس الرضوان .

/ ٦٦٩   ٥   ١٠

لما ختم سبحانه تلك بسعة الملك ، و شمول العلم ، و تعظيم الرسول ،

(١) زيد فى ظ و مد استمرارا لما مضى آنفا : قال الشيخ الإمام ، العالم العلامة ، فريد عصره ، و وحيد دهره ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن على بن أبى بكر الشافعى - لطف الله تعالى بهم أجمعين ، و أدخلهم جنان النعيم ، و أعاذهم من عذاب الجحيم - فى كتابه نظم الدرر من تناسب الآى و السور (٢) الخامسة و العشرون من سور القرآن الكريم ، مكية ، و عدد آياتها سبع و سبعون آية بلا خلاف - راجع روح المعانى ٦ / ١١٩ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بانه (٤) فى ظ : القاطعة (٥ - ٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لشمول (٦-٦) بياض فى الأصل عبأناه من ظ و مد .

و التهديد لمن تجاوز الحد ، افتتح هذه[1] بمثل ذلك على وجه - مع كونه أضخم منه - هو برهان عليه فقال: ﴿تبٰرك﴾ أى ثبت ثبوتا مع اليمن و الخير الذى به سبقت الرحمة الغضب، و التعالى فى الصفات و الأفعال، فلا ثبوت يدانيه، و لا يكون ذلك كذلك إلا بتمام قدرته، و لا تتم
٥ قدرته إلا بشمول علمه، و هذا الفعل مطاوع "بارك" و هو مختص بالله تعالى لم يستعمل لغيره، و لذلك لم ينصرف لمستقبل[2] و لا اسم فاعل[3] ثم وصف نفسه الشريفة بما يدل على ذلك فقال: ﴿ الذى ﴾ .

[و لما كان تكرار الإنذار - الذى هو مقصود السورة - أنفع، و تفريقه فى أوقات مترسلة أصدع[3] للقلوب و أردع، وكان إيضاح
١٠ المشكلات، فى الفرق بين الملتبسات[4]، أعون بما يكون علة، عبر بما يدل على الفرق و قدمه فقال -[5]]: ﴿ نزل الفرقان ﴾ أى الكتاب الذى [6]نزل[7] إلى سماء الدنيا فكان كتابا، ثم نزل مفرقا بحسب المصالح، فسمى لذلك[8] فرقانا، و لأنه الفارق بين كل ملتبس[9]، فلا يدع خفاء إلا بينه، و لاحقا إلا أثبته، و لاباطلا إلا نفاه و محقه، فيه انتظام الحياة الأولى

(١) زيد فى الأصل : السورة، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
(٢) من ظ و مد، و فى الأصل : بمستقبل (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : المتلبسات (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٦) العبارة من هنا إلى « كتابا ثم » متكررة فى الأصل فقط (٧) زيد فى الأصل : جملة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من مد، و فى الأصل : ذلك ، و فى ظ : بذلك .
(٩) فى ظ : متلبس .

و الأخرى

و الأخرى ، فكان قاطعا على علـم منزله[1]، و من علمه الباهر إنزاله ﴿على عبده﴾ أي الذي لا أحق منه باضافته إلى ضميره الشريف، لأنه خالص [له - [2]]، لاشائبة لغيره فيه أصلا ، و لم يحز[3] مخلوق ما حاز من طهارة الشيم ، و ارتفاع الهمم ، و لا شك أن الرسول دال على مرسله في مقدار علمه ، و كثرة جنده ، و اتساع ملكه " الله اعلم[4] حيث يجعل ٥ رسالته " ثم علل إنزاله عليه بقوله : ﴿ليكون﴾ أي العبد أو الفرقان .

[و لما كان العالم ما سوى الله ، وكان ربما ادعى مدع أن المراد البعض ، لأنه قد يطلق اللفظ على جزء معناه بدلالة التضمن ، و كان الجمع لا بد أن يفيد ما أفاده المفرد بزيادة ، جمع ليعرف أن المراد المدلول المطابق ، مع التصريح باستغراق جميع الأنواع الداخلة تحت مفهوم المفرد ، ١٠ و اختار جمع العقلاء تغليبا ، إعلاما بأنهم المقصودون بالذات فقال - [2]] : ﴿ للعلمين ﴾ أي المكلفين كلهم من الجن و الإنس و الملائكة .

و لما كان كل من الكتاب و المنزل عليه بالغا في معناه[5]. عبر بما يصح أن يراد به المنذر و الإنذار على وجه المبالغة فقال : ﴿نذيرا ۙ﴾ أي و بشيرا ، و إنما اقتصر على النذارة للاشارة إلى[6] البشارة بلفظ " تبرك " ١٥ و لأن المقام لها، لما ختم [به - [2]] تلك من إعراض المتولين عن الأحكام،

(١) من ظ ومد ، وفي الأصل : منزلة (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد. (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : لم يجر (٤) في ظ : يعلم - خطأ (٥) زيد في الأصل : ثم ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : على .

و نفى الإيمان عنهم بانتفاء الإسلام ، و فيه إشارة إلى كثرة المستحقين للنذارة ، و لا التفات إلى من قال : إن الرازى و البرهان النسفى نقلا الإجماع على أنه صلى الله عليه و سلم لم يرسل [إلى -[1]] الملائكة ، فان عبارة الرازى فى بعض نسخ تفسيره : لكنا أجمعنا على [أنه لم يرسل
٥ إلى الملائكة ، و فى أكثر النسخ : بينا - بدل : أجمعنا ، على -[1]] أنه[2] لو اتفقت جميع النسخ [عليها -[1]] لم تضر ، لأنها غير صريحة فى إرادة الإجماع ، و لأن الإجماع لا يثبت / بنقل واحد لاسيما فى مثل هذا الذى /٦٧٠
تظافرت الظواهر على خلافه ، و لم يرد مانع منه ، و أما البرهان النسفى فمن الرازى أخذ ، و عبر بعبارته ، فصارا واحدا ، و قد بينت[3] ذلك
١٠ عند قوله تعالى فى سورة الأنعام[4] " لانذركم به و من بلغ " بيانا شافيا لا ارتياب معه ، بل و لو قيل : إن الآية[5] على ظاهرها ، لاخصوص فيها بالعقلاء ، و تكليف كل شىء بحسبه ، لكان وجها ، و بذلك صرح[6] الإمام تاج الدين السبكى فى أول الترشيح فى قوله : « و أصلى على نبيه محمد المصطفى المبعوث إلى كل شىء » و كذلك المحب الطبرى فى آخر « القرى[7]
١٥ لقاصدى[8] أم القرى » و ذلك لأنه صلى الله عليه و سلم ما دعا جامدا

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : امة (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : يثبت (٤) راجع نظم الدرر ٧/٤٢ و ٤٣ (٥) فى ظ : الملائكة . (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : خرج (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الفترى - كذا (٨) من كشف الظنون ، و فى الأصل : لقاصد ، و فى ظ و مد : القاصد .

و لا متحركا غير الإنسان إلا أجابه بما هو مقتضى "انا عرضنا الامانة على السموت و الارض و الجبال فابين ان يحملنها" الآية[1]، دعا[2] غير مرة عدة من أغصان الأشجار فأتته تسجد له، ثم أمرها بأن ترجع إلى مكانها ففعلت؛ و دعا الضب و غيره من الحيوانات العجم فأطاعته؛ و دعا الأشجار غير مرة فسمعت[3] و سعت إليه[3]؛ و أمر الجبل[4] لما رجف ٥ فأذعن؛ و أرسل إلى نخل[5] و أحجار[6] يأمرهن بالاجتماع ليقضى[7] إليهن حاجة ففعلن، ثم أرسل يأمرهن بالرجوع إلى أماكنهن فأجبن؛ و غمز الأرض فنبع[8] منها الماء؛ و أرسل سهمه إلى البئر فجاشت بالرواء[9] - إلى غير ذلك مما هو مضمن فى دلائل النبوة[10]، بل و لا دعا طفلا رضيعا إلا شهد له[11] لكونه على الفطرة الأولى - إلى غير ذلك مما هو دال على ظاهر ١٠ الآية المقتضى لزيادة شرفه صلى الله عليه و سلم من غير محذور يلزم عليه و لا نص يخالفه - و الله الهادى.

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير فى برهانه: لما تضمنت سورة

---

(١) ٧٢ من سورة الأحزاب (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: وهى (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الخيل (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: نحرا (٦) فى ظ و مد: اشجار، و الصواب ما فى الأصل - راجع الشفا ١٤٩ (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: يقضى (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: فمنع (٩) من ظ ومد و مسند الإمام أحمد ٤/٣٢٣، وفى الأصل: باردى. (١٠) راجع لمعظم ما مضى منها دلائل النبوة للأصفهانى، و الخصائص الكبرى للبيهقى، و الشفا للقاضى عياض، و مجمع الزوائد للهيثمى ج ٨ و ٩ (١١) كما مر فى قصة مبارك اليمامة.

النور بيان كثير من الأحكام كحكم الزنا، و رمى الزوجات به، و القذف، و الاستئذان، و الحجاب، و إسعاف الفقير، و الكتابة[١]، و غير ذلك، و الكشف عن مغيبات، من تغاير حالات، تبين[٢] بمعرفتها و الاطلاع عليها الخبيث من الطيب، كاطلاعه سبحانه نبيه و المؤمنين[٣] على ما ٥ تقوّله[٤] أهل الإفك، و بيان سوء حالهم، و اضمحلال محالهم، فى قصة المنافقين فى إظهارهم ضد ما يضمرون؛ ثم كريم[٥] وعده للخلفاء الراشدين "وعد الله الذين اٰمنوا منكم" ثم ما[٦] فضح به [تعالى - [٧]] منافقى الخندق "قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا" - إلى آخر الآية، فكان مجموع هذا فرقانا يعتضد به الإيمان، و لاينكره [٨]مقر بالرحمن[٨]، ١٠ يشهد[٩] لرسول الله صلى الله عليه و سلم بصحة رسالته، و يوضح مضمن قوله "لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم" من عظيم قدره صلى الله عليه و سلم و علىّ جلالته، أتبعه سبحانه بقوله تعالى "تبٰرك الذى نزل الفرقان على عبده" و هو القرآن الفارق بين الحق و الباطل، و المطلع على ما أخفاه[١٠] المنافقون و أبطنوه من المكر و الكفر "ليكون للعٰلمين نذيرا" ١٥ فيحذرهم من مرتكبات المنافقين و[١١] التشبه بهم؛ ثم تناسج[١٢] الكلام،

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الكفاية (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: مبين (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: المومنون (٤) فى ظ: يقوله (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: كرر (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: ربما (٧) زيد من ظ و مد (٨ - ٨) فى ظ: مقربا للرحمن (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: ليشهد (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: أخفا (١١) فى ظ: فى (١٢) من مد، و فى الأصل: تاسج، و فى ظ: تناسخ.

و التحم

و التحم جليل المعهود من ذلك النظام ، و تضمنت هذه السورة من النعى على الكفار و التعريف بهتهم / و سوء مرتكبهم ما لم يتضمن / ٦٧١ كثير من نظائرها كقولهم "ما لهذا الرسول يأكل الطعام" الآيات ، و قولهم "لو لا انزل علينا الملئكة او نرى ربنا" و قولهم "لو لا نزل عليه القرآن جملة و احدة" و قولهم "و ما الرحمن" إلى ما عضد ٥ هذه و تخللها ، و لهذا ختمت[1] بقاطع الوعيد ، و أشد التهديد ، و هو قوله سبحانه "فقد كذبتم فسوف يكون لزاما" - انتهى .

و لما تقدم ذكر منزل الفرقان[2] سبحانه ، [3]و ذكر[3] الفرقان و المنزل عليه على طريق الإجمال ، أتبع ذلك تفصيله على الترتيب ، فبدأ بوصف المنزل سبحانه بما هو أدل دليل على إرادة التعميم فى الرسالة لكل من ١٠ يريد ، فقال : ﴿ الذى له ﴾ أى وحده ﴿ ملك السموٰت و الارض ﴾ فلا إنكار لأن يرسل رسولا إلى كل من فيهما[4] ﴿ و لم يتخذ ولدا ﴾ ليتكبر على رسوله ﴿ و لم يكن له شريك فى الملك ﴾ ليناقضه فى الرسالة أو يقاسمه إياها ، فيكون بعض الخلق خارجا عن رسالته ، أو مراعيا لأمر غير أمره . ١٥

و لما كان وقوف الشيء عند[5] حد - بحيث لا يقدر أن يتعداه إلى حد [شيء -[6]] آخر سواه ، فهذا حيوان لا يقدر على جعل نفسه جمادا

(١) فى ظ : ختمته (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : القرآن (٣ - ٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : نزل (٤) فى ظ : فيها (٥) فى ظ : عن (٦) زيد من ظ و مد .

و لا [1] أعلى من الحيوان ، و هـذا جماد لا يمكنه جعل نفسه حيوانا
و لا أسفل من رتبة الجماد إلى غير ذلك مما يعجز الخلق عن شرحه -
دالا [2] على أنه مخلوق مربوب ، قال تعالى: ﴿ و خلق ﴾ أى أحدث
إحداثا مراعى فيه التقدير و التسوية ﴿ كل شىء ﴾ أى مما [3] ادعى فيه
٥ الولدية [4] أو الشرك [4] و غيره .

و لما كان قد سوى كل شىء لما يصلح له و هيأه لذلك ، قال
شارحا [و محققا - [5]] لمعنى [6] « خلق » : ﴿ فقدره ﴾ فى إيجاده من غير
تفاوت ﴿ تقديرا ٥ ﴾ أى لا يمكن ذلك الشىء مجاوزته فيما خلق لأجله
و هيئ و يسر له إلى غيره بوجه من الوجوه .

١٠ و لما ذكرهم بما ركز [7] فى فطرهم من العلم ، عجب منهم لكل ذى
عقل فى جملة حالية فيما خالفوا ما لهم من المشاهدة ، فقال مضمرا للفاعل
إشارة إلى استهجان نسبة هذا الفعل إلى فاعل معين توبيخا لهم و إرشادا
إلى المبادرة من كل سامع إلى نفيه عنه [8] فقال : ﴿ و اتخذوا ﴾ [أى
كاف أنفسهم عبدة الأوثان أن - [5]] أخذوا .

١٥ و لما كان علوه لا يحد ، فكانت [9] الرتب السافلة [9] عن رتبته لا تحصى ،
نبه على ذلك بالجار فقال : ﴿ من دونه ﴾ أى بعد ما قام من الدليل

(١) زيد فى ظ ومد: على (٢) فى ظ : دال (٣) من ظ ومد ، وفى الأصل: ما.
(٤-٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : و الشر له - كذا (٥) زيد من ظ و مد.
(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : معنى (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذكر.
(٨) فى ظ : منه (٩-٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : المرتب الناقلة .

على أنه الإله وحده من الحيثيات[1] التي تقدمت ﴿ آلهة ﴾[2] المتخدون مشاهدون لأنهم كما قال تعالى: ﴿لا يخلقون شيئا﴾ أي[3] لا أعجز منهم، [لا -[4]] يكون منهم إيجاد[5] شيء، فهم دون من عبدهم .

و لما كان المتعنت ربما ادعى أنهم مع ذلك غير مخلوقين قال: ﴿ و هم يخلقون ﴾ [أي بما يشاهد فيهم من التغير و الطواعية لمشيئته ٥ سبحانه، و من ذلك أن عبدتهم افتعلوهم بالنحت و التصوير . و لما قرر أنه أنعم على كل شيء، وكانت النعم أكثر وجودا ، و كان أدنى نعمة على الشيء خلقه سبحانه له ، أخبر أن ذلك الغير لا يقدر[6] على ضر نفسه و لا بالإعدام، فقال معبرا بأداة العقلاء تهكما بعابديهم حيث أقاموهم فى ذلك المقام، أو تغليبا لأنهم عبدوا[7] الملائكة و عزيرا و المسيح عليهم ١٠ السلام -[4]] : [8]﴿و لا يملكون﴾[8] [أي لا يتجدد لهم بوجه من الوجوه أن يملكوا -[9]] ﴿ لانفسهم ضرا ﴾ و لذلك قدمه ، و نكره ليعم .

فلما ثبت بذلك أنهم خلقه ، و لكن [كان -[4]] ربما قال متعنت: إنهم يملكون ذلك و لكنهم يتركونه عمدا ، لأن أحدا لا يريد ضر نفسه ، قال : ﴿ و لا نفعا ﴾ [أي -[4]] و لو بالبقاء على حالة واحدة ، و عبدتهم ١٥ يقدرون على ما أراد الله من ذلك على وجه الكسب ، فهم أعلى منهم ،

---

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : الحليات (٢) وقع هنا فى الأصل "وهم يخلقون ولا يملكون" فرتبناه حسبما ورد فى ظ و مد (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعجاز (٦) فى ظ : لا يقدم . (٧) فى ظ : غلبوا (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من مد (٩) زيد من ظ .

و عبادة الأعلى لمن دونه ليست من أفعال العقلاء .

/ ٦٧٢ و لما كان / للموت و الحياة ما ليس لغيرهما من عظيم الشأن ، أعاد العامل فقال: ﴿ و لايملكون ﴾ و قدم الموت لأن الحياة أكثر ، فقال مبتدئا بما هو من باب الضر على نسق ما قبله: ﴿ موتا ﴾ أى لأنفسهم

٥ و لا لغيرهم ﴿ و لا حيوة ﴾ أى[1] من العدم ﴿ و لا نشوراه ﴾ أى إعادة لما طوى من الحياة بالموت ، و عطفها بالواو و إن كان بعضها مسببا عما قبله إشارة إلى [أن -[2]] كل واحدة منها كافية فى سلب الإلهية عنهم بما ثبت من العجز .

و لما وصف منزل الفرقان[3] بما لا يحيط به علم أحد غيره من الشؤون ،

١٠ فاتضح بذلك إعجاز المنزل الذى أبان ذلك ، و هو [هذا -[2]] القرآن ، و أنه وحده الفرقان ، عجب من حال المكذبين به[4] فقال موضع "و قالوا": ﴿ و قال الذين كفروآ ﴾ مظهرا الوصف الذى حملهم على هذا القول ، و هو ستر ما ظهر لهم و لغيرهم كالشمس و الاجتهاد فى إخفائه : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ هـذآ ﴾ أى[5] القرآن ﴿ الآ افك ﴾ أى كذب

١٥ مصروف عن[6] [7]ظاهره و وجهه[7] هو أسوأ[8] الكذب ﴿ افترىه ﴾ أى

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : القرآن (٤) سقط من ظ و مد (٥) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) فى ظ : على (٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : وجهه و ظاهره (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : استوا .

تعمد كذبه هذا النذير ، فكان قولهم هذا موضع العجب لكونه ظاهر الخلل .

و لما كان الإنسان مطبوعا على أنه يتكثر[1] بأدنى شيء [من المحاسن فيحب أن تظهر عنه و لاينسب شيء -[2]] منها إلى غيره ، كان أعجب من ذلك و أظهر عوارا قولهم : ﴿ و اعانه ﴾ أى محمدا ﴿ عليه ﴾ أى ٥ القرآن ﴿قوم﴾ أى ذوو كفاية [حبوه بما يتشرف به دونهم ؛ و زادوا بعدا بقولهم -[2]] : ﴿ اخرون ج ﴾ أى من غير قومه ؛ فقيل[3] : أرادوا اليهود ، و قيل : غيرهم ممن فى بلدهم من العبيد النصارى و غيرهم ، فلذلك تسبب عنه[4] قوله تعالى : ﴿ فقد جآؤ ﴾ أى الكفار فى ذلك ﴿ظلما ﴾ بوضع الإفك على ما [لا -[2]] أصدق منه و لا أعدل ﴿و زورا ج ﴾ أى ١٠ ميلا مع جلافة عظيمة عن السنن المستقيم فى نسبة أصدق الناس و أطهرهم خليقة ، و أقومهم طريقة ، إلى هذه الدنايا التى لايرضاها لنفسه أسقط الناس ، فانها - مع كونها دنيئة فى نفسها - مضمونة الفضيحة ؛ قال ابن جرير[5] : و أصل الزور تحسين الباطل و تأويل الكلام .

و لما تبين تناقضهم أولا فى ادعائهم فى القرآن ما هو واضح ١٥ المنافاة لوصفه ، و ثانيا بأنه أعين عليه بعد ما أشعرت به صيغة الافتعال من الانفراد ، أتبعه تعالى [6]تناقضا لهم[6] آخر بقوله معجبا : ﴿ و قالوآ ﴾

---

(١) فى ظ :يتكبر (٢) زيد من ظ و مد (٣) راجع لباب التأويل ٥/٧٧ (٤) فى ظ : عنهم (٥) راجع من تفسيره الجزء ١٨ / ١٢٤ (٦ - ٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لناقضكم له .

أى الكفار ﴿ اساطير ﴾ جمع إسطارة و أسطورة ﴿ الاولين ﴾ من نحو أحاديث رستم [1] و إسفنديار [1] ، فصرحوا أنه ليس له فيه شيء ﴿ اكتتبها ﴾ أى تطلب كتابتها له ﴿ فهى ﴾ أى فتسبب عن تكلفه ذلك أنها ﴿ تملى ﴾ أى تلقى [من ملق ما - [2]] [3] إلقاء جيدا [3] متجددا مستمرا ﴿ عليه ﴾ من ٥ الكتاب [4] الذى اكتتبها [فيه - [2]] فى أوقات الفراغ ﴿ بكرة ﴾ [5] قبل أن ينتشر [6] الناس ﴿ و اصيلا ه ﴾ أى و عشيا حين يأوون إلى مساكنهم ، أو دائما ، ليتكلف حفظها بعد أن تكلف تحصيلها بالانتساخ لانه أمى ، و هذا كما ترى لايقوله من له مسكة فى عقل و لا مروءة ، فان من المعلوم الذى لايخفى على عاقل أن إنسانا لو لازم شيئا عشرة أيام بكرة و عشيا ١٠ لم يبق ممن يعرفه و يطلع على أحواله أحد حتى عرف ذلك منه ، فلو أنكره بعد لافتضح [7] فضيحة لايغسل عنه / عارها أبدا ، فكيف و البلد /٦٧٣ صغير ، و الرجل عظيم شهير ، و قد ادعوا أنه مصر على ذلك إلى حين مقالتهم و بعدها لاينفك ، و عيروه بأنه معدم يحتاج إلى المشى فى الأسواق ، و هو يدعوهم إلى المعارضة و لو بسورة من مثله ، و فيهم الكتاب و الشعراء

(١ - ١) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من ظ و مد (٢) زيد من ظ ومد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ ومد (٤) من ظ ومد ، و فى الأصل : الكتب (٥) زيد فى ظ : اى (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : تنتشر (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لاتفتح .

و البلغاء و الخطباء ، و هم أكثر منه مالا ، و أعظم أعوانا ، فلا يقدرون .
و لما رموه بهذه الأقوال التي هم فيها في خبط عشواء ، و كانت مع كونها ظاهرة العوار ، عند من له أدنى استبصار ، تروج على بعض العرب بعض الرواج ، مع سعة عقولهم ، و صحة أفكارهم . لشبه واهية مكنهم فيها التقليد ، و شدة الألف لما هم عليه من[1] الزمن المديد ، أمره سبحانه ٥ بجوابهم مستأنفا فقال: ﴿قل﴾ أي دالا على بطلان ما قالوه مهددا[2] لهم: ﴿انزله﴾ أي القرآن من خزائن علمه [خلافا -[3]] لجميع ما تقولتموه[4] ﴿الذي يعلم السر﴾ أي كله ، لا يخفى عليه منه[5] خافية فكيف بالجهر! ﴿في السموٰت و الارض﴾ فهو يجيبكم عن كل ما تقولتموه في و في كتابه و إن أسررتموه ، و يبين[6] جميع ما يحتاج إليه العباد في الدارين ١٠ في[7] [كلام -[3]] معجز لفظا و معنى[8] على وجه يتحقق كل ذي لب أنه لا يقوله إلا عالم بجميع المعلومات ، و لا يحيط بجميع المعلومات سواه ، و هذا ظاهر جدا من إخباره بالماضي بما يصدقه العلماء من الماضين ، و حكمه على الآتي بما يكون ضربة لازم ، و إظهاره الخبء و إحكامه لجميع ما يقوله[9] ، و قد جرت عادته سبحانه و تعالى بالانتقام ممن كذب ١٥ عليه باظهار كذبه أولا ، ثم[10] بأخذه ثانيا ، ثم عذابه العذاب الأكبر [ثالثا -[3]] ، فستنظرون من يفعل به ذلك . و قد بان لعمري صدقه بما

---

(١) من ظ ، و في الأصل و مد : في (٢) في ظ : تهددا (٣) زيد من ظ و مد. (٤) في ظ : تعلمتموه (٥) في ظ : شبهة (٦) من مد ، و في الأصل : بين ، و في ظ : تبين (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : من (٨) زيدت الواو في ظ (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : تقوله (١٠) من ظ و مد ، و في الأصل : يتم .

وقع من الأمور الثلاثة .

و لما كان من المعلوم أن العالم بكل شيء قادر على كل شيء - كما مضى تقريره في سورة طه ، و كانت العادة جارية بأن من[1] علم استخفاف غيره به - و كان قادرا عليه - عاجله بالأخذ ، أجيب من كأنه[2] قال :
٥ فما له لا يهلك المكذبين له ؟ بقوله مرغبا لهم في التوبة ، مشيرا إلى قدرته بالستر و الإنعام ، [و -[3]] مبينا لفائدة إنزاله إليهم هذا الذكر من الرجوع عما تمادت عليه أزمانهم من الكفر و أنواع المعاصي : ﴿انه كان﴾ أزلا و أبدا ﴿غفورا﴾ [أي بليغ الستر -[3]] لما يريد من ذنوب عباده ، بأن لا يعاتبهم عليها و لا يؤاخذهم بها ﴿ رحيما ﴾ بهم[4] في الإنعام عليهم
١٠ بعد خلقهم ، برزقهم[5] و تركيب العقول فيهم ، و نصب الأدلة لهم ، و إرسال الرسل و إنزال الكتب فيهم ، و إمهالهم في تكذيبهم ، أي فليس لإمهالهم و وعظهم بما نزله[6] إليهم سبب إلا رحمته و غفرانه و علمه بأن كتابه صلاح لأحوالهم في الدارين .

و لما أتم[7] سبحانه ما أراد من ذكر المنزل[8] و المنزل ، و أخبر عن
١٥ طعنهم في المنزّل الذي هو المقصود بالذات من الرسالة ، و أقام تعالى بذلك الدليل على كذبهم ، أتبعه الإخبار عن طعنهم في الرسول الآتي به ، فقال معجبا من عقولهم التي يعدونها أصفى العقول أفكارا ، و أعلاها

(١) في ظ : منه (٢) في ظ : انه (٣) زيد من ظ و مد (٤) في ظ : لهم (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : ورزقهم (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : ينزله .
(٧) في ظ : تم (٨) زيد في الأصل : اليه ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها .

آثارا

آثارا، فيما أبدوه[1] من ذلك / مما ظنوا أنه دليل على عدم الرسالة، [2]ولا[2] شيء منه يصلح أن يكون شبهة لذى مسكة من أمره، فضلا عن أن يكون دليلا: ﴿ و قالوا ﴾ أى مستفهمين تهكما بوصفه، قادحين فيه بفعله، قول من هو على ثقة من أن وصف الرسالة ينافيه[3]: ﴿مال هذا﴾ و الإشارة على هذا الوجه تفهم[4] الاستهانة و التصغير[5]؛ ثم أظهروا السخرية ٥ بقولهم: ﴿الرسول﴾ أى الذى يزعم أنه انفرد عن بقية البشر فى هذا الزمان بهذا الوصف العالى ﴿ ياكل الطعام ﴾ أى مثل ما نأكل ﴿و يمشى فى الاسواق﴾ [أى - [6]] التى هى مطالب الدنيا، كما نمشى.

/ ٦٧٤

و لما كانت ترجمة ما مضى: ما له مثلنا [و هو يدعى الاختصاص عنا بالرسالة -[6]]؟ أتبعوه التعنيف على [عدم - [6]] كونه على واحد من ١٠ وجوه مغايرة على سبيل التنزل جوابا لمن كأنه قال: فماذا يفعل؟ بقولهم: ﴿ لولآ ﴾ أى هلا، و هى تأتى للتوبيخ، و هو مرادهم ﴿ انزل ﴾ [أى من السماء، من أىّ منزل كان، منتهيا - [6]] ﴿ اليه ﴾ أى على الهيئة التى هو عليها فى السماء ﴿ملك﴾ أى من ملائكة الله على هيئاتهم المباينة لهيئات الآدميين ﴿ فيكون ﴾ [بالنصب جوابا للتحضيض - [6]] ١٥ [7]ذلك الملك و إن كان[8] هو إنسانا ﴿ معه نذيرا ﴾ [9]فيكون ممتازا بحال[9]

---

(١) فى ظ: ابرزه (٢ - ٢) فى ظ: فلا (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: بفهم (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: التقصير (٦) زيد من ظ و مد (٧) زيد قبله فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها. (٨) سقط من ظ و مد (٩-٩) بياض فى الأصل ملأناه من ظ و مد.

[1] ليس لواحد منا [1]، ليكون أهيب فى النذارة، لما له من الهيبة و القوة، [2] و كأنهم [2] عبروا بالماضى إعلاما بأن مرادهم كونه فى الظهور لهم على غير الهيئة التى يخبرهم [3] بها من تجدد نزول الملك عليه فى كل حين مستسرا بحيث لاينظره غيره، [4] أو لأن الملك يمكن أن يكون على حالة المصاحبة
٥ له للنذارة، و إنما لايتحول عنها بصعود إلى السماء و لاغيره، بخلاف الكنز فانه للنفقة، فان لم يتعهد كل وقت نفد، و هذا سر التعبير بـ « إلى » دون « على » التى هى للتغشى بالوحى، و لذلك عبروا بالمضارع فى [4] قولهم، متنزلين عن علو تلك الدرجة : ﴿او يلقىٓ﴾ [أى من أى ملق كان .
١٠ و لما كان الإلقاء دالا على العلو، عدلوا عن أداة الاستعلاء التى تقدم التعبير بها فى هود [5] عليه السلام مع الإنزال إلى حرف النهاية فقالوا ـ [6]] : ﴿ اليه [7] ﴾ أى إن لم تكن له تلك الحالة ﴿ كنز ﴾ أى يوجد له هذا الأمر و يتجدد له إلقاؤه غير مكترث و لامعبوء به، برفعه عن مماثلتنا العامة من كل وجه [8]، [و أيضا التعبير فى هذا و الذى بعده
١٥ بالمضارع أدل على تكالبهم على الدنيا و أنها أكبر همهم ـ [6]] . ثم تنزلوا

(١-١) بياض فى الأصل ملأناه من ظ و مد (٢ - ٢) فى ظ ومد : فكانهم .
(٣) من ظ و مد، وفى الأصل : تخبرهم (٤-٤) وقع ما بين الرقمين فى الأصل بعد « إلى اتباعه » ص ٣٤٥ س ٧، مع بعض المفارقات، و الترتيب من ظ و مد .
(٥) راجع آية ١٢ (٦) زيد من ظ و مد (٧) تأخر فى الأصل عن « تلك الحالة » و الترتيب من ظ و مد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل : وجهة .

أيضا فى قولهم: ﴿ او تكون له ﴾ [أى - [1]] إن لم تكن له شيء مما مضى ﴿ جنة ﴾ أى بستان أو حديقة كما [2]لبعض أكابرنا[2] ﴿ ياكل منها [3] ﴾ فتفرغه[3] عما يتعاطاه فى بعض الأحايين من طلب المعاش، و يكون غناه أعز له و أجلب للخواطر إليه، و أحث لعكوف الاتباع عليه، و أنجع[4] فيما يريده - هـذا على قراءة الجماعة[5] بالياء التحتية، [6]و على قراءة حمزة و الكسائى بالنون [7]يكون المعنى: أنا إذا أمكننا منها، كان ذلك أجلب لنا إلى اتباعه[7]. و ما قالوه [8]كله فاسد[8] إذ لم يدّع هو صلى الله عليه و سلم و لا أحد من أتباعه أنه هو و لا أحد من الأنبياء قبله يباين البشر، و لا أن وصفا من أوصاف البشر الذاتية ينافى النبوة و الرسالة، و أما الاستكثار من الدنيا فهو عائق فى الأغلب عن السفر إلى دار الكرامة، و موطن السلامة، و حامل على التجبر، و لايفرح به إلا أدنياء الهمم، و خفة ذات اليد لاتقدح إلا فى ناقص يسأل الناس[9] تصريحا أو تلويحا إرادة لتكميل[10] نقصه بالحطام الفانى، و قد شرف الله نبيه صلى الله عليه

(١) زيد من ظ (٢-٢) من ظ ومد، وفى الأصل: لبعضنا من الاكابر (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: فيفرغه (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: انجمع. (٥) راجع نثر المرجان ٦٧٨/٤ (٦) العبارة من هنا إلى «أنا إذا» وقعت فى الأصل مع بعض التكرار بعد «لا ينظره غيره» ص ٣٤٤ س٤ و الترتيب من ظ و مد. (٧-٧) من ظ و مد، و فى الأصل: الى آخره - مع فراغ قدر خمس كلمات. (٨-٨) فى ظ: كلمة فاسدة (٩) فى ظ: الله (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: التكميل.

/٦٧٥ و سلم / عن ذلك بما له من صفات الكمال، و الأخلاق العوال .

[1] و لما[1] كانوا بهذا واضعين الكلام[2] في غير مواضعه، بعيدين[3] عن وجه الصواب، قال معجبا من أمرهم: ﴿ و قال الظّلمون ﴾ فأظهر الوصف الموجب لهم ذلك: ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ تتبعون ﴾ إن اتبعتم ٥ ﴿ الا رجلا مسحورا ه ﴾ أى يتكلم بما لا يجديه، لحاله لذلك حال من غلب على عقله بالسحر، أو ساحرا صار السحر له طبعا، فهو يفرق بما جاء به[4] بين المرء و زوجه و ولده و نحو ذلك، و عبروا بصيغة المفعول إشارة إلى هذا، و هو أنه - لكثرة ما يقع منه من ذلك - صار كأنه ينشأ عنه على[5] غير اختياره .

١٠ و لما أتم سبحانه ما ذكر من أقوالهم الناشئة عن ضلالهم، التفت سبحانه إلى رسوله صلى الله عليه و سلم مسليا [له -[6]] فقال: ﴿ انظر ﴾ ثم أشار إلى التعجب[7] منهم بأن ما قالوه يستحق الاستفهام[8] بقوله: ﴿ كيف ضربوا ﴾ [و قدم ما به العناية فقال -[6]]: ﴿ لك الامثال ﴾ فجعلوك تارة مثلهم[9] في الاحتياج إلى الغذاء، و تارة نظيرهم في التوسل إلى ١٥ التوصل إلى الأرباح و الفوائد، بلطيف الحيلة و غريز العقل، و تارة

(١-١) في ظ و مد: فلما (٢) زيد في الأصل: واضعين، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٣) من ظ و مد، و في الأصل: يعتدين - كذا (٤) سقط من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و في الأصل: عن (٦) زيد من ظ و مد. (٧) من ظ و مد، و في الأصل: التعجيب (٨) سقط من ظ (٩) من ظ و مد، و في الأصل: لهم .

مغلوب العقل مختلط المزاج تأتى بما لا يرضى به عاقل[1] ، و تارة[2] ساحرا تأتى بما يعجز عنه قواهم ، و تحير فيه[3] أفكارهم ﴿ فضلوا ﴾ أى عن جميع طرق العدل ، و سائر أنحاء البيان [4]بسبب ذلك[4] فلم يجدوا قولا يستقرون عليه و أبعدوا جدا ﴿ فلا يستطيعون ﴾ فى الحال و لا فى المآل ، بسبب هذا الضلال ﴿ سبيلا ﴾ أى سلوك سبيل من السبل الموصلة ٥ إلى ما يستحق أن يقصد ، بل هم فى مجاهل موحشة ، و فيافى مهلكة .

و لما ثبت أنه لا وجود لهم لأنهم لا علم لهم و لا قدرة ، و أنهم[5] لا يمن لهم و لا بركة ، لا على أنفسهم و لا غيرهم ، أثبت لنفسه سبحانه ما يستحق من الكمال الذى يفيض بــه على من يشاء من عباده ما يشاء [فقال -[6]] : ﴿ تبٰرك ﴾ أى ثبت ثباتا مقترنا باليمن و البركة ، لا ثبات ١٠ إلا هو ﴿ الذى ان شآء ﴾ فانه لا مكره له ﴿ جعل لك خيرا من ذلك ﴾ أى الذى قالوه على سبيل[7] التهكم ؛ ثم أبدل منه قوله : ﴿ جنٰت ﴾ فضلا عن جنة واحدة ﴿ تجرى من تحتها الانهر ﴾ اى تكون أرضها عيونا نابعة ، أى موضع أريد منه إجراء نهر جرى ، فهى لا تزال ريا تغنى[8] صاحبها عن كل حاجة[9] و لا تحوجه فى استثمارها إلى سقى . ١٥

و لما كان القصر - و هو البيت المشيد - ليس مما يستمر فيه الجعل

---

(١) فى ظ : غافل (٢) فى ظ و مد : تأتى (٣) سقط من ظ (٤-٤) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل : عن « يستقرون عليه » والترتيب من ظ و مد (٥) فى ظ : انه (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : طريق (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : يعير (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : حالة .

كالجنة التى هذه صفتها ، عبر فيه بالمضارع إيذانا بالتجديد[1] كلما حصل خلل يقدح فى مسمى القصر فقال : ﴿ و يجعل لك قصورا ﴾ أى بيوتا مشيدة[2] تسكنها بما يليق بها من الحشم و الخدم ؛ قال البغوى[3] : و العرب تسمى كل بيت مشيد[4] قصرا . و هـذه العبارة الصالحة لأن يجعل له سبحانه ذلك فى الدنيا مما فتت فى أعضادهم ، و خافوا غائلتها فسهلت[5] من قيادهم ، لعلمهم بأن مرسله[6] قادر على [7]ما يريد[7] ، لكنه سبحانه أغناه عن ذلك بتأييده بالأعوان[8] من الملائكة و الإنس و الجان ، حتى اضمحل أمرهم ، و عيل صبرهم ، و لم يشأ سبحانه [9]ما أشار إليه فى هذه الآية الشريفة فى هذه الدنيا الفانية ، و أخره إلى الآخرة الباقية ، و قد عرض سبحانه عليه ما شاء من ذلك فى الدنيا فأباه ؛ روى البغوى[3] من طريق ابن المبارك ، و الترمذى[10] - و قال : حسن - عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم قال : عرض علىّ ربى أن يجعل[11] لى

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالتحذير (٢) زيد فى الأصل : عظيمة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) راجع المعالم بهامش اللباب ٥/٧٨ . (٤) من ظ و مد و المعالم ، و فى الأصل : مشيدة (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : و سهلت (٦) فى ظ : رسله (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من مد ، و فى الأصل : لاعوان ، و فى ظ : الاعوان (٩) و من هنا إلى ما سننبه عليه سقطت صفحتان من الأصل : ٦٧٦ و ٦٧٧ ، وأما الفراغ فقد تمت تعبئته من ظ و مد (١٠) ٢/٢٨٤ (١١) من مد ، و فى ظ : جعل ، و فى المعالم و الترمذى : ليجعل .

بطحاء مكة ذهبا، فقلت: لا يا رب! و لكن أشبع يوما و أجوع يوما، فاذا جعت تضرعت إليك و دعوتك[1]، و إذا شبعت حمدتك و شكرتك.

و روى من طريق أبي الشيخ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: لوشئت لسارت معي جبال الذهب، جاءني ملك إن حجزته لتساوي الكعبة فقال[2]: إن ربك يقرأ عليك ٥ السلام و يقول لك[3]: إن شئت نبيا عبدا و إن شئت نبيا ملكا، فنظرت إلى جبريل عليه الصلاة و السلام فأشار إلى أن ضع[4] نفسك، فقلت: نبيا عبدا، قال: فكان رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد ذلك لا يأكل متكئا و[2] يقول: آكل كما يأكل العبد، و أجلس كما يجلس العبد.

و سيأتي في سورة سبا عند "و ارسلنا له عين القطر[5]" ما يتم هذا، ١٠ و لا يبعد عندي أن يكون أشير بالآية الشريفة - و إن كانت في أسلوب الشرط - إلى ما فتح عليه صلى الله عليه و سلم من الحدائق التي لم يكن مثلها في بلاد العرب لما فتح الله عليه خيبر [و -[6]] وادي القرى، و تصرف في ذلك بنفسه الشريفة و أكل منه و إلى ما فتح على أصحابه من بعده من بلاد فارس و الروم ذات القصور و الجنان التي لامثل لها ١٥ و لذلك عبر في الجنات بالماضي، و في القصور بالمضارع، و أتيحوا كنوز كسرى بن هرمز، فان اللائق بمقام الملوك أن تكون إشاراتهم أوسع من عباراتهم، فاذا ذكروا شيئا ممكنا على سبيل الفرض كان من إرادتهم

---

(١) في المعالم و الترمذي: ذكرتك (٢) من المعالم، و في ظ و مد: قال (٣) ليس في المعالم (٤) من مد و المعالم، و في ظ: نفع (٥) آية ١٢ (٦) زيد من مد.

إبعاده، و يحبون أن يكتفى منهم بالإيماء[1]، و أن يعتمد على تلويحهم أعظم مما يعتمد على تصريح غيرهم، و أن يعد المفروض منهم بمنزلة المجزوم به من غيرهم، و الممكن فى كلامهم كالواجب، فما ظنك بملك الملوك القادر على كل شيء! و هو قد صرف سبحانه الخطاب إلى أعلى الناس فهما،
٥ و أغزرهم علما، و قد أراه سبحانه ما يكون من ذلك من بعده فى غزوة الخندق؛ روى البيهقى فى دلائل النبوة[2] عن عمرو بن عوف المزنى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم لما خط الخندق ليحفره جعل على كل عشرة أربعين ذراعا، و كان سلمان الفارسى رضى الله عنه رجلا قويا، فاختلف فيه المهاجرون و الأنصار، فقال النبى صلى الله عليه و سلم:
١٠ سلمان منا[3] أهل البيت، فخرجت لهم صخرة[4] بيضاء مدورة، قال عمرو: فكسرت حديدنا، و شقت علينا، فقلنا: يا سلمان! ارق إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخبره خبر هذه الصخرة، فأخبره فأخذ صلى الله عليه و سلم المعول من سلمان فضربها[5] ثلاث ضربات صدع فيها فى كل ضربة صدعا، وكسرها فى الثالثة، و برقت مع كل ضربة برقة
١٥ أضاءت ما بين لابتى المدينة حتى لكأن مصباحا فى جوف بيت[6] مظلم، و كبر رسول الله صلى الله عليه و سلم مع كل برقة تكبيرة، ثم أخذ

(١) فى مد: بالايمان (٢) و أيضا أورده البغوى فى المعالم بسياق يقارب ما هنا، ـ راجع هامش اللباب ١٩٤/٥ و١٩٥ (٣) من مد و المعالم، وفى ظ: يا (٤) من مد و المعالم، و فى ظ: صخرا (٥) من مد و المعالم. و فى ظ: و ضربها.
(٦) من المعالم، و فى ظ و مد: ليل.

بيد

بيد سلمان فرقى فسأله سلمان فقال للقوم: هل رأيتم ما يقول سلمان؟ قالوا:
نعم! يا رسول الله! بأبينا أنت و أمنا! قد رأيناك تضرب فيخرج برق
كالموج فرأيناك تكبر، لا نرى شيئا غير ذلك، فقال: أضاءت لى من
البرقة الأولى قصور الحيرة و مدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب، و من
الثانية[1] القصور الحمر[1] من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب، و من الثالثة ٥
قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب، و أخبرنى جبريل عليه الصلاة و السلام
أن أمتى ظاهرة عليها. فاستبشر المسلمون و قالوا: الحمد لله! موعود صادق
بأن وعدنا النصر بعد الحصر، فطلعت الأحزاب فقال المسلمون "هذا
ما وعدنا الله و رسوله و ما زادهم الا ايمانا و تسليما" و قال المنافقون
فى ذلك ما أشار إليه الله تعالى فى القرآن، ثم إن الله تعالى كذب المنافقين ١٠
و صدق رسوله صلى الله عليه و سلم، فافتتح أصحابه رضى الله عنهم جميع
ما ذكر، و غلبوا على سائر مملكة[2] الفرس و اليمن و أكثر الروم، و انتثلوا[3]
من كنوز كسرى و قيصر ما يفوت الحصر، و قد كان صلى الله عليه
و سلم تصرف فى ذلك من ذلك الوقت تصرف الملوك، لأن وعد الله
لاخلف فيه، بل غائبه أعظم من حاضر غيره، و موعوده أوثق من ١٥
ناجز سواه، فأعطى صلى الله عليه و سلم تميم بن أوس الدارى بلد
الخليل عليه الصلاة و السلام من أرض الشام [من - [4]] مملكة الروم،
و أعطى خريم بن أوس - الذى يقال له: شويل[5] - كرامة بنت عبد المسيح

(١ - ١) فى المعالم: قصور الحيرة، و فى اللباب: قصور قيصر (٢) من مد.
و فى ظ: ملكه (٣) من مد، و فى ظ: اقتتلوا (٤) زيد من مد (٥) راجع
تاريخ الطبرى ٣/١٤.

ابن بقيلة من سبي الحيرة من بلاد العراق من مملكة فارس، وكل منهم قبض ما أعطاه عند الفتح كما يعرفه من طالع كتب الفتوح على أيام الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين، فعندي أن هذا مما أشارت إليه الآية الشريفة، نزه الله تعالى نبيه صلى الله عليه و سلم عنه، ٥ و فتحه على أصحابه، تشريفا لهم بازالة أهل الشرك عنه، و إنعاما عليهم به تصديقا لوعده، و إكراما لنبيه صلى الله عليه و سلم بنصر[1] أوليائه، و تكثير أمته، و حضر ذلك كثير ممن كان من القائلين "ما لهذا الرسول" إلى آخره، و قد كان قادرا على أن يقويه بجميع ذلك قبل موته، و لكنه لم يفعل لأن ذلك أوضح في الأمر، لأن نصره على ١٠ خلاف ما[2] ينصر به أهل الدنيا من غير جنود كثيرة ظاهرة، و لا أموال وافرة، و لا ملوك معينة قاهرة، بل كانت الملوك عليه، ثم صاروا كلهم أهون شيء عليه، بيد أصحابه من بعده و أحبابه .

و لما ثبت بما أثبت لنفسه الشريفة من الكمال أنه لا مانع من إيجاد ما ساقوه مساق التوبيخ إلا عدم المشيئة، لا عجز من الجاعل و لا هوان ١٥ بالمجعول له، تسلية له صلى الله عليه و سلم في أسلوب مشير بأنه يعطيه ذلك، سلاه أيضا بأن ما نسبوه إليه لا يعتقدون حقيقته، فأضرب عن كلامهم قائلا: ﴿بل﴾ أي لا تظن[3] أنهم كذبوا بما جئت به لأنهم يعتقدون فيك كذبا و افتراء للقرآن، أو نقصانا لأكلك الطعام و مشيك

---

(١) من مد، و في ظ: ثم (٢) من مد، و في ظ: من (٣) من مد، و في ظ: لا يظن .

في الأسواق[1] /أو في شيء من أحوالك، أو لا تظن[2] أنهم يكذبون[2] بقدرته /٦٧٨
تعالى على ما ذكر أنه إن شاء جعله[3] لك بل ، أو[4] المعنى: دع التفكر فيما
قالوه من هذا فإنهم لم[5] يقتصروا في التكذيب عليه بل ﴿كذبوا بالساعة﴾
أي بقدرتنا عليها، و استقر ذلك في أنفسهم دهورا طويلة، و أخذوه
خلفا عن سلف، و أشرب قلوبهم حب هذا الحطام الفاني، و تقيدت ٥
أوهامهم بهذه الظواهر كالبهائم، فعسر انفكاكهم عن ذلك بما جاءهم
من البيان الذي لا يشكون فيه، فاجترأوا لذلك على العناد[6] لعدم الخوف
من أهوال يوم القيامة كما قال تعالى عن أهل الكتاب "و غرهم في
دينهم ما كانوا يفترون[7]" ﴿و اعتدنا﴾ أي و الحال أنا أعتدنا، أي
هيأنا بما لنا من العظمة ﴿لمن كذب﴾ من هؤلاء و غيرهم ﴿بالساعة سعيرا ج﴾ ١٠
أي نارا شديدة الاتقاد[8] بما أعظموا الحريق في قلوب من كذبوهم من
الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و أتباعهم رضي الله عنهم ﴿اذا راتهم﴾
أي إذا كانت بحيث يمكن أن يروها و تراهم لو كانت مبصرة[9]
﴿من مكان بعيد﴾ و هو أقصى ما يمكن رؤيتها منه و هم يساقون إليها
﴿سمعوا لها﴾ [أي خاصة -[10]] ﴿تغيظا﴾ أي صوتا في غليانها ١٥

(١) و إلى هنا انتهت السقطة من الأصل (٢-٢) من ظ و مد، و في الأصل: انكم تكذبون (٣) من ظ و مد، و في الأصل: جعل (٤) في ظ: اذ. (٥) من ظ و مد، و في الأصل: لا (٦) في ظ: العباد (٧) سورة ٣ آية ٢٤. (٨) من ظ و مد، و في الأصل: الايقاع (٩) من ظ و مد، و في الأصل: مبصر (١٠) زيد من ظ و مد.

و فورانها كصوت المتغيظ فى تحرقه[1] و نكارته إذا غلا صدره من الغضب ﴿و زفيراه﴾ أى صوتا يدل على تناهى الغضب ، و أصله صوت يسمع من الجوف .

و لما وصف ملاقاتها[2] لهم ، وصف إلقاءهم فيها فقال : ﴿و اذآ القوا﴾ ٥ أى طرحوا طرح[3] إهانة [فجعلوا -[4]] بأيسر أمر [ملاقين -[4]] ﴿منها﴾ أى النار ﴿مكانا﴾ و وصفه بقوله : ﴿ضيقا﴾ زيادة فى فظاعتها ﴿مقرنين﴾ بأيسر أمر ، أيديهم إلى أعناقهم فى السلاسل ، أو حبال المسد ، [أو -[4]] مع من أغواهم من الشياطين ، و التقرين : جمع شيء إلى شيء فى قرن - و هو الحبل ﴿دعوا هنالك﴾ أى فى ذلك الموضع ١٠ البغيض البعيد عن الرفق ﴿ثبورا[5]﴾ أى هلاكا عظيما فيقولون : ياثبوراه! لأنه[5] لا منادم[6] لهم غيره ، و ليس بحضرة أحد [منهم -[4]] سواه ؛ قال ابن جرير[7] : و أصل الثبر[8] فى كلام العرب الانصراف عن الشيء . فالمعنى حينئذ : دعوا انصرافهم عن الجنة إلى النار[3] [الذى -[4]] تسببوا فيه بانصرافهم عن الإيمان إلى الكفر ، فلم يكن لهم[3] سمير إلا استحضارهم ١٥ لذلك تأسفا و[9] تندما ، فأجيبوا على طريق الاستئناف بقوله تعالى : ﴿لا تدعوا اليوم﴾ أيها الكفار ﴿ثبورا واحدا﴾ لأنكم [لا -[4]]

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : عرفه (٢) من ظ ومد ، و فى الأصل : ملاقيها. (٣) سقط من ظ و مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ : لانهم (٦) من ظ ومد، وفى الأصل : مقادم (٧) راجع من تفسيره الجزء ١٢٨/١٨ (٨) من ظ ومد، و فى الأصل : الثبير ، و فى التفسير : الثبور (٩) فى ظ : او .

تموتون إذا حلت بكم أسباب الهلاك ﴿ و ادعوا ثبورا كثيرا[١]ه﴾ لايحصره[٢] الإحصاء و لا آخر له، فانكم وقعتم فيما يوجب ذلك لأن أنواع الهلاك لاتبارحكم أصلا و لكنه لا موت.

و لما كانت عادتهم[٣] تجويز الممكن من كل ما يحذرون منه من الخلق، اقتضى الحال سؤالهم: هل[٤] أعدوا لما هددوا[٥] به من الخالق ٥ عدة أم لا؟ في سياق الاستفهام عن المفاضلة بينه و بين ما وعده[٦] المتقون، تنبيها على أنه أعلى رتبة من الممكن فانه واقع لامحالة، و تهكما بهم، فقال تعالى: ﴿ قل أ ذلك ﴾ أى الأمر العظيم الهول[٧] الذى / أوعدتموه من السعير الموصوفة. / ٦٧٩

و[٨] لما كانت[٨] عادة العرب في بيان فضل الشيء دون غيره الإتيان ١٠ بصيغة 'أفعل' تنبيها على أن سلب[٩] الخير عن مقابله لايخفى على أحد، أو يكون [ذلك -[١٠]] على طريق التنزل و إرخاء العنان، تنبيها للعاقل على أنه يكفيه في الرجوع عن الغى طروق احتمال لكون[١١] ما هو عليه مفضولا قال: ﴿ خير ام جنة الخلد ﴾ أى الإقامة الدائمة ﴿التى وعد المتقون ط﴾ أى وقع الوعد[١٢] الصادق المحتم[١٣] بها، [ممن وعده هو الوعد -[١٠]]، للذين ١٥

(١) سقط من ظ (٢) في ظ و مد: لاياخذه (٣) في ظ: عبادتهم (٤) في ظ: قل (٥) من ظ و مد، و في الأصل: تهددوا (٦) من ظ و مد، و في الأصل: عده (٧) في ظ: القول (٨ - ٨) في ظ: ما كان (٩) من ظ و مد، و في الأصل: سبب (١٠) زيد من ظ ومد (١١) من ظ ومد، و في الأصل: ليكن (١٢) من ظ و مد، و في الأصل: بهالوعد (١٣) زيد في الأصل: لهم، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها

خافوا فصدقوا بالساعة جاعلين بينهم و بين أهوالها وقاية مما أمرتهم به الرسل؛ ثم حقق تعالى أمرها تأكيدا للبشارة بقوله: ﴿كانت﴾ أى تكونت[1] و وجدت بايجاده سبحانه ﴿لهم جزآء﴾ على تصديقهم و أعمالهم ﴿و مصيرا﴾ [أى مستقرا و منتهى، و ذلك مدح لجزائهم لأنه إذا ٥ كان فى محل واسع طيب كان أهنأ له و ألذ كما أن العقاب إذا كان فى موضـــع ضيق شنيع كان أنكى و أوجع -[2]]، و هو استفهام تقريع و توبيخ لمن كان يعقل فيجوز الممكنات.

و لما ذكر تعالى نعيمهم[3] بها ذكر، تنعمهم[4] فيها فقال: ﴿لهم فيها﴾ أى[5] الجنة خاصة لا فى غيرها ﴿ما يشآءون﴾ من كل ما تشتهيه أنفسهم[6] ١٠ ﴿خلدين﴾ لا يبغون عنها حولا ﴿كان﴾ أى ذلك كله ﴿على ربك﴾ أى المحسن إليك بالإحسان إلى أتباعك ﴿وعدا﴾.

و لما أشار سبحانه إلى إيجاب ذلك على نفسه العظيمة بالتعبير بـ «على» و الوعد، و كان الإنسان لاسيما الكريم مجبولا على عزة النفس، لا يكاد يسمح بأن يسأل فيما لا يحقق حصوله، قال: ﴿مسؤلا﴾ أى ١٥ حقيقا بأن يسأل إنجازه[7]، لأن سائله خليق بأن يجاب سؤاله، و تحقق ظنونه و آماله، فالمعنى أنه[8] إذا انضاف[9] إلى تحتيمه الشيء على نفسه

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: تكون (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: تعميمهم (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: تنعيمهم. (٥) سقط من ظ، و ورد فى مد بعد الكلمة التالية (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: انفسكم (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: ايجاره (٨) فى ظ: بانه. (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: تضاف.

سؤال الموعود به إياه، انجزه لا محالة . و هو من وادى "اجيب دعوة الداع اذا دعان" و فيه حث عظيم على الدعاء، و ترجية كبيرة للاجابة، كما وعد بذلك سبحانه فى "اجيب دعوة الداع[1]" و"ادعونى استجب لكم"، و إن لم ير الداعى الإنجاز[2] فان الأمر على ما رواه الإمام أحمد[3] و البزار[4] و أبو يعلى[1] - قال المنذرى[5]: بأسانيد جيدة - و الحاكم[6] و قال: صحيح ٥ الإسناد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم و لاقطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، و إما أن يدخرها له فى الآخرة، و إما أن يصرف عنه من السوء مثلها، قالوا: إذن نكثر[7]؟ قال: الله أكثر. و للحاكم[8] عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله ١٠ عليه و سلم قال: يدعو الله بالمؤمن يوم القيامة حتى يوقفه بين يديه فيقول: عبدى! إنى أمرتك أن [[9]- تدعونى، و وعدتك أن أستجيب لك [10]فهل كنت] تدعونى؟ فيقول: نعم! يا رب! فيقول: أما أنك لم تدعنى[11] بدعوة إلا استجبت[12] لك؟ أليس دعوتنى يوم كذا و كذا لغم نزل بك أن أفرج عنك ففرجت عنك؟ فيقول: نعم! يا رب! فيقول: إنى عجلتها ١٥

(١ - ١) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الايجاز (٣) فى مسنده ٣/١٨ (٤) راجع مجمع الزوائد ١٠/١٤٨ (٥) راجع الترغيب و الترهيب ٣٢٣ (٦) راجع المستدرك ١/٤٩٣ (٧) من مد و المراجع، و فى الأصل وظ: نكثر (٨) راجع المستدرك ١/٤٩٤ (٩) زيد من ظ ومد والمستدرك (١٠) العبارة من هنا إلى «استجبت لك» ساقطة من ظ (١١) من مد و المستدرك، و فى الأصل: تدعونى (١٢) من مد و تلخيص المستدرك، و فى الأصل و المستدرك: أستجيب.

لك فى الدنيا ، و دعوتنى يوم كذا و كذا لغم نزل بك [ان أفرج
عنك -[1]] فلم تر فرجا ؟ قال : نعم ! [يا رب -[1]] ! فيقول : إنى ادخرت
لك بها فى الجنة كذا وكذا ،[2] و دعوتنى فى حاجة أقضيها لك [فى -[3]]
يوم كذا و كذا فقضيتها ؟ / فيقول : نعم ! يا رب ! فيقول : إنى عجلتها لك ٦٨٠ /
٥ فى الدنيا ، و دعوتنى يوم كذا و كذا فى حاجة أقضيها لك فلم تر قضاءها ؟
فيقول : نعم ! يا رب ! فيقول : إنى [4] ادخرت لك بها[4] فى الجنة كذا
و كذا ، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : فلا يدع[5] الله دعوة دعا
بها عبده المؤمن إلا بين له إما أن يكون عجل له فى الدنيا ، و إما أن
يكون ادخر له فى الآخرة ، فيقول المؤمن فى ذلك المقام : يا ليته لم يكن
١٠ عجل له شىء[6] من دعائه . و لابن حبان فى صحيحه و الحاكم[7] - و قال :
صحيح الإسناد - [8] عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله
عليه و سلم : لا تعجزوا فى الدعاء فانه لن يهلك مع الدعاء أحد .
و للترمذى[9] و الحاكم[10] عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه
و سلم قال : ادعوا الله و أنتم[11] موقنون بالإجابة . و للبخارى[12] و مسلم[13]

---

(١) زيد من ظ و مد و المستدرك (٢) العبارة من هنا إلى «فى الجنة كذا وكذا» س ٦ و ٧ ساقطة من المستدرك ثابتة فى تلخيصه (٣) زيد من ظ و مد وتلخيص المستدرك (٤-٤) فى ظ : ادخرتها - كذا (٥) من مد و المستدرك ، وفى الأصل و ظ : فلا يدعوا (٦) من ظ و مد و تلخيص المستدرك ، و فى الأصل : شيئا ، و فى المستدرك : فى شىء (٧) فى المستدرك ١/٤٩٤ (٨) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٩) فى الجامع ٢/٤٣١ (١٠) فى المستدرك ١/٤٩٣ .
(١١) فى ظ . انكم (١٢) فى الصحيح ٢/٩٣٨ (١٣) فى الصحيح ٢/٣٥٢

و أبي داود[1] و الترمذي[2] و ابن ماجه[3] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي. و في رواية [لمسلم -[4]] و الترمذي[5]: لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل[6]، قيل: يا رسول الله! ما الاستعجال؟ قال: يقول: [قد -[7]] دعوت فلم يستجب ٥ لي - فيستحسر[8] عند ذلك و يدع الدعاء. قال المنذري[9]: يستحسر أي [10]يمل و يعي فيترك[10] الدعاء - انتهى. و قد فهم من الآية و من الحديث في استثناء الإثم و قطيعة الرحم أن ما لا مانع من سؤاله موعود بإجابته و نواله، فليدع الإنسان به موقنا بالإجابة.

و لما ذكر لهم حالهم في الساعة معه سبحانه، أتبعه ذكر[11] حالهم ١٠ مع معبوداتهم من دونه، فقال بالالتفات إلى مظهر العظمة على[12] قراءة الجماعة: ﴿و يوم﴾ أي قل لهم ما أمرتك به، و اذكر لهم يوم ﴿نحشرهم﴾ أي المشركين، بما لنا من العظمة التي نبرزها في ذلك اليوم، من القبور؛ و قرأ أبو جعفر و ابن كثير و يعقوب و حفص عن عاصم بالياء التحتية[13]

---

(١) في السنن ١/١٤٨ (٢) في الجامع ٢/١٨و١٩٤ (٣) في السنن ٢٨٢ (٤) زيد من ظ و مد، وأما الحديث فراجعه في صحيحه ٢/٣٥٢ (٥) في الجامع ٢/٤٤٦.
(٦) في ظ و مد: لم يعجل (٧) زيد من ظ و مد و الصحيح (٨) من ظ و مد و الصحيح، و في الأصل: فيستحشر (٩) من ظ و مد، و في الأصل: الترمذي (١٠-١٠) من ظ و مد و الترغيب و الترهيب ٣٢٦، و في الأصل: يملي ويعيي و يترك - كذا (١١) من ظ و مد، و في الأصل: الذكر (١٢) من ظ و مد، و في الأصل: في (١٣) راجع نثر المرجان ٤/٦٨٤.

فيكون الضمير للرب ﴿ و ما يعبدون ﴾ أى من الملائكة و الإنس و الجن
و غيرهم ممن يعقل و ممن لا يعقل : و نبه على سفول رتبتهم عن ذلك
و عدم أهليتهم بقوله : ﴿ من دون الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى
لا كفوء له ، و ذكرها بلفظ " ما " إشارة إلى أن ناطقها و صامتها جماد
٥ بل عدم بالنسبة إليه سبحانه بما أشار إليه التعبير بالاسم الأعظم الدال
على جميع الكمال ، مع أن " ما " موضوع على العموم للعقلاء و غيرهم
و إن كان أكثر استعماله فى غير العقلاء ؛ و عبر سبحانه بقوله : ﴿ فيقول ﴾
بإعادة[1] ضمير الغيبة [بعد التعبير بنون العظمة فى « نحشر » فى قراءة غير
ابن عامر -[2]] لتقدم الجلالة الشريفة ، تحقيقا للمراد و تصريحا به ، و إعلاما
١٠ بأن المراد بالنون العظمة لا[3] الجمع ، و قرأ ابن عامر بالنون موحدا
الأسلوب[4] : ﴿ ءانتم ﴾ أى أيها المعبودات ! بإيلاء الهمزة الضمير سؤالا
عن المضل ، لأن ضلال العبدة معروف لا يسأل عنه ﴿ اضللتم ﴾ بالقهر
و الخداع و المكر ﴿ عبادى هؤلآء ﴾ حتى عبدوكم كما فى الآية الأخرى
" ثم / يقول للملئكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون " فى أمثالها من الآيات /٦٨١
١٥ [4] كما فى الحديث القدسى[5] : إنى خلقت عبادى حنفاء كلهم فاحتالهم[6]
الشياطين . ﴿ ام ﴾ .

و لما كان السؤال - كما مضى - عن الفاعل لا عن الفعل ، كان
لا بد من قوله : ﴿ هم ﴾ أى[6] باختيار منهم لإهمالهم استعمال ما أعطيتهم

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعاد (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ «و» .
(٤) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٥) راجع
معناه فى مسند الإمام أحمد ٤/١٦٢ (٦) سقط من ظ .

من قويم العقل و سديد النظر ﴿ضلوا﴾ و أوصل الفعل بدون "عن" كما في هداة[1] الطريق بدون "إلى" لكثرة الدور، و للاشارة[2] إلى قوة الفعل[3] فقال: ﴿السبيل[5]﴾ أي[4] الذي نهجته و نصبت عليه الأدلة القاطعة، و البراهين الساطعة ﴿قالوا﴾ أي المعبودات الحي منهم و الجماد، [5]المطيع و العاصي: ﴿سبحٰنك﴾ أي تنزهت عن أن ينسب إلى غيرك قدرة ٥ على فعل من الأفعال.

و لما أنتج[6] التنزيه أنه لافعل لغيره سبحانه. عبروا عنه بقولهم: ﴿ما كان ينبغي﴾ أي يصح و يتصور ﴿لنآ ان نتخذ﴾ أي نتكلف أن نأخذ باختيارنا من غير إرادة منك ﴿من دونك﴾ و كل ما سواك فهو دونك ﴿من اوليآء﴾ أي ينفعوننا، فانا مفتقرون إلى من ينفعنا ١٠ لحاجتنا و فقرنا، فكيف نترك [من -[7]] بيده كل شيء [و هو أقرب إلينا في كل معنى من معاني الولاية من كل شيء من العلم و القدرة و غيرهما -[7]] إلى من لا شيء بيده، [و هو أبعد بعيد من كل معنى من معاني الولاية، فلو تكلفنا جعله قريبا لم يكن كذلك -[7]]، و هذه عبارة صالحة سواء كانت من الصالحين ممن عبد من الأنبياء و الملائكة أو[8] غيرهم، ١٥

---

(١) من ظ و مد، و في الأصل: هذه (٢) من ظ و مد، و في الأصل: الاشارة (٣) من ظ و مد. و في الأصل: العقل (٤) سقط من ظ و مد. (٥) زيدت الواو في الأصل، ولم تكن في ظ ومد فحذفناها (٦) في ظ: ابيح. (٧) زيد من ظ و مد (٨) في ظ «و».

فان كانت من الصالحين فمعناها : ما كان [1] ينبغى لنا [1] ذلك فلم نفعله و أنت أعلم ، كما قال تعالى "ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتب و الحكم و النبوة ثم يقول للناس" - الآية [2] ؛ و إن كانت من الجمادات فالمعنى [3] : ما كنا فى حيز من يقدر على شىء من ذلك ، و لكن فعلوه بطرا ؛ و إن كانت
٥ من مثل فرعون فالمعنى : ما كان لنا هذا ، و لكن هم أنزلونا هذه المنزلة بمجرد دعائنا لهم - كما يقول إبليس - فما كان لنا عليهم من سلطان إلا أن دعوناهم فاستجابوا [4] ، و ذلك لعدم نظرهم فى حقائق الأمور ، فألقى [5] الكل إلى الله [5] يومئذ السلم ، فثبت أنهم ليسوا فى [6] تلك الرتبة التى أنزلوهم إياها ، و فائدة السؤال مع شمول علمه تعالى تبكيت العاندين [7] و زيادة
١٠ حسراتهم [8] و أسفهم ، و تغبيط المؤمنين إذا سمعوا هذا الجواب ، هذا [مع - [9]] ما فى حكايته لنا من الموعظة البالغة ، [و قراءة أبى جعفر بالبناء للفعول بضم النون و فتح الخاء واضحة المعنى ، أى يتخذنا أحد آلهة تتولى أموره - [9]] .

و لما كان المعنى : إنا ما أضللناهم ، أما إذا قدر من الملائكة و نحوهم
١٥ فواضح ، و أما من غيرهم فان المضل فى الحقيقة هو الله . و فى الظاهر بطرهم النعمة ، و اتباعهم الشهوات التى قصرت بهم عن إمعان النظر ، و أوقفتهم مع [10] الظواهر ، حسن الاستدراك بقوله : ﴿و لكن﴾ أى

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) ٧٩ سورة ٣ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : و المعنى (٤) راجع سورة ١٤ آية ٢٢ (٥-٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الله الى الكل (٦) فى ظ : من (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : العابدين (٨) فى ظ : حسرتهم (٩) زيد من ظ و مد (١٠) فى ظ : فى .

ما

ما أضللناهم نحن، و إنما هم ضلوا بإرادتك[1] لأنك أنت ﴿متعتهم و ءاباءهم﴾ فى الحياة الدنيا بما تستدرجهم به من لطائف المنن، و أطلت[2] أعمارهم فى ذلك ﴿حتى نسوا الذكر﴾ الذى لا ينبغى أن يطلق الذكر على غيره، و هو الإيمان بكل ما أرسلت به سبحانك رسلك[3] [برهان ما يعرفه كل عاقل من نفسه بما وهبته[4] من غريزة العقل من أنه لا يصح بوجه أن يكون الإله ٥ إلا واحدا، ما بين العاقل و بين ذكر ذلك إلا يسير تأمل، مع البراءة من شوائب الحظوظ، و -[5]] الحاصل أنك سببت لهم أسبابا لم يقدروا على الهداية معها، فأنت الملك الفعال لما تريد، لا فعل لأحد سواك ﴿و كانوا﴾ فى علمك بما قضيت عليهم فى الأزل / ﴿قوما بورا﴾ هلكى. / ٦٨٢

و لما كان هذا أمرا واقعا لا محالة، التفت إليهم مبكتا فقال معبرا ١٠ بالماضى بعد "قد" المقربة[6] المحققة: ﴿فقد كذبوكم﴾ أى المعبودون كذبوا العابدين بسبب[7] إلقائهم السلم المقتضى لأنهم لا يستحقون العبادة و أنهم يشفعون لكم [8]مقهورين مربوبين ﴿بما﴾ أى بسبب ما ﴿تقولون﴾ أيها العابدون من أنهم يستحقون العبادة و أنهم يشفعون لكم، [9]و أنهم[9] أضلوكم، و فى قراءة ابن كثير بالتحتانية المعنى: ١٥ بما يقول المعبودون من التسبيح لله و الإذعان، فى ادعائكم أنهم أضلوكم[10].

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: بارادتك - كذا (٢) فى ظ: اطالت (٣) فى ظ و مد: اسئلك - كذا (٤) فى مد: وهبت (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: القربة (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: فتسبب (٨) بياض فى الأصل قدر كلمتين، و العبارة من هنا إلى «يشفعون لكم» س ١٥ ساقطة من ظ و مد (٩ - ٩) فى ظ: فانهم (١٠) فى ظ و مد: اضلوهم.

و لما تسبب[1] عن إلقائهم السلم و تخليهم عمن عبدهم أنه لانفع فى أيديهم و لا ضر[2]، قال: ﴿فما يستطيعون[3]﴾ أى المعبودون ﴿صرفا﴾ أى لشيء من الأشياء عن أحد من الناس، لا أنتم و لا غيركم، من عذاب و لا غيره، بوجه حيلة و لا شفاعة و لا مفاداة ﴿و لا نصرا[4]﴾ بمغالبة، ٥ و هو نحو قوله[5] تعالى "فلا[6] يملكون كشف الضر عنكم و لا تحويلا".

و لما كان التقدير: فمن يعدل منكم لسماع هذا الوعظ[7] بوضع العبادة فى موضعها نثبه ثوابا[8] جليلا، عطف عليه ما المقام له فقال: ﴿و من يظلم منكم﴾ بوضعها فى غير موضعها، و باعتقاده فى الرسل ما لا ينبغى من أنه لا ينبغى لهم أن يكونوا مثل الناس فى أكل و لا طلب ١٠ معيشة و نحو ذلك ﴿نذقه﴾ [فى الدنيا و الآخرة، بما لنا من العظمة - [9]] ﴿عذابا كبيرا ه﴾.

و لما أبطل سبحانه ما وصموا به رسوله صلى الله عليه و سلم و ذكر ما جزاهم عليه، و ما أعد لهم و له و لأتباعه، و نفى ما زعموه فى[10] معبوداتهم و ختمه بتعذيب الظالم، ذكر ما ظلموا فيه من قولهم "ما لهذا الرسول" ١٥ و نحوه، فبين أن ما جعلوه من ذلك وصمة فى حقه هو سنته سبحانه فى الرسل من قبله أسوة لنوعهم البشرى، و أتبعه سره فقال زيادة فى

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: ضرر (٣) على قراءة الجماعة، و قراءة حفص بالتاء. (٤) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) سورة ١٧ آية ٥٦ (٦) فى مد: لا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: الوعد (٨) زيد فى الأصل: جميلا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٩) زيد من ظ و مد. (١٠) سقط من ظ و مد.

التسلية و التعزية و التأسية: ﴿ و ما ارسلنا ﴾ بما لنا من العظمة . و لما كان المراد العموم، أعراه من الجار فقال: ﴿ قبلك ﴾ أى يا محمد [أحدا -[1]] ﴿ من المرسلين الآ ﴾ و حالهم ﴿ انهم ليأكلون الطعام ﴾ كما تأكل و يأكل غيرك من الآدميين ﴿ و يمشون فى الاسواق ﴾ كما تفعل و يفعلون اى إلا و حالهم الأكل و[2] المشى لطلب[3] المعاش كحال سائر الآدميين، ٥ و هم يعلمون ذلك لما سمعوا من أخبارهم، و هذا تأكيد من الله تعالى فانهم[4] لا يكذبونه عليه الصلاة و السلام، و لا يعتقدون فيه نقصا، و إبطال لحجتهم[5] بما قالوه من ذلك، و إقامة للحجة على عنادهم، و أنهم إنما يقولونه و أمثاله لما تقدم من رسوخ التكذيب بالساعة فى أنفسهم ﴿ و جعلنا ﴾ أي بالعطاء و المنع بما[6] لنا من العظمة ﴿ بعضكم لبعض فتنة ﴾ بأن جعلنا ١٠ هذا نبيا و خصصناه بالرسالة، و هذا ملكا و خصصناه بالدنيا، و هذا فقيرا و حرمناه الدنيا، ليظهر ما نعلمه من كل من الطاعة و المعصية فى عالم الغيب للناس فى عالم الشهادة، فنختبر[7] الفقير بصبره على ما حرم مما أعطيه الغنى أو جزعه، و الملك و من[8] فى معناه من الأشراف بصبرهم على ما[9] أعطيه الرسول من الكرامة و البلوغ بالقرب من الله إلى ما [لا -[1]] ١٥ يبلغونه / مع ما هم[9] فيه من العظمة، فلأجل ذلك [لم -[1]] أعط /٦٨٣

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد فى ظ: الشراء و (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: بطلب (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لانهم (٥) فى ظ: حجتهم. (٦) فى ظ: لما (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: فيختبر (٨) فى ظ: ما. (٩) سقط من ظ.

رسولى الدنيا ، و جعلته ممن[1] يختار العبودية و الكفاف بطلب المعاش في الأسواق ، لأبتليكم في الطاعة له خالصة ، فاني لو أعطيته الدنيا ، و جعلته ممن يختار الملك ، لسارع[2] الأكثر إلى اتباعه طمعا في الدنيا ، و هذا معنى ﴿ا تصبرون ج﴾ فانه علة ما قبله ، أى لنعلم[3] علم شهادة هل[4] تصبرون فيما

٥ امتحناكم به أم لا ؟ كما كنا نعلمه علم غيب ، [5]لتقوم عليكم[5] بذلك الحجة في مجارى عاداتكم ، و فيها مع العلية تهديد بليغ لمن تدبر ، و يجوز أن يكون الاستفهام استئنافا للتهديد .

و لما كان الاختبار[6] ربما أوهم نقصا في العلم ، و كان إحسانه سبحانه إلى جميع الخلق دون إحسانه إلى سيدهم و عينهم ، و خلاصتهم و زينهم[7] :

١٠ محمد صلى الله عليه و سلم ، و كان أعلمهم بتنزيهه و تعظيمه ، و كان امتحانهم بجعله نبيا عبدا مع كونه في غاية الإكرام له ربما ظنوه إهانة ، نفى ما لعله يوهمه كل من الاستفهام و الامتحان في حق الله سبحانه و حق نبيه صلى الله عليه و سلم ، فقال [8]صارفا وجه[8] الخطاب إليه : ﴿و كان ربك﴾ أى المحسن إليك إحسانا لم يحسنه إلى أحد سواك ، لاسيما بجعلك نبيا عبدا ﴿بصيرا ع﴾

---

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : مما (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : لتنازع .
(٣) من مد ، و في الأصل و ظ : ليعلم (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : و تاهل - كذا (٥ - ٥) من ظ و مد ، و في الأصل : ليقوم عليك (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : الاخبار (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : زمنهم (٨ - ٨) من ظ و مد ، و في الاصل : لصارف اوجه .

بكل

بكل شيء فهو عالم بالإنسان قبل الامتحان، لم يفده ذلك علما لم يكن، و هو سبحانه يضع الأمور في حاق[1] مواضعها و إن رئي[2] غير ذلك، فينبغي على كل أحد التسليم له في جميع الأمور فانه يجر إلى خير كبير، و التدبر لأقواله و أفعاله بحسن الانقياد و التلقي فانه يوصل إلى علم غزير[3]، و ما أراد بابتلائك بهم[4] و ابتلائهم بك في هذا الأذى الكبير[5] إلا إعلاء ٥ شأنك و إسفال أمرهم "و لتعلمن نباه بعد حين".

و لما ذكر هذا الابتلاء بعد أن ذكر أول السورة ما هو سبحانه عليه من العظمة من سعة الملك، و كثرة الصنائع، و الإحسان إلى جميع الخلق، و كان من حق كل مربوب أن[6] يتعرف إلى ربه، كائنا من كان، لاسيما إذا كان بهذه الصفة، لينال من إحسانه، و يتعزز به على ١٠ أقرانه، أتبع ذلك أنه كشف الابتلاء عن أنه[7] لا بصر لهم فقال تعالى: ﴿و قال﴾ و أظهر في موضع الإضمار الوصف الذي قدم أنه موجب لعماهم فقال: ﴿الذين لا يرجون﴾ أي ليست لهم عقول [8]لكونهم نسوا[8] ﴿لقآءنا﴾ فهم[9] لايعملون عملا يطمعون في إثابتنا لهم[9] عليه بعد الموت على ما يعلمون[10] لنا من العظمة التي من رجاها كانت له فسعد، و من أعرض عنها ١٥

(١) من ظ و مد، و في الأصل: عاق (٢) من ظ و مد، و في الأصل: راين. (٣) من ظ و مد، و في الأصل: عزيز (٤) سقط من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و في الأصل: كثير (٦) في ظ: اذ (٧) في ظ: انهم (٨ - ٨) من ظ و مد، و في الأصل: لانهم سواء (٩) من ظ و مد، و في الأصل: هم. (١٠) من ظ و مد، و في الأصل: يعملون.

كانت عليه فهلك، فصارت لذلك عقولهم تبعا[1] لشهواتهم، فصاروا يتعرفون إلى جمادات سموها أربابهم، و يقصدونها و يتمسحون[2] بها رجاء للحال، و الانهماك في الضلال، فذكر الرجاء لهذا الغرض مع أنه يلزمه عدم الخوف: ﴿لولآ﴾ أي هلا [3] ولم لا [3].

٥ و لما كان مرادهم لجهلهم أن يروهم كلهم دفعة واحدة، عبر[4] بالإنزال فقال: ﴿انزل﴾ [أي على أيّ وجه كان من أيّ منزل كان - [5]] ﴿علينا الملٓئكة﴾ أي كما أنزلت عليه فيما يزعم ﴿او نرى ربنا﴾ بما له إلينا من الإحسان و ما لنا نحن من العظمة بالقوة بالأموال و غيرها، فيأمرنا بما[6] يريد[7] من غير حاجة إلى واسطة.

١٠ و لما كان هذا القول مما لا ينبغي لبشر أن يجترئ عليه، لأن فيه اعتراضا على من لا يحد وصف[8] عظمته، و لا تدرك مقاصد / حكمته، قال مصدرا بحرف التوقع لما[9] أرشد إليه السياق جوابا لمن كأنه[10] سأل: ما حالهم في هذا؟: ﴿لقد﴾ أي و عزتنا لقد ﴿استكبروا﴾ أي طلبوا بل أوجدوا الكبر. و لما لم يكن لكبرهم ثمرة في الظاهر، لأنه لا يعود

١٥ بالضرر على أحد غيرهم، قال: ﴿في انفسهم﴾ أي بطلب رؤية الملائكة.

/٦٨٤

---

(١) من ظ و مد، و في الأصل: نفعا (٢) في ظ: يمسحون (٣ - ٣) تقدم في الأصل على «أي هلا» و الترتيب من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ ومد (٦) من ظ ومد، و في الأصل: مما (٧) في ظ: يزيد، و في مد: نريد. (٨) من ظ و مد. و في الأصل: و هو (٩) من ظ ومد، و في الأصل: بما. (١٠) في ظ: كان.

و لما كان حاصل أمرهم أنهم طلبوا رتبة النبي الذي واسطته الملك، و زادوا عليه رؤية جميع[1] الملائكة الآخذين عن الله، و زادوا على [2]ذلك بطلبه[2] الرؤية، قال: ﴿ و عتو ﴾ أي و جاوزوا الحد في الاستكبار بما وراءه من طلبهم رؤية جميع الملائكة و رؤية الملك الجبار؛ و زاد في تأكيد هذا المعنى لاقتضاء المقام له بقوله: ﴿ عتوا كبيرا ﴾ ٥ و بيان أنهم ما قالوا هذا إلا عتوا و ظلما أن ما جاءهم من الآيات التي أعظمها القرآن دلهم قطعا بعجزهم عن الإتيان بشيء منه على صدقه صلى الله عليه و سلم عن الله في كل ما يقوله، و في حسن هذا الاستئناف و فحوى[3] هذا السياق دلالة على التعجب من غير [لفظ -[4]] تعجب فالمعنى: ما أشد استكبارهم و أكبر[5] عتوهم! ثم بين لهم حالهم [6]عند بعض[6] ما طلبوا ١٠ فقال: ﴿ يوم ﴾ و ناصبه[7] ما دل عليه "لا بشرى[8]" ﴿ يرون الملئكة ﴾ أي[9] يوم القيامة أو قبله [10]في الغزوات[10] أو عند الاحتضار ﴿ لا بشرى ﴾ أي من البشر أصلا ﴿ يومئذ للمجرمين ﴾ أي [11]لأحد ممن[11] قطع ما أمر الله به

---

(١) تأخر في الأصل عن «الملائكة» و الترتيب من ظ و مد (٢-٢) في ظ: طلب ذلك فبطلب - كذا (٣) من ظ و مد، و في الأصل: لحوى (٤) زيد من ظ (٧) من و مد (٥) في ظ ومد: اكثر (٦-٦) من ظ و مد، و في الأصل: عنه بعد ظ، و في الأصل: ناصية، و في مد: ناصب (٨) زيد بعده في الكشاف: أي يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى أو يعدمونها (٩) زيد في الأصل: في، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (١٠-١٠) في ظ: بالغزوات. (١١-١١) في ظ: لا احد من.

أن يوصل، و لبيان ذلك أظهر موضع الإضمار ﴿و يقولون﴾ أى فى ذلك الوقت: ﴿حجرا محجورا﴾ أى نطلب منعا منكم ممنوعا، أى مبالغا فى مانعيته[1] و يجوز أن يراد بالمفعول الفاعل، و المعنى واحد فى أنهم يريدون أن يكون بينهم و بين الملائكة مانع عظيم يمنعهم منهم؛ قال ٥ أبو عبيدة[2]: و هذا عوذة[3] العرب، يقوله من خاف آخر فى الحرم أو فى شهر حرام إذا لقيه و بينهما ترة[4]. و قال سيبويه[5]: يريد البراءة من الأمر و يبعد عن نفسه أمرا، فكأنه قال: أحرم ذلك حراما محرما، و مثل ذلك أن يقول الرجل للرجل: أتفعل كذا و كذا؟ فيقول: حجرا أى سترا و براءة من هذا، فهذا ينتصب على إضمار الفعل. و عبر بالمضارع ١٠ إشارة إلى [6]دوام تجديدهم[6] لهذا القول بعد مفاجأتهم به حال رؤيتهم لهم لعظيم روعتهم منهم، بخلاف ما بعده فانه عبر فيه بالماضى إشارة إلى أنه كائن لا محالة.

و لما كان المريد لإبطال الشيء - لشدة كراهته له - لا يقنع فى إبطاله بغيره[7]، بل يأتيه بنفسه فيبطله[8]، عبر بقوله: ﴿و قدمنآ﴾ أى بما لنا ١٥ من العظمة الباهرة فى ذلك اليوم الذى يرون فيه الملائكة سواء كان فى الدنيا أو فى الآخرة ﴿الى ما عملوا من عمل﴾ أى من[9] مكارم الأخلاق

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: ما يعنيه - كذا (٢) ذكر قوله فى البحر المحيط ٦/٤٩٢ (٣) من ظ و مد و البحر، و فى الأصل: عادة (٤) من ظ و مد و البحر، و فى الأصل: بره - كذا (٥) فى كتابه ١/١٦٤ (٦-٦) فى ظ: تجديد دوابهم (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: بغير (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: فيطلبه (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: فى.

من

من الجود و صلة الرحم و الحلم و النجدة فى الخير و إغاثة[1] الملهوف و غيره ﴿ فجعلنه ﴾ - لكونه لم يؤسس[2] على الإيمان ، و إنما هو للهوى[3] و الشيطان - باطلا لانفع فيه ، و هو معنى[4] ﴿ هباء ﴾ و هو ما يري فى[5] شعاع الشمس الداخل من[6] الكوة مما يشبه الغبار ، فهو أشبه شيء بالعدم - لأنه لانفع له أصلا . ٥

و لما كان الهباء[7] يرى مع[8] السكون منتظما ، فاذا حركته الريح تناثر و ذهب[8] كل مذهب ، فعظم دخوله فى حيز العدم مع أنه محسوس ، قال مبلغا فى وصف أعمالهم : ﴿ منثورا ﴾ و هو صفة ، / و قيل : مفعول ٦٨٥ / ثالث لجعل ، أى جعلنا[9] الأعمال جامعة لحقارة الهباء و التناثر .

و لما علم من هذا أن التقدير : فكانوا[10] بحيث أنهم لا قرار لهم إذا ١٠ كانت النار مقيلهم ، تلاه بحال أضدادهم فقال : ﴿ اصحٰب الجنة يومئذ ﴾ أى يوم إذ يرون الملائكة ﴿ خير مستقرا ﴾ أى مكانا يصلح للاستقرار[11] [لطيبه -[12]] ، و يكونون فيه فى أكثر أوقاتهم مستقرين على سرر متقابلين يتحادثون ، إشارة إلى أن منزل أولئك[13] لا يمكن الاستقرار فيه

---

(١) فى ظ : اعانة (٢) من ظ ومد ، و فى الأصل : لم يوسعن - كذا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الهوى (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بغير (٥) فى ظ : من (٦) من ظ ومد ، و فى الأصل : فى (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الهوى ، و زيد فيه بعده : كالريح ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : هب (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : لجعلنا . (١٠) من و ظ مد ، و فى الأصل : كانوا (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاستقرار (١٢) زيد من ظ و مد (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : هولاء .

﴿و احسن مقيلا ه﴾ أى مكانا يمكن فيه الاستراحة فى مثل وقت القيلولة للاسترواح بأزواجهم، و التمتع بما يكون فى الخلوات، روى[1] أن وقت الحساب على طوله يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين أول النهار إلى وقت القائلة فيقيلون فى رياض الجنة حتى يفرغ الناس ٥ من الحساب. و عبر بأفعل التفضيل تهكما بهم أو[2] أنه عبر بذلك لما كان الكلام عاما لأحوال الدنيا و الآخرة، و هم قاطعون بأنهم فى الدنيا أحسن حالا من المؤمنين، لما هم فيه من السعة فى المال و الكثرة و القوة، [و بلفظ الحسن إشارة إلى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه و ملاحة الصور و نحوه.

١٠ و لما كان للكفرة فى هذه الدار من العز و القوة -[3]] و الضخامة ما يتعجبون معه من مصير حالهم و حال أخصامهم إلى ما ذكر، [4]بين أن[4] الأمر فى ذلك اليوم على غير ما نعهده، فقال عاطفا على " يوم يرون ": ﴿و يوم تشقق﴾ [أى تشققا عظيما و إن كان فيه خفاء على البعض - بما أشار إليه حذف تائه -[3]] ﴿السمآء بالغمام﴾ [أى -[3]] ١٥ كما تشقق[5] الأرض بالنبات فيخرج من خلال شقوقها، [و أشار إلى جهل من طلبوا نزولهم دفعة واحدة بقوله -[3]]: ﴿و نزل﴾ أى بالتدريج بأمر حتم لا يمكنهم التخلف عنه، بأمر من[6] لا أمر لغيره ﴿الملّٰئكة﴾ الذين طلبوا أن يروهم [فى حال واحد -[3]] ﴿تنزيلا ه﴾

(١) راجع لباب التأويل ٥/٨٠ (٢) فى ظ « و » (٣) زيد من ظ و مد. (٤-٤) فى ظ: من (٥) فى مد: تتشقق (٦) سقط من ظ.

فى أيديهم صحائف الأعمال؛ قال ابن عباس رضى الله عنهما[١]: تشقق السماء الدنيا فينزل أهلها و هم أكثر ممن فى الدنيا من الجن و الإنس، ثم تشقق السماء الثانية فينزل أهلها و هم أكثر من أهل السماء الدنيا و أهل الأرض جنا و إنسا، ثم[٢] كذلك حتى تشقق السماء السابعة، و أهل كل سماء يزيدون[٣] على أهل السماء التى قبلها، ثم ينزل[٤] الكروبيون ثم ٥ حملة العرش.

و لما كان ذلك اليوم سببا لانكشاف الأمور و معرفة أنه لا ملك لسواه سبحانه لأنه لايقضى فيه غيره قال: ﴿ الملك يومئذ ﴾ أى يوم[٢] إذ تشقق السماء بالغمام؛ ثم وصفه الملك بقوله: ﴿ الحق ﴾ أى الثابت معناه ثباتا لا يمكن زواله؛ ثم أخبر عنه بقوله: ﴿ للرحمن ﴾ أى العام ١٠ الرحمة فى الدارين، و من[٥] عموم رحمته و حقية[٦] ملكه أن يسر قلوب أهل وده بتعذيب أهل عداوته الذين عادوهم فيه[٧] لتضييعهم الحق باتباع الباطل، و لولا اتصافه بالرحمة لم يدخل أحد الجنة، و معنى التركيب أن ملك غيره فى ذلك اليوم إنما هو بالاسم الذي تقدم له فى الدنيا تسميته به فقط، لاحكم له أصلا و لا ظاهرا كما كان فى الدنيا ﴿ و كان ﴾ أى ١٥ ذلك اليوم الذى تظهر فيه الملائكة الذين طلب الكفار رؤيتهم

---

(١) راجع المعالم بهامش اللباب ٥/٨١ (٢) سقط من ظ و مد (٣) من المعالم، و فى الأصول: يدورون (٤) من مد و المعالم، و فى الأصل و ظ: تنزل.
(٥) من ظ و مد، و فى الأصل: هو (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: حقيقة.
(٧) من ظ و مد، و فى الأصل: فيه.

﴿يوما على الكفرين﴾ أى فقط ﴿عسيراه﴾ [1]شديد العسر[1] و الاستعار.

و لما كان حاصل حالهم أنهم جانبوا أشرف الخلق الهادى لهم إلى كل خير، و صاحبوا غيره ممن يقودهم إلى كل شر، بين[2] عسر ذلك اليوم - الذى إنما أوجب [3]جرأتهم تكذيبهم[3] به - بتناهى ندمهم على فعلهم

٥ هذا فقال: ﴿و يوم يعض الظالم﴾ أى لفرط تأسفه لما يرى / فيه من الأهوال ﴿على يديه﴾ أى كلتيهما فيكاد يقطعهما لشدة حسرته و هو لا يشعر، حال كونه مع هذا الفعل ﴿يقول﴾ أى يجدد فى كل لحظة قوله: ﴿يٰليتنى اتخذت﴾ أى أرغمت نفسى و كلفتها أن آخذ فى الدنيا ﴿مع الرسول سبيلاه﴾ أى عملا واحدا من الأعمال التى دعانى إليها،

١٠ و أطعته طاعة ما، لما انكشف لى فى هذا اليوم من أن [كل -[4]] من أطاعه و لو لحظة حصلت له سعادة بقدرها، و عض اليد و الأنامل و حرق[5] الأسنان و نحو ذلك كناية عن الغيظ [6]و الحسرة[6] لأنها من روادفها[7]، فتذكر الرادفة[8] دلالة على المردوف فيرتفع الكلام فى طبقة الفصاحة إلى حد يجد السامع عنده فى نفسه من الروعة و الاستحسان

١٥ ما لا يجده [عند -[4]] المكنى عنه.

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل: تشهيدا بعمره (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: من (٣-٣) من ظ و مد، وفى الأصل: جراهم بتكذيبهم (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: عرق (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٧) فى ظ: روادنها (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: المرادفة.

و لما

٦٨٦

و لما تأسف على مجانبة الرسول، تندم على مصادقة غيره بقوله: ﴿ يٰوَيلتىٰ ﴾ أى يا هلاكى الذى ليس لى منادم[1] غيره لأنه ليس بحضرتى[2] سواه. و لما كان يريد محالا، عبر بأداته فقال: ﴿ ليتنى لم اتخذ فلانا ﴾ يعنى الذى أضله - يسميه باسمه، و إنما [3]كنى عنه و هو سبحانه لايخاف من المناواة، و لا يحتاج إلى المداجاة، إرادة للعموم[3] و إن كانت الآية ٥ نزلت فى شخص[4] معين ﴿ خليلا ﴾ أى صديقا أوافقه فى أعماله لما علمت من سوء عاقبتها؛ ثم استأنف قوله الذى يتوقع كل سامع أن يقوله: ﴿ لقد ﴾ أى و الله [لقد -[5]] ﴿ اضلنى عن الذكر ﴾ أى عمّى علىّ طريق القرآن الذى لا ذكر فى الحقيقة غيره و صرفنى عنه، و الجملة فى موضع العلة لما قبلها ﴿ بعد اذ جآءنى ﴾ [6]و لم يكن لى منه[6] مانع يظهر ١٠ غير إضلاله.

و لما كان التقدير: ثم ها هو قد خذلنى أحوج ما كنت إلى نصرته، عطف عليه قوله: ﴿ و كان الشيطن ﴾ أى كل من كان سببا للضلال من عتاة الجن و الإنس ﴿ للانسان خذولا ﴾ [أى -[5]] شديد الخذلان يورده ثم يسلمه إلى أكره ما يكره، لاينصره، و لو أراد لما استطاع، ١٥ بل هو فى شر من ذلك، لأن عليه إثمه فى نفسه و مثل إثم من أضله.

و لما ذكر سبحانه أقوال الكفار إلى أن ختم بالإضلال عن الذكر،

---

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: سلام (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: يحضرنى.
(٣-٣) من ظ و مد، و فى الأصل: و رد فى الآية مكنيا لارادة العموم.
(٤) فى ظ ومد: ظالم (٥) زيد من ظ و مد (٦-٦) فى ظ: لم اكن له.

و كانوا - مع إظهارهم التكذيب به و أنه مفتعل - فى غاية الطرب له، و الاهتزاز به، و التعجب منه، و المعرفة بأنه يكون له نبأ، أشار[1] إلى ذلك بقوله، عاطفا على "و قالوا ما لهذا الرسول" معظما لهذه الشكاية[2] منه صلى الله عليه و سلم، مخوفا لقومه لأن الرسل قبله عليهم الصلاة
٥ و السلام كانوا إذا شكوا أنزل[3] بقومهم عذاب الاستئصال: ﴿و قال الرسول﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه و سلم: ﴿ يٰرب ﴾ أيها المحسن إلىّ بأنواع الإحسان الذى أعظمه الرسالة، و عبر بأداة البعد هضما لنفسه مبالغة فى[4] التضرع ﴿ ان قومى ﴾ أى[5] قريشا الذين لهم قوة و قيام و منعة ﴿ اتخذوا ﴾ أى بتكليف أنفسهم ضد ما تجده[6] ﴿ هذا القرآن ﴾ أى
١٠ المقتضى للاجتماع عليه و المبادرة[7] إليه ﴿ مهجوراه ﴾ أى متروكا، فأشار بصيغة الافتعال إلى أنهم عالجوا أنفسهم فى تركه علاجا كثيرا[8]، لما يرون من حسن نظمه، و يذوقون من / لذيذ معانيه، و رائق أساليبه، ٦٨٧ /
و لطيف عجائبه، و بديع غرائبه، كما تعرف به قصة أبى جهل و أبى سفيان بن حرب و الأخنس بن شريق حين كانوا يستمعون لقراءته
١٥ ليلا، كل واحد منهم فى مكان لايعلم به صاحباه، ثم يجمعهم الطريق إذا أصبحوا فيتلاومون[9] و يتعاهدون على أن لايعودوا، ثم يعودون

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: اشارة (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: السكانة (٣) فى ظ: نزل (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الى (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: ان (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: تتخذه (٧) فى ظ: المباعدة (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: كبيرا (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: ليتلاومون.

حتى[1] فعلوا ذلك ثلاث ليال ثم أكدوا على أنفسهم العهود حتى تركوا ذلك - كما هو مشهور فى السير[2] .

و لما كان فى هذا الكلام معنى الشكاية و شدة التحرق ، و [3]عظيم التحزن[3] كما يشير إليه إثبات [« يا » -[4]] التى للبعد ، على خلاف ما جرت به العادة فى نداء الخواص الذين هو أخصهم ، و الاستفهام عن سبب ٥ هجرانهم مع ما لهم إليه من الدواعى ، كان كأنه قيل : ذلك بأن من فعله عاداك حسدا لك ، و عطف عليه : ﴿و كذلك﴾ أى و مثل ما فعلنا من هذا الفعل العظيم و أنت أعظم الخلق لدينا ﴿ جعلنا ﴾ [بما لنا من العظمة -[4]] ﴿ لكل نبى ﴾ أى[5] من الأنبياء قبلك ، رفعة لدرجاتهم ﴿عدوا من المجرمين[5] ﴾ الذين طبعناهم على الشغف بقطع ما يقتضى الوصل ١٠ فأضللناهم[6] بذلك إهانة لهم[7] [8]فاصبر كما صبروا فانى سأهدى بك من شئت ، و أنصرك على غيرهم ، و أكرم قومك من عذاب الاستئصال تشريفا لك[8] .

و لما كان هذا موطنا تعلق فيه النفوس متشوقة إلى الهداية بعد هذا الطبع ، و النصرة بعد ذاك الجعل ، كان كأنه قيل : لا تحزن فلنجعلن لك وليا ممن نهديه للايمان ، و لننصرنهم على عدوهم كما فعلنا بمن قبلك ، ١٥

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : حين (٢) و قد أسلفنا الإشارة إليه فى الأجزاء السابقة (٣-٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : عظم التخوف (٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : و أضللناهم (٧) زيد فى ظ : بذلك (٨ - ٨) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط قبل « لكل نبى » - راجع س ٩ .

بل أعظم حتى نقضى أمهم من ذلك العجب، و لا يسعهم إلا الخضوع لكم[1] و الدخول فى ظلال عزكم، و لما كان ذلك - لكثرة المعادين - أمرا يحق له الاستبعاد، قال [عاطفا على ما تقديره: ثم نصر إخوانك من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام على من جعلهم أعداءهم ربك الذى ٥ أرسلهم -[2]]: ﴿ و كفى بربك ﴾ أى المحسن إليك ﴿ هاديا ﴾ يهدى بك من قضى بسعادته[3] ﴿ و نصيرا ه ﴾ ينصرك على من حكم بشقاوته.

و لما ذكر سبحانه شكايته من هجرانهم[4] للقرآن، و قرر[5] عداوتهم له و نصرته عليهم، أتبع ذلك بما يدل عليه، فقال عطفا[6] على ما مضى من الأشباه فى[7] الشبه، و أظهر موضع الإضمار تنبيها[8] على الوصف الذى ١٠ حملهم على هذا القول: ﴿ و قال الذين كفروا ﴾ أى غطوا عداوة و حسدا ما تشهد عقولهم بصحته [9]من أن[9] القرآن كلام الله لإعجازه لهم متفرقا، فضلا عن كونه مجتمعا، و غطوا ما وضح لهم من آثاره الظاهرة الشاهدة بوحدانيته، و غير ذلك من صفاته العلية: ﴿ لولا ﴾ أى هلا.

و لما كانوا لشدة ضعفهم لا يكادون يسمحون بتسمية القرآن تنزيلا ١٥ فضلا عن[10] أن يسندوا إنزاله إلى الله سبحانه تعالى، بنوا للمفعول فى هذه الشبهة التى أوردوها قولهم: ﴿ نزل عليه ﴾ و لما عبروا[11] بصيغة التفعيل

---

(١) فى ظ: لك (٢) زيد من ظ ومد (٣) فى ظ: سعادته (٤) فى ظ: هجرانه.
(٥) من ظ ومد، و فى الأصل: قدر (٦) من ظ ومد. و فى الأصل: عاطفا.
(٧) من ظ ومد، و فى الأصل: من (٨) من ظ ومد، و فى الأصل: منبها.
(٩-٩) فى ظ: لمن (١٠) سقط من ظ (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: عبر.

المشيرة إلى التدريج و التفريق استجلابا للسامع لئلا يعرض عنهم، أشاروا إلى أن / ذلك غير مراد فقالوا: ﴿القرآن﴾ أى المقتضى اسمه / ٦٨٨
للجمع، ثم صرحوا بالمراد بقولهم: ﴿جملة﴾ و أكدوا بقولهم: ﴿واحدة ﴾ أى من أوله إلى آخره بمرة، ليتحقق أنه من عند الله، و يزول عنا ما نتوهمه[1] من أنه هو الذى يرتبه قليلا قليلا؛ فتعبيرهم[2] بما ٥
يدل على التفريق أبلغ فى[3] مرادهم، فانهم أرغبوا السامع فى الإقبال على كلامهم[4] بتوطينه على ما يقارب مراده، ثم أزالوه بالتدريج أتم إزالة، فكان فى ذلك من المفاجأة بالروعة و الإقناط مما أمّل من المقاربة ما لم يكن فى « أنزل » - و الله أعلم.

و لما كان التقدير: و ما له ينزل عليه مفرقا، و كان للتفريق فوائد ١٠
جليلة، أشار سبحانه إلى عظمتها بقوله معبرا[5] للإشارة إلى ما اشتملت عليه من العظمة بأداة البعد: ﴿كذلك ج﴾ أى أنزلناه شيئا فشيئا على [هذا الوجه - [6]] العظيم[7] الذى أنكروه ﴿لنثبت به فؤادك﴾ بالإغاثة[8] بتردد الرسل بيننا و بينك، و بتمكينك و تمكين أتباعك من تفهم المعانى، و تخفيفا[9] للأحكام، فى تحميلها أهل الإسلام، بالتدريج على حسب ١٥
المصالح، و لتنافى الحكمة فى الناسخ و المنسوخ، لما رتب[10] فيه من المصالح،

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: يتوهمه (٢) فى ظ: فتعبيره (٣) فى ظ: من.
(٤) فى ظ: كلامه (٥) فى ظ: بصيرا (٦) زيد من ظ و مد (٧) زيد فى الأصل: بالوجه، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: بالاعانة (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: تحقيقا (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: ترتب.

و تسهيلا للحفظ لاسيما و الأمة أمية [١]لا تقرأ و لا تكتب[١]، و تلقينا الأجوبة فى أوقاتها، و تعظيما[٢] للإعجاز، لأن ما تحدى بنجم منه فعجز عنه علم أن العجز عن أكثر منه أولى، فالحاصل أن التفريق أدخل فى باب الإعجاز و فى كل حكمة، فعلم أن هـذا الاعتراض فضول
٥ و مماراة بما لا طائل تحته[٣] من ضيق الفطن، و قلة الحيلة، و حرج الخطيرة، دأب المقطوع المبهوت، لأن المدار الإعجاز، [٤]و أما[٤] كونه جملة أو مفرقا فأمر[٥] لا فائدة لهم فيه، و ليست الإشارة محتملة لأن تكون للكتب الماضية، لأن نزولها إنما كان منجما كما بينته فى سورة النساء عن نص التوراة المشير إليه نص كتابنا، لا[٦] كما يتوهمه كثير من الناس،
١٠ و لا أصل له إلا كذبة من بعض اليهود شبهوا بها على أهل الإسلام فمشت[٧] على أكثرهم و شرعوا يتكلفون[٨] لها أجوبة، و اليهود الآن معترفون بأن التوراة نزلت فى نحو [٩]عشرين سنة[٩] - و الله الموفق.

و لما كان إنزاله مفرقا أحسن، أكده بقوله عطفا على الفعل الذى تعلق به "كذلك": ﴿ و رتلنه ترتيلا ه ﴾ أى فرقناه فى الإنزال إليك
١٥ تفريقا فى نيف و عشرين سنة؛ [و - [١٠]] قال البغوى[١١]: قال ابن عباس

(١ - ١) من ظ و مد، و فى الأصل: لايقرا ولا يكتب (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: تعظيمها (٣) فى ظ: عنه (٤-٤) من مد، و فى الأصل: اما، و فى ظ: فلما (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: فالامر (٦) سقط من ظ و مد. (٧) فى ظ: فشكت (٨) فى ظ و مد: يتكلفوا (٩-٩) من ظ و مد و ما ورد فى ص ٣٨٣ س ١٤، و فى الأصل: عشر سنين (١٠) زيد من ظ و مد (١١) فى معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ٥ / ٨٣.

رضى الله عنهما : بيناه بيانا ، [و -[1]] الترتيل[2] : التبيين فى ترسل و تثبت - انتهى . و أصله ترتيل الأسنان و هو تفليجها كنور الأقحوان .

و لما كان التقدير : قد بطل[3] ما أتوا به من هذا الاعتراض ، عطف عليه [قوله] : ﴿و لا يأتونك﴾ أى المشركون ﴿بمثل﴾ أى باعتراض فى إبطال أمرك يخيلون به لعقول الضعفاء بما يجتهدون فى تنميقه و تحسينه ٥ و تدقيقه حتى يصير عندهم فى غاية الحسن و الرشاقة لفظا و معنى ﴿الا جئنك﴾ أى فى جوابه ﴿ بالحق ﴾ و من الألف و اللام الدالة على الكمال يعرف[4] أن المراد به الثابت الذى لا شىء أثبت منه ، فيزهق ما أتوا به لبطلانه ، و يفتضح[5] بعد ذلك الستر فضيحة / تخجل القائل ٦٨٩ / و السامع القابل . ١٠

و لما كان التقدير فى الأصل : بأحق منه ، و إنما عبر بالحق ، لئلا يفهم[6] أن لما يأتون[7] به وجها فى الحقيقة ، عطف عليه قوله : ﴿و احسن﴾ أى من مثلهم ﴿تفسيرا ﴾ أى كشفا لما غطى الفهم من ذلك الذى خيلوا به و ادعوا أنهم أوضحوا به وجها من وجوه المطاعن ، فجزم أكثر السامعين بحسنه . ١٥

و لما أنتجت هذه الآيات كلها أنهم معاندون لربهم ، و أنهم يريدون بهذه السؤالات ان[8] يضللوا سبيله ، و يحتقروا مكانته ، و يهدروا[9] منزلته ،

---

(١) زيد من ظ و مد و العالم (٢) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد و العالم فحذفناها (٣) فى ظ : ابطل (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : تعرف . (٥) فى ظ : يفضح (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ و مد : ياتونك (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : انهم (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : يهدوا .

علم قطعا أنه يعمر بهم دارالشقاء، وكان ذلك أدل دليل على أنهم أعمى الناس عن الطرق[1] المحسوسة، فضلا عن الأمثال المعلومة، و التمثيل[2] للدارك الغامضة، و أنهم أحقر الناس لأنه لاينتقص الأفاضلَ إلا ناقص، و لايتكلم الإنسان إلا فيمن هو خير منه. قال معادلا لقوله "اصحٰب الجنة ٥ يومئذ خير" واصفا لما تقدم أنه أظهره موضع الإضمار من قوله "الذين كفروا": ﴿الذين يحشرون﴾ أى يجمعون قهرا ماشين مقلوبين ﴿على وجوههم﴾ أو[3] مسحوبين ﴿الى جهنم لا﴾ كما أنهم فى الدنيا كانوا يعملون ما كأنهم[4] معه لايبصرون و لاتصرف[5] لهم فى أنفسهم، تؤزهم الشياطين أزا، فان الآخرة مرآة الدنيا، مهما عمل هنا رئى[6] ١٠ هناك[7]، كما أن الدنيا مزرعة الآخرة، مهما عمل فيها جنيت ثمرته[8] هناك؛ روى البخارى[9] عن أنس رضى الله عنهما أن رجلا قال: يا نبى الله! كيف[10] يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟ قال قتادة[11] - يعنى الراوى عن أنس -: بلى[12] و عزة ربنا.

---

(١) فى ظ: الطريق (٢) من ظ ومد، و فى الأصل: التفسير (٣) فى ظ: اى. (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: كانوا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لايصرف (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: دوى (٧) فى ظ: هنالك (٨) فى ظ: ثمرتها (٩) فى الصحيح ٢ / ٧٠١ (١٠) ليس فى الصحيح (١١) من ظ و مد و الصحيح، و فى الأصل: القتادة (١٢) من ظ و مد و الصحيح، و فى الأصل: بل.

و لما

و لما وصف المتعنتين فى أمر القرآن بهذا الوصف، استأنف الإخبار بأنهم متصفون بما ألزموا[1] به من أن الإتيان بالقرآن مفرقا[2] وضع للشيء فى غير موضعه [فقال] : ﴿اولٓئك﴾ أى البعداء البغضاء ﴿ شر﴾ أى شر الخلق ﴿ مكانا و اضل سبيلا ۝﴾ حيث عموا عن[3] طريق الجنة التى لا أجلى منها و لا أوسع ، و سلكوا طريق النار التى لا أضيق منها ٥ و لا أوعر ، و عموا عن[4] أن إنزال القرآن نجوما أولى لما تقدم من اللطائف و غيرها مما[5] لا يحيط به إلا الله تعالى، و "سبيلا" تميز محول عن الفاعل أصله: ضل[6] سبيلهم، و إسناد الضلال إليـــه من الإسناد المجازى .

و لما بين أنهم كذبوه و عادوه، و أشار بآية الحشر إلى جهنم إلى ١٠ أنه لا يهلكهم بعامة، عطف[7] على عامل « لنثبت[8] » تسلية له و تخويفا لهم قوله : ﴿و لقد اتينا﴾ [أى -[9]] بما لنا من العظمة ﴿ موسى الكتب﴾ كما آتيناك، بينا فيه الشرائع و السنن و الأحكام، و جعلناه هدى و رحمة، و أنزلناه إليه منجما فى نحو عشرين سنة - يقال: إنها ثمان عشرة - كما أنزلنا إليك هذا القرآن فى نيف و عشرين سنة، كما بينت ذلك[10] فى ١٥

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : الزم (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : مقرنا .
(٣) فى ظ : من (٤) من ظ ومد ، و فى الأصل : من (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : لما (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اضل (٧) زيد بعده فى الأصل : عليه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : التثبيت - كذا (٩) زيد من ظ و مد (١٠) سقط من ظ .

آخر سورة النساء و غيرها ، على أن أحدا ممن طالع التوراة لايقدر على إنكار ذلك ، فانه بيّنٌ من نصوصها . و زاد فى التسلية بذكر الوزير ، لأن الرد للاثنين[1] أبعد ، و فيه إشارة / إلى [2]أنه لاينفع[2] فى إيمانهم إرسال[3] ملك - كما اقترحوا - ليكون معه نذيرا ، فقال : ﴿و جعلنا﴾ بما لنا من العظمة ﴿معهٓ اخاه﴾ ثم بينه بقوله : ﴿هٰرون﴾ و بين محط الجعل بقوله : ﴿وزيراج﴾ أى معينا فى كل أمر بعثناه[4] به ، و هو مع ذلك نبى ، و لا تنافى بين الوزارة و النبوة .

/ ٦٩

و لما كانت الواو لا ترتب ، فلم يلزم من هذا أن يكون[5] هذا الجعل بعد إنزال الكتاب كما هو الواقع ، رتب عليه قوله : ﴿فقلنا﴾ أى بعد جعلنا له[5] وزيرا . و لما كان المقصود هنا من القصة التسلية و التخويف ، ذكر حاشيتيها[6] أولها و آخرها ، و هما إلزام الحجة و التدمير[7] ، فقال : ﴿اذهبآ الى القوم﴾ أى الذين فيهم قوة و قدرة على ما يعانونه[8] و هم القبط ﴿الذين كذبوا بٰايٰتنا﴾ أى المرئية و المسموعة من الأنبياء الماضين قبل إتيانكما فى عالم الشهادة ، و المرئية و المسموعة منكما بعد إتيانكما فى علمنا[9] . فذهبا إليهم فكذبوهما فيما [10]أرياهم و أخبراهم[10] به من الآيات ،

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لاثنين (٢-٢) من ظ ومد ، و فى الأصل : لانهم لاينفعهم (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : ارساله (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : بعثنا (٥) سقط من ظ (٦) من مد ، وفى الأصل و ظ : حاشيتها . (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : التدبير (٨) فى ظ ومد : يعاينونه (٩) موضعه بياض فى مد (١٠-١٠) من ظ ومد ، وفى الأصل : الدياهم و اخبرهم - كذا .

لما طبعناهم عليه من الطبع المهيئ لذلك .

و لما كان السياق للانذار بالفرقان، طوى أمرهم إلا فى عذابهم فقال : ﴿ فدمرنٰهم ﴾ أى لذلك ﴿ تدميرا ۝ ﴾ باغراقهم أجمعين على يد موسى عليه السلام فى البحر، لم نبق[1] منهم أحدا[2] مع ما أصبناهم به قبل ذلك من المصائب، مع اجتهاد موسى عليه السلام فى إحيائهم بالإيمان، الموجب ٥ لإبقائهم فى الدارين، عكس ما فعلنا بموسى عليه السلام من إنجائه من الهلاك بالقائه فى البحر، و إبقائه[3] بمن اجتهد فى إعدامه[4]، و جعلنا لكل منهما حظا من بحره "هذا ملح اجاج" هو غطاء جهنم، "و هذا عذب فرات" عنصره من الجنة، فليحذر هؤلاء الذين تدعوهم[5] من مثل ذلك إن فعلوا مثل فعل أولئك . ١٠

و لما هدد المكذبين، باهلاك الأولين، الذين كانوا أقوى منهم و أكثر، و قدم قصة موسى عليه السلام لمناسبة الكتاب فى نفسه أولا، و فى تنجيمه ثانيا، أتبعه أول الأمم، لأنهم أول، و لما فى عذابهم من الهول، و لمناسبة ما بينه و بين عذاب القبط، فقال : ﴿ و قوم ﴾ أى و دمرنا قوم ﴿ نوح لما كذبوا الرسل ﴾ بتكذيبهم[6] نوحا، لأن من ١٥ كذب واحدا من الأنبياء بالفعل فقد كذب الكل بالقوة، لأن

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ : لم يبق (٢) فى ظ : احد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : انقـايه (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : اعذابه (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : يدعوهم (٦) فى ظ و مد : لتكذيبهم .

المعجزات هي البرهان على صدقهم ، و هي متساوية الأقدام في كونها خوارق ، لايقدر على معارضتها ، فالتكذيب[1] بشيء منها تكذيب بالجميع[2] لأنه لا فرق ، و لأنهم كذبوا من مضى من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام فيما سمعوه من أخبارهم ، [و لأنهم عللوا تكذيبهم بأنه من البشر ٥ فلزمهم تكذيب كل رسول من البشر -[3]] .

و لما كان كأنه قيل : بأيّ[4] شيء دمروا ؟ قال : ﴿اغرقنٰهم﴾ كما أغرقنا آل فرعون بأعظم مما أغرقناهم به ﴿و جعلنٰهم﴾ أي قوم نوح في ذلك ﴿للناس اٰية﴾ أي علامة على قدرتنا على ما نريد[5] من إحداث الماء و غيره [6]و إعدامه[6] و التصرف في ذلك بكل ما نشاء ، و إنجاء من ١٠ نريد بما أهلكنا به عدوه ﴿و اعتدنا﴾ أي هيأنا تهيئة قريبة [جدا -[3]] و أحضرنا على وجه ضخم شديد تام التقدير ؛ و كان الأصل : لهم ، و لكنه أظهر تعميما و تعليقا للحكم بالوصف فقال : ﴿للظٰلمين﴾ [أي كلهم -[3]] في أيّ / زمان كانوا ، لأجل ظلمهم بوضعهم الأشياء في غير مواضعها[7] ﴿عذابا اليما ج﴾ لاسيما في الآخرة .

/٦٩١

١٥ و لما ذكر آخر الأمم المهلكة بعامة[8] و أولها ، و كان إهلاكهما بالماء ، ذكر من بينهما من[9] أهلك بغير ذلك ، إظهارا للقدرة و الاختيار ، و طوى

(١) في ظ : و التكذيب (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : في الجميع (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : فاي (٥) من مد ، و في الأصل و ظ : نزيد (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من مد ، وفي الأصل وظ موضعها (٨) من ظ و مد . و في الأصل : بعامته (٩) في ظ : من .

حمرهم

خبرهم بغير العذاب لأنه كما مضى فى سياق الإنذار فقال: ﴿ و عادا ﴾ أى و دمرنا عادا بالريح ﴿و ثمودا﴾ بالصيحة[١] ﴿ و اصحب الرس ﴾ أى البئر التى هى غير مطوية[٢]؛ قال ابن جرير[٣]: و الرس فى كلام العرب كل محفور مثـــل البئر و القبر و نحو ذلك . أى دمرناهم بالخسف[٤] ﴿ و قرونا بين ذلك ﴾ أى الأمر العظيم المذكور، و هو بين كل أمتين ٥ من هذه الأمم ﴿ كثيرا[٥] ﴾ و ناهيك بما [٦]يقول فيه[٦] العلى الكبير: إنه كثير؛ أسند البغوى[٧] فى تفسير " امة وسطا " فى البقرة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه و سلم يوما بعد العصر، فما ترك شيئا إلى يوم القيامة إلا ذكره فى مقامه ذلك حتى إذا كانت الشمس على رؤس النخل و أطراف الحيطان قال[٨]: أما ١٠ أنه لم يبق من الدنيا فيما مضى إلا كما بقى من يومكم هذا، ألا و إن هذه الأمة توفى سبعين أمة هى آخرها و أكرمها على الله عز و جل . أخرجه الترمذى[٩] فى الفتن و أحمد[١٠] و الطبرانى - و ابن ماجه[١١] فى الفتن أيضا لكن بعضه[١٢] - و ليس عند واحد منهم اللفظ المقصود من السبعين

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: للصيحة (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: مطرمه - كذا (٣) راجع من تفسيره الجزء ١٩ / ٩ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: بالقصف (٥) تكرر فى الأصل فقط بعد « بين ذلك » (٦-٦) من ظ ومد، وفى الأصل: يقوله (٧) راجع معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ١/ ١٠١. (٨) من المعالم، و فى الأصول: فقال (٩) فى جامعه ٢/ ٢٦٦ (١٠) فى مسنده ٣/ ١٩ و ٦١ (١١) راجع من سننه ص ٢٩٧ (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: بعضه .

أمة ، و فى بعض ألفاظهم « و جعلنا نلتفت[١] إلى الشمس هل[٢] بقى منها شىء » و هذا يدل[٣] على أن الذى كان قد بقى من النهار نحو العشر من العشر ، و هـذا يقتضى إذا اعتبرنا ما مضى لهذه الأمة من الزمان أن يكون الماضى من الدنيا من خلق[٤] آدم عليه السلام فى يوم الجمعة [٥]الذى ٥ يلى[٥] الستة الأيام التى خلقت فيها السماوات و الأرض أكثر من مائة ألف سنة - و الله أعلم .

و لما قدم سبحانه أنه[٦] يأتى فى هذا الكتاب بما هو الحق فى جواب أمثالهم ، بين أنه فعل بالجميع[٧] نحو من هذا ، فقال [٨]تسلية لنبيه[٨] صلى الله عليه و سلم و تأسية و بيانا لتشريفه[٩] بالعفو عن أمته : ﴿و كلا﴾ [١٠]أى ١٠ من هـذه الأمم[١٠] ﴿ضربنا﴾ بما لنا من العظمة ﴿له الامثال﴾ حتى وضح له السبيل ، و قام - من غير شبهة - الدليل ﴿و كلا تبرنا تتبيرا ؈﴾ أى جعلناهم فتاتا قطعا بليغة التقطيع[١١] ، لايمكن غيرها[١٢] أن يصلها و يعيدها إلى ما كانت عليه قبل التفتيت .

---

(١) من ظ و مد و المراجع ، وفى الأصل : يلتفت (٢) من ظ ومد والمراجع ، وفى الأصل : هى (٣) فى ظ : الذى دل (٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : تخلق . (٥-٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : التى تلى (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : ان (٧) من مد ، وفى الأصل : فى الجميع ، و فى ظ : الجميع امثالهم (٨-٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : لنبيه تسلية له (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : الشريعة . (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ (١١) زيد فى الأصل : و تكبير ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : غيرها .

و لما ذكر الإهلاك بالماء و بغيره[1]، و كان الإهلاك بالماء تارة بالبحر،
و تارة بالإمطار، و ختم بالخسف، ذكر الخسف الناشئ [2]عن الإمطار[2]،
بحجارة النار، مع الغمر بالماء، دلالة على تمام القدرة، و باهر العظمة،
و تذكيرا[3] بما يرونه كل قليل فى سفرهم إلى الأرض المقدسة لمتجرهم،
و افتتح القصة باللام المؤذنة بعظيم الاهتمام، مقرونة بحرف التحقيق، إشارة ٥
إلى أنهم لعدم الانتفاع بالآيات كالمنكرين للمحسوسات، و غير الأسلوب
تنبيها على عظيم الشأن و هزا للسامع فقال: ﴿ و لقد اتوا ﴾ أى هؤلاء
المكذبون[4] من قومك، و قال[5]: ﴿على القرية﴾ - و إن كانت مدائن سبعا
/ أو خمسا كما قيل - تحقيرا لشأنها فى جنب قدرته سبحانه، و إهانة لمن /٦٩٢
يريد عذابه، و دلالة على جمع[6] الفاحشة لهم حتى[7] كانوا كأنهم شىء ١٠
واحد كما دل عليه التعبير بمادة «قرا» الدالة على الجمع ﴿ التى امطرت﴾
[اى بـ[8]] وقع إمطارها ممن لايقدر على الإمطار سواه بالحجارة،
و لذا قال: ﴿ مطر السوء[8] ﴾ و هى قرى قوم لوط، ثم خسف بها و غمرت
بما ليس فى الأرض مثله فى أنواع الخبث[9]؛ قال البغوى[10]: كانت خمس
قرى فأهلك الله أربعا منها و نجت واحدة و هى أصغرها[11]، و كان أهلها ١٥

(١) فى ظ: غيره (٢ - ٢) فى ظ: بالامطار (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: تذكرا (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: المكذبين (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: قالوا (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: جميع (٧) زيد فى الأصل: كانهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: الخبيث (١٠) راجع المعالم بهامش اللباب ٥/٨٤.
(١١) من المعالم، و فى الأصل و ظ: صغيرة، و فى مد: صغر، و فى =

لا يعملون العمل الخبيث .

و لما كانوا يمرون عليها في أسفارهم، و كان من حقهم أن يتعظوا بحالهم، فيرجعوا عن ضلالهم، تسبب عن ذلك استحقاقهم للانكار الشديد في قوله: ﴿ افلم يكونوا ﴾ أي بما في جبلاتهم من الأخلاق العالية ﴿ يرونها ج﴾ أي في أسفارهم إلى الشام ليعتبروا بما حل بأهلها من عذاب الله فيتوبوا .

و لما كان التقدير: بل رأوها، أضرب عنه بقوله: ﴿ بل ﴾ أي لم يكن تكذيبهم بسبب عدم رؤيتها و عدم علمهم بما حل بأهلها[1]، بل بسبب أنهم ﴿ كانوا ﴾ يكذبون بالقيامة كأنه لهم طبع .

و لما كان عود الإنسان إلى ما كان من صحته محبوبا له، كان ينبغي لهم لو عقلوا أن يعلقوا[2] رجاءهم بالبعث لأنه[3] [لا - [4]] رجوع إلى الحياة[5]، فهو كرجوع المريض لاسيما المدنف إلى الصحة، فلذلك قال معبرا بالرجاء تنبيها على هذا: ﴿ لا يرجون نشورا ﴾ بعد الموت ليخافوا الله عز و جل فيخلصوا له فيجازيهم على ذلك، لأنه استقر في أنفسهم اعتقادهم التكذيب بالآخرة، و استمروا عليه قرنا بعد قرن حتى[6] تمكن تمكنا[6] لا ينفع معه الاعتبار إلا لمن شاء الله .

= البحر المحيط ٦/٤٩٩ : زغر - نقلا عن ابن عباس رضي الله عنه .

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: اهلها (٢) من مد، و في الأصل و ظ : يعقلوا .
(٣) في ظ : لانهم (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) من ظ و مد، و في الأصل : بالحياة (٦-٦) من ظ و مد، و في الأصل : يمكن تمكينا .

و لما

و لما أثبت تكذيبهم بالآخرة، عطف عليه تحقيقا له قوله ، مبينا أنهم لم يقتصروا[1] على التكذيب بالممكن المحبوب حتى ضموا إليه الاستهزاء بمن لايمكن أصلا فى العادة أن يكون موضعا للهزء : ﴿ و اذا راوك ﴾ أى [مع -[2]] ما يعلمون من صدق حديثك و كرم أفعالك لو لم تأتهم بمعجزة، فكيف و قد أتيتهم بما بهر العقول ﴿ان﴾ أى ما ﴿يتخذونك الا هزوا﴾ ٥ عبر بالمصدر[3] إشارة إلى مبالغتهم فى الاستهزاء مع شدة بعده صلى الله عليه و سلم عن ذلك، يقولون محتقرين : ﴿ أهذا ﴾ و تهكموا مع الإنكار فى قولهم: ﴿الذى بعث الله﴾ أى المستجمع لنعوت العظمة ﴿رسولا ه﴾ فاخراجهم[4] الكلام فى معرض التسليم و الإقرار - و هم فى غاية الجحود - بالغ الذروة من الاستهزاء، فصار المراد عندهم أن هـــذا الذى ادعاه ١٠ من الرسالة [مما - [2]] لا يجوز أن يعتقد . ثم استأنفوا معجبين من أنفسهم، مخيلين غيرهم من الالتفات إلى ما يأتى به من المعجزات، قائلين : ﴿ان﴾ أى إنه ﴿كاد﴾ و عرّف بأن[5] «إن» مخففة لا نافية باللام فقال: ﴿ ليضلنا ﴾ أى بما يأتى به من [هذه - [2]] الخوارق التى لايقدر غيره على مثلها، و اجتهاده فى إظهار النصح ﴿ عن الهتنا ﴾ هذه التى ١٥ سبق إلى عبادتها من هو أفضل منا رأيا و أكثر للأمور تجربة . و لما كانت هذه[6] العبارة مفهمة لمقاربة[7] الصرف عن الأصنام، / نفوه بقولهم : ٦٩٣ /

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : لم يقصروا (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : المصدر (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : باخراجهم (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : ان (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : لمقابلة .

﴿ لو لآ ان صبرنا ﴾ بما لنا من الاجتماع و التعاضد ﴿ عليها ﴾ أى على التمسك بعبادتها .

و لما لزم قولهم[1] هذا أن الأصنام تغني عنهم ، نفاه [مهددا -[2]] مؤكدا التهديد لفظاعة فعلهم بقوله ، عطفا على ما تقديره[3] : فسوف
٥ يرون - أو[4] من يرى منهم - أكثرهم قد رجع عن اعتقاد أن[5] هذه الأصنام آلهة : ﴿ و سوف يعلمون ﴾ أى فى حال لاينفعهم فيه العمل و إن طالت مدة الإمهال و التمكين ﴿ حين يرون العذاب ﴾ أى فى الدنيا و الآخرة ﴿ من اضل سبيلا ه ﴾ هم أو الداعى[6] لهم إلى ترك الأصنام الذى ادعوا[7] إضلاله بقولهم[7] " ليضلنا " .

١٠ و لما أخبره تعالى بحقيقة حالهم ، فى ابتدائهم و مآلهم ، و كان ذلك مما يحزنه صلى الله عليه و سلم لشدة حرصه على رجوعهم ، و لزوم ما ينفعهم و اجتناب ما يضرهم ، سلاه[8] بقوله معجبا من حالهم : ﴿ ارءيت من اتخذ ﴾ أى كلف نفسه أن أخذ ﴿ الٰهه هونه ﴾ أى أنهم حقروا الإله بانزاله إلى[9] رتبة الهوى [10]فهم لايعبدون إلا الهوى ، و هو
١٥ ميل الشهوة و رمى[11] النفس إلى الشيء ، لا شبهة لهم أصلا فى عبادة الأصنام يرجعون عنها إذا جلت ، فهم لاينفكون عن عبادتها ما دام

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لقولهم (٢) زيد من ظ و مد .
(٣) من ظ و مد . و فى الأصل : تقدم (٤) فى ظ : أى (٥) سقط من ظ .
(٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : الدواعى (٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : ضلاله بقوله (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : تلاه (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : على (١٠) العبارة من هنا إلى «إذا جلت» ساقطة من مد (١١) من ظ ، و فى الأصل : رامى .

هواهم موجودا[١]، فلا يقدر على كفهم عن ذلك إلا القادر على صرف تلك الأهواء، و هو الله وحده [و -[٢]] هذا كما تقول[٣]: فلان اتخذ سميره كتابه، أي أنه قصر نفسه على مسامرة الكتاب فلا يسامر غير الكتاب[٩]، [و قد يشاركه في مسامرة الكتاب غيره، و لو قلت: اتخذ كتابه سميره، لانعكس الحال فكان المعنى أنه قصر نفسه على مطالعة السمير و لم ٥ ينظر في كتاب في وقت السمر -[٢]] و قد يشاركه غيره في السمير، أو[٤] قصر السمير على الكتاب و[٥] الكتاب على السمير كما[٦] قصر الطين على الخزفية في قولك: اتخذت الطين خزفا، فالمعنى أن هذا المذموم قصر نفسه على تأله[٧] الهوى [٨]فلا صلاح له و لا رشاد[٨] و قد يتأله الهوى غيره، و لو قيل: من اتخذ [٩]هواه إلهه[٩]، لكان المعنى أنه قصر هواه على ١٠ الإله[١٠] فلا غيّ له، لأن هواه تابع لأمر الإله، و قد يشاركه في تأله الإله غيره؛ قال أبو حيان[١١]: و المعنى أنه لم يتخذ إلها إلا هواه - انتهى. فلو عكس لقيل: لم يتخذ هوىً إلا إلهه، و هو إذا فعل ذلك فقد سلب نفسه الهوى فلم يعمل به إلا فيما[١٢] وافق أمر إلهه، و مما يوضح لك[١٣]

---

(١) في ظ: موجود (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و في الأصل: يقول (٤) في ظ «و» (٥) من ظ و مد، و في الأصل: او (٦) من مد، و في الأصل: لما، و في ظ: فما (٧) من ظ و مد، و في الأصل: ما له (٨ - ٨) في ظ: فالصلاح له و الارشاد (٩ - ٩) من ظ و مد، و في الأصل: الهه هواه.
(١٠) زيد في الأصل: على الهوى، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها.
(١١) راجع البحر المحيط ٦/ ٥٠١ (١٢) من ظ و مد، و في الأصل: منها.
(١٣) في ظ: ذلك.

انعكاس المعنى بالتقديم و التأخير أنك لو قلت : فلان اتخذ عبده أباه ، لكان معناه أنه عظم العبد ، و لو قيل[1] : إنه اتخذ أباه عبده ، لكان معناه أنه أهان الأب ، و سواء فى ذلك إتيانك به هكذا على وزان [2]ما فى[2] القرآن أو نكرت أحدهما ، فانك لاتجد ذوقك فيه يختلف فى أنه إذا قدم الحقير شرفه ، و إذا قدم الشريف حقره . و كذا[3] لو قلت : اتخذ[4] إصطبله[5] مسجدا أو صديقه أبا أو عكست ، و لو كان التقديم بمجرد العناية من غير اختلاف فى الدلالة قدم فى الجاثية[6] الهوى ، فان السياق و السباق له ، و حاصل المعنى أنه اضمحل وصف الإله ، و لم يبق إلا الهوى ، فلو قدم الهوى لكان المعنى أنه زال و غلبت[7] عليه صفة الإله ، و لم يكن النظر إلا إليه[8] ، و لا الحكم إلا له ، كما فى الطين بالنسبة إلى الخزف سواء - و الله أعلم .

و لما كان لايقدر على صرف الهوى إلا الله ، تسبب عن شدة حرصه على هداهم قوله : ﴿ افانت تكون ﴾ / و لما كان مراده صلى الله عليه و سلم حرصا عليهم و رحمة[9] لهم ردهم عن الغي و لا بد ، عبر بأداة الاستعلاء فى قوله : ﴿ عليه وكيلا ﴾ أى من قبل الله بحيث يلزمك أن ترده عن هواه إلى ما أمر [به - [10]] الله قسرا ، لست بوكيل ، و لكنك

/٦٩٤

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : كان معناه (٢ - ٢) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على « وزان » والترتيب من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لذا (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل: احد (٥) فى ظ: اصطبلك (٦) راجع آية ٢٣ . (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : غلب (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : له . (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : رحمته (١٠) زيد من ظ و مد .

رسول

رسول، ليس عليك إلا البلاغ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات.

و لما انتفى الرد عن الهوى قسرا بالوكالة، نفى الرد طوعا بتقبيح الضلالة، فذكر المانع منه بقوله معادلا لما قبله، منكرا حسبانه[1]، لا كونه هو الحاسب، او [أنكر - [2]] كونه هو الحاسب، مع ما له من العقل الرزين، و الرأى الرصين، و يكون "تحسب" معطوفا على[3] « تكون »: ٥ ﴿أم تحسب ان اكثرهم﴾ أى هؤلاء المدعوين[4] ﴿يسمعون﴾ أى سماع من ينزجر و لو كان غير عاقل كالبهائم ﴿او يعقلون[5]﴾ ما يرون و لو لم يكن لهم سمع حتى يطمع[6] فى رجوعهم باختيارهم من غير قسر.

و لما كان هذا الاستفهام مفيدا للنفى، أثبت ما أفهمه بقوله: ﴿ان﴾ أى ما ﴿هم الا كالانعام﴾ أى فى عدم العقل لعدم الانتفاع ١٠ به ﴿بل هم اضل﴾ أى منها ﴿سبيلا ع﴾ لأنهم لاينزجرون[6] بما يسمعون و هى تنزجر[7]، و لا يشكرون للحسن و هو وليهم، و لا يجانبون المسيء و هو عدوهم، و لا يرغبون فى الثواب، و لا يخافون العقاب، و ذلك لأنا[8] حجبنا شموس عقولهم بظلال الجبال الشامخة من ضلالهم، و لو آمنوا لانقشعت تلك الحجب، و أضاءت أنوار الإيمان، فأبصروا[9] غرائب ١٥ المعانى، و تبدت لهم خفايا الأسرار "ان الذين امنوا و عملوا الصلحت

---

(١) فى ظ: احسانه (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد فى الأصل وظ: ما، ولم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤) فى ظ: المدعون (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: تقطع (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: لايزجرون (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: تزجر (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: لان (٩) فى ظ: بما بصروا.

يهديهم ربهم بإيمانهم" فكما أن الإنسان - و إن كان بصيرا - لا يميز بين المحسوسات ما لم يشرق عليها نور[1] الشمس، فكذلك الإنسان - و إن كان عاقلا ذا بصيرة - لا تدرك بصيرته المعاني المعلومات على ما هي عليه ما لم يشرق عليها نور الإيمان، لأن البصيرة عين الروح كما أن البصر
٥ عين الجسد؛ و لما[2] كان [من المعلوم - [3]] أنهم يسمعون و[4] يعقلون و أن المنفي إنما هو انتفاعهم بذلك، كان موضع عجب من [5]صرفهم عن[5] ذلك، فعقبه سبحانه بتصرفه في الأمور الحسية مثالا[6] للأمور المعنوية، و لأن عمله في الباطن ينيره إذا شاء بشمس المعارف كعمله[7] في الظاهر سواء، دليلا على سلبهم النفع بما أعطاهموه.

١٠ و لما بين جمود المعترضين على دلائل الصانع، و تناهي جهلهم، و فساد طريقهم، و كان المراد من العبد في تعرف ذلك أن ينظر في أفعال سيده بعين الحقيقة نظرا تفنى لديه الأغيار[8]، فلا يرى إلا الفاعل المختار، خاطب رأس المخلصين الناظرين هذا النظر، حثا لأهل وده على مثل ذلك، فقال ذاكرا لأنواع من الدلائل الدالة على وجود الصانع، و إحاطة
١٥ علمه، و شمول قدرته، مشيرا إلى أن الناظر في هذا الدليل - لوضوحه في الدلالة على الخالق - كالناظر إلى الخالق، معبرا بوصف الإحسان

(١) من ظ و مد، و في الأصل: انوار (٢) من ظ ومد، و في الأصل: لو.
(٣) زيد من ظ و مد (٤) من مد، و في الأصل و ظ: او (٥ - ٥) من ظ و مد، و في الأصل: معرفتهم في - كذا (٦) من ظ و مد، و في الأصل: شيئا لا (٧) في ظ: كعلمه (٨) من ظ و مد، و في الأصل: الاخبار.

تشويقا إلى إدامة النظر إليه و الإقبال عليه: ﴿ الم تر ﴾ و أشار إلى عظم المقام و علو الرتبة بحرف الغاية مع أقرب الخلق منزلة و أعلاهم مقاما فقال: ﴿ الى ربك ﴾ أى المحسن / إليك، و الأصل: إلى فعله، / ٦٩٥
و أشار إلى زيادة التعجب من[1] أمره بجعله فى معرض الاستفهام فقال: ﴿ كيف مد الظل ﴾ و هو ظلمة ما منع[2] ملاقاة نور الشمس، قال أبو عبيد: ٥
و هو ما تنسخه الشمس و هو بالغداة، و الفيء ما نسخ الشمس و هو بعد الزوال[3]. و الظل هنا[4] الليل لأنه ظل الأرض الممدود على قريب من نصف وجهها[5] مدة تحجب نور الشمس بما قابل قرصها من الأرض حتى امتد بساطه، و ضرب فسطاطه، كما حجب ظل ضلالهم أنوار عقولهم، و غفلة طباعهم نفوذ أسماعهم ﴿ و لو شآء لجعله ﴾ أى الظل ﴿ ساكنا ﴾ ١٠
بإدامة الليل لا تذهبه الشمس كما فى الجنة لقوله «و ظل ممدود» و إن كان بينهما فرق، و لكنه لم يشأ ذلك بل جعله متحركا بسوق الشمس له.

و لما كان إيجاد النهار بعد إعدامه، و تبيين الظل به غب إبهامه، أمرا عظيما، [6]و إن[6] كان قد هان بكثرة الإلف، أشار إليه بأداة التراخي و مقام[7] العظمة فقال: ﴿ ثم جعلنا ﴾ أى بعظمتنا ﴿ الشمس عليه دليلا ﴾ أى يدور ١٥
معها حيثما دارت، فلو لا[8] هى ما ظهر [أن -[9]] لشيء ظلا، و لو لا النور

---

(١) فى ظ: فى (٢) فى ظ: نفع (٣) راجع أيضا البحر المحيط ٦/٥٠٣ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: هو (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: وجهها.
(٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: فان (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: لام.
(٨) من ظ و مد، و فى الأصل: و لو لا (٩) زيد من ظ و مد.

ما عرف الظلام ، و الأشياء تعرف بأضدادها .

و لما كانت إزالته شيئاً فشيئاً بعد مدة كذلك من العظمة بمكان.
قال منبها[1] على فضل مدخول «ثم» و ترتبه متصاعدا فى درج الفضل،
فما هنا أفضل مما قبله ، و ما قبله أجلّ مما تقدمه ، تشبيها لتباعد ما بين
٥ المراتب الثلاث فى الفضل بتباعـــد[2] ما بين الحوادث فى الوقت :
﴿ ثم قبضنه ﴾ أى الظل ، و القبض : جمع المنبسط ﴿ الينا ﴾ أى إلى
الجهة التى نريدها ، لا يقدر أحد غيرنا أن يحوله إلى جهة غيرها؛ قال
الرازى رحمه الله فى اللوامع : و هذه الإضافة لأن غاية قصر الظل عند
غاية تعالى الشمس ، و العلو موضع الملائكة و جهة السماء التى فيها أرزاق
١٠ العباد ، و منها نزول الغيث و الغياث ، و إليها ترتفع[3] أيدى الراغبين ،
و تشخص أبصار الخائفين - انتهى . ﴿قبضا يسيرا ﴾ أى هو - مع
كونه فى القلة بحيث يعسر[4] إدراكه حق الإدراك - سهل علينا ، و لم نزل
ننقصه[5] شيئا فشيئا حتى اضمحل كله ، أو إلا يسيرا ، ثم مددناه أيضا[6] بسير
الشمس و حجبها ببساط الأرض قليلا قليلا ، أولا فأولا بالجبال و الأبنية
١٥ و الأشجار ، ثم[1] بالروابى[7] و الآكام و الظراب و ما دون ذلك ، حتى تكامل
كما كان ، و فى تقديره هكذا من المنافع ما لا يحصى ، و لو قبض لتعطلت

(١) سقط من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لتباعد (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : ترتفع (٤) فى ظ : يسر (٥ - ٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم يزل ينقصه (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالروان .

أكثر

أكثر [1]منافع الناس بالظل و الشمس[1] جميعا ، فالحاصل أنه يجعل بواطنهم مظلمة بحجبها عن أنوار[2] المعارف فيصيرون كالماشى فى الظلام ، و يكون نفوذهم فى الأمور الدنيوية كالماشى بالليل فى طرق قد[3] عرفها و دربها بالتكرار ، و حديث على رضى الله عنه فى الروح الذى مضى عند «و الطيبت للطيبين» فى النور[4] شاهد حسى لهذا الأمر المعنوى - و الله الموفق. ٥

و لما تضمنت هذه الآية الليل و النهار ، قال مصرحا بهما دليلا على الحق ، و إظهارا للنعمة[5] على الخلق : ﴿ و هو ﴾ أى ربك وحده ﴿ الذى جعل ﴾ و لما كان ما مضى فى الظل أمرا دقيقا خص به أهله ، و كان أمر الليل و النهار ظاهرا / لكل أحد ، عم فقال : ﴿ لكم الّيل ﴾ / ٦٩٦
أى الذى تكامل به مد الظل ﴿ لباسا ﴾ أى ساترا للأشياء عن[6] الأبصار ١٠ كما يستر اللباس ﴿ و النوم سباتا ﴾ أى [نوما و سكونا و راحة ، عبارة عن كونه موتا أصغر طاويا لما كان من الإحساس -[7]] ، قاطعا عما كان من الشعور و التقلب ، دليلا لأهل البصائر على الموت ؛ قال البغوى[8] و غيره : و أصل السبت القطع . و فى جعله سبحانه كذلك[9] من الفوائد الدينية و الدنيوية ما لا يعد ، وكذا قوله : ﴿ و جعل النهار نشورا ه ﴾ أى ١٥

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل : مرافق الناس بالشمس و الظل (٢) زيد فى الأصل : الشمس ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٣) سقط من ظ .
(٤) راجع ص ٢٤٦ (٥) فى ظ : لنعمة (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : من .
(٧) زيد من ظ و مد (٨) فى المعالم - راجع هامش اللباب ٥/٨٥ (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : لذلك .

[حياة و حركة و تقلبا -[1]] بما أوجد فيه من اليقظة المذكرة[2] بالبعث، المهيئة للتقلب، برد ما أعدمه النوم من جميع الحواس؛ يحكى أن لقمان[3] قال لابنه: كما تنام فتوقظ فكذلك[4] تموت فتنشر[5]. [فالآية من الاحتباك: ذكر السبات أولا دليلا على الحركة ثانيا، و النشور ثانيا دليلا على الطي

٥ و السكون أولا -[1]].

و لما دل على عظمته بتصرفه فى المعانى بالإيجاد و الإعدام، و ختمه بالإماتة و الإحياء بأسباب قريبة، أتبعه التصرف فى الأعيان بمثل ذلك، دالا على الإماتة و الإحياء بأسباب بعيدة، و بدأه بما هو قريب للطافته [6]من المعانى[6]، و فيه النشر الذى ختم به ما قبله، فقال: ﴿ و هو ﴾ أى

١٠ وحده ﴿ الذى ارسل الريح ﴾ فقراءة ابن كثير[7] بالإفراد لإرادة الجنس، و قراءة غيره بالجمع أدل على الاختيار بكونها تارة صبا و [8]أخرى دبورا[8]، و مرة شمالا و كرة جنوبا و غير ذلك ﴿ نشرا[9] ﴾ أى تبعث بأرواحها السحاب، كما نشر بالنهار أرواح الأشباح ﴿ بين يدى رحمته ج ﴾ لعباده بالمطر.

١٥ و لما كان السحاب قريبا من الريح فى اللطافة، و الماء قريبا منهما

(١) زيد من ظ و مد (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: المذكورة (٣) ذكر قوله فى البحر المحيط ٦/٥٠٤ و ٥٠٥ (٤) من البحر، و فى الأصول: كذلك. (٥) من ظ و مد و البحر، و فى الأصل: و تنشر (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: بالمعانى (٧) راجع نثر المرجان ٤/٧١٠ و ٧١١ (٨-٨) من ظ و مد، و فى الأصل: تارة و بوادا (٩) و قراءة عاصم: بشرا - بالباء الموحدة.

و مسببا عما تحمله الريح من السحاب « أتبعها » به ، و لما كان في إنزاله من الدلالة على العظمة بإيجاده هنالك و إمساكه ثم إنزاله في الوقت المراد و المكان المختار على حسب الحاجة ما لا يخفى ، غير الأسلوب مظهرا للعظمة فقال : ﴿ و انزلنا من السمآء ﴾ أي حيث لا ممسك [للماء - [1]] فيه غيرنا سبحانه ﴿ مآء ﴾ ثم أبدل منه بيانا للنعمة به فقال : ﴿ طهورا لا ﴾ ٥ أي طاهرا في نفسه مطهرا لغيره ، اسم آلة كالسحور و السنون لما يتسحر به و يستن[2] به ، و نقل أبو حيان[3] عن سيبويه أنه مصدر لتطهّر المضاعف جرى على غير فعله . و أما جعله مبالغة لطاهر فلا يفيد غير[4] أنه بليغ الطهارة في نفسه لأن فعله قاصر .

١٠ و لما كانت[5] هذه الأفعال دالة على البعث لكن بنوع خفاء ، أتبعها ثمرة هذا الفعل دليلا واضحا على ذلك ، فقال معبرا بالإحياء لذلك ، معللا للطهور المراد به البعد[6] عن جميع ما يدنسه[7] من ملوحة أو مرارة أو كبرتة و نحو ذلك مما يمنع كمال الانتفاع به : ﴿ لنحي به ﴾ أي بالماء .

و لما كان المقصود بإحياء الأرض بالنبات إحياء البلاد لإحياء أهلها ١٥ قال[8] : ﴿ بلدة ﴾ و لو كان ملحا أو مرا أو مكبرتا لم تكن فيه قوة الإحياء . و لما كره أن يفهم تخصيص[9] البلاد ، أجرى الوصف باعتبار الموضع

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : يتسنن (٣) راجع البحر المحيط ٦/٥٠٥ (٤) في ظ : على (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : كان في . (٦) في ظ و مد : البعد (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : يدانسه (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : فقال (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : يخصص .

ليعم كل مكان فقال : ﴿ ميتا ﴾ أى بما نحدث فيه من النبات بعد أن
كان قد صار هشيما ثم ترابا ، ليكون ذلك آية بينة على قدرتنا على بعث
الموتى بعد كونهم ترابا .

و لما كان فى مقام العظمة ، باظهار القدرة ، زاد[1] على كونه آية
٥ عـلى البعث باظهار النبات الذى هو منفعة للرعى منفعة أخرى عظيمة
الجدوى فى الحفظ من الموت بالشرب كما كانت آية الإحياء حافظة بالأكل
فقال : ﴿ و نسقيه ﴾ أى الماء ، و هو[2] / من أسقاه - مزيد سقاه ، و هما ٦٩٧ /
لغتان . قال ابن القطاع[3] : سقيتك شرابا و أسقيتك ، و الله تعالى عباده
و أرضه كذلك . ﴿ مما خلقنآ ﴾ أى بعظمتنا .

١٠ [4]و لما كانت النعمة فى إنزال الماء على الأنعام [و أهل البوادى و نحوهم -[5]]
أكثر ، لأن الطير و الوحش تبعد فى الطلب فـلا تعدم ما تشرب ،
خصها فقال : ﴿ انعاما ﴾ و قدم النبات لأن[6] به حياة الأنعام ، و الأنعام
لأن بها [كمال -[7]] حياة الإنسان ، فاذا وجد ما يكفيها من السقى تجزأ
هو بأيسر شيء ، و أتبع ذلك قوله : ﴿ و اناسىّ كثيرا ه ﴾ أى بحفظنا[8]
١٥ له فى الغدران لأهل البوادى الذين يبعدون عن الأنهار و العيون و غيرهم
ممن أردنا ، لأنه تعالى لا يسقى جميع الناس على حد سواء ، و لكن يصيب

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : زادا (٢) فى مد : هذا (٣) فى كتاب الأفعال
٢ / ١٦٢ (٤) العبارة من هنا إلى « خصها فقال » ساقطة من مد (٥) زيد من ظ .
(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لانه (٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ و مد ،
و فى الأصل : لحفظنا .

بالمطر

بالمطر من يشاء، و يصرفه عمن يشاء، و يسقي بعض الناس من غير ذلك، و لهذا نكر[1] المذكورات - كما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال[2]: ما من عام بأمطر[3] من عام، و لكن الله قسم ذلك بين عباده على ما يشاء[4] - و تلا هذه الآية . و قال البغوى[5]: و ذكر ابن إسحاق و ابن جريج و مقاتل و بلغوا به ابن مسعود رضى الله عنه يرفعه قال: ليس من سنة بأمطر من أخرى، و لكن الله قسم هذه الأرزاق، فجعلها فى السماء الدنيا فى هذا القطر، ينزل منه كل سنة بكيل معلوم [6]و وزن[6] [معلوم -[7]]، فاذا عمل قوم بالمعاصى حول الله ذلك إلى غيرهم، و إذا عصوا جميعا صرف الله تعالى ذلك إلى الفيافى و البحار - انتهى . و كان السر[8] فى ذلك أنه كان من حقهم أن يطهروا ظواهرهم و بواطنهم، و يطهروا غيرهم ليناسبوا حاله فى الطهورية، فلما[9] تدنسوا بالقاذورات تسببوا فى صرفه عنهم .

و لما ذكر سبحانه أن[10] من ثمرة إنزال القرآن نجوما إحياء القلوب التى هى أرواح الأرواح، و أتبعه ما لاءمه[11]، إلى أن ختم بما جعله سببا لحياة الأشباح، فكان [12]موضعا لتوقع[12] العود إلى ما هو حياة الأرواح،

(١) من مد، و فى الأصل و ظ : انكر (٢) راجع البحر المحيط ٦/٥٠٦ حيث ذكر هذا القول (٣) فى البحر : بأقل مطرا (٤-٤) من ظ و مد و البحر، و فى الأصل : كما شاء (٥) فى المعالم - راجع هامش اللباب ٥/٨٦ (٦-٦) من ظ و مد و المعالم، و فى الأصل: موزون (٧) زيد من ظ و مد و المعالم (٨) من ظ و مد، و فى الأصل : السير (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: و لما (١٠) سقط من ظ (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: الامة (١٢-١٢) من ظ و مد، و فى الأصل : موضع التوقع .

قال عاطفا على متعلق "كذلك لنثبت" منبها على فائدة أخرى لتجيبه أيضا : ﴿ و لقد صرفنه ﴾ أي وجهنا القرآن - كما قال ابن عباس رضي الله عنهما[1] إنه المراد ههنا، و يؤيده ما بعده - وجوها من البيان، و طرقنا[2] طرقا تعيي[3] أرباب اللسان في معان كثيرة جدا ﴿ بينهم ﴾ في كل قطر عند كل قوم ﴿ ليذكروا ﴾ بالآيات[4] المسموعة ما ركزنا[5] في فطرهم من الأدلة العقلية [و المؤيدة - [6]] بالآيات المرئية [و لو على أدنى وجوه التذكر المنجية لهم - بما أشار إليه الإدغام - [6]].

و لما كان القرآن قائدا و لابد لمن أنصف إلى الإيمان، دل على أن المتخلف عنه إنما هو معاند بقوله[7] : ﴿ فأبى ﴾ أي لم يرد ﴿ أكثر الناس ﴾
١٠ أي بعنادهم[8] ﴿ إلا كفورا ﴾ مصدر "كفر" مبالغا[9] فيه.

[و - [6]] لما [كان - [6]] تمنتهم بأن ينزل عليه ملك فيكون معه نذيرا، ربما أثار في النفس طلب إجابتهم إلى مقترحهم حرصا على هدايتهم، فأومأ أولا [إلى - [6]] أنه لا فائدة في ذلك بأن مؤازرة هارون لموسى عليهما السلام لم تغن عن القبط شيئا[10]. و ثانيا بأن المدار في وجوب
١٥ التصديق للنذر الإتيان بما يعجز، و كان / ذلك موجودا في آيات القرآن، ٦٩٨ /

---

(١) راجع البحر المحيط ٦ / ٥٠٦ (٢) من ظ و مد، و في الأصل : طرقنا.
(٣) من ظ و مد، و في الأصل : يعيي (٤) في ظ : الآيات (٥) في ظ : ذكرنا.
(٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و في الأصل : بتركه (٨) في ظ : لعنادهم (٩) في ظ : مبالغة (١٠) سقط من ظ.

المصرفة فى كل زمان و مكان بكل بيان، فكانت كل آية منه قائمة مقام نذير، قال مشيرا إلى أنه إنما ترك ذلك لحكم يعلمها: ﴿و لو شئنا لبعثنا﴾ أى بما لنا من العظمة و[1] نفوذ الكلمة ﴿فى كل قرية نذيرا ﴿﴾﴾ أى من البشر أو الملائكة أو غيرهم من عبادنا، كما قسمنا المطر لأن الملك - كما قدمنا أول السورة - كله لنا، ليس [لنا -[2]] شريك يمنع من ذلك بما[3] له من الحق، و لا ولد يمنع بما له من الدلة[4]، و لكنا لم نفعل لما فى آيات[5] القرآن من الكفاية فى ذلك، و لما فى انفرادك بالدعوة من الشرف لك - و غير ذلك من الحكمة ﴿فلا تطع الكٰفرين﴾ فيما قصدوا من التفتير عن[6] الدعاء به، بما يبدونه من المقترحات أو[7] يظهرون لك من المداهنة، أو من القلق من صادع الإنذار، و يخيلون[8] أنك لو أقللت منه رجوا أن يوافقوك ﴿و جاهدهم﴾ أى بالدعاء ﴿به﴾ أى القرآن[9] الذى تقدم التحديث[10] عنه فى "و لقد صرفنٰه" بابلاغ آياته مبشرة كانت أو منذرة، و الاحتجاج ببراهينه ﴿جهادا كبيرا ﴿﴾﴾ جامعا لكل المجاهدات الظاهرة و الباطنة. لأن فى ذلك إقبال[12] كثير من الناس إليك و اجتماعهم عليك، فيتقوى أمرك، و يعظم خطبك[11]، و تضعف

(١) فى ظ : فى (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : لما (٤) من مد ، و فى الأصل : الدالة ، و فى ظ : الدل (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذلك من آية (٦) فى ظ : من (٧) فى ظ «و» (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : يجعلون (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالقرآن (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : التحدث . (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اقباله (١٢) فى ظ : حظك .

شوكتهم، و تنكسر سورتهم .

و لما ذكر تصريف القرآن، و نشره فى جميع البلدان، بعد إثارة الرياح و نشر السحاب، و خلط الماء بالتراب، لجمع[1] النبات و تفريقه، أتبعه - تذكيرا بالنعمة، و تحذيرا من إحلال النقمة - الحجز بين[2] أنواع الماء الذى لا أعظم امتزاجا منه، و جمع كل نوع منها على حدته، و منعه من أن يختلط بالآخر مع اختلاط الكل بالتراب المتصل بعضه ببعض، فقال عائدا إلى أسلوب الغيبة تذكيرا بالإحسان بالعطف [على ضمير « الرب » فى آية الظل -[3]] : ﴿و هو﴾ أى وحده ﴿الذى مرج البحرين﴾ أى[4] الماءين الكثيرين الواسعين [بأن -[3]] جعلهما مضطربين كما تشاهدونه[5] من شأن الماء؛ و قال الرازى : خلى بينهما كأنه أرسلهما فى[6] مجاريهما كما ترسل الخيل فى المرج ، و أصل المرج يدل على ذهاب و مجىء و اضطراب و التباس .

و لما كان الاضطراب موجبا للاختلاط، وكانت « ال » دائرة بين[7] العهد و الجنس، تشوف السامع إلى السؤال عن ذلك، فأجيب بأن المراد جنس الماء الحلو [8]و الملح[8]، لأن البحر فى الأصل الماء الكثير، و بأنه سبحانه منعهما[9] من الاختلاط، مع الموجب له فى العادة، بقدرته الباهرة،

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لجميع (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بنى .
(٣) زيد من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) من مد ، و فى الأصل : يشاهدون ، و فى ظ : يشاهدونه (٦) فى ظ « و » (٧) فى ظ : من (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٩) فى مد : منعا بهما - كذا .

و عظمته

و عظمته القاهرة، فقال: ﴿هذا عذب﴾ أى حلو سائغ ﴿فرات﴾ أى شديد العذوبة [بالغ الغاية فيها حتى يضرب إلى الحلاوة، لا فرق بين ما كان منه على وجه الأرض و ما كان فى بطنها - [1]] ﴿و هذا ملح﴾ شديد الملوحة ﴿اجاج﴾ أى مر محرق بملوحته[2] و مرارته، لا يصلح لسق و لا شرب، و لعله أشار بأداة القرب فى الموضعين تنبيها على ٥ وجود الموضعين، مع شدة المقاربة، لا يلتبس أحدهما بالآخر حتى أنه إذا حفر على شاطىء البحر الملح بالقرب [3]منه جدا[3] خرج الماء عذبا[4] جدا ﴿و جعل﴾ أى الله سبحانه ﴿بينهما برزخا﴾ أى حاجزا / من قدرته مانعا من اختلاطهما. / ٦٩٩

و لما كانا يلتقيان و لا يختلطان، كان كل منهما [5]بالاختلاط فى ١٠ صورة الباغى[5] على الآخر، فأتم سبحانه تقرير النعمة فى[6] منعهما الاختلاط بالكلمة التى جرت عادتهم بقولها عند التعوذ، تشبيها لكل منهما بالمتعوذ، ليكون الكلام - مع أنه خبر - محتملا للتعوذ، فيكون من أحسن الاستعارات و أشهدها[7] على البلاغة فقال: ﴿و حجرا﴾ أى منعا[8] ﴿محجورا﴾ أى ممنوعا من أن يقبل رفعا، كل هذا التأكيد إشارة إلى ١٥ جلالة هذه الآية و إن كانت قد صارت لشدة الألف[9] بها معرضا عنها

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: مملوحه - كذا.
(٣-٣) فى ظ و مد: جدا منه (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: العذب.
(٥-٥) من ظ و مد، و فى الأصل: فى صورة الاختلاط كالباغى (٦) فى ظ: من (٧) فى ظ و مد: اشهرها (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: منيعا.
(٩) فى ظ: الالفه.

إلى الغاية، لتعرف بها قدرته، و تشكر نعمه.

و لما ذكر تعالى قدرته في منع الماء من الاختلاط، أتبعه القدرة [1]على خلطه[1]، لئلا يظن أنه ممتنع، تقريرا للفعل بالاختيار، و إبطالا للقول بالطبائع، [فقال - [2]] معبرا بالضمير كما تقدمه[3] حثا على استحضار [4]

٥ الأفعال و الصفات التي تقدمت، لتعرف الحيثية التي كرر الضمير لأجلها: ﴿ و هو ﴾ أي وحده ﴿ الذي خلق من المآء ﴾ بخلطه مع الطين ﴿ بشرا ﴾ كما تشاهدونه يخلق منه نباتا و شجرا، و ورقا و ثمرا[5] ﴿ فجعله ﴾ أي بعد ذلك بالتطوير[6] في أطوار الخلقة، و التدوير في أدوار التربية ﴿ نسبا ﴾ أي ذكرا ينسب إليه ﴿ و صهرا [ط] ﴾ أي أنثى يصاهر - أي يخالط - بها

١٠ إلى الذكر، فقسم[7] هذا الماء بعد التطوير[8] إلى ذكر و أنثى كما جعل ذلك الماء قسمين: عذبا و ملحا، و خلط ماء الذكر بماء الأنثى متى أراد فصور منه آدميا، و منعه من ذلك إذا أراد، كما أنه ميز بين العذب و الملح و يخلط[9] بينهما إذا أراد بعلمه الشامل و قدرته التامة ﴿ و كان ربك ﴾ أي المحسن إليك بارسالك و إنزال هذا الذكر إليك ﴿ قديرا ه ﴾ على كل

١٥ شيء قدرته على ما ذكر من إبداع هذه الأمور المتباعدة من مادة واحدة

(١-١) من ظ و مد، و في الأصل: من خطه (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و في الأصل: تقدمته (٤) من ظ و مد، و في الأصل: اختلاط.
(٥) في مد: تمرا (٦) في ظ: التطوير (٧) من ظ و مد، و في الأصل: قسم.
(٨) من ظ و مد، و في الأصل: التوير - كذا (٩) من ظ و مد، و في الأصل: خلط.

فهو يوفق من يشاء فيجعله عذب المذاق، سهل الأخلاق، و يخذل من يشاء فيجعله مرير[1] الأخلاق كثير الشقاق، أو ملتبس الأخلاق، عريقا في النفاق، فارغب إلي هذا الرب الشامل القدرة، التام العلم.

و لما أنهت له بهذه الأدلة القدرة على كل شيء، قال معجبا منهم في موضع[2] الحال من «ربك» عودا إلى تهجين سيرتهم في عبادة غيره، معبرا بالمضارع، إشارة إلى أنهم لو فعلوا ذلك مرة لكان في غاية العجب، فكيف و هو على سبيل التجديد بالاستمرار؟ و مصورا لحالهم زيادة في تبشيعها: ﴿و يعبدون﴾ أي الكفرة ﴿من دون﴾ أي ممن[3] يعلمون أنه في الرتبة دون ﴿الله﴾ المستجمع لصفات العظمة، بحيث أنه لا ضر و لا نفع إلا و هو بيده.

و لما كان هذا السياق لتعداد[4] نعمه سبحانه، و كان الحامل[5] للانسان على الإذعان رجاء الإحسان، [6]أو خوف الهوان، و كان رجاء الإحسان[6] مقبلا به[7] إلى المحسن في السر[8] و الإعلان، قدم النفع فقال: ﴿ما لا ينفعهم﴾ أي بوجه.

و لما كان الخوف إنما يوجب الإقبال ظاهرا فقط، أتبعه قوله: ﴿و لا يضرهم﴾ أي أصلا في / إزالة نعمة من نعم الله [عنهم - [9]]، / ٧٠٠

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: موثر (٢) من ظ ومد، و في الأصل: موقع.
(٣) من ظ ومد، وفي الأصل: من (٤) من ظ ومد، و في الأصل: لتعديد.
(٥) من ظ و مد، و في الأصل: الحاصل (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٧) من ظ و مد، و في الأصل: اليه (٨) من ظ ومد، و في الأصل: الستر.
(٩) زيد من ظ و مد.

فلا أخف[١] عقلا ممن يترك من بيده كل نفع و ضر و هو يتقلب فى نعمه، فى يقظته و نومه، و أمسه و يومه، و يقبل على من لا نفع بيده و لا ضر أصلا؛ و أظهر فى موضع الضمير بيانا للوصف الحامل على[٢] ما لا يفعله[٢] عاقل، و أفرد تحقيرا لهم فقال: ﴿و كان الكافر﴾ مع علمه ٥ بضعفه و عجزه.

و لما كان الكافر لا يمكن أن يصافى مسلما ما دام كافرا، و كانت مصافاته لغيره حاصلة إما بالفعل أو بالقوة، عدت مصارمته[٣] لغيره عدما، فكانت مصارمته[٣] خاصة بأولياء الله، و كان ذلك أشد لذمه، دل عليه بتقديم الجار فقال: ﴿على ربه﴾ أى المحسن إليه [لا غيره -[٤]] ﴿ظهيرا ه﴾ ١٠ معينا لشياطين الإنس و الجن على أولياء الله، و التعبير بـ «على» دال على أنه - [و -[٤]] إن كان مهينا فى نفسه حقيرا - فاعل فعل العالى على الشيء القوى الغليظ الغالب له، المعين عليه، من قولهم: ظهر الأرض[٥] - لما علا منها وغلظ، و أمر ظاهر لك، أى غالب، و الظاهر: القوى و المعين، و ذلك لأنه يجعل لما يعبده من الأوثان نصيبا مما تفرد[٦] الله بخلقه، ثم ١٥ يجعل لها أيضا بعض ما كان سماه لله، و يعاند أولياء الله من الأنبياء و غيرهم، و ينصب لهم المكايد و الحروب، و يؤذيهم بالقول و الفعل، مع علمه بأن الله معهم لما يشاهدونه من خرقه لهم العوائد، فكان هذا فعل من

---

(١) من ظ، و فى الأصل و مد: استخف - كذا (٢-٢) فى ظ: من لا يفعله، و فى مد: ما يفعله (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) زيد من ظ و مد.
(٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: انفرد.

لا

لا يعبأ بالشيء "لقد استكبروا فى انفسهم و عتوا عتوا كبيرا"، "ان لا تعلوا على الله" و هو فى الحقيقة تهكم بالكفار، لأنهم يفعلون ما يلزم عليه هذا اللازم الذى لايدور فى خلد عاقل .

و لما كان التقدير تسلية له صلى الله عليه و سلم : فالزم ما نأمرك به و لايزد همك بردهم عما هم فيه، فانا ما أرسلناك عليهم وكيلا، عطف عليه قوله : ﴿ و مآ ارسلنٰك ﴾ أى بما لنا من العظمة .

و لما كان سياق السورة للانذار، لما ذكر فيها من سوء[1] مقالهم، و قبح أفعالهم، حسن التعبير[2] فى البشارة بما يدل[3] على كثرة الفعل، و يفهم كثرة[4] المفعول، بشارة بكثرة المطيع، و فى النذارة بما يقتضى أن يكون[5] صفة لازمة فقال: ﴿ الا مبشرا ﴾ أى لكل من يؤمن ﴿ و نذيرا ﴾ لكل من يعصى . ١٠

و لما وقع جوابهم عن[6] قولهم "لو لا انزل اليه ملك" و كان قد بقى قولهم "او يلقى اليه كنز" أشير إلى مزيد الاهتمام [بجوابه -[7]] بابرازه فى صورة الجواب لمن كأنه[8] قال: ما ذا يقال لهم إذا تظاهروا و طعنوا فى الرسالة بما تقدم[9] و غيره؟ فقال: ﴿ قل ﴾ أى لهم يا أكرم الخلق ١٥ حقيقة، و أعدلهم طريقة ! [10]محتجا عليهم بازالة ما يكون موضعا للتهمة[10]:

---

(١) فى ظ : شر (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : للتعبير (٣) فى ظ : دل . (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : كرة (٥) فى مد : تكون (٦) فى ظ : من . (٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل : كان (٩) من ظ و مد، و فى الأصل : يقدم (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .

﴿ مآ اسئلكم عليه ﴾ أى على الإبلاغ بالبشارة و النذارة ﴿ من اجر ﴾ لتتهمونى أنى[1] أدعوكم لأجله، أو تقولوا: لو لا ألقى إليه كنز لغنتى به عن ذلك، فكأنه يقول: الاقتصار عن[2] التوسع فى المال إنما يكره لمن يسأل[3] الناس، و ليس هـــذا من شيمى قبل النبوة فكيف بما ٥ بعدها ؟ فلا غرض لى حينئذ إلا نفعكم. ثم أكد هذا المعنى بقوله، مستثنيا لأن الاستثناء معيار العموم /: ﴿ الا من ﴾ أى إلا[4] أجر من ﴿ شآء ان يتخذ ﴾ أى يكلف نفسه و يخالف هواه و يجعل له ﴿ الى ربه سبيلا ﴾ فانه إذا اهتدى بهداية ربه كان لى مثل أجره، لا نفع لى من جهتكم إلا هذا، فإن سميتم هذا أجرا فهو مطلوبى. و لا مرية ١٠ فى أنه لاينقص أحدا شيئا من دنياه، فلا ضرر على أحد فى طيّ الدنيا عنى، فأفاد هذا فائدتين: إحداهما[5] أنه لا طمع له[6] أصلا فى شيء ينقصهم[7]، و الثانية إظهار الشفقة البالغة بأنه يعتد بمنفعتهم الموصلة لهم إلى ربهم ثوابا لنفسه.

/٧٠١

و لما كان المقصود ردهم[8] عن عنادهم، وكان ذلك فى غاية الصعوبة، ١٥ وكان هذا الكلام لايرد متعنتيهم - و هم[9] الأغلب - الذين تخشى غائلتهم،

---

(١) من ظ ومد، و في الأصل: ان (٢) فى ظ و مد: على (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: ليسال (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: لا (٥) من ظ ومد، و فى الأصل: احدهما (٦) سقط من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: ينفعهم (٨) فى ظ: يردهم (٩) فى ظ: هو.

عطف على "قل" قوله: ﴿وتوكل﴾ أى أظهر العجز والضعف واستسلم واعتمد فى أمرك [كله -[1]]، ولاسيما فى مواجهتهم بالإنذار، وفى ردهم عن عنادهم[2].

ولما كان الوكيل يحمل عن الموكل ثقل ما أظهر له عجزه فيه[3] ويقوم بأعبائه حتى يصير كنىً يحمل عن آخر عينا محسوسة لايصير له[4] عليه شيء منها أصلا، عبر بحرف الاستعلاء تمثيلا لذلك[5] فقال: ﴿على الحيّ﴾ ولا يصح التوكل عليه إلا بلزوم طاعته والإعراض عما سواها.

ولما كان الأحياء من الخلق يموتون، بين أن حياته ليست كالحياة غيره فقال: ﴿الذى لا يموت﴾ أى فلا ضياع لمن[6] توكل عليه أصلا، بل هو المتولى لمصالحه فى حياته وبعد مماته، [7]ولا تلتفت[7] إلى ما سواه بوجه فانه هالك ﴿وسبح بحمده﴾ أى نزهه عن كل نقص مثبتا له كل كمال.

ولما كان المسلى ربما وقع فى فكره أن من سلاه إما غير قادر على نصره، أو غير عالم بذنوب خصمه، وكان السياق للشكاية من[8] إعراض المبلغين عن القرآن، وما يتبع ذلك من الأذى، أشار بالعطف على[9] غير مذكور إلى أن التقدير: فكفى به لك نصيرا، وعطف عليه:

(١) زيد من ظ ومد (٢) فى ظ: عبادتهم (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: منه (٤) سقط من مد (٥) فى ظ: بذلك (٦) فى ظ ومد: على من (٧ - ٧) من مد، وفى الأصل: فلا يلتفت، وفى ظ: ولا يلتفت (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: عن (٩) سقط من ظ.

﴿ وكفىٰ ﴾ و عــين الفاعــل و حققه بــادخال الجار عليه فقــال : ﴿ به بذنوب عباده ﴾ أى وكل ما سواه عباده ﴿ خبيرا ۟ﺠ ﴾ لا يخفى عليه شيء منها و إن دق ؛ ثم وصفه بما يقتضي أنه - مع ما له من عظيم القدرة بالملك و الاختراع - متصف بالأناة و شمول العلم و حسن التدبير

٥ [ليتأسى به المتوكل عليه - [1]] فقال : ﴿ الذى خلق السمٰوٰت و الارض ﴾ أى على عظمهما ﴿ و ما بينهما ﴾ من الفضاء[2] و العناصر و العباد و أعمالهم من الذنوب و غيرها " الا يعلم من خلق " و قوله : ﴿ فى ستة ايام ﴾ تعجيب للغبي[3] الجاهل ، و تدريب[4] للفطن العالم فى الحلم[5] و الأناة و الصبر على عباد الله فى دعوتهم إلى الله ، و تذكير بما له من عظيم

١٠ القدرة و ما يلزمها[6] من شمول العلم ، و المراد بمقدار ستة من أيامنا ، فان الأيام ما حدثت إلا بعد خلق الشمس ، و الإقرارُ بأن تخصيص هذا العدد لداعى حكمة عظيمة ، وكذا جميع أفعاله و إن كنا لا ندرك ذلك ، هو الإيمان ، و جعل الله الجمعة عيدا للمسلمين لأن الخلق اجتمع فيه بخلق[7] آدم عليه السلام [فيه - [1]] فى آخر / ساعة[8] . /٧٠٢

١٥ و لما كان تدبير هذا الملك أمرا باهرا ، أشار إليه بأداة التراخى فقال : ﴿ ثم استوىٰ على العرش ۚﺝ ﴾ أى شرع فى التدبير لهذا الملك

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الفعال - كذا . (٣) من مد ، و فى الأصل : للغنى ، و فى ظ : للفتى (٤) من ظ و مد ، و فى الاصل : تدرب (٥) من مد ، وفى الأصل وظ : الحكم (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : يلزمهما (٧) فى ظ : نخلق (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : بساعته .

الذى

الذى اخترعه و أوجده، و هم و ذنوبهم [من جملته - [١]] كما يفعل الملوك فى ممالكهم[٢]، لا غفلة عنده[٣] عن شيء أصلا، و لا تحدث فيه ذرة من ذات أو معنى إلا بخلق جديد منه سبحانه، ردا على من يقول من اليهود و غيرهم: إن ذلك إنما هو بما دبر فى الأزل من الأسباب[٤]، و أنه الآن لا فعل له. ٥

و لما كان المعصيّ إذا علم بعصيان من يعصيه و هو قادر عليه لم يمهله، أشار إلى أنه على[٥] غير ذلك، حاضا على الرفق، بقوله: ﴿ الرحمٰن ﴾ أى الذى سبقت رحمته غضبه، و هو يحسن إلى من يكفره، فضلا عن غيره. فأجدر عباده بالتخلق بهذا الخلق رسله، و الحاصل أنه أبدع هذا الكون و أخذ فى تدبيره بعموم الرحمة فى إحسانه لمن يسمعه يسبّه[٦] ١٠ بالنسبة له[٧] إلى الولد، و يكذبه [٨]فى أنه[٨] يعيده كما بدأه، و هو سبحانه قادر على الانتقام منه بخلاف[٩] ملوك الدنيا فانهم لا يرحمون من يعصيهم مع عجزهم.

و لما كان العلم لازما للملك، سبب عن ذلك قوله على طريق التجريد: ﴿ فسٔل به ﴾ أى بسبب سؤالك إياه ﴿ خبيرا ﴾ عن[١٠] ١٥

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: مماليكهم (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الاشياء (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الحه (٦) فى مد: يشبه - كذا (٧) فى ظ: اليه (٨ - ٨) من ظ و مد، و فى الأصل: بانه (٩) زيد فى ظ: ملك (١٠) فى ظ: على.

هذه الأمور و كل أمر تريده ليخبرك[1] بحقيقة أمره ابتداء و حالا و مآلا ، فـلا يضيق صدرك بسبب هؤلاء المدعوين، فانـه ما أرسلك إليهم إلا و هو عالم بهم ، فسيعلى كعبك عليهم، و يحسن لك العاقة .

و لما ذكر إحسانه إليهم ، و إنعامه عليهم ، ذكر ما أبدوه من كفرهم ٥ فى موضع شكرهم فقال[2] : ﴿ و اذا قيل لهم ﴾ أى هؤلاء الذين يتقلبون فى نعمه ، و يغذوهم بفضله و كرمه ، من أىّ قائل كان : ﴿ اسجدوا ﴾ أى اخضعوا بالصلاة و غيرها ﴿ للرحمٰن ﴾ [3] الذى لا نعمة لكم إلا منه ﴿ قالوا ﴾ قول عال متكبر كما تقدم فى معنى " ظهيرا " : ﴿ و ما الرحمٰن ﴾ متجاهلين عن معرفته فضلا عن كفر نعمته معبرين[4] بأداة ما لا يعقل ، ١٠ [و قال ابن العربى : إنهم إنما عبروا بذلك إشارة إلى جهلهم الصفة ، دون الموصوف -[5]] ، ثم عجبوا من أمره بذلك منكرين عليه ، بقولهم : ﴿ انسجد لما تامرنا ﴾ فعبروا عنه - بعد التجاهل فى أمره و الإنكار على الداعى إليه - أيضا بأداة ما لا يعقل ﴿ و زادهم ﴾ هذا الأمر الواضح المقتضى للاقبال و السكون شكرا للنعم و طمعا فى الزيادة ﴿ نفورا ﴾ السجدة ١٥ لما عندهم من الحرارة الشيطانية التى تؤزهم أزا ، فلا نفرة توازى هذه النفرة ، و[6] لا ذم[6] أبلغ منه .

و لما ذكر حال النذير الذى ابتدأ به السورة فى دعائه إلى الرحمن

(١) فى ظ : انخبرك (٢) سقط من ظ (٣) زيد فى الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٤) من ظ ومد ، و فى الأصل : معتبرين (٥) زيد من ظ و مد (٦ - ٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لازم .

الذى لو لم يدع إلى عبادته إلا رحمانيته لكفى ، فكيف بكل صفة [1] جمال و جلال [1] ، فأنكروه ، اقتضى الحال أن [2] يوصل به إثباته باثبات ما هم عالمون به من آثار رحمانيته . ففصل ما أجمل بعد ذكر حال النذير ، ثم من الملك ، مصدرا له بوصف الحق الذى جعله مطلع السورة رادا لما تضمن إنكارهم من نفيه فقال : ﴿ تبٰرك ﴾ أى ثبت ثباتا لا نظير له ٥ ﴿ الذى جعل فى السمآء ﴾ التى قدم أنه اخترعها ﴿ بروجا ﴾ و هى اثنا عشر برجا ، [هى - [3]] للكواكب [4] السيارة / كالمنازل [لأهلها - [3]] ، / ٧٠٣ سميت بذلك لظهورها [5] ، و بنى عليها أمر الأرض ، [6] دبر بها [6] فصولها ، و أحكم بها معايش أهلها .

و لما كانت البروج على ما تعهد لا تصلح إلا بالنور [7] ، ذكره معبرا ١٠ بلفظ السراج فقال : ﴿ و جعل فيها ﴾ أى البروج ﴿ سرٰجا ﴾ أى شمسا ، و قرأ حمزة و الكسائى [8] بصيغة الجمع للتنبيه على عظمته فى ذلك [9] بحيث أنه أعظم من ألوف ألوف من السرج [10] ، فهو قائم مقام الوصف كما قال فى الذى بعده : ﴿ و قمرا منيرا ﴾ أتم [11] - بتنقلهما فيها و بغير ذلك

(١-١) من ظ ومد ، و فى الأصل : جمال و كمال و جلال (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بان (٣) زيد من ظ ومد (٤) فى ظ : الكواكب (٥) سقط من ظ .
(٦-٦) من ظ ومد ، و فى الأصل : دبرها (٧) زيد فى الأصل : جعله ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) راجع نثر المرجان ٤/٧٢١ (٩) زيد فى الأصل : فقال ، و لم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (١٠) من ظ و مد ، وفى الأصل : السراج (١١) فى ظ : ثم .

من أحوالهما ـ التدبير، أى أن العلم بوجوبه[1] لا شك فيه، فكيف يشك عاقل فى وجوده [2]أو فى رحمانيته[2] بهذا العالم العظيم المتقن الصنع الظاهر فيه أمر الرحمانية .

و لما ذكر الآيتين، ذكر ما هما[3] آيتاه فقال: ﴿و هو الذى جعل الّيل﴾ ٥ أى الذى آيته القمر ﴿و النهار﴾ الذى آيته الشمس ﴿خلفة﴾ أى ذوى حالة معروفـــة فى الاختلاف، فيأتى هذا خلف ذاك، بضد ما له من الأوصاف، و يقوم مقامه فى كثير من المرادات، و الأشياء المقدرات، و يعلم قدر التسامح فيها، و من فاته شيء من هذا قضاه فى ذاك ؛ قال ابن جرير[4]: و العرب تقول : خلف هذا من كذا خلفة، و ذلك إذا جاء ١٠ شيء مكان شيء ذهب قبله . و فى القاموس[5] أن الخالف والخلفة[6] ـ بالكسر: المختلف . فعلى هذا يكون التقدير: جعلهما مختلفين فى النور و الظلام، و الحر و البرد ، و غير ذلك من الأحكام . و قال الرازى فى اللوامع: يقال: الأمر بينهم خلفة، أى نوبة، كل واحد يخلف صاحبه، و القوم خلفة، أى مختلفون .

١٥ و لما كان الذى لا ينتفع بالشيء كالعادم لذلك الشيء، خص الجعل بالمجتنى للثمرة فقال: ﴿لمن اراد ان يذكر﴾ أى يحصل له تذكر و لو على أدنى الوجوه ـ بما دل عليه الادغام فى قراءة الجماعة[7] بفتح الذال

---

(١) فى ظ : بوجوه (٢-٢) فى ظ : ا- فى روحانيته (٣) فى ظ : سمى (٤) راجع من تفسيره الجزء ١٩ / ١٩ (٥) ٣ / ١٣٢ (٦) من ظ و مد و القاموس، و فى الأصل : الخلف (٧) راجع نثر المرجان ٤/٧٢٢ .

و الكاف

و الكاف مشددتين[1]، لما يدله[2] عليه عقله من أن التغير على هذه الهيئة العظيمة لا يكون بدون مغير قادر عظيم القدرة مختار، فيؤديه تذكره إلى الإيمان إن كان كفورا، و قراءة[3] حمزة بالتخفيف من الذكر تشير إلى أن ما يدلان عليه من تمام القدرة و شمول العلم الدال قطعا على الوحدانية على غاية من الظهور، لا يحتاج إلى فكر، بل تحصل بأدنى التفات ٥ ﴿او اراد شكوراه﴾ أى شكرا بليغا عظيما لنعم الله لتحمله إرادته [تلك -[4]] على الشكر إن كان مؤمنا، بسبب ما أنعم به ربه من الإتيان بكل منهما بعد هجوم الآخر لاجتناء ثمراته، و لو جعل أحدهما دائما لفاتت مصالح الآخر[5]، و لحصلت السآمة به، و الملل منه، و التوانى فى الأمور المقدرة بالأوقات، و الكسل و فتر العزم[6] الذى إنما يثيره لتداركها دخول وقت ١٠ آخر، و غير ذلك من الأمور التى أحكمها العلى الكبير.

و لما ذكر عباده الذين خذلهم بتسليط الشيطان عليهم [فصاروا حزب الشيطان -[4]]، و لم يضفهم إلى اسم من أسمائه، إيذانا باهانتهم لهوانهم عنده، و هم / الذين صرح بهم قوله أول السورة "نذيرا" و ختم /٧٠٤ بالتذكر و الشكر إشارة إلى عباده الذين أخلصهم لنفسه، و أشار إليهم ١٥ سابقا بتخصيص الوصف بالفرقان، فأتبع ذلك ذكرهم، فقال عاطفا على جملة الكلام فى قوله "و اذا قيل لهم" [لكنه -[4]] رفعهم بالابتداء

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: المشددتين (٢) فى ظ: يدل (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: قرا (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ: اخر (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: العموم.

تشريفا لهم: ﴿و عباد﴾ و يجوز أن يقال و لعله أحسن: إنه سبحانه لما وصف الكفار فى هذه السورة بما وصفهم به من الفظاظة و الغلظة على النبي صلى الله عليه و سلم، و عداوتهم له، و مظاهرتهم على خالقهم، و نحو ذلك من جلافتهم، و ختم بالتذكر[1] و الشكر، و كان التقدير:
٥ فعباد الشيطان لايتذكرون[2] و لا يشكرون، لما لهم من القسوة، عطف على هذا المقدر أضدادهم، واصفا لهم بأضداد أوصافهم، مبشرا لهم بضد جزائهم، فقال: [وعباد -[3]] ﴿الرحمن﴾ فأضافهم إليه رفعة لهم و إن كان كل الخلق عباده، و أضافهم إلى [صفة -[3]] وصف الرحمة الأبلغ الذى أنكره أولئك تبشيرا لهم؛ ثم وصفهم بضد ما وصف به المتكبرين
١٠ عن السجود[4]، إشارة إلى أنهم تخلقوا[5] من هذه الصفة التى أضيفوا إليها بأمر كبير[6]، فقال: ﴿الذين يمشون﴾ و قال: ﴿على الارض﴾ [7]تذكيرا بما هم منه وما يصيرون إليه، و حثا على السعى فى معالى الأخلاق للترقى عنه؛ و عبر عن حالهم بالمصدر مبالغة فى اتصافهم بمدلوله حتى كانوا إياه، فقال: ﴿هونا﴾ أى[8] ذوى هون، أى لين و رفق و سكينة
١٥ و وقار و إخبات و تواضع، لايؤذون أحدا و لا يفخرون، رحمة لأنفسهم و غيرهم، غير متابعين ما [9]هم فيه[9] من الحرارة الشيطانية، فبرأوا من

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: بالتذكير (٢) فى ظ: لايذكرون.
(٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: السحرو (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: يخلقوا (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: كثير (٧) زيد فى ظ: اى.
(٨) فى مد: او (٩ - ٩) من ظ و مد، و فى الأصل: فيهم.

حظوظ الشيطان، لأن من كان من الأرض و إليها يعود لا يليق به[١] إلا ذلك، و الأحسن أن يجعل هذا خبر "العباد"، و يكون "اولئك يجزون الغرفة" استئنافا متشوّقا[٢] إليه تشوف[٣] المستنتج إلى النتيجة.

و لما ذكر ما أثمره لهم العلم من الفعل فى أنفسهم، أتبعه[٤] ما أنتجه الحلم[٥] من القول لغيرهم فقال: ﴿و اذا﴾ دون "إن" لقضاء[٦] العادة بتحقق ٥ مدخولها، و لم يقل: و الذين - كبقية المعطوفات، لأن الخصلتين كشيء واحد من حيث رجوعهما[٧] إلى التواضع ﴿خاطبهم﴾ خطابا ما، بجهل أو غيره [و -[٨]] فى وقت ما ﴿الجهلون﴾ أى الذين يفعلون[٩] ما يخالف العلم و الحكمة ﴿قالوا سلما﴾ أى ما فيه سلامة من كل سوء، و ليس المراد التحية - نقل ذلك سيبويه[١٠] عن أبى الخطاب، قال: لأن[١١] الآية ١٠ فيما زعم مكية، و لم يؤمر[١٢] المسلمون يومئذ أن يسلموا على المشركين، و لكنه على قولك: تسلما[١٣] لا خير بيننا و بينكم و لا شرا - انتهى. فلا[١٤] حاجة إلى ادعاء نسخها بآية القتال و لا غيرها، لأن الإغضاء عن[١٥] السفهاء

---

(١) فى ظ: بها (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: متشرفا (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: تشرف (٤) تقدم فى الأصل على «فى أنفسهم»، و الترتيب من ظ و مد (٥) فى ظ: الحكم (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: القضا (٧) فى ظ: رجوعهم (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: يغطون. (١٠) راجع كتابه ١ / ١٦٣ و ١٦٤ (١١) فى ظ و مد: ان (١٢) من ظ و مد و الكتاب، و فى الأصل: لم تومن (١٣) من ظ و مد و الكتاب، و فى الأصل: اسلما (١٤) من ظ و مد، و فى الأصل: ولا (١٥) فى ظ: من.

و ترك المقابلة مستحسن فى الآدب و المروءة و الشريعة ، و أسلم للعرض و الورع ، و كأنه أطلق الخطاب إعلاما بأن أكثر قول الجاهل الجهل .

و لما ذكر ما بينهم و بين الخلق من القول و الفعل ، و كان الغالب على ذلك أن يكون جلوة نهارا ، ذكر ما بينهم و بين خالقهم من ذلك خلوة ليلا ، و ذكر هذه المعطوفات / التى هى صفات بالواو ، تنبيها على ٥ /٧٠٥ أن كل واحدة منها تستقل بالقصد لعظم خطرها ، و كبر أثرها ، فقال : ﴿و الذين يبيتون﴾ [1]من البيتوتة : أن يدركك الليل نمت أو لم تنم ، و هى خلاف الظلول[1]، و أفاد الاختصاص بتقديم ﴿لربهم﴾ أى المحسن إليهم برحمانيته ، [2]يحيون الليل[2] رحمة لأنفسهم ، و شكرا لفضله .

١٠ و لما كان السجود أشد أركان الصلاة تقربا إلى الله ، لكونه أنهى الخضوع [مع أنه الذى أباه الجاهلون ، قدمه لذلك و ليعلم بادئ بدء أن القيام فى الصلاة - [3]] فقال : ﴿ سجدا ﴾ و أتبعه ما هو تلوه فى المشقة تحقيقا لأن السجود على حقيقته فيتمحص الفعلان للصلاة ، فقال : ﴿و قياما ه﴾ أى و لم يفعلوا فعل الجاهلين من التكبر عن السجود ، بل ١٥ كانوا - كما قال الحسن رحمه الله - : نهارهم فى خشوع ، و ليلهم فى خضوع .

و لما ذكر تهذيبهم لأنفسهم للخلق و الخالق ، أشار إلى أنه لا إعجاب عندهم ، بل هم وجلون ، و أن الحامل لهم على ذلك الإيمان بالآخرة التى

(١ - ١) وقع ما بين الرقمين فى الأصل موضع « يحيون الليل » ، و الترتيب من ظ و مد (٢-٢) وقع ما بين الرقمين فى الأصل موضع « من البيتوتة.... خلاف الظلول » ، و الترتيب من ظ و مد (٣) زيد من ظ و مد.

كذب

كذب بها الجاهلون "يؤتون ما اتوا و قلوبهم وجلة انهم الى ربهم رٰجعون"
و قدموا الدعاء بالنجاة اهتماما بدره المفسدة، و إشعارا بأنهم مستحقون
لذلك و إن اجتهدوا، لتقصيرهم عن أن يقدروه سبحانه حق قدره[1] فقال:
﴿و الذين يقولون ربنا﴾ أى[2] أيها المحسن إلينا ﴿اصرف عنا عذاب جهنم ق صلے﴾
الذى أحاط [بنا -[3]] لاستحقاقنا إياه إلا أن يتداركنا عفوك و رحمتك، ٥
بما [4]توفقنا له[4] من لقاء من يؤذينا بطلاقة الوجه، لا بالتجهم؛ ثم علل
سؤالهم[5] بقولهم: ﴿ان عذابها كان﴾ أى كونا جبلت عليه ﴿غراما ق صلے﴾
أى هلاكا و خسرانا ملحا محيطا بمن تعلق به [6]مذلا له[6]، دائما بمن غرى
به، لازما له[2] لا ينفك عنه و نحن كنا نيسر[7] على من آذانا.

و لما ثبت لها هذا الوصف، أنتج قوله: ﴿انها سآءت﴾ أى تناهت[8] ١٠
هى [فى -[3]] كل ما يحصل منه سوء[9]، و هى فى معنى بئست[10] فى جميع[11]
المذام ﴿مستقرا﴾ أى من جهة موضع استقرار ﴿و مقاما ه﴾ أى
موضع إقامة.

و لما ذكر أفعالهم و أقوالهم فيما بينهم و بين الخلق و قدمه، و الخالق
و أخره، لأن وجوبه يكون [بعد -[3]] ذلك، ذكر أحوالهم فى ١٥

---

(١) و من هنا سقطت صفحتان من مد (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ.
(٤ - ٤) فى ظ: وفقنا اليه (٥) فى ظ: بسوالهم (٦-٦) من ظ، وفى الأصل: بدلالة - كذا (٧) فى ظ: نشير (٨) من ظ، و فى الأصل: تناهب (٩) من ظ، و فى الأصل: شر (١٠) من ظ، و فى الأصل: ينسب (١١) فى ظ: جمع.

أموالهم، نظرا إلى قول الكفرة " او يلقى اليه كنز " و هداية إلى طريق الغنى لأنه[1] ما عال من اقتصد، فقال: ﴿و الذين اذآ انفقوا﴾ أى للخلق أو[2] الخالق فى واجب أو مستحب ﴿لم يسرفوا﴾ أى يجاوزوا الحد فى النفقة بالتبذير، فيضيعوا الأموال[3] فى غير حقها فيكونوا[4] إخوان الشياطين ٥ الذين هم من النار ففعلهم فعلها ﴿و لم يقتروا﴾ أى يضيقوا فيضيعوا الحقوق؛ ثم بين العدل بقوله: ﴿و كان﴾ أى إنفاقهم ﴿بين ذلك﴾ أى الفعل الذى يجب إبعاده.

و لما علم أن ما بين الطرفين[5] المذمومين يكون عدلا[6]، صرح به فى قوله: ﴿قواما ۝﴾ أى عدلا سواء بين الخلقين المذمومين: الإفراط ١٠ و التفريط، تخلقا[7] بصفة قوله تعالى[8] "و لو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض و لكن ينزل بقدر ما يشاء" و هذه صفة أصحاب محمد - صلى الله عليه و سلم و رضى عنهم - كانوا لا يأكلون /طعاما[9] للتنعم و اللذة[9] /٧٠٦ و لا يلبسون ثوبا للجمال و الزينة، بل [كانوا -[10]] يأكلون ما يسد الجوعة، و يعين على العبادة، و يلبسون ما يستر العورة، و يكن[11] من الحر و القر[12]؛

(١) من ظ، و فى الاصل: لأن (٢) من ظ، و فى الأصل «و» (٣) من ظ، و فى الاصل: الأول (٤) من ظ، و فى الأصل: فيكون (٥) سقط من ظ. (٦) فى ظ: عادلا (٧) زيد فى الأصل: بهذه، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها. (٨) راجع سورة ٤٢ آية ٢٧ (٩ - ٩) من ظ و العالم بهامش اللباب ٥/ ٨٩، و فى الأصل: للتلذذ و النعم (١٠) زيد من ظ و العالم (١١) من ظ و العالم، و فى الأصل: لكن (١٢) من ظ و العالم، و فى الأصل: العر.

قال عمر رضى الله عنه : كفى سرفا[1] أن لا يشتهى الرجل[2] شيئا إلا اشتراه فأكله.

و لما ذكر ما تحلوا به من أصول الطاعات ، بما لهم من العدل و الإحسان بالأفعال و الأقوال ، فى الأبدان و الأموال ، أتبعه ما تخلوا عنه من أمهات المعاصى التى هى الفحشاء و المنكر ، فقال : ﴿و الذين لا يدعون﴾ رحمة لأنفسهم و استعمالا للعدل ﴿ مع الله ﴾ أى الذى اختص بصفات ٥ الكمال ﴿ الها ﴾ و كلمة « مع » و إن أفهمت أنه غير ، لكن لما كانوا يتعنتون حتى أنهم يتعرضون بتعديد[3] الأسماء كما مر فى [آخر - [4]] سبحان و الحجر ، قال تعالى قطعا لتعنتهم : ﴿ 'اخر ﴾ أى دعاه جليا بالعبادة له ، و لا خفيا بالرياء ، فيكونوا كمن[5] أرسلت عليهم الشياطين فأزتهم[6] أزا . ١٠

و لما نفى عنهم ما يوجب قتل أنفسهم بخسارتهم إياها ، أتبعه قتل غيرهم فقال[7] : ﴿و لا يقتلون﴾ أى بما[8] تدعو إليه الحدة ﴿النفس﴾ أى رحمة للخلق و طاعة للخالق . و لما كان من الأنفس ما لا حرمة له ، بين المراد بقوله : ﴿ التى حرم الله ﴾ [9]أى قتلها ، أى[9] منع منعا عظيما الملكُ الأعلى - الذى لا كفوء له - من[7] قتلها ﴿الا بالحق﴾ [أى - [4]] بأن تعمل ١٥ ما يبيح قتلها .

---

(١) من ظ و المعالم ، و فى الأصل : شرفا (٢) من المعالم ، و فى الأصل و ظ : رجل (٣) فى ظ : بتعديل (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : لمن . (٦) فى ظ : وازتهم (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : ما (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ .

و لما ذكر القتل الجلي، أتبعه الخفي بتضييع نسب الولد، فقال:
﴿و لا يزنون ج﴾ أي رحمة لما قد يحدث من ولد، إبقاء على نسبه[١]،
و رحمة للزني بها و لأقاربها أن تنهتك حرماتهم، مع رحمته لنفسه،
على أن الزنا جارّ أيضا إلى القتل و الفتن، و فيه التسبب[٢] لإيجاد[٣] نفس
٥ بالباطل كما أن القتل[٤] تسبب إلى إعدامها بذلك، و قد روى في الصحيح[٥]
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه
و سلم: أي الذنب أعظم - و في رواية[٦]: أكبر - عند الله؟ قال: أن
تدعو لله ندا و هو خلقك، قال: ثم أيّ؟ قال: أن تقتل ولدك مخافة
أن يطعم معك، قال: ثم أيّ؟ قال: أن تزني بحليلة جارك، فأنزل الله
١٠ تصديق ذلك «و الذين لا يدعون مع الله الها اخر» - الآية. و قد استشكل
تصديق الآية للخبر من حيث أن الذي فيه قتل خاص و زنا خاص،
و التقييد بكونه أكبر، و الذي فيها مطلق القتل و الزنا من غير تعرض
لعظم[٧]، و لا إشكال لأنها نطقت بتعظيم ذلك من سبعة أوجه: الأول:
الاعتراض بين المبتدأ الذي هو "و عباد" و ما عطف عليه، و الخبر
١٥ الذي هو "اولئك يجزون" على أحد الرأيين[٨] بذكر جزاء هذه الأشياء

(١) من ظ، و في الأصل: نسبته (٢) زيد في الأصل: أيضا، و لم تكن الزيادة في ظ فحذفناها (٣) من ظ، و في الأصل: بإيجاد (٤) من ظ، و في الأصل: القاتل ايضا (٥) راجع ٦٤٣/٢ و قد وردت الرواية في العديد من المناسبات. (٦) راجع ٧٠١/٢ و ١٠١٤ (٧) من ظ، و في الأصل: الى عظم (٨) من ظ، و في الأصل: الروايتين.

الثلاثة خاصة، و ذلك دال على مزيد الاهتمام[1] الدال على الإعظام. الثانى: الإشارة بأداة البعد[2] - فى قوله: ﴿و من يفعل ذلك﴾ أى الفعل العظيم القبح - مع قرب المذكورات، فدل على أن البعد فى رتبها. الثالث: التعبير باللقى[3] مع المصدر المزيد الدال على زيادة المعنى فى قوله: ﴿يلق اثاما﴾ دون " يأثم " أو يلق إثما أو[4] جزاء إثمه. الرابع: التقييد بالمضاعفة فى ٥ قوله مستأنفا: ﴿يضعف﴾ [أى بأسهل أمر -[5]] ﴿له العذاب﴾ / جزاء ٧٠٧ / ما أتبع نفسه هواها بما فيه من الحرارة الشيطانية - هـذا فى قراءة[6] [ابن عامر و أبى بكر عن -[5]] عاصم بالرفع[6] و هو بدل « يلق[7] » فى قراءة الجماعة، لأنهما تؤولان إلى معنى واحد، و مضاعفة العذاب - و الله أعلم - إتيان بعضه فى أثر بعض بلا انقطاع كما كان يضاعف سيئته كذلك، ١٠ و قراءة ابن كثير و أبى جعفر و ابن عامر و يعقوب بالتشديد تفيد مطلق التعظيم للتضعيف، و قراءة الباقين بالمفاعلة تقتضيه بالنسبة إلى من يبارى آخر فيه فهو أبلغ. [الخامس -[5]]: التهويل بقوله: ﴿يوم القيمة﴾ الذى هو أهول من غيره بما لا يقايس. السادس: الإخبار بالخلود الذى هو أول درجاته أن يكون مكثا طويلا، فقال [عاطفا فى القراءتين على ١٥ « يضعف » -[5]]: ﴿و يخلد فيه﴾. السابع: التصريح بقوله: ﴿مهانا﴾ ولعله للاحتراز عما[8] يجوز من أن بعض[9] عصاة هذه الأمة - الذين يريد[10] الله

(١) زيدت الواو فى ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: الفعل (٣) من ظ، و فى الأصل: بالمعنى (٤) من ظ، و فى الأصل: أى (٥) زيد من ظ (٦) راجع أيضا نثر المرجان ٤/٧٢٦ (٧) من ظ، وفى الأصل: يليق (٨) من ظ، وفى الأصل: مما. (٩) سقط من ظ (١٠) من ظ، و فى الأصل: يريدون.

تعذيبهم - يعلمون أنهم ينجون و يدخلون الجنة، فتكون إقامتهم - مع العلم بالمآل - ليست على وجه الإهانة، فلما عظم الأمر من هذه الأوجه، علم أن كلا من هذه الذنوب كبير، و[1] إذا كان الأعم كبيرا، كان الأخص المذكور أعظم من مطلق الأعم، لأنه زاد عليه بما صار
٥ به خاصا، فثبت بهذا أنها كبائر، و أن قتل الولد و الزنا بحليلة الجار أكبر لما ذكر، فوضح وجه تصديق الآية للخبر، و لا يقال: إن الإشارة ترجع [2]إلى المجموع[2]، فالتهويل خاص بمن ارتكب مجموع هذه الذنوب لأنا نقول: السياق يأباه، لأن تكرار[3] «لا» أفاد - كما حققه الرضى[4] - و رود النفي على وقوع الخصال الثلاث حال الاجتماع[5] و الانفراد،
١٠ فالمعنى: لا يوقعون شيئا منها، فكان معنى "و من يفعل ذلك": و من يفعل شيئا من ذلك - ليرد الإثبات على ما ورد عليه النفي، فيحصل التناسب، و أما عدم منافاة الآية للترتيب فمن وجهين: الأول أن[6] الأصل في التقديم الاهتمام بما سبقت له الآية، و هو التنفير المفيد للتغليظ، فيكون كل واحد منها[7] أعلى مما بعده. الثاني أن الواو لا تنافيه، و قد
١٥ وقعت الأفعال مرتبة في الذكر كما رتبت في الحديث بـ «ثم» فيكون مرادا بها الترتيب - و الله الهادي.

و لما أتم سبحانه تهديد الفجار، على هذه الأوزار، أتبعه ترغيب الأبرار،

---

(١) في ظ: او (٢ - ٢) من ظ، و في الأصل: للجموع (٣) في ظ: تكرير. (٤) في ظ: القاضي (٥) في ظ: الانتفاع (٦) سقط من ظ (٧) في ظ: منهما.

فى الإقبال [1] على الله [1] العزيز الغفار، فقال: ﴿ الا من تاب ﴾ أى رجع إلى الله عن شىء مما كان فيه من هـذه النقائص ﴿ و آمن ﴾ أى أوجد الأساس الذى لا يثبت [2] عمل بدونه [و هو الإيمان -[3]]، أو أكد وجوده ﴿ و عمل ﴾. و لما كان الرجوع عنه أغلظ [4]، [أكد -[3]] فقال: ﴿ عملا صالحا ﴾ أى مؤسسا على أساس الإيمان؛ ثم زاد فى ٥ الترغيب بالإتيان بالفاء ربطا للجزاء بالشرط دليلا على أنه سببه فقال: ﴿ فاولٓئك ﴾ أى العالو المنزلة ﴿ يبدل الله ﴾ و ذكر الاسم الأعظم تعظيما للأمر [و -[3]] إشارة إلى أنه سبحانه لا منازع له ﴿ سيأتهم حسنت [5] ﴾ أى بندمهم على تلك السيئات، لكونها ما كانت حسنات فيكتب لهم ثوابها [5] بعزمهم الصادق على فعلها لو استقبلوا من أمرهم [ما -[3]] استدبروا، ١٠ بحيث إذا رأى أحدهم تبديل سيئاته / بالحسنات تمنى [6] لو كانت سيئاته أكثر! ٧٠٨/ وورد أن بعضهم يقول: رب! إن لى سيئات ما رأيتها [7] - رواه مسلم فى أواخر الإيمان من [8] صحيحه [9] عن أبى ذر رضى الله عنه [رفعه -[3]].

و لما كان هذا أمرا لم تجر العادة بمثله، أخبر أنه صفته تعالى أزلا و أبدا، فقال مكررا للاسم الأعظم [10] لئلا يقيد غفرانه شىء [10] مما مضى: ١٥ ﴿ و كان الله ﴾ أى الذى له الجلال و الإكرام على الإطلاق ﴿ غفورا ﴾

(١ - ١) فى ظ: الى (٢) من ظ، و فى الأصل: لا ثبت (٣) زيد من ظ.
(٤) فى ظ: اعظم (٥) من ظ، وفى الأصل: ثوابا (٦) من ظ، وفى الأصل: يتمنى (٧) فى ظ: ما راتها (٨) من ظ، و فى الأصل: فى (٩) ١ / ١٠٦.
(١٠-١٠) فى ظ: لئلا يقصد غفرانه بشىء.

أى ستورا لذنوب كل من تاب بهذا الشرط ﴿رحيما ﴾ له بأن يعامله
بالإكرام كما يعامل المرحوم فيعطيه مكان كل سيئة حسنة ؛ روى البخارى[١]
عن ابن عباس رضى الله عنهما أن هذه الآية نزلت فى أهل الشرك ، لما[٢]
نزل صدرها قال أهل مكة : فقد عدلنا بالله ، و قتلنا النفس التى حرم الله ،
٥ و أتينا الفواحش ، فأنزل[٣] الله " الا من تاب - إلى : رحيما " ؛ و روى
عنه أيضا أنه قال[٤] : هذه مكية نسختها آية مدنية التى فى سورة النساء ،
أى على تقدير كونها عامة فى المشرك و غيره ؛ و روى عنه أنه قال[٤] فى
آية النساء : نزلت فى آخر ما نزل ، و لم ينسخها شیء . و قد تقدم فى
سورة النساء الجواب عن هذا ، و كذا ما رواه البخارى عنه فى التفسير[٥] :
١٠ إن ناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا و أكثروا [و زنوا و أكثروا -[٦]] ،
فأتوا محمدا صلى الله عليه و سلم فقالوا : إن الذى تقول و تدعو إليه لحسن
لو تخبرنا أن لما عملنا[٧] كفارة ، فنزل " و الذين لا يدعون مع الله الها آخر
و لا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق و لا يزنون " و نزل " يعبادى
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله " . و لما أشعرت الفاء
١٥ بالتسبيب[٨] ، و دل تأكيد الفعل بالمصدر على الاحتياج[٩] إلى عمل كثير

---

(١) راجع كتاب التفسير : ٢/ ٧٠٢ (٢) من ظ و الصحيح كتاب التفسير ٢/ ٧٠١ ، وفى الأصل : كما (٣) ومن هنا استأنفت نسخة مد (٤) راجع الصحيح كتاب التفسير ٢ / ٧٠١ (٥) سورة الزمر ٢ / ٧١٠ و ٧١١ (٦) زيد من ظ و مد و الصحيح (٧) من مد و الصحيح ، و فى الأصل و ظ : علمنا (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : بالتسبب (٩) من ظ ومد ، و فى الأصل : الاحتجاج.

ربما

ربما جل[1] عن طوق البشر[2]، و أشار إلى التطريق له بالوصفين[3] العظيمين، أتبع ذلك بيان[4] الطريق إليه بما أجرى من العادة فقال: ﴿و من تاب﴾ أى عن المعصية كفرا كانت أو ما دونه ﴿و عمل﴾ تصديقا لادعائه التوبة.

و لما كان فى سياق الترغيب، أعراه من التأكيد فقال: ﴿صالحا﴾ ٥ و لو كان كل من نيته و عمله ضعيفا، و[5] رغب سبحانه فى ذلك بقوله معلما أنه يصل إلى الله: ﴿فانه يتوب﴾ أى يرجع واصلا ﴿الى الله﴾ أى الذى له صفات الكمال، فهو يقبل التوبة عن عباده، و يعفو عن السيئات ﴿متابا ه﴾ أى رجوعا عظيما جدا بأن يرغبه الله فى الأعمال الصالحة، فلا يزال كل يوم فى زيادة فى نيته و عمله، فيخف ما كان عليه ثقيلا، ١٠ و يتيسر له ما كان عسيرا، و يسهل عليه ما كان صعبا، كما تقدم فى "ان الذين آمنوا و عملوا الصلحت يهديهم ربهم بايمانهم" و لا يزال كذلك حتى يحبه فيكون سمعه الذى يسمع به، و بصره الذى يبصر به، و يده التى[6] يبطش بها، و رجله التى[6] يمشى بها، بأن يوفقه للخير، فلا يسمع إلا ما يرضيه، و هكذا، و من أجراه على ظاهره فعليه لعنة الله، لمخالفته ١٥ إجماع المسلمين.

و لما وصف عباده سبحانه بأنهم تحلوا بأصول الفضائل، / و تخلوا /٧٠٩

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: حل (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: البشير.
(٣) فى ظ: بالموضعين (٤) فى ظ: ببيان (٥) فى ظ: او (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: الذى.

عن أمهات الرذائل، و رغب فى التوبة، لأن الإنسان لعجزه لا ينفك عن النقص، و كان قد مدحهم بعد الأولى[١] من صفاتهم بالحلم عن[٢] الجهل مدحهم قبل الآخرى من أمداحهم و عقب تركهم الزنا بالإعراض أصلا عن اللغو الذى هو أعظم مقدمات الزنا فقال: ﴿و الذين لا يشهدون﴾

٥ أى يحضرون انحرافا مـع[٢] الهوى كما تفعل النار التى الشيطان منها ﴿الزور لا﴾ أى القول المنحرف عن الصدق كذبا كان أو مقاربا له فضلا عن أن يتفوهوا[٣] به و يقروا عليه؛ قال ابن جرير[٤]: و أصل الزور تحسين الشيء و وصفه بخلاف صفته حتى يخيل إلى من يسمعه[٥] أو يراه أنه بخلاف ما هو به [٦]فهو تمويه الباطل بما يوهم أنه حق[٦].

١٠ و الشرك قد يدخل فى ذلك لأنه محسن لأهله حتى ظنوا أنه حق و هو باطل، و يدخل فيه الغنا لأنه أيضا مما يحسن بترجيع الصوت حتى يستحلى سامعه سماعه، و الكذب أيضا يدخل فيه بتحسين صاحبه إياه حتى يظن أنه حق - و عطف عليه ما هو أعم منه فقال: ﴿و اذا مروا باللغو﴾ أى الذى ينبغى أن يطرح و يطل سواء كان من وادى الكذب أو

١٥ العبث الذى لا يجدى؛ قال ابن جرير[٤]: و هو فى[٧] كلام العرب كل كلام

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الاول (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: عن. (٣) فى ظ: يتفهوا (٤) راجع من تفسيره الجزء ١٩ / ٢٩ (٥) من ظ و مد و التفسير، و فى الأصل: سمعه (٦-٦) ليس ما بين الرقمين فى التفسير (٧) من ظ و مد و التفسير، و فى الأصل: من.

أو فعل باطل لا حقيقة له و لا أصل، أو ما يستقبح . ﴿مروا كراما ٥﴾ أى آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر، إن تعلق بهم أمر أو نهى، باشارة أو عبارة، على حسب ما يرونه[1] نافعا ، أو معرضين إن كان لا يصلح شيء [من ذلك -[2]] لإثارة مفسدة أعظم[3] من ذلك أو نحوه، رحمة لأنفسهم و غيرهم، و أما حضورهم لذلك و سكوتهم[4] فلا، لأن النظارة إلى كل ٥ ما لم [5]تسوغه الشريعة[5] هم شركاء فاعليه فى الإثم لأن حضورهم و نظرهم دليل الرضا به، و سبب لوجوده و الزيادة فيه .

و لما ذكر وصفهم الذى فاقوا[6] به، أشار إلى وصف الجهلة الذى سفلوا به، فقال: ﴿ و الذين اذا ذكروا ﴾ أى ذكرهم غيرهم كائنا من كان، لأنهم يعرفون الحق بنفسه لا بقائله ﴿بايت ربهم﴾ أى الذى ١٠ وفقهم لتذكر إحسانه إليهم فى حسن تربيته لهم بالاعتبار بالآيات المرئية و المسموعة ﴿ لم يخروا ﴾ أى لم يفعلوا فعل الساقطين [المستعلين -[2]] ﴿ عليها ﴾ الساترين لها؛ ثم زاد فى بيان إعراضهم و صدهم عنها فقال منبها على أن المنفى القيد لا المقيد، و هو الخرور، بل هو موجود غير منفى بصفة السمع و البصر: ﴿صما و عميانا ٥﴾ أى كما يفعل المنافقون و الكفار ١٥ فى الإقبال عليها [سماعا -[2]] و اعتبارا، و الإعراض عنها تغطية لما عرفوا من حقيتها[7]، وسترا لما رأوا من نورها، فعل من لا يسمع و لا يبصر كما تقدم

(١) فى ظ: يريدونه (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ و مد: اكبر (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: شكوتهم (٥-٥) فى ظ و مد: يسوغه الشرع (٦) فى ظ و مد: فارقوا (٧) فى ظ و مد: حقيقتها .

عن أبي جهل و أبي سفيان و الأخنس[1] بن شريق، و ذلك وصفه لعباد الرحمن بفعل ضد هذا، أي أنهم يسقطون[2] عند سماعها[2] و يكبون عليها، سقوط سامع منتفع بسمعه، بصير منتفع ببصره و بصيرته، سجدا يبكون كما تقدم في أول أوصافهم [و إن لم يبلغوا أعلى درجات ٥ البصيرة - بما أشارت إليه المبالغة بزيادة النون جمع العمى - [3]].

و لما ذكر هذه الخصلة المثمرة[4] لما يلي الخصلة الأولى، ختم بما ينتج الصفة الأولى. فقال مؤذنا بأن إمامة الدين ينبغي أن تطلب / و يرغب ٧١٠/ فيها: ﴿ و الذين يقولون ﴾ علما منهم بعد اتصافهم بجميع ما مضى أنهم أهل الامامة: ﴿ ربنا هب لنا من ازواجنا ﴾ اللاتي قرنتها بنا كما فعلته ١٠ لنبيك صلى الله عليه و سلم، فمدحت زوجته في كلامك القديم، و جعلت مدحها يتلى على تعاقب الأزمان و السنين ﴿ و ذريّتنا قرة ﴾ و لما كان المتقون - الذين يفعلون الطاعة [و - [3]] يسرون بها - قليلا في جنب العاصين، أتى بجمع القلة [و نكر - [3]] فقال: ﴿ اعين ﴾ أي من الأعمال أو من العيال بأتمون[5] بنا، لأن الأقربين أولى بالمعروف، و لا شيء أسر للمؤمن ١٥ و لا أقر لعينه من أن يرى حبيبه يطيع الله. فما طلبوا إلا أن يطاع الله فتقر أعينهم، فـ « من » إما[6] أن تكون مثلها في: رأيت منك أسدا، و إما أن تكون على بابها، و تكون القرة هي الأعمال، أي هب لنا منهم

(١) في ظ: الاخفش - خطأ (٢ - ٢) في ظ: عندهم عمدا - كذا (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و في الأصل: الثمرة (٥) في ظ: ياتمرن - كذا (٦) من ظ و مد، و في الأصل: فاما.

أعمالا

أعمالا صالحة فجعلوا أعمال من يعز عليهم هبة لهم ، [و أصل القرة البرد لأن العرب تتأذى بالحر و تستروح إلى البرد ، فجعل ذلك كناية عن السرور -[1]] ﴿ و اجعلنا ﴾ [أى -[1]] إيانا و إياهم ﴿ للمتقين ﴾ أى عامة من الأقارب و الأجانب .

و لما كان المطلوب من المسلمين الاجتماع فى الطاعة حتى تكون ٥ الكلمة فى[2] المتابعة واحدة ، أشاروا إلى ذلك بتوحيد الإمام و إن كان المراد الجنس[3] ، فقالوا : ﴿ اماما ﴾ أى فنكون[4] علماء مخبتين متواضعين كما هو شأن إمامة التقوى فى إفادة[5] التواضع و السكينة ، لنحوز[6] الأجر العظيم ، إذ الانسان له أجره و أجر من اهتدى به فعمل بعمله[7] «من سن سنة حسنة كان له أجرها و أجر من عمل[8] بها إلى ١٠ يوم القيامة » [9]و عكسه[9] .

و لما وصف سبحانه عباده المؤمنين بضد أوصاف الكافرين من الرفق و السكينة ، و التواضع و الحلم و الطمأنينة و الشكر لربهم و الرغبة إليه [و الرهبة - [1]] منه . و قال الرازى : فوصف مشيهم و خطابهم و انتصابهم له و دعاءهم و نفقاتهم و نزاهتهم و تيقظهم و انتباههم و صدقهم ١٥ و محبتهم و نصحهم . تشوف السامع إلى ما لهم عنده بعد المعرفة بما

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : من (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : للجنس .
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيكون (٥) زيد فى ظ : الجنس (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : ليجوز (٧) فى ظ : بعلمه (٨) فى ظ : يعمل (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .

للكافرين، فابتدأ الخبر عن ذلك بتعظيم شأنهم فقال: ﴿ أولٓئك ﴾ أى العالو[1] الرتبة، العظيمو المنزلة[2]. و لما كان المقصود [إنما -[3]] هو الجزاء، بنى للفعول قوله: ﴿ يجزون ﴾ أى فضلا من الله على ما وفقهم له من هذه الأعمال الزاكية، و الأحوال الصافية ﴿ الغرفة ﴾ أى التى هى لعُلوها
٥ و اتساعها و طيبها[4] لا غرفة غيرها، لأنها منتهى الطلب، و غاية الأرب، لا[5] يبغون عنها حولا، و لا يريدون بها بدلا، [6]و هى كل بناء عال مرتفع[6]، و الظاهر أن المراد بها الجنس.

و لما كانت الغُرَب[7] فى غاية التعب لمنافاتها لشهوات[8] النفس و هواها و طبع البدن، رغب فيها بأن جعلها سببا لهذا الجزاء فقال:
١٠ ﴿ بما صبروا ﴾ أى أوقعوا الصبر على أمر ربهم و مرارة غربتهم بين الجاهلين فى أفعالهم و أقوالهم و أحوالهم، و غير ذلك من معانى جلالهم.

و لما كان المنزل لا يطيب إلا بالكرامة و السلامة، قال: ﴿ و يلقون ﴾ أى يجعلهم الله لاقين بأيسر أمر؛ و على قراءة حمزة[9] و الكسائى و أبى بكر عن[10] عاصم بالتخفيف "و البناء للفاعل"[11] و[12] الأمر واضح

---

(١) فى ظ: العالون (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: المشركة (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ: وطيبها - كذا (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: مالم (٦-٦) وقع ما بين الرقمين فى الأصل بعد «الغرفة» والترتيب من ظ و مد (٧) من ظ ومد، و فى الأصل: القرب (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: كشهوات (٩) راجع نثر المرجان ٤/٧٣٣ (١٠) فى ظ «و» (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: على.

﴿فيها تحية﴾ أى دعاء بالحياة من بعضهم لبعض، و من الملائكة الذين لا يرد دعاؤهم، و لا يمترى فى إخبارهم، لأنهم عن الله ينطقون، و ذلك على وجه الإكرام و الإعظام مكان ما أهانهم عباد الشيطان ﴿و سلما﴾ أى من الله و من الملائكة و غيرهم، و سلامة من كل آفة مكان ما أصابوهم بالمصائب.

/و لما كان هذا ناطقا بدوام حياتهم سالمين بصريحه، و بعظيم شرفهم ٥ /٧١١ بلازمه، دل على أنهم لا يبرحون[١] عنه بقوله: ﴿خلدين فيها﴾ أى الغرفة مكان ما أزعجوهم من ديارهم حتى هاجروا؛ و دل على علو أمرها، و عظيم قدرها، بإبراز مدحها فى[٢] مظهر التعجب فقال: ﴿حسنت﴾ أى ما أحسنها[٣] ﴿مستقرا﴾ أى موضع استقرار ﴿و مقاما﴾ أى موضع إقامة.

و لما ثبت أمر[٤] الرحمانية، فظهر أمر الرحمن و ما عليه عباده من ١٠ الدعاء الذى هو الخضوع و الإخلاص، و ختم [٥]أوصافهم الحسنة[٥] بالدعاء حقيقة الدال على الإخلاص فى الخضوع، و ذكر حسن جزائهم و كريم منقلبهم، أمر النذير أن يقول لعباد الشيطان الذين تكبروا عن السجود للرحمن، و عن الاعتراف و الإيمان، ليرجعوا عن العصيان، و يزداد المؤمنون فى الطاعات[٦] [٧]و الإيمان[٧]: إن ربه لا يعتد بمن لا يدعوه، فمن ١٥ ترك[٨] دعاءه[٤] فليرتقب العذاب الدائم، فقال: ﴿قل ما يعبؤا﴾ أى يعتد

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: لا يرجون (٢) فى ظ: من (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: احسنت (٤) سقط من ظ (٥ - ٥) من ظ و مد، و فى الأصل: اعمالهم الصالحة (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: الطاعة (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: نزل.

و يبالى و يجعلكم ممن يعتد به فى موضع التعبئة الآن - على أن «ما» نافية ﴿ بكم ﴾ أى أيها الكافرون ﴿ ربى ﴾ أى المحسن إلىّ و إليكم برحمانيته، المخصص [1]لى بالإحسان[1] برحيميته، و إنما خصه بالإضافة لاعترافه دونهم ﴿ لولا دعآؤكم ﴾ أى نداؤكم له فى وقت شدائدكم الذى أنتم تبادرون

٥ إليه فيه خضوعا له به لينجيكم، فاذا فعلتم ذلك أنقذكم مما[2] أنتم فيه، معاملة لكم معاملة من يبالى بالإنسان و يعتد به و يراعيه، و[3] لو لا دعاؤه إياكم لتعبدوه رحمة لكم لتزكوا أنفسكم و تصفوا أعمالكم و لا تكونوا حطب النار ﴿ فقد كذبتم ﴾ أى فتسبب عن ذلك لسوء طباعكم[4] ضد ما كان ينبغى لكم من الشكر و الخير بأن عقبتم بالإنجاء و حققتم و قرنتم[5] التكذيب

١٠ بالرحمان بعد رحمتكم بالبيان مع ضعفكم و عجزكم، و تركتم ذلك الدعاء له[6] و عبدتم الأوثان، و ادعيتم [7]له الولد[7] و غيره من البهتان، أو ما يعتد بكم شيئا من الاعتداد لولا دعاؤكم إياه وقت الشدائد، فهو يعتد بكم لأجله نوع اعتداد، و هو المدة التى ضربها لكم فى الدنيا لا غيرها، بسبب أنكم [قد - [8]] كذبتم، أو ما يصنع بكم لولا دعاؤه[9] إياكم إلى طاعته،

١٥ لأنكم قد كذبتم، فكنتم شرا من البهائم، فدعاكم فتسبب عن دعائه إياكم أنكم فاجأتم الداعى بالتكذيب، و الحاصل أنه ليس فيكم الآن

(١ - ١) من ظ و مد، و فى الأصل: اى الاحسان (٢) فى ظ: بما (٣) فى ظ: اى (٤) فى ظ و مد: طبائعكم (٥) فى مد: قرنتم (٦) سقط من ظ (٧ - ٧) من ظ و مد، و فى الأصل: الولد له (٨) زيد من ظ و مد (٩) من مد، و فى الاصل: دعاء، و فى ظ: دعاوكم.

ما

ما يصلح أن يعتد[1] بكم لأجله إلا الدعاء، لأنكم مكذبون ، و إنما قلت : «الآن» لأن[2] "ما" [لا -[3]] تدخل إلا على مضارع بمعنى الحال، عكس "لا" ﴿ فسوف ﴾ أى فتسبب عن تكذيبكم أنه يجازيكم على ذلك، و لكنه مع قوته و قدرته و اختياره لايعاجلكم، بل ﴿ يكون ﴾ جزاء هذا التكذيب عند انقضاء ما ضربه لكم من الآجال، و كل بعيد[4] عندكم ٥ قريب[5] عنده، و كل آتٍ قريب، فتهيأوا و اعتدوا لذلك اليوم ﴿ لزاما ع ﴾ أى لازما لكم لزوما عظيما لا انفكاك له عنكم بحال، و هذا تنبيه على [6]ضعفهم و عجزهم[6]، و ذلهم و قهرهم، لأن الملزوم لا يكون إلا كذلك[7]، فأسرهم يوم بدر من أفراد هذا التهديد، فقد انطبق آخر السورة على أولها بالإنذار بالفرقان، لمن[8] أنكر حقيقة الرحمن - و الله ولى التوفيق ١٠ بالإيمان[9] .

* * * * *

(١) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : يعتد (٥) تكرر فى الأصل فقط (٦-٦) فى ظ : ضعفكم و عجزكم (٧) من مد ، و فى الأصل وظ : لذلك (٨) فى ظ : من (٩) يرجى رد مدارك التنزيل إلى أنوار التنزيل فيما تقدم .

خاتمة الطبع

لقد تم - و الحمد لله - طبع الجزء الثالث عشر من تفسير "نظم الدرر في تناسب الآيات و السور" للشيخ العلامة برهان الدين أبي الحسن إبراهيم ابن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى، يوم الجمعة الخامس من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٩٨ هـ = الحادى عشر من آب سنة ١٩٧٨ م، تحت إشراف مدير الدائرة و سكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين أحمد، قاضي المحكمة العليا سابقا - بارك الله جهوده، و ضاعف له أجوره.

و تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخي الفاضل محمد عمران الأعظمي الأنصاري العمري (أفضل العلماء - جامعة مدراس)، و قام بقراءة تجريباته مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضي محمد عطاء الله النقشبندي القادري (كامل الجامعة النظامية) - حفظهما الله.

و اهتم بتنقيحه و إنهائه خادم العلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة - كان الله له و لوالديه.

و يليه الجزء الرابع عشر بإذن الله و مشيئته مستهلا بسورة الشعراء.

و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه، و هو المسؤل لحسن الخاتمة، و نصلي و نسلم على من علم فواتح الخير و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المستمسك بحبل الله المتين

المفتي محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية